فُصُوصُ الفُصُولِ
وَعُقُودُ العُقُولِ

لابن سناء المُلك
(ت ٦٠٨ هـ)

تحقيق ودراسة
الأستاذ/ محمد محمد عبد الجواد

إشراف
الأستاذ الدكتور/ صلاح الدين الهادي

رسمه واعتنى به
الأستاذ/ مختار دعباج

مؤسسة
المختار
للنشر والتوزيع

فُصُوصُ الفُصُول
وَعُقُودُ العُقُول

فصول الفصول وعقود العقول

لابن ثناء الملك

* محمد محمد عبد الجواد

الطبعـــة الأولى
(طبعة مؤسسة المختار)
طبعة مزيدة ومنقحة
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/٤٧٠٤
الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977 - 382 -044- 0

مؤسسة المختار
للنشـــر والتـــوزيـــع

القاهرة : ٦٥ شارع النزهة - مصر الجديدة
تليفون : ٢٩٠١٥٨٣
Email:Mokhtar_est@hotmail.com

فُصُوصُ الفُصُولِ وَعُقُودُ العُقُولِ

لابن سناء الملك
(ت ٦٠٨ هـ)

تحقيق ودراسة

الأستاذ/ محمد محمد عبد الجواد

إشراف

الأستاذ الدكتور/ صلاح الدين الهادي

راجعه واعتنى به

الأستاذ/ مختار دُغْباج

مؤسسة
المختار
للنشر والتوزيع

الناشر

مقدمة التحقيق

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صاحب البيان المعجز وأفصح الفصحاء، عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه أفضل الصلاة والتسليم.

وبعد

فيقول الله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[١] شهادة حق من خالق الأمم، وواهب النعم، وكفى بالله شهيدًا. ومن كان فى ريب من ذلك فليسأل التاريخ: مَنْ روّاد الحضارات، وصناع المعجزات، وأهل البأس والمكرمات، وأرباب السيوف والأقلام، الذين شَرَّق علمهم وغرّب فمحا الجهل وقشع الظلمات، ونهلَ الناس منه حتى ارتووا وضربوا بعطن فاستحالتْ غَرَبًا فلم نَرَ أمةً تفرى فريَها

هذه أمة تملك موروثًا تراثيًا نفيسًا فى العقيدة والثقافة والحضارة والآداب، غَزَتْ به شتى ميادين العلم والمعرفة، ولا تزال، جُله غُرَرُ دُرر، ولآلئ حسان، وسلافة فكر يضيء ولو لم تمسسه نار، وهذه خزائن التراث فى الخافقَيْن تشهد بذلك. فما أحوجنا فى نهضتنا «إلى ابتعاث ماضينا المشرق المزهر، وإحياء تراثنا الفكرى الزاخر، والتأسى بما كان لنا فى ميادين الفكر والحضارة والبطولة من آثار سباقة، وأعلام خفّاقة، وأعمال مجيدة مشهورة»[٢] !.

ولم يسلم هذا التراث - كغيره - من عوادى الزمان ممن أعمى الحقد والتعصبُ بصائرهم وأبصارهم، فامتدت إليه أيديهم تحريفًا وتصحيفًا، ونهبًا وتدميرًا، ليسقطوا هذه المكانة السامية لتلك الأمة العظيمة، وما دَرَوْا أنهم فى ظنهم وَهموا؛ لأن الأعمال العظيمة تفرض نفسها، وتثير ضجةً وتترك دويًا وتجتذبُ الناس إليها، وهى كالجبال الشوامخ تثبت أمام العواصف والأنواء، وتظل خالدة وإن أحاطتها الأعاصير. ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾[٣]

---

(١) سورة آل عمران، ٣/ ١١٠

(٢) الطبرى ـ د. أحمد محمد الحوفى، ص ٣

(٣) سورة الرعد، ١٣/ ١٧

وقد هيّأ الله لهذا التراث العظيم أبناء أوفياء يذودون عن حياضه، ويدحضون الشبهات الباطلة الموجهة إليه - قديمًا وحديثًا - وينقحونه، ويخلصونه من شوائب التصحيف والتحريف، ولم يكتفوا بهذا بل وضعوا قواعد دقيقة يسيرون عليها تُعَدُّ بحق أصولاً فى علم التحقيق. ومن القدماء الذين تذكر جهودهم فى هذا الميدان: «الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى (المتوفى سنة ٣٦٠هـ) والقاضى عياض بن موسى التحصبى (المتوفى سنة ٥٤٤هـ) وتقى الدين أبو عمرو عثمان بن صلاح الدين، المعروف بابن الصلاح الشهرزورى (المتوفى سنة ٦١٦هـ) وبدر الدين بن جماعة (المتوفى سنة ٧٣٣هـ) وبدر الدين الغزى (المتوفى سنة ٩٨٣هـ) وعبد الباسط بن موسى العلموى (المتوفى سنة ٩٨١هـ)»[١].

ولما قامت النهضة الأدبية الحديثة كان إحياء التراث العربى القديم إحدى الدعامتين اللتين اعتمدت عليهما تلك النهضة، وكان هذا تحقيقًا «لهذه الفكرة الخصبة الخالدة، وهى أن القدماء والمحدثين مشتركون دائمًا فى تكوين الحضارة، لا يستأثر بها هؤلاء لأنهم يمارسونها بالفعل، ولا ينقطع عنها أولئك لأن تصرف الأيام قد قضى عليهم بالموت»[٢]، فكان لا بد من نشر ذخائر هذا التراث «فنشر كل ذخيرة منها فضل على الأجيال القديمة التى أنتجتها، لأنه يحييها بعد موت، وينطقها بعد صمت، وينشطها بعد خمود. وفضل على الأجيال المستقبلة لا ينقضى، لأنه يُرضى حاجتها إلى المعرفة، ويُقوى صلتها بالماضى، ويُنمى قدرتها على إصلاح المستقبل، ويشيع فى القلوب عواطف لعلها لم تكن لتشيع لو لم تنشر، ويثير فى العقول خواطر لعلها لم تكن لتثور لو لم تذع»[٣]، ورغم الجهود المكثفة التى تبذل فى هذا الميدان من فرسانه إلا أن الكثير من ذخائر تراثنا القديم لا يزال مخطوطًا لم يرَ النور بعد.

وكتاب «فصوص الفصول وعقود العقول، لابن سناء الملك» وهو موضوع هذه الدراسة - ذخيرة من ذخائر هذا التراث جديرة بالتحقيق والدراسة والنشر وحسب علمى أنه لم يسبق تحقيقه ولا نشره رغم أهميته وقيمته المتمثلة فيما يلى:

١ـ يعد الكتاب وثيقة تاريخية وأدبية لعلَمين كبيرين من أبرز كتاب ديوان الإنشاء فى

(١) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، للدكتور رمضان عبد التواب، ص ٢٥ ـ ٢٧

(٢) مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٧

(٣) مجالس ثعلب، ١/ ٦ـ ٧.

القرن السادس الهجرى، ويمثل جزءاً من ثروة كل منهما، فهو مصدر رئيسى من مصادر رسائل القاضى الفاضل حيث جمعها أحد تلاميذه، كما أنه مصدر رئيسى لرسائل ابن سناء الملك، ويزيده أهمية أنه جامعه.

٢- هذا الكتاب ذو أهمية بالغة فى دراسة شعر ابن سناء إذ أنه ينير الطريق بين يدى بعض قصائد الديوان ومناسباتها، والملاحظات النقدية التى أبداها القاضى الفاضل[١]

٣- يعبر الكتاب عن معنى القومية العربية ممثلاً فى وحدة الجهاد بين مصر والشام ضد الغزو الصليبى، ووحدة الفكر والانتماء إلى القومية العربية وذلك لأنه جمع بين عَلَمَيْنَ أحدهما من الشام وهو القاضى الفاضل والآخر من مصر وهو ابن سناء الملك.

٤- يوضح الكتاب موقف القاضيين تجاه بعض القضايا الأدبية والنقدية وهى قضايا جديرة بالدراسة كموقفهما من قضية التراث والمعاصرة، وأبى تمام والبحترى وابن المعتز وابن الرومى وابن رشيق، والطبع والصنعة والسرقات الأدبية، وغير ذلك مما سيتضح - إن شاء الله تعالى - من خلال الدراسة.

٥- يعطى الكتاب صورة عما كانت عليه أساليب الكتابة فى عصر القاضيين وخاصة أنهما من أكبر كُتَّاب ديوان الإنشاء فى عصرهما.

٦- الكتاب حافل بالنماذج الرائعة قرآنًا وحديثًا، شعراً ونثراً ومثلاً وحكمة وحكاية.

٧- الكتاب وثيقة تاريخية سياسية من وثائق الحروب الصليبية لأن أحد أعلامه - وهو القاضى الفاضل - كان وزيراً لصلاح الدين الأيوبى.

٨- يضم الكتاب موشحتين لابن سناء خلا منهما كتاب دار الطراز فى عمل الموشحات، هما: (فى خديك من صبر   وصرف كأسى).

لهذا وغيره عقدت العزم على تحقيق الكتاب ودراسته معتمداً على الله، وشرعت فى جمع نسخه من أماكن وجودها بعد تحديدها من المراجع المعنية بهذا الأمر، وعانيت فى سبيل الحصول عليها ما عانيت من تعب ومشقة، فهى أماكن مختلفة متباعدة: دار الكتب المصرية، المكتبة الوطنية بباريس، مكتبة الإسكوريال بأسبانيا، مكتبة الجامع الأزهر

(١) ابن سناء الملك، لمحمد إبراهيم نصر، ص ٥٥ (بتصرف).

بالقاهرة. أما النسخ المودعة بدار الكتب المصرية فلم أجد مشقة فى سبيل الحصول عليها، وكذلك النسخة المودعة بالمكتبة الأهلية بباريس التى استطعت الحصول على صورة منها عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض لاقتنائه صورة ميكروفيلمية منها، أما نسخة إسبانيا ونسختا مكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة فكانت الرحلة معها شاقة، فإسبانيا ظلت المراسلة بينى وبينها ثلاثة أشهر دون فائدة فلجأت إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية طالبًا العون فلبّى المسؤولون طلبى مشكورين، ووعدوا بإحضار صورة من الأصل المودع بمكتبة الإسكوريال وظلت المراسلة بين المركز ومكتبة الإسكوريال قرابة خمسة أشهر توجت بحصول المركز على ميكروفيلم لهذه النسخة منحنى منه صورة ورقية. جزى الله المركز والعاملين فيه خيرًا جزاء ما قدموا.

أما نسختا مكتبة الأزهر بالقاهرة فقد قضيت عامًا فى طلبهما فالمكتبة مغلقة استعدادًا لنقل محتوياتها إلى مقر جديد. ومع ذلك لم أيأس واستمرت مراجعتى للمكتبة حتى وفقنى الله فى الحصول على صورة لكل نسخة منهما.

هذه سبع صور للمخطوط الذى اعتزمت تحقيقه، أما النسخة الأم فلم أعثر عليها، ولم أعثر على مسودة لها ربما لأنها مفقودة، أو لم تفهرس بعد، أو فى حوزة فرد ضمن أصول أخرى والله أعلم. وقد رأيت أن سبعة النسخ التى جمعتها تكفى للمقابلة فاخترت إحداها لتكون أصلاً وهى نسخة المكتبة الخديوية رقم ٧٣ أدب م، لأسباب موضحة فى وصف هذه النسخ التالى:

وصف النسخ

١- نسخة المكتبة الخديوية:

محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٧٢٧٧) عمومى، ورقم (٧٣) أدب م ميكروفيلم رقم (٦ ٥٢)، والنسخة فى مجلد واحد عدد الأوراق (٣ ١) ورقة مقاس ٢١× ١٤ وبكل ورقة وجهان، عدد الأسطر فى كل ورقة (٢٢) سطرًا، عدد الكلمات فى كل سطر يتراوح ما بين (٨) كلمات و(١١) كلمة نوع الخط: نسخ عادى، والعناوين كتبت بخط أكبر، الكلمات مضبوطة بالشكل وهو صحيح غالبًا، لا يوجد بهامشها تعليقات ولكن توجد كلمات وجمل سقطت من المتن فكتبها الناسخ، لم تلتزم نظام التعقيبة إلا

نادراً، ولم تسلم من التصحيف والتحريف والسقط وقد وضحت هذا فى هوامش التحقيق، كما وقع اضطراب فى ترتيب بعض الأوراق، والهمزات المتوسطة تكتب ياء فمثلاً: رسائل، عقائل، للفائزين تكتب فيها هكذا: رسايل، عقايل، للفايزين. كذلك تسقط ألف المد التى بعد اللام فالسلام تكتب هكذا: (السلم) وتكتب ألف بعد واو العلة. كتب على الصفحة الأولى عنوان الكتاب (فصوص الفصول وعقود العقول) واسم مصنفه القاضى السعيد أبو القاسم بن القاضى الرشيد أبى الفضل جعفر بن سناء الملك، وعليها تمليكات منها ما يقرأ ومنها ما هو مطموس، فالمقروء: هذا الكتاب ملك العبد الفقير إلى الله تعالى، وإلى شفاعة نبيه محمد ﷺ محمد بن محمد ابن عثمان الحموى الشافعى - عفا الله عنه. ولم أعثر له على ترجمة فى مصادرى ومنه: «الحمد لله ملك محمد بن الشحنة» وفى فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية المصرية، ص ٢٩٠: «عليها بخط أبى اليمن ابن الشحنة الشافعى ما يفيد أنه ملكها سنة ٩١٥هـ» ولم يظهر هذا فى المصورة التى معى، وإن صح هذا فابن الشحنة هو: عبد البر محمد بن محمد أبو البركات سرى الدين المعروف بابن الشحنة، قاضى فقيه حنفى له نظم ونثر، ولد بحلب سنة ٨٥١هـ وتوفى بالقاهرة سنة ٩٢١هـ. (الأعلام ٤/ ٤٧) ومنه: «ملك محمد الحسينى الحنفى»، وربما يكون: محمد بن محمود بن الحسين الحنفى (هدية العارفين ٦/ ٢) وفى أسفل الصفحة من اليمين ختم بيضاوى تبدو فيه كلمة (أباظه). ويبدو أن ملكية هذه النسخة انتقلت إلى أحد أفراد الأسرة الأباظية المعروفة فى مصر

تبدأ هذه النسخة بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم. وهو المعين. وله الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون» وتنتهى بقوله: وألبسنى حليها وحللها وله الحمد وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله وصحبه وسلامه «تم الكتاب بعون الله تعالى» وبعد هذه النهاية وجد كلام لا ينتمى إلى متن النسخة. وهذه النسخة لا يوجد فيها اسم للناسخ، ولا تاريخ لنسخها، ولا النسخة التى نقلت عنها.

قيمة النسخة

كانت النسخة فى حوزة عالم جليل هو ابن الشحنة مما يعطيها أهمية خاصة. وتمتاز النسخة بوضوح خطها، وضبط معظم كلماتها بالحركات، والضبط صحيح غالبًا، وقد نبه الناسخ على الحروف المهملة حتى لا تختلط بالعجمية، وانفردت هذه النسخة برسائل خلت منها معظم النسخ الأخرى، وهى قليلة التصحيف والتحريف والسقط، لهذا اتخذتها أصلاً أقابل عليه النسخ الأخرى، ورمزت لها بالرمز (ص).

٢- النسخة: (د)

صورة من نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية فى ضمن مجموعة أولها «فصوص الفصول وعقود العقول» الرقم العمومى (٢٧٨ ٣)، الرقم الخاص (١٤٠٩) الفن: أدب، الرمز م، ميكروفيلم رقم (٣١٨٨٨).

على صفحة العنوان: «فصوص الفصول وعقود العقول» للعلامة ابن سناء الملك م وفى منتصف الصفحة: بالشراء من محمد أفندى الشاذلى ومضاف فى ٢٧ أبريل سنة ١٨٩٧ نمرة ٤٣ ، وفى أسفل الصفحة ختم بيضاوى ما بداخله مطموس.

عدد الأوراق (٣ ١) ورقة وفى كل ورقة وجهان، عدد الأسطر فى كل وجه (١٥) سطرًا عدد الكلمات فى كل سطر (٧) كلمات غالبًا. بدايتها: «بسم الله الرحمن الرحيم. وهو المعين. وله الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون» ونهايتها: «وألبسنى حليها وحللها والحمد وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله وسلامه. تم الكتاب بعون الله تعالى. م» وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز: (د).

كتبت هذه المجموعة بقلم معتاد بخط عبد الله بن محمد الشاذلى وفرغ من كتابتها فى اليوم الثانى والعشرين من شهر ذى القعدة سنة ١٣١٤ هـ ولم يذكر الناسخ النسخة التى نقل عنها. توجد تصحيحات على هوامش النسخة بخط الناسخ.

وتلتزم النسخة بنظام التعقيبة وبها سقط وشىء من التصحيف والتحريف أشير إليه فى هوامش النص المحقق. وقد وقع اضطراب فى ترتيب بعض صفحاتها هو نفسه ما وقع فى النسخة (ص) وبقية النسخ ما عدا (س) مما يرجح أن تكون هذه النسخ قد نقلت عن أصل واحد به هذا الاضطراب أو عن أصول نقلت عن هذا الأصل. وتهمل النسخة (د) كتابة

همزات القطع كثيراً، والكلمات فيها غير مضبوطة. وتمتاز هذه النسخة بوضوح خطها، وأنها لا تكتب الشعر فى سطر متصل بل تفصل بين صدر البيت وعجزه غالبًا.

٣- النسخة: (ك)

صورة من النسخة رقم (٢٢٦٥) المحفوظة بدار الكتب المصرية فى ضمن مجموعة أولها «فصوص الفصول».

عدد أوراقها (٤٣) ورقة، لكل ورقة وجهان، عدد الأسطر فى كل وجه (٢٦) سطرًا، عدد الكلمات فى كل سطر (١) كلمات غالبًا. كتبت النسخة بخط النسخ وليس عليها أو فيها ما يشير إلى اسم الناسخ أو تاريخ النسخ. تلتزم النسخة بنظام التعقيبة، ويوجد بها تصحيف وتحريف وسقط واضطراب فى ترتيب بعض الأوراق. على هوامشها تصحيحات يبدو أنها بخط الناسخ، توجد اختلافات فى بعض الروايات بين هذه النسخة وبقية النسخ مما يرجح أنها نقلت عن أصل مختلف عن الأصل أو الأصول التى نقلت عنه أو عنها بقية النسخ. على الصفحة الأولى اسم الكتاب واسم المصنف.

بدايتها: «بسم الله الرحمن الرحيم. أحمده تعالى على نعم له كانت وتكون وله الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون». ونهايتها: «ولله الحمد من قبل ومن بعد وصلاة الله الموصولة بضروب الإكرام على رسوله المطاع وعلى آله وصحبه والسلام. غفر الله لمن استفاد منه ودعا لكاتبه وجامعه بالمغفرة آمين آمين». وفى أسفل الصفحة الأخيرة من اليمين العبارة الآتية: «وجدت فى النسخة التى كتبت منها هذه النسخة انتهى على يد كاتبه الفقير وتم على ما فى الأصل من تحريف وخرم واستظهار تكميل للكلام بما يبتعد عن درجة أصله ولو قام، وبنسبة ذلك للأيام تعرف سيئاتها وما آفة الأخبار إلا رواتها» انتهى فارس. وفى الوجه (ب) من الورقة الأخيرة كلام ليس من أصل النسخة. وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (ك).

٤- النسخة: (ب)

صورة من النسخة رقم (٣٣٣٣) المحفوظة فى المكتبة الوطنية بباريس حصلت عليها عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. عدد الأوراق (٩٦) ورقة، مقاس ٢ × ١٤ فى كل ورقة وجهان، عدد الأسطر فى كل وجه (١١) سطرًا، عدد الكلمات فى

كل سطر (٨) كلمات غالبًا. وهى مضبوطة بالحركات غالبًا، لا تلتزم النسخة بنظام التعقيبة، لوحظ على هوامشها بعض التعليقات ولكنها قليلة وتوجد أيضًا تصحيحات.

على صفحة العنوان اسم الكتاب واسم المصنف وبعض التمليكات التى منها ما يمكن قراءته ومنها ما هو مطموس. ومن التمليكات الواضحة: «ملكه محمد سرور» وهو: محمد بن محمد أبى السرور زين العابدين بن محمد أبى المكارم البكرى الصديقى، المعروف بابن أبى السرور مؤرخ ومفسر، وباحث مصرى، مولده ووفاته بالقاهرة، [٥ ١هـ - ١٠٨٧ هـ] (الأعلام ٧/ ٢٩٣-٢٩٤).

ومنها: «ملكه: إبراهيم الحنفى» وربما يكون: إبراهيم بن محمد إبراهيم الحلبى، فقيه حنفى من أهل حلب تفقه بها وبمصر ثم استقر فى القسطنطينية وتوفى بها (الأعلام ١/ ٦٤). ومنها: ملكه «يحيى..» طالع فيه: «محمد ..» من نعم الله وفضله على عبده إبراهيم المسلط الشافعى سنة ٩٨٢ هـ ختمت عند الغروب ولم أعثر له على ترجمة فى مصادرى ويبدو أنه الناسخ.

بهذه النسخة شىء من التصحيف والتحريف والسقط واضطراب فى ترتيب بعض الأوراق وقد أشير إلى ذلك فى هوامش التحقيق. كما أن هذه النسخة تميل إلى تسهيل كتابة الهمزة المتوسطة فتكتبها ياء دائمًا.

بدأت هذه النسخة بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم. ثقتى بالله وحده له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون .» وختمت بقوله: «رحمة الله وبركاته على من أنشأها ووشاها وأفرغنى قللها، ووطأ لى سبلها وألبسنى حليها وحللها. والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (ب).

٥- النسخة: (س)

صورة ورقية من النسخة رقم (٥٢٩) المحفوظة بمكتبة الإسكوريال بإسبانيا، حصلت عليها عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية عدد أوراقها (٨٠) ورقة فى كل ورقة وجهان، عدد الأسطر فى كل وجه (١٣) سطرًا عدد الكلمات فى كل سطر (١) كلمات غالبًا. كتبت بخط نسخ عادى ولا يوجد بها اسم الناسخ ولا تاريخ للنسخ.

وكلماتها مضبوطة بالحركات والضبط صحيح غالبًا، توجد تصحيحات على الهوامش، ولا تلتزم هذه النسخة بنظام التعقيبة، ويوجد بها تصحيف وتحريف وسقط ولكنه قليل وقد أشير إلى ذلك فى موضعه من النص المحقق. لم يقع اضطراب فى ترتيب بعض العبارات والأوراق كما حدث فى بقية النسخ. عند بداية الورقة العاشرة كتب فى أعلاها من اليسار ثانية، وعند بداية الورقة العشرين كتب ثالثة وهكذا حتى نهاية النسخة. على صفحة العنوان وفى مربع مزخرف كتب اسم الكتاب واسم جامعه وأسفله مستطيل كُتب فيه اسم المصنف وتاريخ ميلاده ووفاته وجنسيته. وعلى صفحة العنوان أيضًا توجد تمليكات وهى: «من نعم الله على عبده زيدان أمير المؤمنين بن أحمد المنصور أمير المؤمنين خار الله له وهو زيدان بن أحمد، أبو المعالى بن السلطان المنصور بن محمد الشيخ من ملوك دولة الأشراف السعديين بمراكش. كان فاضلاً عالمًا بالفقه والأدب، توفى سنة ٣٧ ١ هـ. «الأعلام ٣/ ١٠٢». ومن التمليكات: «الحمد لله من نعم الله على عبده الشيخ عبد اللطيف محمد هو من حار المقام الشريف» ولم أعثر له على ترجمة فى مصادرى ومن التمليكات أيضًا: «ملك للعبد الفقير لله .» ولم أتمكن من قراءة ما تبقى من كلمات.

تبدأ هذه النسخة بـ «بسم الله الرحمن الرحيم. ثقتى بالله وحده وله الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون .» وتنتهى بـ: «رحمة الله وبركاته على من أنشأها ووشاها وأفرغنى قللها، ووطأ لى سبلها وألبسنى حليها وحللها. وصلواته على محمد النبى وآله وصحبه وسلامه».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز: (س). وتمتاز هذه النسخة بأنها سلمت من الاضطراب الذى حدث فى ترتيب بعض الأوراق فى النسخ الأخرى كذلك تمتاز بجمال خطها.

٦- النسخة (أ)

صورة ورقية من الأصل المودع بمكتبة الجامع الأزهر الشريف تحت رقم (٥٢٢) أباظة (٧٢٢٨) والنسخة فى مجلد واحد بقلم معتاد، وعدد أوراقها (٥٣) ورقة مقاس ٢١× ٢٣، ولكل ورقة وجهان بكل وجه (٢١) سطرًا وفى كل سطر (٩) كلمات تقريبًا. تلتزم النسخة بنظام التعقيبة، بها تصحيف وتحريف وسقط أشير إليه فى هوامش التحقيق. على صفحة العنوان: «هذا كتاب فصوص الفصول وعقود العقول تأليف القاضى السعيد أبو القاسم عبد

الله بن القاضي الرشيد أبى الفضل جعفر بن سناء الملك - رحمه الله تعالى - والحمد لله رب العالمين على كماله أمين - تم» ولا يوجد بها تمليكات ولم يعرف اسم الناسخ ولا تاريخ نسخها وكتبت هذه النسخة بخط النسخ. وتبدأ بـ «بسم الله الرحمن الرحيم وهو المعين، وله الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون» وتنتهى بـ «والبسنى حليها وحللها وله الحمد وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله وصحبه وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا إلى يوم الدين أمين. تم». وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (أ).

٧- النسخة: (ز)

صورة ورقية من النسخة المودعة بمكتبة الأزهر الشريف تحت رقم (٥٢٣)، أباظة (٧١١٩) وتقع فى (٥١) ورقة وأوراقها مجدولة، مقاس (٢٤ سم) ومسطرتها (٢١) سطرًا فى كل وجه وعدد كلمات كل سطر (٩) كلمات غالبًا. تلتزم بنظام التعقيبة، بها تصحيف وتحريف وسقط أشير إليه فى هوامش النص المحقق. على صفحة العنوان: «هذا كتاب فصوص الفصول وعقود العقول تأليف القاضى السعيد أبو القاسم أبى عبد الله ابن القاضى الرشيد أبى الفضل جعفر ابن سناء الملك ـ رحمة الله آمين ـ. تبدأ هذه النسخة بـ «بسم الله الرحمن الرحيم وهو المعين وله الحمد فى الأولى والآخرة .» وتنتهى بـ «والبسنى حليها وحللها وله الحمد وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله وصحبه وسلامه آمين. تم الكتاب بعون الله تعالى» لا يوجد بها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ. وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (ز).

خطة الباحث فى تحقيق الكتاب

«تحقيق النص يعنى رده إلى الصورة التى كان عليها عندما أصدره مؤلفه، وهذا يعنى تصحيح ما أصاب كلمات النص من تحريف أو تصحيف، وتبرئته مما زيد فيه أو نقص منه»(١)

(١) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، ص ٦٠

وقد اتبعت فى تحقيق هذا الكتاب الخطة الآتية:

١- اختيار إحدى نسخ المخطوط - وهى النسخة (ص) - لتكون أصلاً تقابل عليه بقية النسخ.

٢- تصحيح التصحيح والتحريف، واستكمال النص من نسخة، ووضع الزيادات التى يتطلبها السياق بين معقفين [ ] والنص فى هوامش التحقيق على مصدر هذه الزيادات.

٣- جعل النص المحقق فى فقرات، لأنه كان يأتى متواصلاً فى النسخ وترتيب الأوراق التى اضطرب ترتيبها فى النسخ بوضع كل منها فى مكانه وسياقه ليتصل المعنى.

٤- إثبات رواية الأصل إذا وافقتها نسخ أخرى ما دامت صوابًا أو تحتمل الصواب، والإشارة فى الهامش إلى ما خالفها من روايات فى بقية النسخ. أما إذا كانت الرواية فى الأصل محرفة أو خطأ فسأثبت الصواب من النسخ الأخرى وأشير فى الهامش إلى ما فى الأصل وأن التصويب من نسخة كذا أو نسخ كذا.

٥- استخدام الرسم الإملائى الحديث، وتوظيف علامات الترقيم.

٦- ضبط اللغويات التى تحتاج إلى ضبط، وتفسير الغريب منها وذكر المعنى المناسب للسياق مستعينًا فى ذلك بمعاجم اللغة الأصلية.

٧- الاجتهاد فى إثبات الكلمات المطموسة، أو التى فقدت بعض حروفها أو تُرك مكانها خاليًا بما يخل بالنص المحقق والإشارة إلى ذلك فى الهامش.

٨- ربط الإحالات بمصادرها، وتوثيق الآراء التى نسبت إلى أصحابها

٩- لتسهيل الرجوع إلى الأصل كتبت أرقام أوراق نسخة الأصل على جوانب صفحات النص المحقق مستخدمًا الخطين المائلين // إشارة إلى بدء صفحة جديدة من الأصل والرمز (أ) يعنى القسم الأول من الورقة والرمز (ب) يعنى القسم الثانى من الورقة.

١- تحقيق الأعلام المذكورة فى النص، والترجمة لكل منهم ترجمة موجزة، وذكر مصادر الترجمة فى الهامش.

١١- تخريج الآيات القرآنية بعد مراجعتها على المصحف الشريف وكتب القراءات والتفسير، ووضعها بين قوسين مزهرين هكذا ﴿ ﴾ والإشارة فى الهامش إلى اسم السورة ورقمها ورقم الآية.

١٢- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، ومراجعتها على كتب الأحاديث المعروفة للتأكد من سلامتها.

١٣- تحقيق الأمثال وتخريجها معتمداً فى ذلك على كتب الأمثال المعروفة.

١٤- التعريف بالبلدان وأسماء الكتب التى وردت فى النص ما لم تكن غنية عن التعريف.

١٥- النصوص الشعرية:

أ- إذا كان المؤلف نسبها إلى قائلها أَخرَجتُهَا فى ديوانه إن كان له ديوان مطبوع أو فى كتب المجموعات الشعرية أو فى كليهما معًا وأشير إلى اختلاف الروايات إن وجدت، وبحر البيت، واختلاف نسبته إن وجد.

ب- أبيات الشعر التى لم تُنسب لقائل أجتَهِدُ فى نسبتها وتخريجها فإن لم أعثر لها على قائل ذكرت ذلك فى الهامش.

جـ- أنصاف الأبيات تبقى كما هى فى النص وأبحث عن بقية البيت وأذكره فى الهامش مع ذكر المصدر الذى أُخذ عنه.

د- أبيات الشعر التى جاءت فى صورة سطر من النثر أعدت كتابتها كما يكتب الشعر للتميز بينها وبين النثر

هـ- أبيات الشعر التى سقطت من القصائد المدونة فى نسخ المخطوط ومثبتة فى ديوان ابن سناء الملك أشير إليها فى الهامش بعبارة: بعد البيت كذا يوجد أربعة أبيات مثلاً، انظرها فى ديوان ابن سناء.

١٦- الإشارة - فى الهامش - إلى ما يوجد من سقط فى نسخة أو أكثر.

١٧- الأبيات الشعرية التى لم تُنسب فى النص وقمت بنسبتها سأضع اسم قائلها بين قوسين عند الفهارس الفنية وأضع هذه العلامة *. بجانب الأبيات التى وردت فى النص المخطوط ناقصة واجتهدت فى إكمالها.

١٨- صنع فهارس فنية للكتاب تشمل:

أ- فهرس الآيات القرآنية مرتبة حسب ترتيب سورها فى المصحف الشريف.

ب- فهرس الأحاديث الشريفة.

جـ- فهرس الأشعار مرتبة حسب القوافى.

د- فهرس الأمثال.

هـ- فهرس الأعلام.

و- فهرس الأماكن والبلدان.

ز- فهرس المصادر والمراجع.

ح- فهرس الموضوعات.

صعوبات التحقيق

تحقيق النصوص ونشرها أمر عسير لا يعرفه إلا من يكابده وخاصة إذا كان مبتدئًا فى هذا الفن. قال الجاحظ فى كتاب الحيوان (١/ ٧٩): «ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفًا، أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعانى، أيسر عليه من إتمام ذلك النقص، حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام». ولا أنكر أن صعوبات جمة واجهتنى تغلبت عليها بعون الله والتسلح بالصبر، وبذل المستطاع، ويكفى المرء من عمله أن تحسن نيته. ومن هذه الصعوبات التى واجهتنى:

١- جمع نسخ المخطوط حيث مكثت عامًا كاملاً فى جمعها.

٢- مقابلة النسخ وما فيها من مشقة، وما تحتاج إليه من دقة ملاحظة ويقظة فكر.

٣- المفاضلة بين الروايات المختلفة، لترجيح إحداها.

٤- تحقيق أبيات الشعر، ووزنها، وتخريجها، ونسبة المجهول منها، وإكمال الناقص.

٥- صعوبة قراءة بعض نصوص الكتاب، وغموض بعض عباراته، وما أصيبت به بعض عباراته من تصحيف وتحريف، واضطراب فى الترتيب.

٦- أسماء الأعلام المحرفة أو المجهولة التى تحتاج إلى مجهود فى البحث عنها أو الترجمة لها.

توثيق عنوان الكتاب

١- اتفقت عناوين سبعة النسخ التى جمعتها على أن اسم الكتاب «فصوص الفصول وعقود العقول».

٢- ذكر المؤلف اسم كتابه في مقدمته حين قال: «وهذا كتاب لا ناقة لى فيه ولا جمل، ولا إعمال ولا عمل، ولا شكر ولا حمد وإن كان كله شكرى وحمدى، وما فيه شيء من عندى، وإن كان سببه كله من عندى، لأنه فصوص فصول وعقود عقول .».

٣- توجد فى الكتاب قصائد نسبها المؤلف لنفسه وهى موجودة فى ديوانه المحقق.

٤- توجد فى الكتاب موشحات نسبها المؤلف لنفسه وهى موجودة فى كتابه «دار الطراز فى عمل الموشحات» الذى حققه جودت الركابى.

٥- ذكرت الكتب التى ترجمت لابن سناء الملك اسم الكتاب تصريحًا أو تلميحًا ومنها: وفيات الأعيان (٦/ ٦٢) «وجمع شيء من الرسائل الدائرة بينه وبين القاضى الفاضل» وفى بروكلمان (تاريخ الأدب العربى ٥/ ٦٥) ذكر الكتاب باسمه «فصوص الفصول وعقود العقول» وكذلك ذكره صاحب (الأعلام ٩/ ٥٧) و(٤/ ١٢١)، وكذلك ذكره مؤلف معجم الأوائل، د. فؤاد صالح السيد ص ٤٣٦ وفى هدية العارفين: (٦/ ٥٠٦) وفى إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ص: ١٩٢ وذكره معجم الأدباء (٥/ ٥٨٢) وسماه ديوان رسائل، وفى معجم المؤلفين (١٣/ ١٣٥): وله ديوان رسائل جمع فيه شيئًا من الرسائل الدائرة بينه وبين القاضى الفاضل، وفى دائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدى (٥/ ٣١١) «وله ديوان رسائل».

٦- وجدت نُقُولاً من هذا الكتاب فى الغيث ٢/ ٢٧٩-٢٨٠، ٣٢- ٣٢١ و ٢/ ٤٢١-٤٢٢ ونقل عنه القلقشندى فى صبح الأعشى ٢/ ٢٦٩- ٢٧٢ ونقل عنه ابن حجة الحموى فى ثمرات الأوراق ص: ٢٩- ٣٣

توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه

كل الأدلة تشير وتؤكد أن كتاب «فصوص الفصول وعقود العقول» من مؤلفات ابن سناء الملك، ومن هذه الأدلة:

١- ما ذكر في صحيفة العنوان في سبع النسخ فقد أجمعت على أن الكتاب للقاضي السعيد أبو القاسم بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن سناء الملك.

٢- إشارته إلى نفسه في مقدمة الكتاب بما يفيد نسبته إليه، يفهم ذلك من قوله: «لأنه فصوص فصول وعقود عقول وفِقَرُ فِكْرٍ، وغرر درر، مقصورة على ذكرى وشكرى ومدحى وحمدى ووصفى وتعظيمى وتقريظى وتفخيمى، والإشارة إليّ، والنص عليّ».

٣- ذُكر لقبه كثيرًا في بدايات الرسائل الجوابية المرسلة من القاضي الفاضل، مثل: الحضرة السعيدية القاضي السعيد

٤- النص على اسم جده في هذا التعبير: وروى بقوله: «السنائى على الحقيقة بنسبى إلى جدى سناء الملك».

٥- في الكتاب رسائل تدور حول نصوص شعرية لابن سناء الملك وهذه النصوص مدونة بديوانه المحقق مما يؤكد نسبة هذا الكتاب إليه.

٦- أفادت المراجع التي نقلت عن هذا الكتاب نصوصًا - وذكرت في ص ١٦ رقم (٦) أن الكتاب لابن سناء الملك.

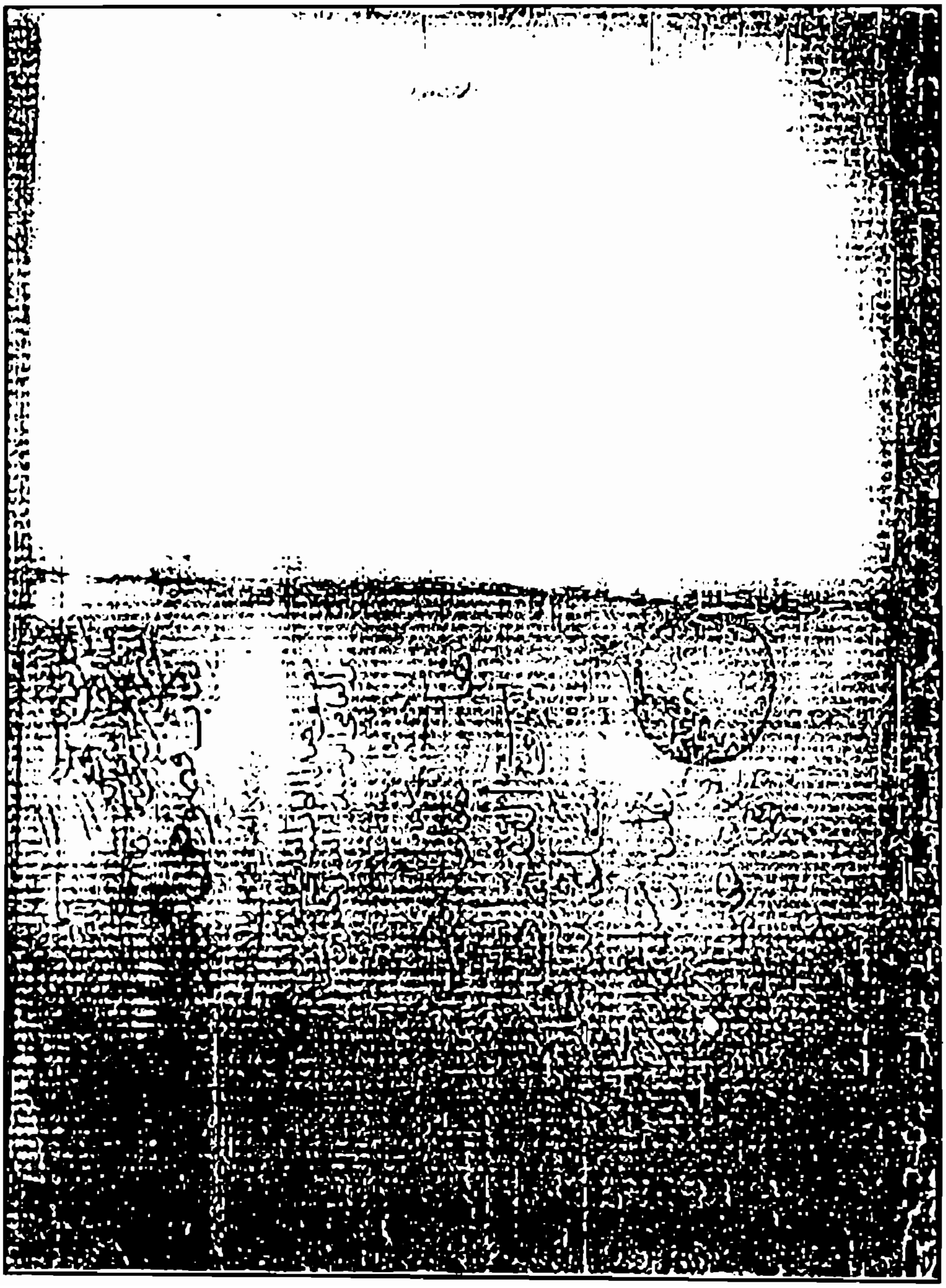
٧- أشار الكتاب إلى أحداث وتواريخ، مثل: موقعة حطين - حصار عكا، فتح المسلمين لعسقلان، متحددات القاضي الفاضل وكلها في عصر المؤلف وقبل وفاته مما يؤكد نسبة الكتاب إليه.

٨- معظم كتب التراجم التي ترجمت لابن سناء الملك وذكرت مؤلفاته عدت منها «فصوص الفصول وعقود العقول» مما يؤكد نسبة الكتاب إليه.

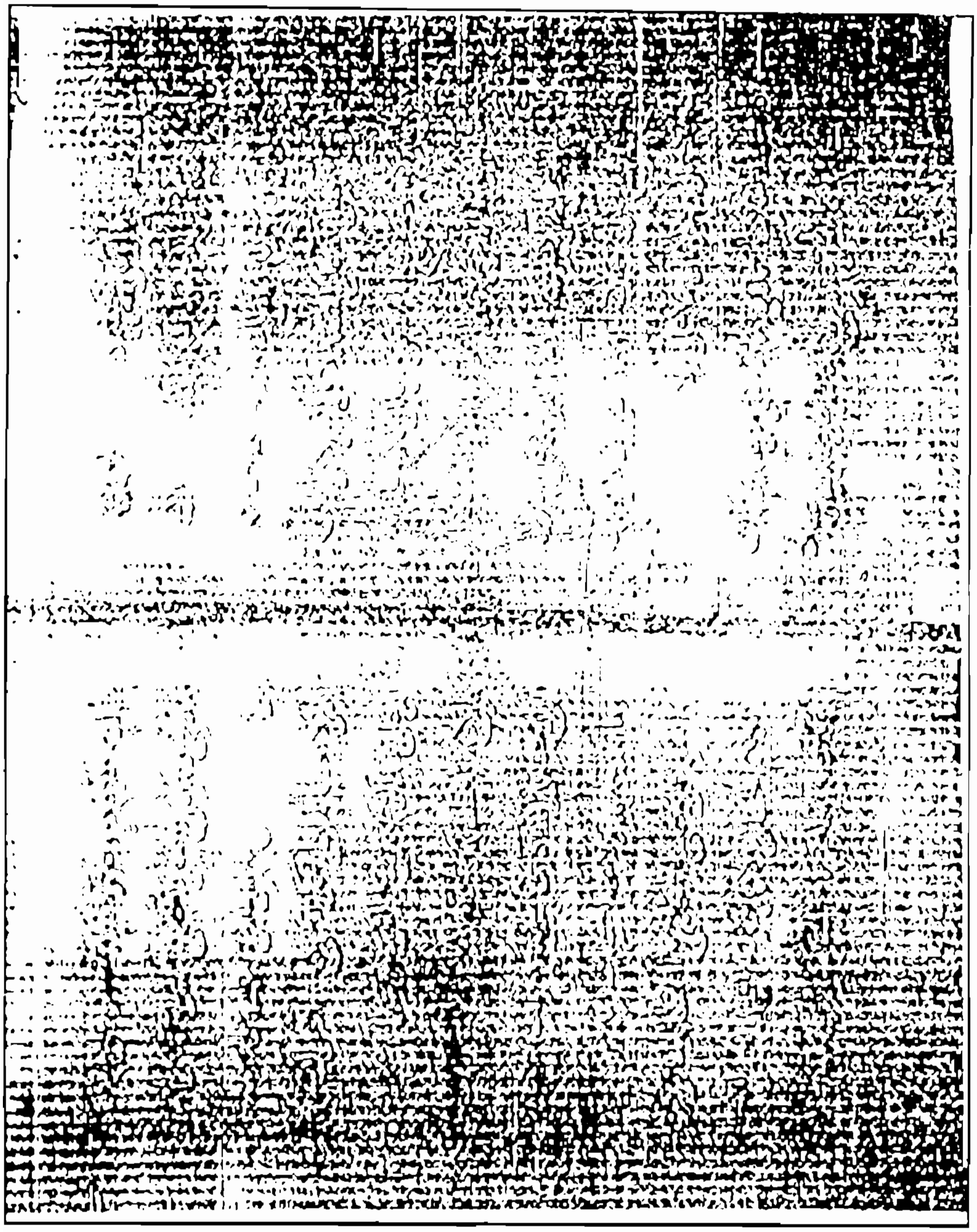
٩- في كتاب «الرمدة» أحال ابن سناء إلى كتابه «مصايد الشوارد» وقد عثرت على مقتطفات من هذه الرسالة في مطلع الفوائد لابن نباته منسوبة لابن سناء الملك.

نماذج من مصورات مخطوطات الكتاب

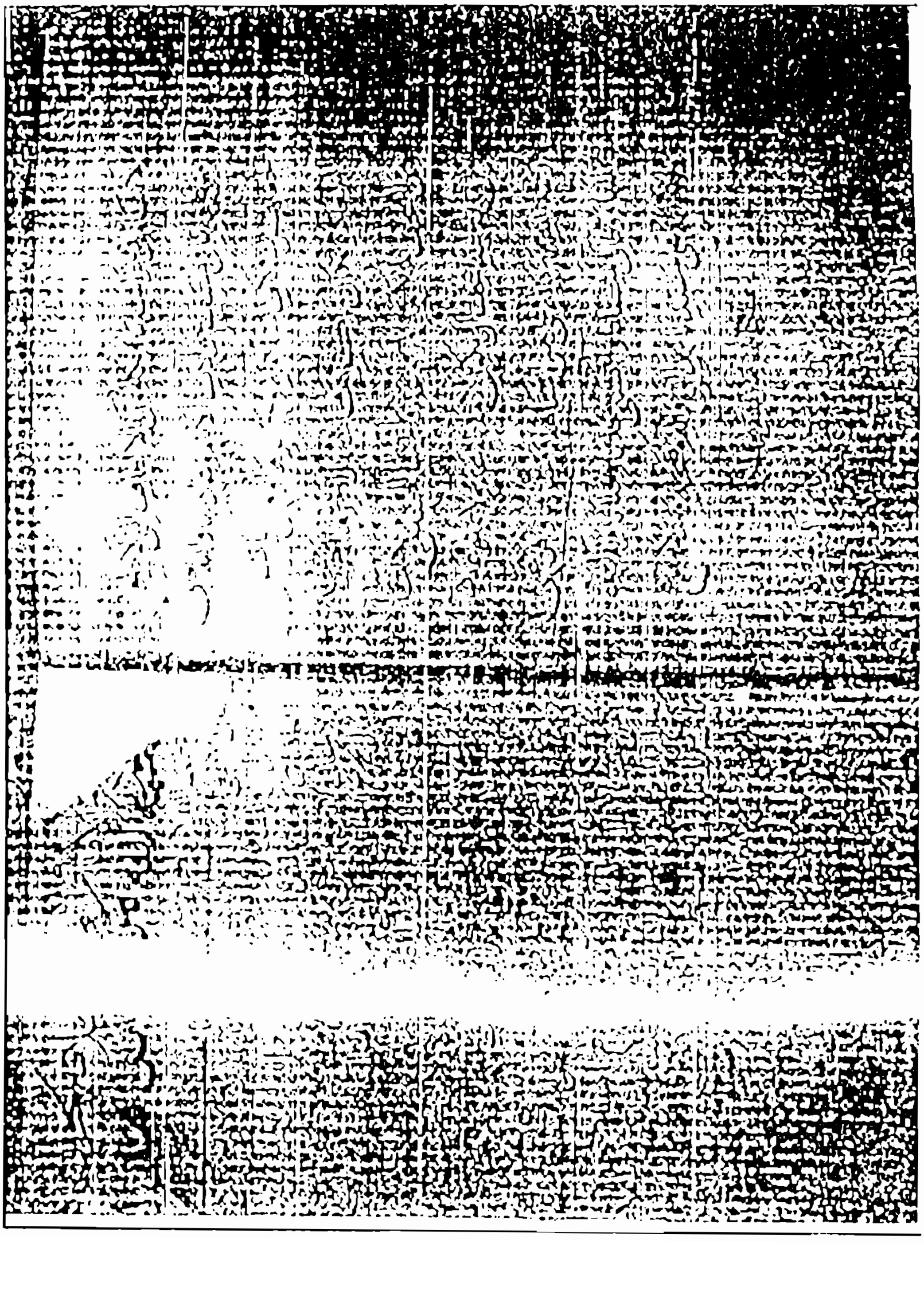
صفحة العنوان من النسخة (ص)



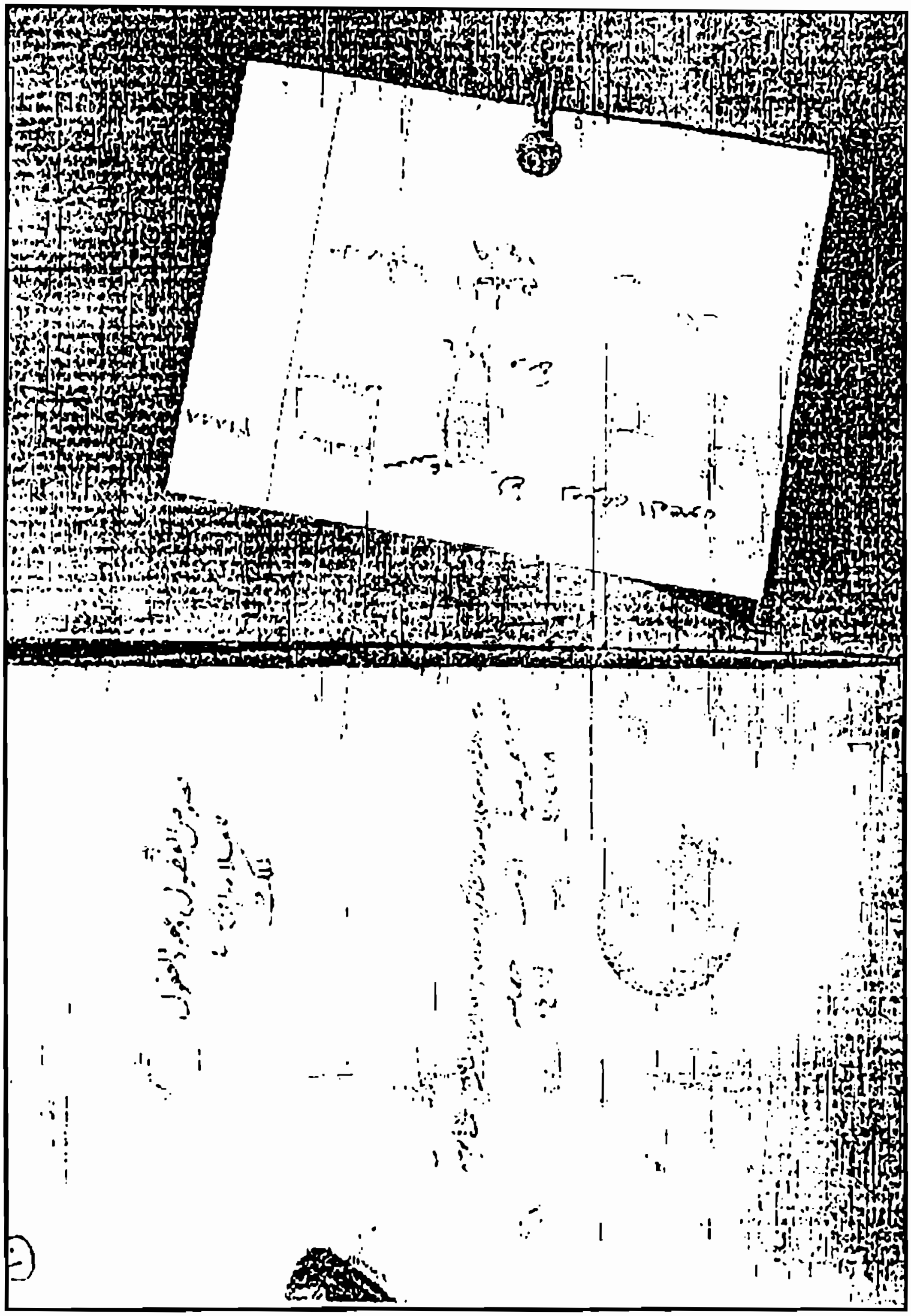
الصفحة الاولى من النسخة س



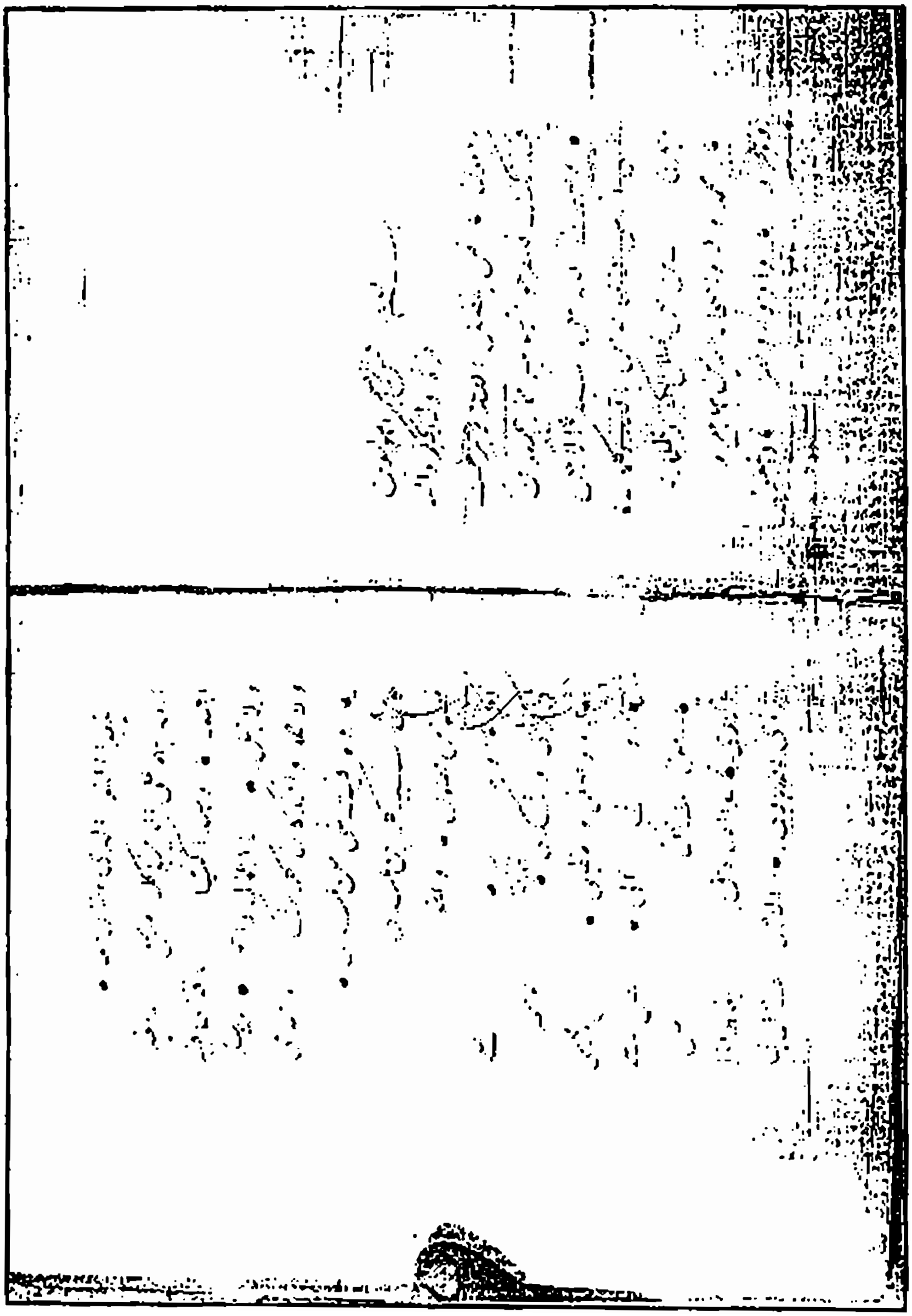
الصفحة الأخيرة من النسخة س



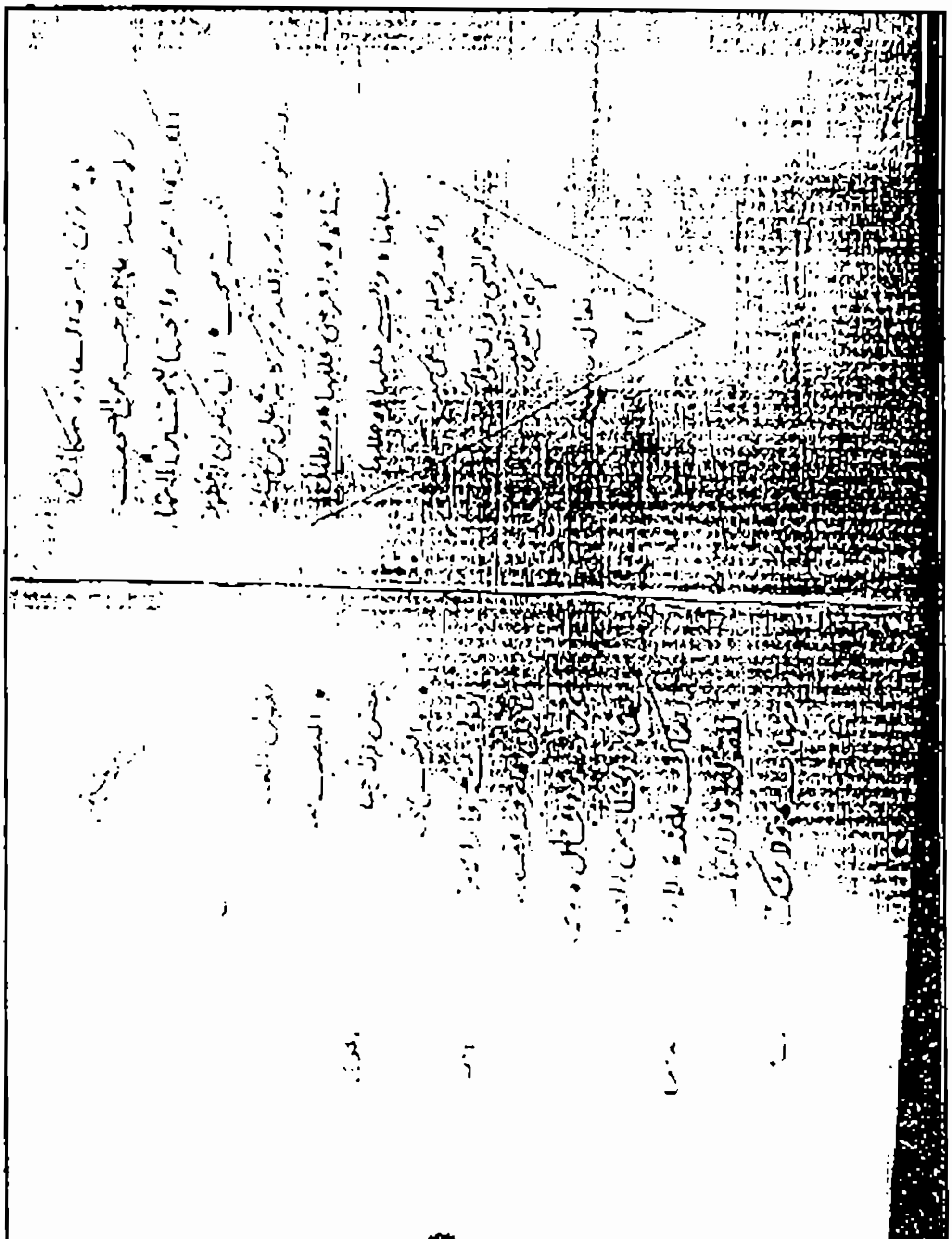
الصفحة العنوان من النسخة (ص)



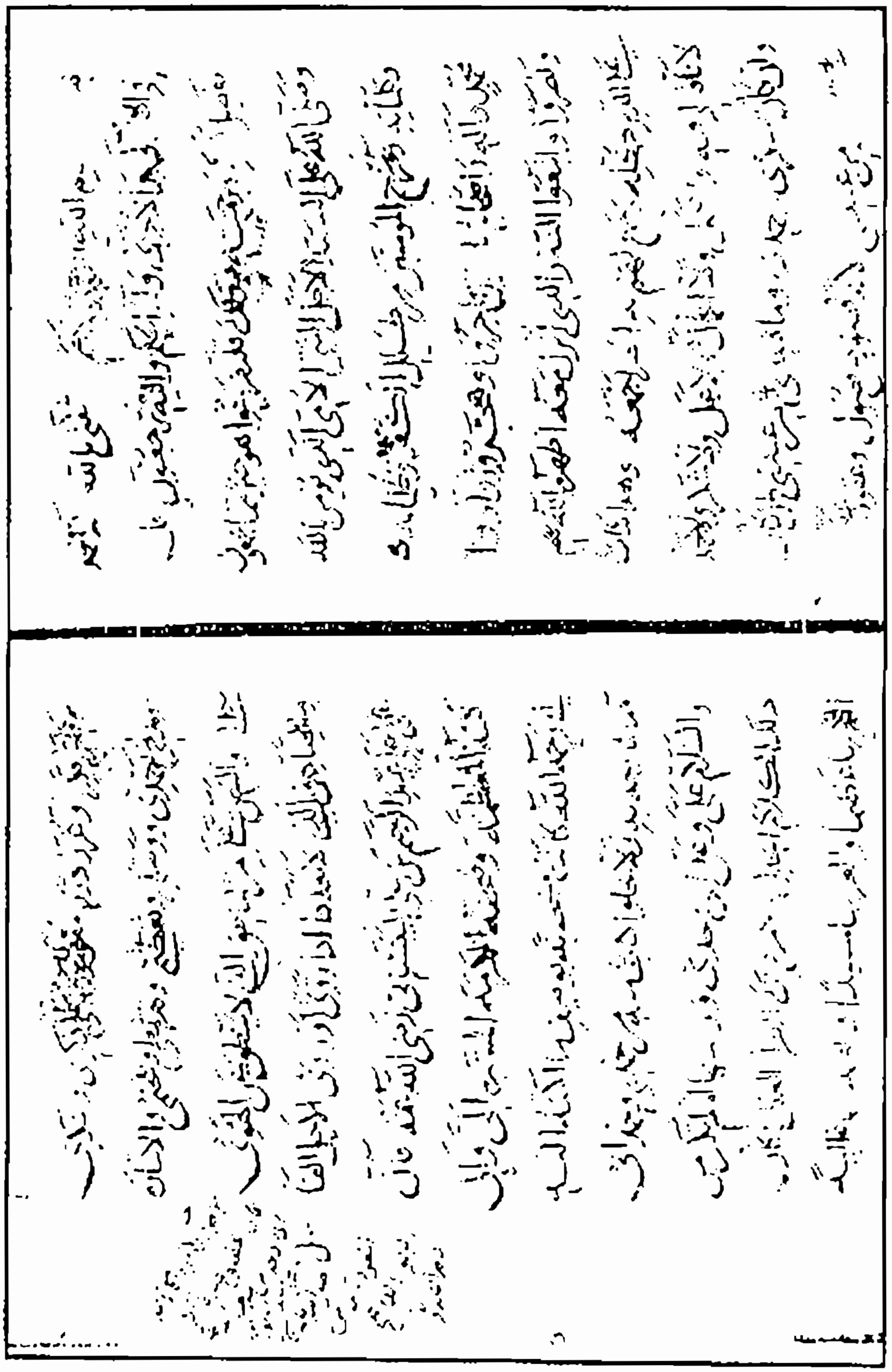
الصفحة الأولى من النسخة (د)



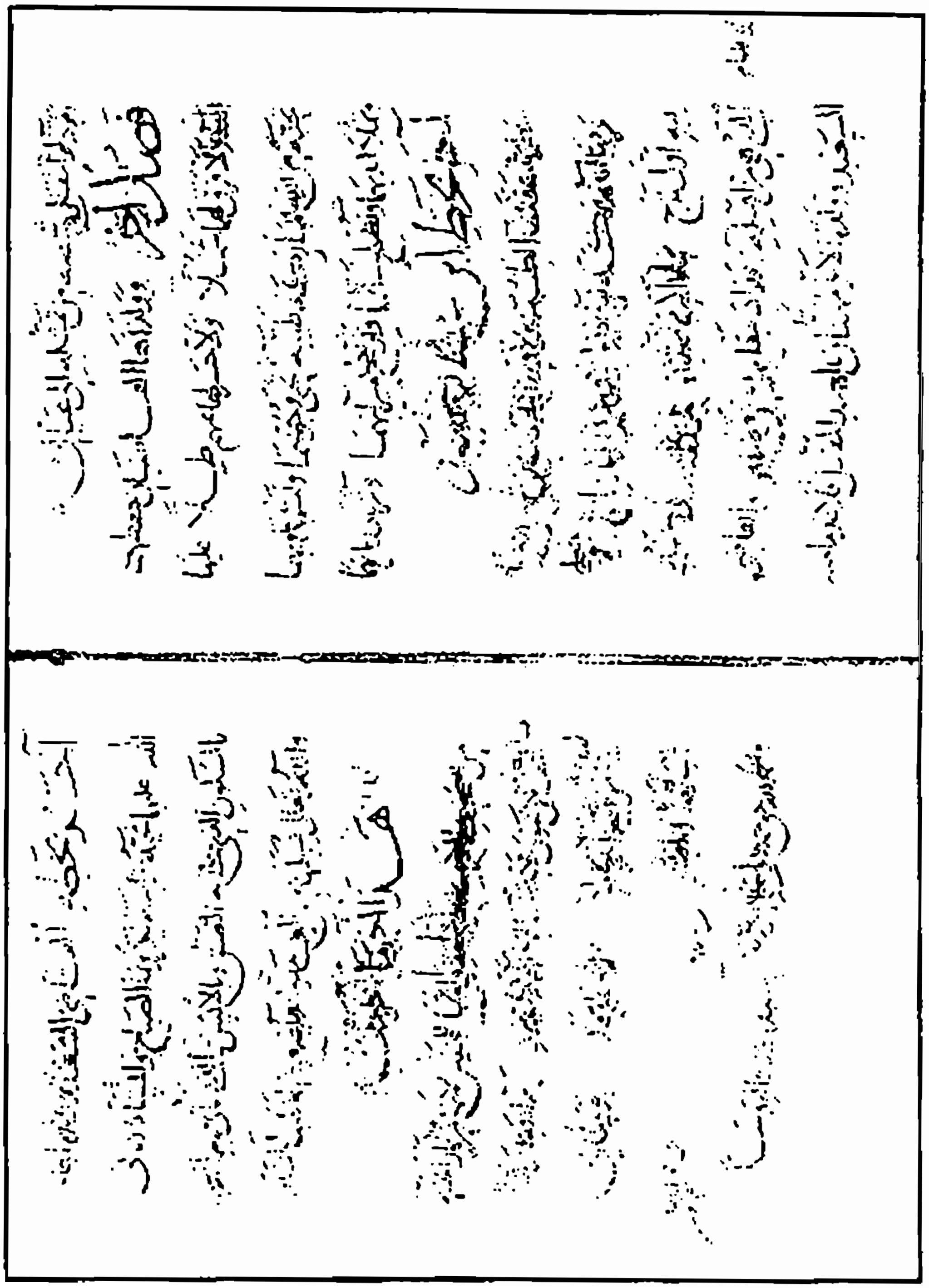
الصفحة الأخيرة من النسخة (د)



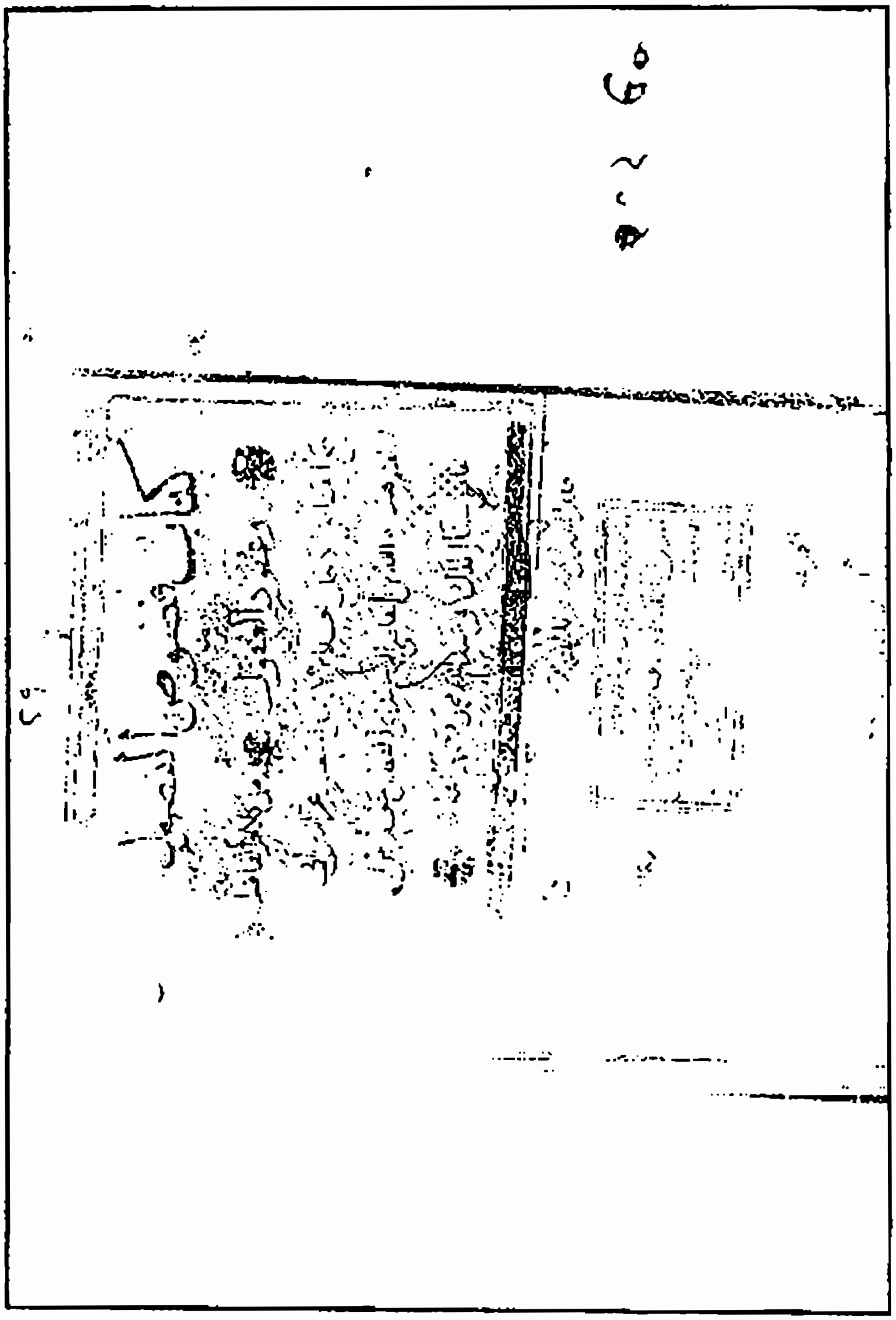
الصفحة الأولى من النسخة (ب)



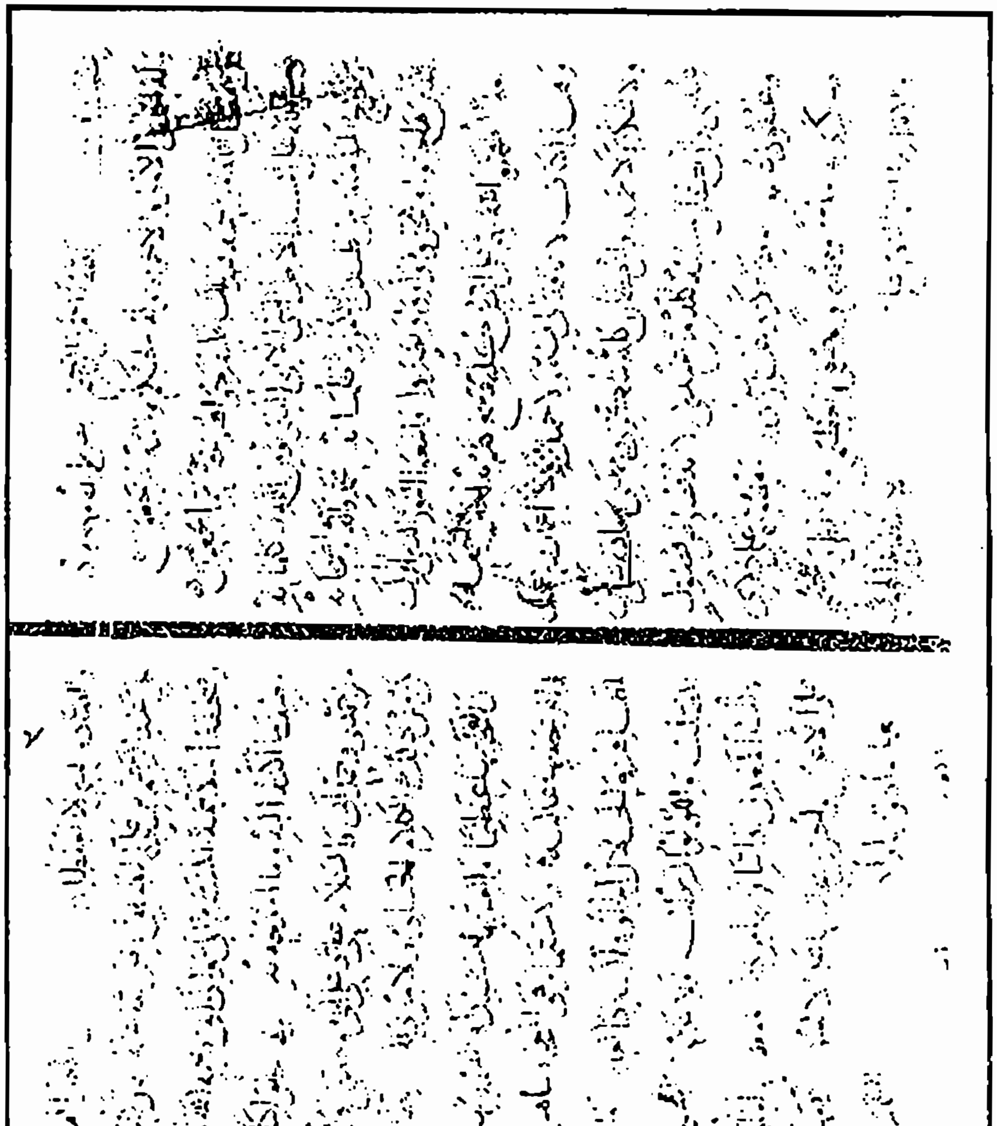
الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)



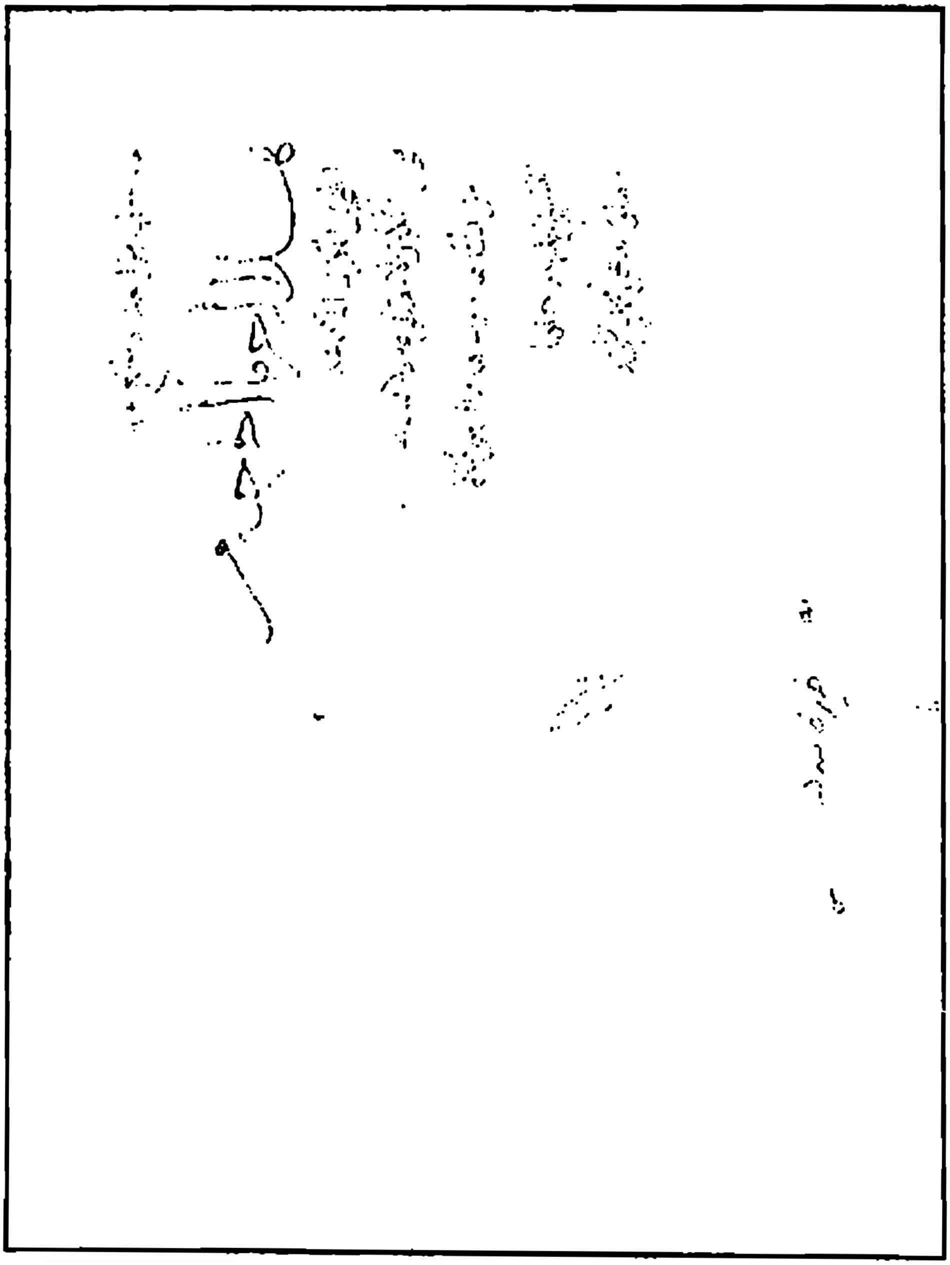
الصفحة العنوان من النسخة (س)



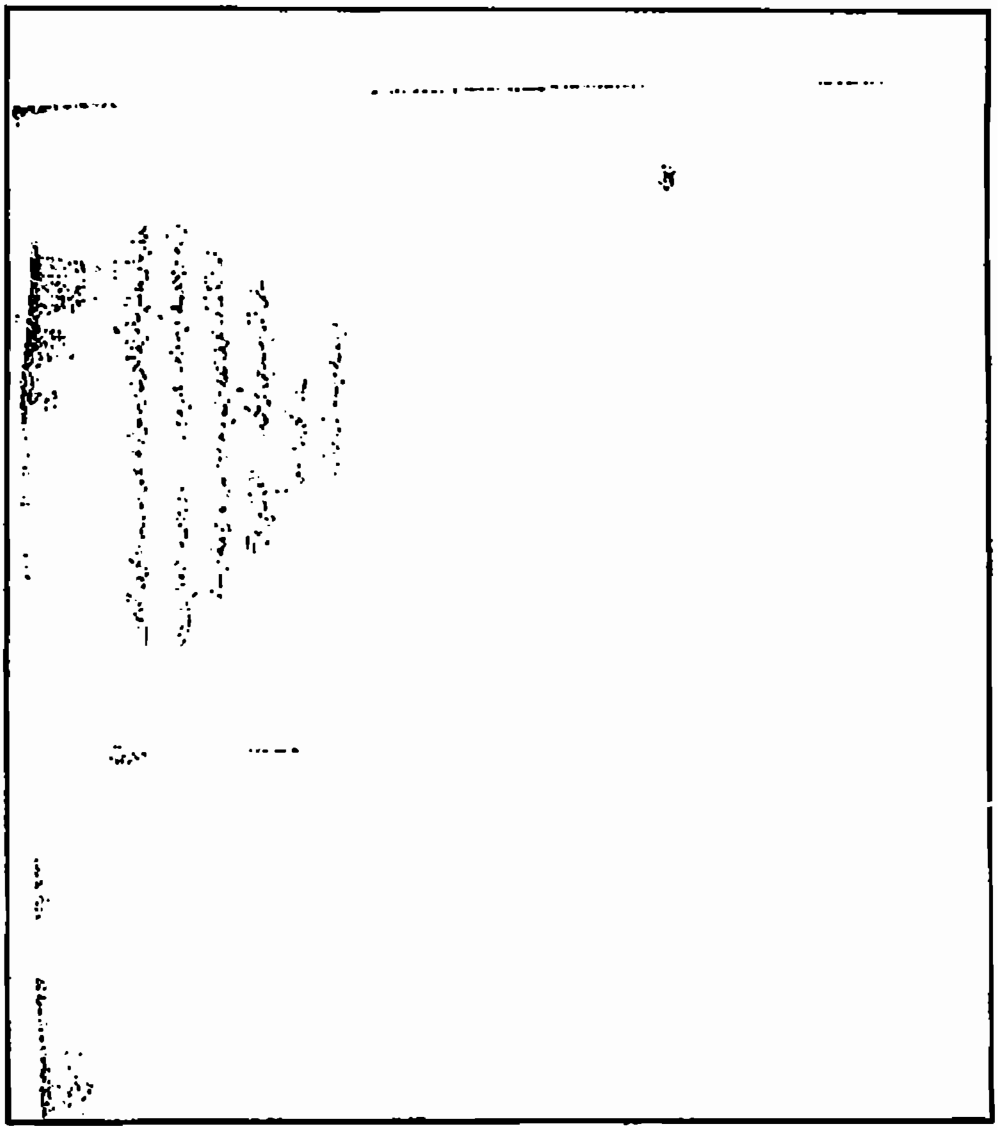
الورقة الأولى من النسخة (س)



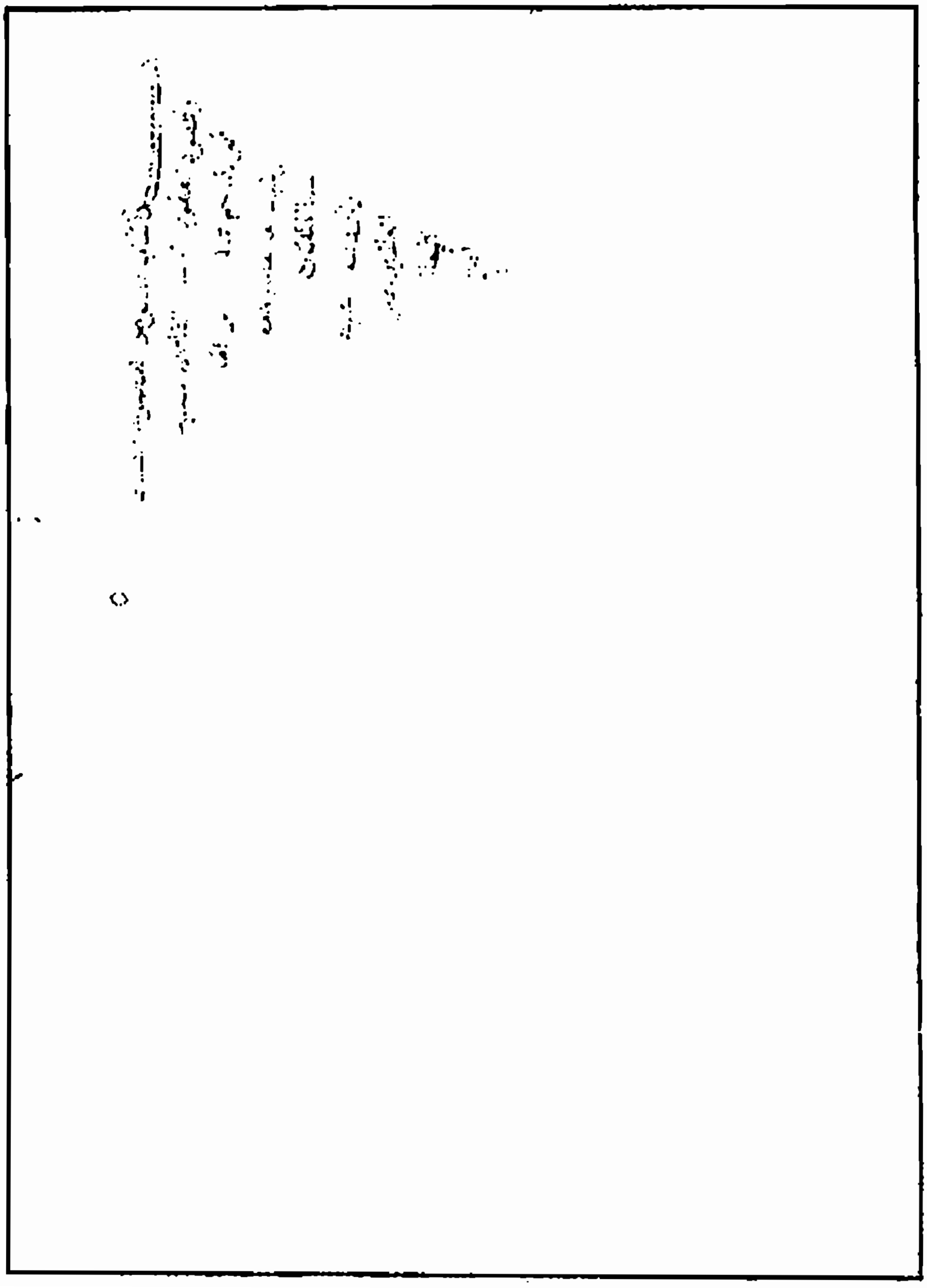
الورقة الأخيرة من النسخة (س)



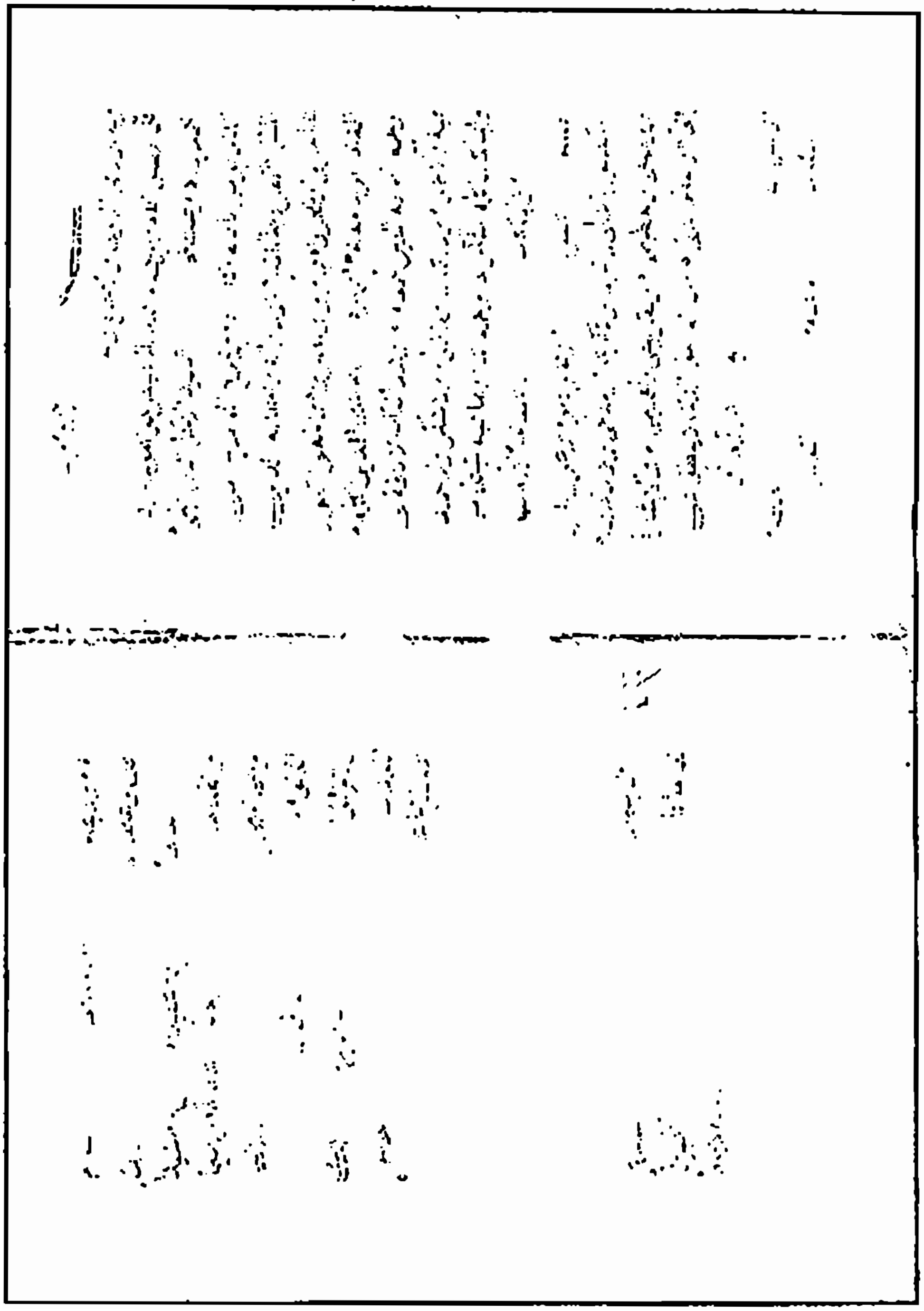
الورقة الأخيرة من النسخة (س)



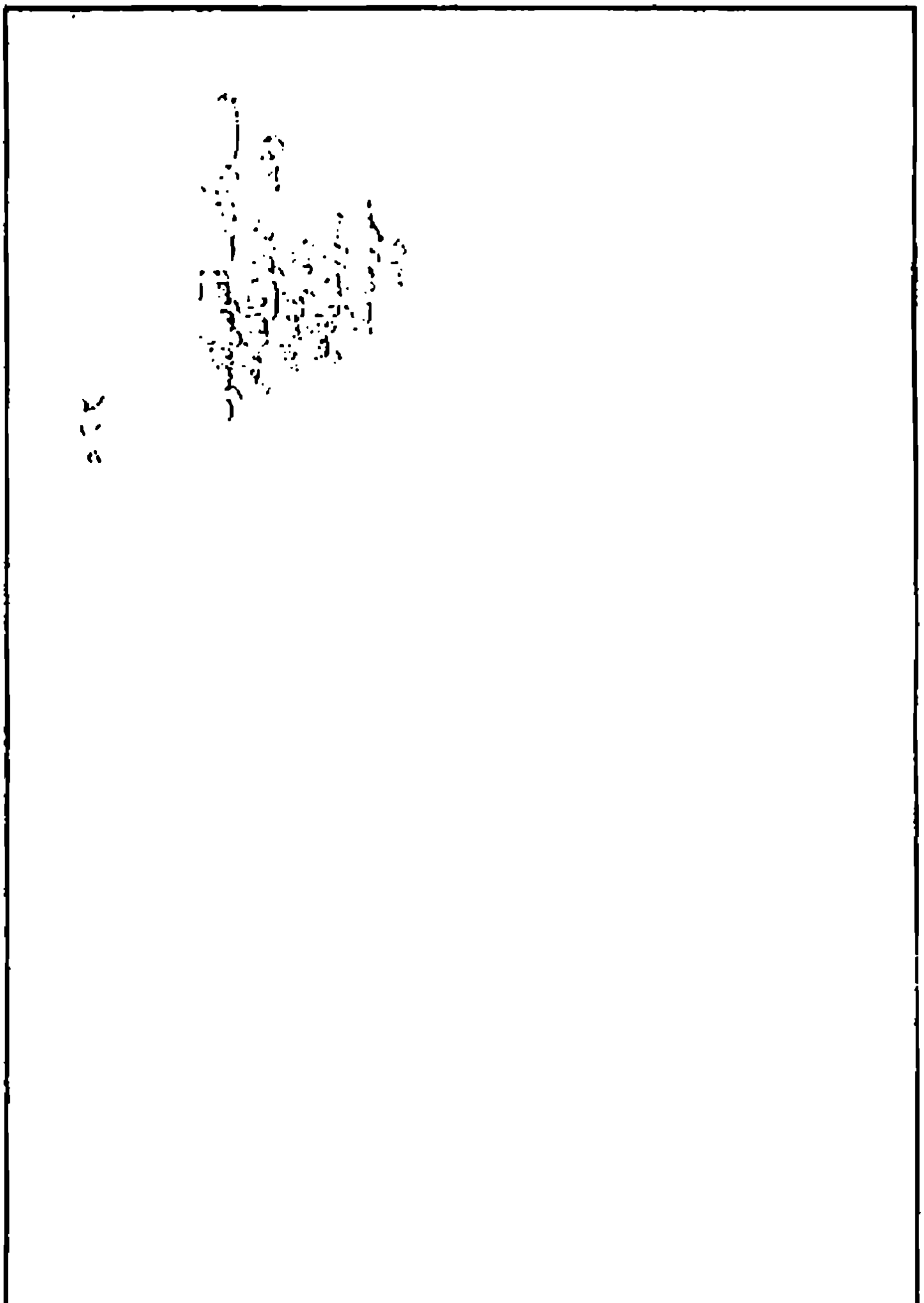
الورقة العنوان من النسخة (أ)



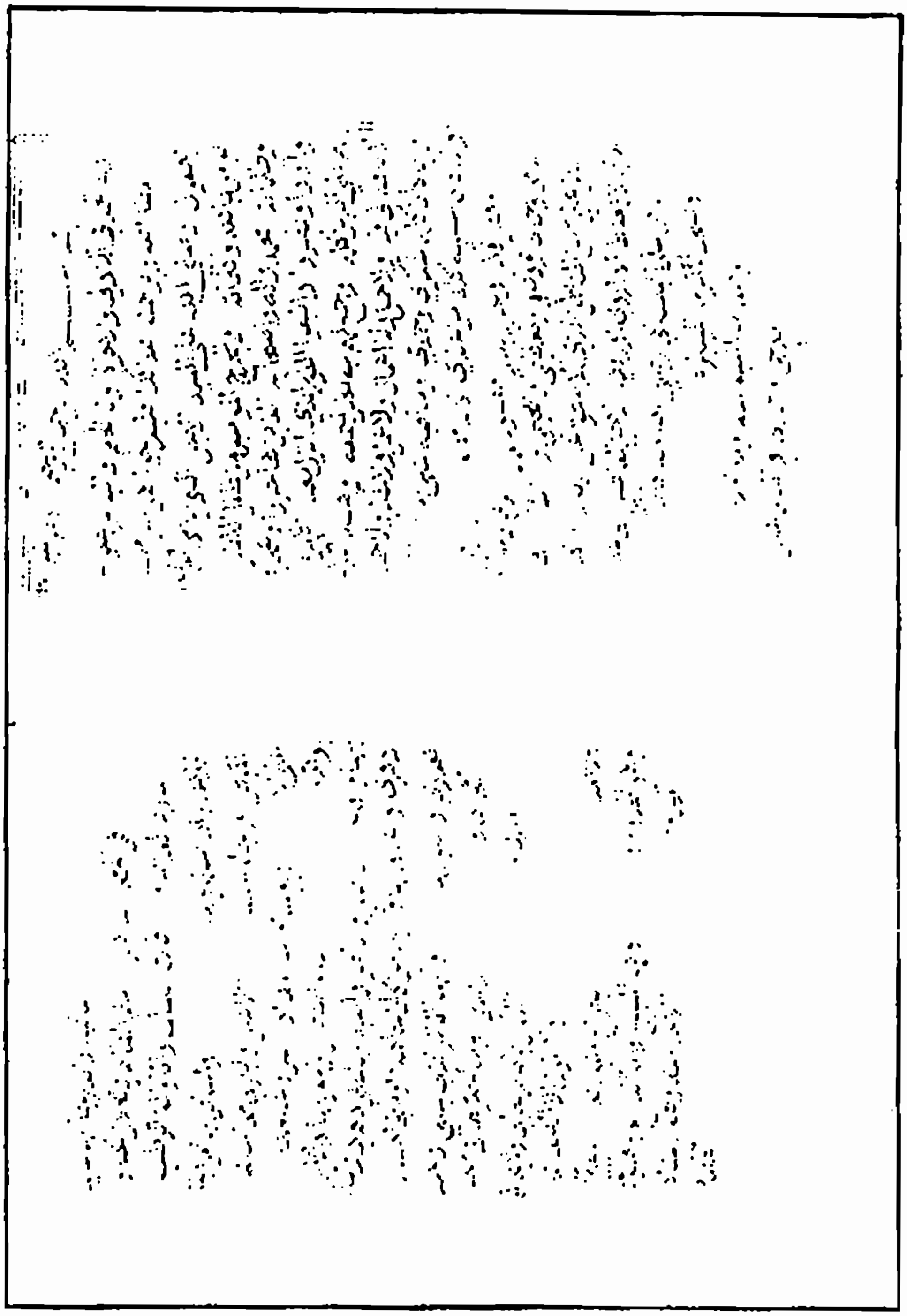
الورقة الأولى من النسخة (أ)



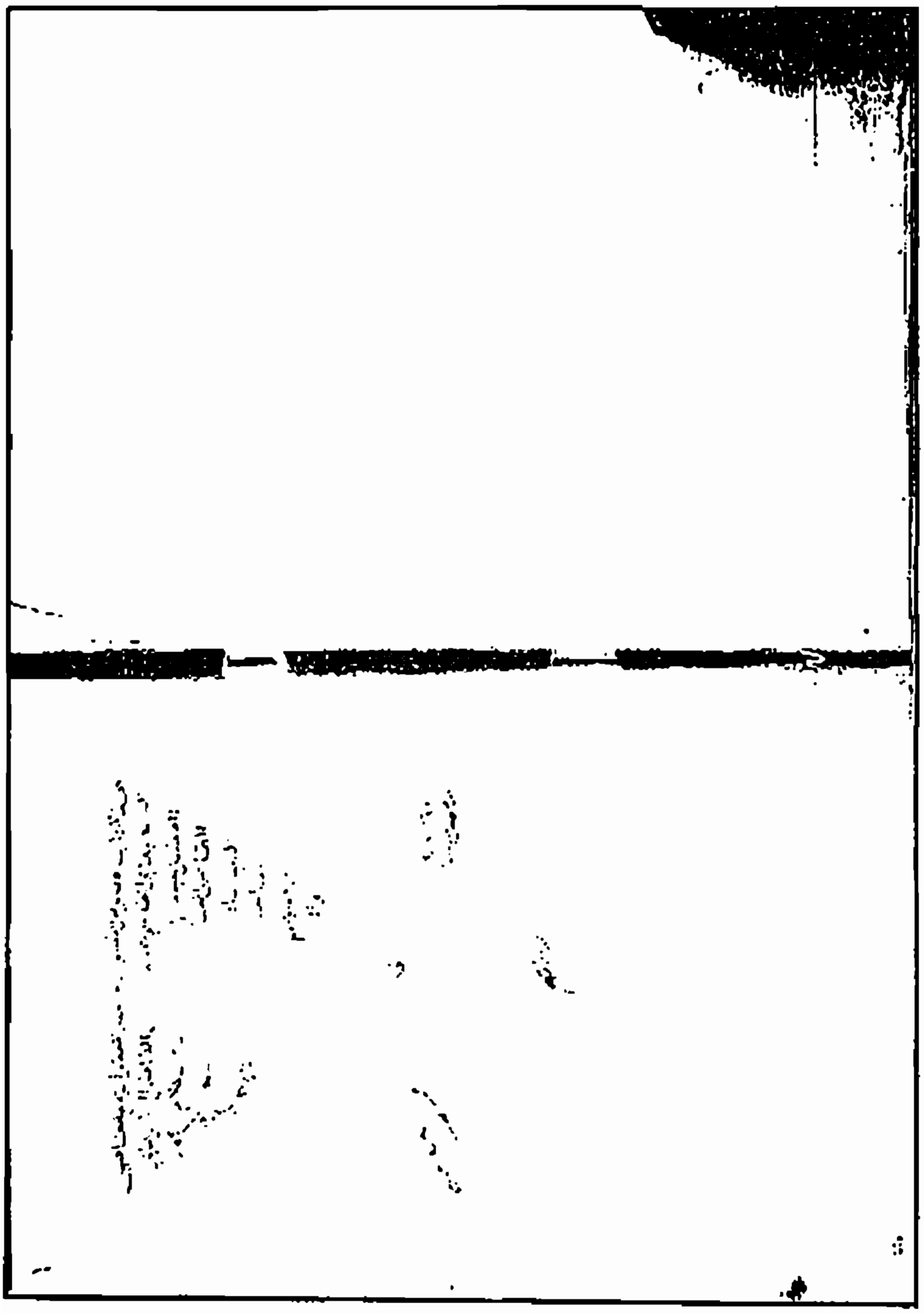
صفحة العنوان من النسخة (ذ)



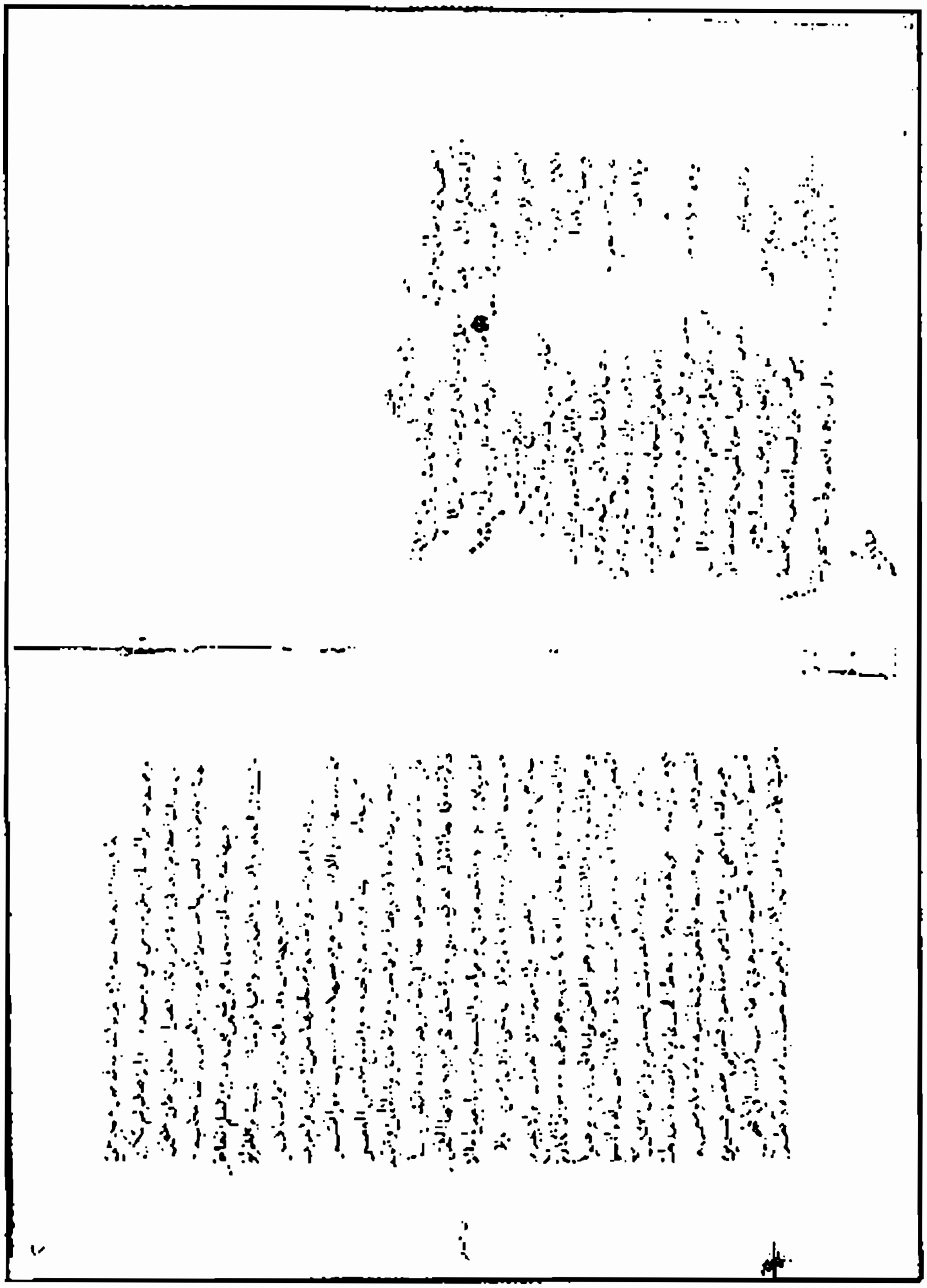
الورقة الأولى من النسخة (ز)



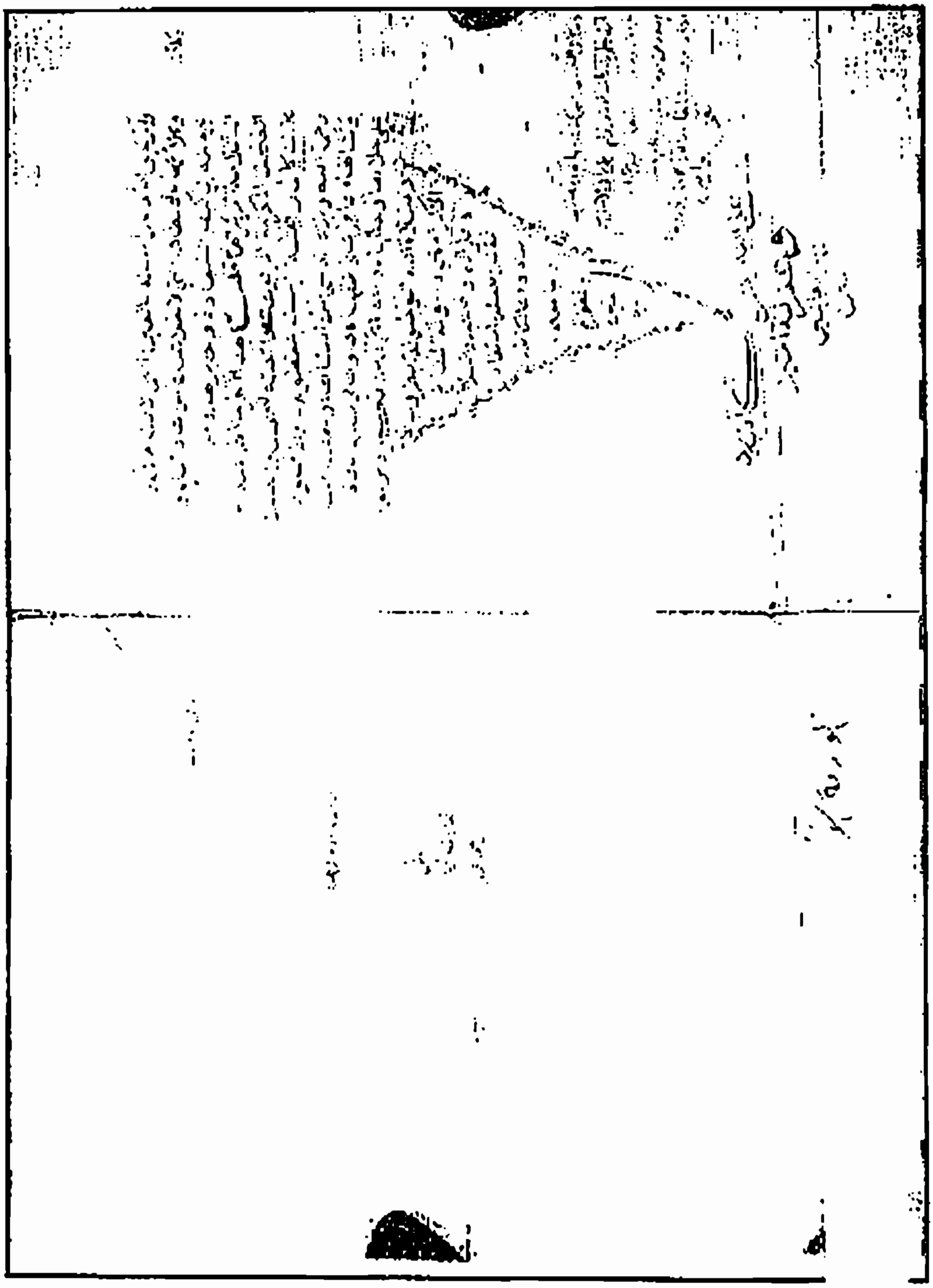
الصفحة العنوان من النسخة (ك)



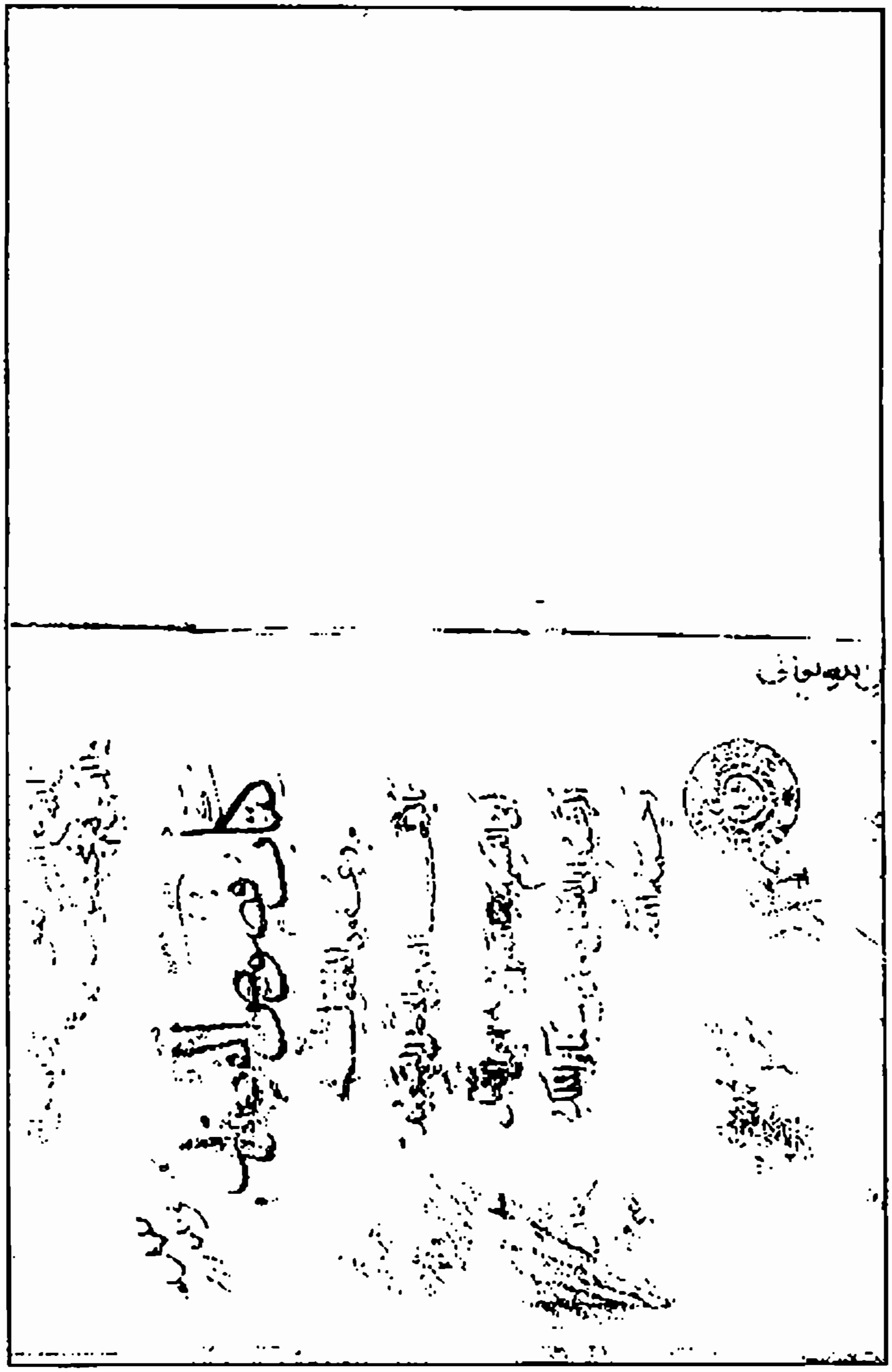
الصفحة الأولى من النسخة (ك)



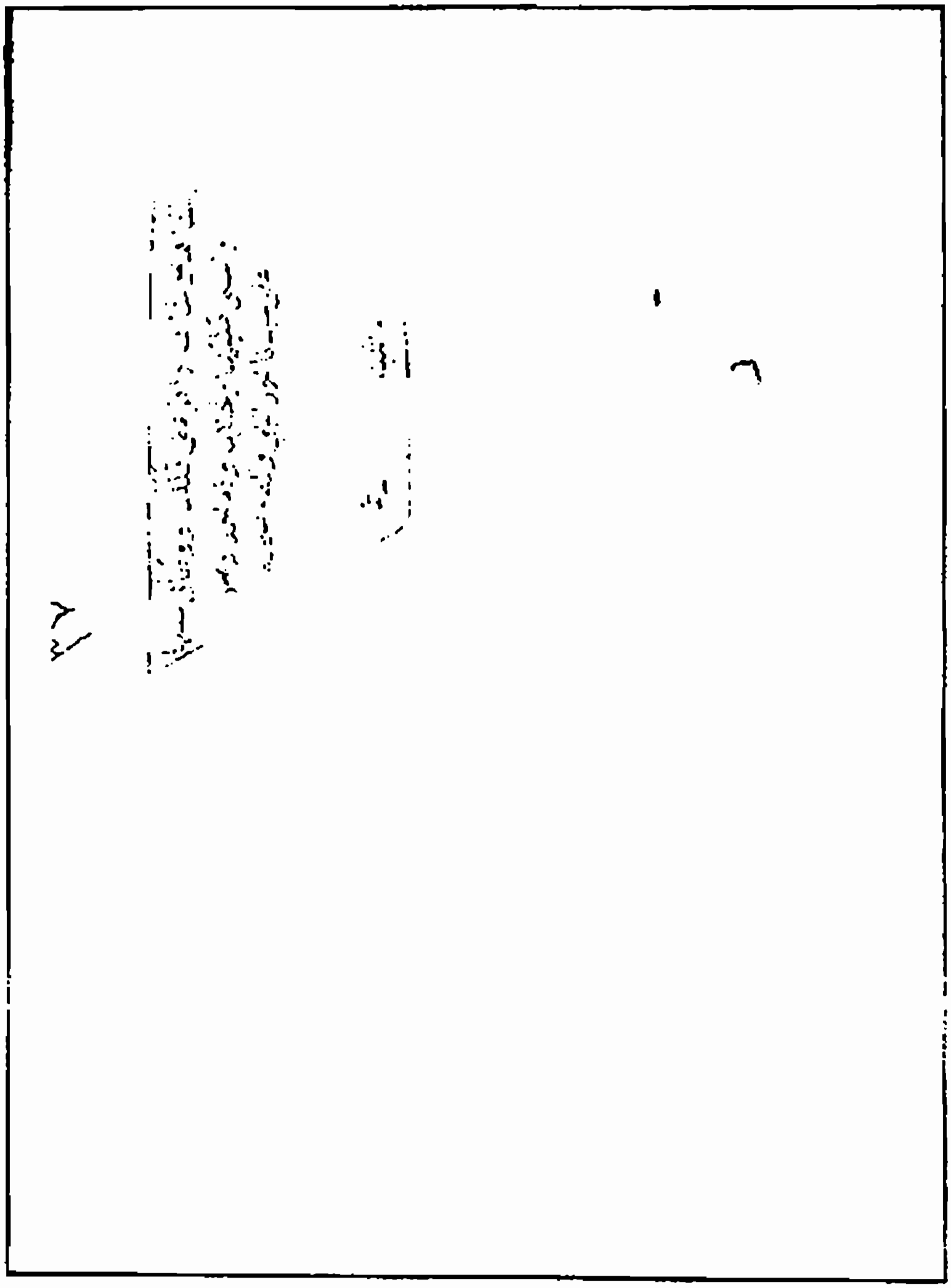
الصفحة الأيرة من النسخة (ك)



الصفحة العنوان من النسخة (ب)



الورقة الأخيرة من النسخة (ز)



نماذج من مصورات مخطوطات الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو المعين(١)

[أحمده تعالى على نعم له كانت وتكون](٢)، وله الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون(٣) قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون(٤) وصلى الله [وسلم](٥) على السيد(٦) الأجل النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته(٧)، ويخرج المؤمنين من ظلل(٨) الكفر وظلماته، محمد وآله وأصحابه، الذين هاجروا وهَجَروا، وآووا ونَصَروا(٩)، واتبعوا النور الذى أنزل معه(١٠) أظهره الله بهم على الدين كله، وجمع لهم به(١١) الخير أجمعه.

(١) كذا فى: ص، د، أ ر وفى: ب «ثقتى بالله». وفى: س «ثقتى بالله وحده» وجملة: وهو المعين» ساقطة من: ك.

(٢) زيادة من: ك.

(٣) اقتباس من سورة القصص ٢٨/ ٧.

(٤) اقتباس من سورة يونس ١٠/ ٥٨.

(٥) زيادة من: ك.

(٦) كذا فى: ص، س، ب، د، أ، ر. وفى: ك «رسوله» وهى المناسبة للسياق.

(٧) اقتباس من سورة الأعراف ٧/ ١٥٨

(٨) ظلل جمع (ظلة)، والظلة: كل شيء أظلك، والظلة: الغاشية. وهى المراد هنا. راجع لسان العرب (ظلل) ص ٢٧٥٤ والمعجم الوسيط. ٢/ ٥٧٧.

(٩) استمده من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾. سور الأنفال ٨/ ٧٤.

(١٠) اقتباس من سورة الأعراف ٧/ ١٥٧

(١١) كلمة «به» ساقطة من: ك.

وهذا(١) كتاب «لا ناقة لى فيه ولا جمل(٢)، ولا إعمال ولا عمل، ولا شكر ولا حمد، وإن كان كله شكرى وحمدى وما فيه شىء من عندى، وإن كان سببه كله من عندى(٣)، لأنه فصوص الفصول، وعقود // عقول، وفِقَرُ(٤) فِكرٍ، [٢/ب] وغرر درر(٥) مقصورة على ذكرى وشكرى، ومدحى وحمدى، ووصفى وتعظيمى، وتقريظى وتفخيمى، والإشارة إلىَّ، والنص علىَّ من الناطق الذى لا ينطق عن الهوى(٦)، والصادق الذى(٧) لا يغلط إذا روَّى أو روَى(٨) [القاضى](٩) الأجلّ الفاضل(١٠) أبى على عبد الرحيم(١١) بن

(١) هكذا فى كل النسخ.

(٢) لا ناقة لى فيه ولا جمل «مثل يضرب عندما يدعى المرء لما لا شأن له فيه. وأصل المثل: «لا ناقتى فى هذا ولا جملى». قيل إنه للحارث بن عباد البكرى، قاله حين قتل جساس بن مرة كليبا. وقيل: إنه للصدوف بنت حليس العذرية. وهو للحارث بن عباد فى جمهرة الأمثال: (٢/ ٣٠٥) ونصه فيها: «لا ناقتى فيها ولا جملى». وفى فصل المقال، ص (٣٨٨)، ومجمع الأمثال (٢/ ٢٦٠)، والمستقصى (٢/ ٢٦٧) ونصه فيها: لا ناقتى فى هذا ولا جملى» وعلى هذه الرواية نسب للصدوق بنت حليس العذرية فى الغيث (١/ ١٠٨، ١٠٩) وفى تاريخ الطبرى (٦/ ١٤٢) روى بدون نسبة ونصه فيه: «لا ناقتى لى نا ولا جملى» وفى (٦/ ٥١١) «لا ناقة لى فى هذا ولا جمل» وهذه الأخيرة أقرب الروايات إلى رواية المتن.

(٣) عبارة: «وإن كان سببه كله من عندى» ساقطة من ك.

(٤) فقرٌ جمع فَقرة بكسر الفاء وفتحها، وأجود بيت فى القصيدة يسمى فقرة تشبيها بفقرة الظهر. وتقول: مَا أحسن فقر كلامه أى نكته. لسان العرب (فقر) ص ٣٤٤٥.

(٥) فى: ب: غرر بدر. و«غُرر» جمع غُرة وغرة الشىء أوله وأكرمه. لسان العرب (غرر) ص ٣٢٣٤. درر جمع درة، والدرة اللؤلؤة العظيمة. لسان العرب (درر) ص ١٣٥٨

(٦) عبارة: «من الناطق عن الهوى» روايتها فى ك: «من الذى لا ينطق إلا بعيدا عن الهوى» وهذا المعنى مستمد من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ سورة النجم (٥٣/ ٣) والمراد أن القاضى الفاضل لا يتكلم عن هوَى نفسى ورأى شخصى، وهذا يسمى بحياد الناقد.

(٧) قوله: «والصادق الذى» ساقط من ك.

(٨) روَّى فلانٌ فلانًا شعرً إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه.
وروَى الحديث والشعر يرويه رواية، أى حمله ونقله. انظر: اللسان (روى).
ص ١٧٨٦ ومقاييس اللغة (٢/ ٤٥٣). والمعجم الوسيط (١/ ٣٨٤).

(٩) زيادة من ك.

(١٠) فى ك «الفاضل الأجلّ» والفاضل من ألقاب أرباب الأقلام، وأكثر ما يقع فى ألقاب العلماء، وربما وقع فى ألقاب الكتّاب والمراد: رائد الفضل، لقب القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى.

(١١) عبد الرحيم بن على بن الحسن اللخمى العسقلانى المعروف بالقاضى الفاضل، شيخ البلاغة والبراعة، ولد سنة ٥٢٩ هـ وتوفى سنة ٥٩٦ هـ. وفيات الأعيان (٣/ ١٥٨ - ١٦٢).

على البيساني[(١)] ـ رضى الله عنه[(٢)] ـ فإن كتبه المعظمة، وصُحفه المكرمة[(٣)]، المسيَّرة[(٤)] إلىَّ وإلى أبى[(٥)] ـ رحمه الله ـ كانت مشحونة بوصف ما أكتبه[(٦)] إليه، وما أمدحه[(٧)] به. ولا يخلو كتاب منه[(٨)] من مدحى وحمدى[(٩)] والسلام علىَّ وعلى أبى وجدى، ورأيتها لو لم تكن من ذلك الكلام الحالى[(١٠)]، ولا ذلك الطراز العالى[(١١)]، لكان الفخر بها عظيمًا، والعز بها مشيدًا، والقيمة[(١٢)] بها عالية، // والدرجة بها غالية، [٣ أ] ولاسيما وهى المعجز الباهر، والحلال الحلو، والبارد العذب[(١٣)]، والياقوت[(١٤)] الصلب، واللؤلؤ

(١) البيسانى نسبة إلى بيسان وهى ـ وكما يقول ياقوت ـ مدينة بالأردن بالغور الشامى بين حوران وفلسطين ونسب إليها جماعة منهم القاضى الفاضل معجم البلدان: ١/ ٥٢٧، وانظر معجم ما استعجم ١/ ٢٩٢

(٢) فى: ك «رحمه الله ورضى الله عنه».

(٣) نظر فى هذا المعنى إلى قوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ سورة عبس ٨٠/ ١٣

(٤) فى ك «كانت مسيَّرة».

(٥) فى د: «إلىَّ وأبى». وفى: ك «والدى».

(٦) فى: أ «ما كتبه» تحريف. ربما يكون نتيجة غفلة وسهو الناسخ.

(٧) فى: أ «وما أمتدحه».

(٨) فى: ك «له».

(٩) فى: ب، س «من حمدى وحمد أبى».

(١٠) حلي الشيء بعينى يَحْلى إذا استحسنته وهو المراد هنا: «وحَلا بفمى يحلو». لسان العرب (حلا) ص ٩٨٥، مقاييس اللغة ٢/ ٩٤

«والكلام الحالى ـ كما يرى الرمانى ـ السجع الذى اتفقت فيه القريبتان فى حرف الروى» (التصوير البيانى، دكتور حفنى محمد شرف، ص: ٤٩٣).

(١١) فى: ر «الغالى». وعبارة: «ولا من ذلك الطراز العالى» ساقطة من أ.

(١٢) فى: أ «القيامة» تحريف.

(١٣) «الحلال الحلو والبارد العذب» تعبير أدبى، يستخدمه الأدباء كثيرًا جاء فى شعر لعرشه أبى الشغب العبسى:

رأيت رباطًا حين تم شبابُـه ... وولىَّ شبابى ليس فى بره عتــبُ
إذا كان أولاد الرجال مرارةً ... فأنت الحلال الحلو والبارد العذبُ

الكامل للمبرد: ١/ ١٨٩، أمالى القالى ٢/ ٢٦٤، حماسة أبى تمام للتبريزى ١/ ١٤٤ وللمرزوقى: ١/ ٢٧١، الحماسة البصرية ١/ ٢٤٦

(١٤) (الياقوت) يقال: فارسى معرب الواحدة: ياقوته، والجمع: اليواقيت اللسان (يقت) ص ٤٩٦٤ والياقوت حجر من الأحجار الكريمة، وهو أكثر المعادن صلابة بعد الماس ويستعمل للزينة المعجم الوسيط ٢/ ١٠٦٥ والمراد هنا تشبيه الكلمات فى صفائها ونفاستها بالياقوت.

الرطب[١]، فلا غرو أن أستخرجها من ذلك المعدن، وأسافر[٢] بها[٣] من[٤] ذلك الموطن وأجلوا عقيلتها[٥] على الأعين، وأجرى محاسنها على الألسن، وأذيعها وأشيعها وأشر وشيعها[٦]، وأدونها وأدندن[٧] بها، وأطلع الشمس من مغربها[٨]، وأكاثر بها وأفاخر،

(١) «اللؤلؤ الرطب» المستخرج حديثًا، ويكون رطبا لكثرة مائه وصفائه، جاء هذا المعنى فى بيت لأبى تمام، فى قصيدته التى مدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى:

مفصلةٌ باللؤلؤ المتقَــى لهـــا من الشعرِ إلا أنها للؤلؤِ الرطبِ [الطويل]

ديوان أبى تمام: ١/ ١٩٧

وفى شعر للأبيوردى:

بفترة ألحاظ هى السيفُ منتضىء ورقة ألفاظٍ هى اللؤلؤ الرطبِ [الطويل]

ديوان الأبيوردى: ٢/ ١٣٧

(٢) فى: أ «واتنافر» تحريف. والمراد «بأسافر بها»: أكتبها.

مأخوذة من: (السفرة) الكتبة واحدهم «سافر» (لسان العرب، سفر، ص ٢٦ ٢).

(٣) كلمة (بها) ساقطة من: د.

(٤) فى: ك «عن».

(٥) (عقيلتها) عقيلة القوم سيدهم، وعقيلة كل شىء أكرمه. وهى فى الأصل المرأة الكريمة النفيسة، ثم استعمل فى الكريم من كل شىء من الذوات والمعانى، ومنه عقائل الكلام. وهو المراد هنا. لسان العرب (عقل) ص ٤٩ ٣، مقاييس اللغة ٤/ ٧٢

(٦) فى: ك (وشيها) «الوشيع»: علم الثوب. ووشع الثوب. رقمه بعلم وتوشع الشىء: تفرق، وأوشع الشجر والبقل: أخرج زهره».

لسان العرب (وضع) ص ٤٨٤٢ ـ ٤٨٤٣. والمراد هنا: أنشر أزاهيرها المتفرقة.

(٧) «الدندنة: الكلام الخفى تسمع نغمته ولا تفهمه». وهو المراد هنا اللسان (دنن) ص ١٤٣٤ وجاء هذا المعنى فى قول الرسول ﷺ: «حولها ندندن» انظر صحيح بن خزيمة ١/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩، أبو داود ١/ ١٨٣، الأمثال فى الحديث النبوى، لمحمد جابر ص ٣٤٣

(٨) كذا فى: ص، أ، ز، د وفى: س، ب «وأطلع بها». وفى ك «وأطلع شمس الفضل من مغربها». وقد ورد هذا التعبير «طلوع الشمس من مغربها» فى حديث أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» (صحيح مسلم ٤/ ٢١١٣ ٩ كتاب التوبة حديث رقم ٣١).

وفى بيت من قصيدة لمهيار الديلمى يمدح فيها الوزير المغربى، وهو قوله:

لمْ تألفِ الأبصــار من قبلِ أن تطلع الشمسُ من المغربِ [الســريع]

ديوان مهيار طبعة نظارة المعارف: ١/ ٦٠، ٤/ ١٣ ـ سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٣٩٥

وأناضل(١) وأناظر، وآتيه بها على وهرى وأبناء دهرى(٢)، وأعرف بها قدرى(٣) من كان جاهلاً أو متجاهلاً بقدرى(٤)، وأتلو بها ذكرى فإنها الذكر الذى يتلى، وأخلد بها فخرى(٥) الفخر الذى لا يبلى.

وما حبَّرها فىَّ تحبيراً(٦) والبسنى منها حبيراً(٧) // إلا من (٣/ب) سبق القول بأنه(٨) لا يُجابى(٩) ولا يحاشِم(١٠) ولا يحاشى(١١)، ولا يداهن(١٢) ولا يداهى(١٣) ولا يقول إلا

(١) فى: س، ب «وأناضل بها».

(٢) فى: ك «وآتيه على أبناء دهرى». وفى: س، ب وأبناء عصرى».

(٣) فى: ك «وأعرف بها إلى الناس قدرى».

(٤) عبارة: «من كان جاهلاً أو متجاهلاً بقدرى». ساقطة من: ك.

(٥) فى. ك «وأخلد فخر امرى».

(٦) حبرت الشعر والكلام: حسنته وتحبير الخط تحسينه. لسان العرب (حبر) ص٧٤٨ والمحبر: الشيء المزين. مقاييس اللغة (حبر) ٢/ ١٢٧

وجاء هذا المعنى فى حديث أبى موسى، أن النبى ﷺ قال: «يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود» وزاد أبو يعلى فقال: أما أنى لو علمت بمكانك لحبرته لك تحبيراً».

انظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن ٩/ ٧٦، صحيح مسلم ١/ ٥٤٦ باب صلاة المسافرين حديث رقم ٢٣٦، النهاية فى غريب الحديث ٣٢٧/١

(٧) الحبير من البرود ما كان موشيًا مخططا. لسان العرب (حبر) ص ٧٤٨.

والثوب حبير: جديد حسن، مقاييس اللغة ٢/ ١٢٧ ونظر فى هذا إلى حديث أبى ذر - رضى الله عنه -: «الحمد لله الذى أطعمنا الخمير وألبسنا الحبير» (النهاية فى غريب الحديث ١/ ٣٢٨).

(٨) كلمة: «بانه» ساقطة من: د.

(٩) حابى الرجل يحابيه محاباة: نصره واختصه ومال إليه. اللسان (حبا) ص ٧٦٧ والمراد بالمحاباة هنا المجاملة.

(١٠) «لا يحاشم» ساقطة من ك. الحشمة: الحياء والانقباض والاستحياء راجع لسان العرب (حشم) (ص: ٨٨٨).

(١١) لا يحاشى: لا يستثنى أحدًا. اللسان (حشا) ص: ٨٩١.

(١٢) المداهنة والإدهان: المصانعة واللين، وقيل: المداهنة إظهار خلاف ما يضمر: والإدهان: الغش. ودهن الرجل إذا نافق.

لسان العرب (دهن) ص ١٤٤٧ والمعجم الوسيط ١/ ٣٠١.

(١٣) دهاه يدهاه دهيا: عابه وتنقصه. اللسان (دها) ص: ١٤٤٨

الصحيح، ولا يعدل إلا العدل، ولا يجرح[١] إلا الجريح، وكيف يحابينى[٢] أو يحاشينى[٣] وهو[٤] المخدوم[٥] وأنا الخادم، وهو المتبوع وأنا التابع، وهو الغنى وأنا المحتاج إليه[٦]، وهو المعطى وأنا الآخذ منه[٧]، وهو الأستاذ وأنا التلميذ له والمتعلم منه.

وما انتزعتُ تلك الفصول المسطرة فى هذا الكتاب إلا من كتبه التى بخط يده وبخط[٨] الحكام والقضاة العدول المعروفين بخدمته والموسومين بكتابته[٩] وهى عندى حاخرة، وفى الوجود موجودة ياسرة[١٠]

وكل ما[١١] وسمه ـ رحمه الله ـ باسمى (وأجزل من مفاضرة قسمى)[١٢] ينقسم[١٣] قسمين // قسم كتبه[١٤] إلىّ، وقسم كتبه فىَّ. فأما [٤/أ] ما كتبه[١٥] إلىَّ فهى كتب

---

(١) فى: د «خرج» وهو تصحيف وتحريف.

(٢) فى: د «يحاجينى» وهو تحريف. وفى: ك، ز «يحابى».

(٣) فى: ك، ز «يحاشى».

(٤) فى د: «وأنا» وهو سهو من الناسخ.

(٥) «المخدوم من الألقاب المختصة بالمكاتبات، والمراد من هو فى رتبة أن يكون مخدومًا لعلو رتبته وسمو محله. صبح الأعشى: ٢٧/٦

(٦) «كلمة إليه» ساقطة من: ك.

(٧) «كلمة منه» ساقطة من: ك.

(٨) فى: ك «أو بخط».

(٩) فى: ك «والمعدين لمكاتبته».

(١٠) فى: د «باسرة» وهو تصحيف. وعبارة «وهى عندى ياسرة». ساقطة من: ك. واليسر واليسار والميسرة، كله: السهولة والغنى والسعة. انظر لسان العرب (يسر) ص ٤٩٥٨. والمراد أنها غنية مهيأة لمن يطلبها.

(١١) فى: ب «كلما» وهو خطأ فى الرسم الإملائى.

(١٢) ما بين المعقفين زيادة من: ك.

(١٣) فى: أ «فيقسم».

(١٤) «كتبه» ساقطة من: ب.

(١٥) «ما كتبه» كذا فى: ب، وفى سائر النسخ «كتبه» بدون «ما».

كاملة، ابتداءات وأجوبة قد[١] جعلتها في غير هذا الجزء منفردة[٢] وأما (ما)[٣] كتبه فيّ، فهي فصول تضمنتها كتبه الكريمة إلى المجلس العالي الأشرفي[٤] البهائي، ولده - أبقاه الله - وإلى أبي - رحمه الله - وهي التي انتزعتها من كتبه[٥] إلى هاتين الجهتين[٦]، وأودعتها هذا الكتاب[٧].

وهذه الفصول المنتزعة تنقسم إلى قسمين[٨]: قسم أول مقصور على وصف رسائلي المرسلة[٩] إليه ومدح قصائدي الممدوح بها، والممدوحة[١٠] منه[١١] وقسم ثاني مقصور على السلام عليَّ، وعلى جدي - رحمه الله - وولدي - أنماه الله - كان يجعل مسك ذلك السلام ختام كتبه، ويبلغه الثناء قبل لسان قلمه قلبه. //[٤/ب] وقد دونت الجميع[١٢]، وخلدت[١٣] في الدنيا من تلك الفصول فصل الربيع، وجددت عليَّ بإظهارها الجديد[١٤] وخلعت[١٥] على الناس الخليع[١٦]

(١) كلمة «قد» ساقطة من: ك.

(٢) في ك: «جعلتها مفردة بغيرهذا الجزء». وفي ب: «قد جعلها في جزء غير هذا الجزء مفردة» وفي س: «قد جعلتها في غير هذا الجزء منفردة».

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) كلمة «الأشرفي» ساقطة من: ك.

(٥) في: ك «من جهاتها».

(٦) في: ك «إلى هنا».

(٧) في: ك «وأودعتها كتابي هذا مدندنا».

(٨) في: ك «تنقسم أيضا قسمين».

(٩) في: ك «المحررة».

(١٠) في: ك «بل الممدوحة».

(١١) في: ك «به». وهذا المعنى قريب من قول أبي تمام في مدح إسحاق بن إبراهيم:

فلم أمدحك تفخيما بشعري ولكني مدحت بك المديحا [الوافر]

ديوان أبي تمام ١/ ٣٤٣.

(١٢) نص العبارة في: ك «وقد دونت على ما شرحت الجميع».

(١٣) في: ك، ر «وخلبت» تحريف.

(١٤) المراد بهذا التعبير «جددت على بإظهارها الجديد» وصف هذه الرسائل بالعظمة والخلود.

(١٥) الخلعة من الثياب: ما خلعته فطرحته على آخر أو لم تطرحه. اللسان (خلع) ص ١٢٣٢ وخلع عليه ثوبه: أعطاه إياه. المعجم الوسيط ١/ ٢٥٠ والمراد أنه منح الناس كنزًا ثمينًا هو تلك الرسائل.

(١٦) وخُلعة المال وخِلعته: خياره. اللسان (خلع) ص ١٢٣٤ والمعنى أنه قدمها للناس في صورة رائعة الحسن.

وربما أَتْبَعْتُ هذه[1] الفصول نكتا من رسائلى التى كان بعض هذه الفصول جوابًا[2] عنها أو أبياتا[3] من قصائدى التى كان ذلك الفصل مد حالها، ليعلم أنه - رحمه الله - كثَّر قليلى، وسمَّن هزيلى، وفخمَّ ضئيلى، وأعطانى من المدح مالا أستحقه، ومنحنى من الوصف مالا[4] أستوجبه، ورفع أقوالى فوق قدرها، ودفع لعقائلى فوق مهرها[5]، فضلا منه ومنّاً، وإحسانًا وحُسنَى. سقى الله ثراه، وأكرم مثواه، وأتاه[6] تحية وسلامًا، وجعله فى الآخرة للفائزين إمامًا[7] كما كان // فى الدنيا للمتقين إمامًا[8]

سلامٌ ورَيْحَانٌ وروحٌ ورحـــمةٌ   عليهِ وممدودٌ من الظلِّ سجسجُ[9] (طويل)

---

(١) فى ب، س: «بعد الفصول».

(٢) فى ك: «أجوبة».

(٣) فى د: «وأبياتا».

(٤) فى: ك «غير ما».

(٥) نص العبارة فى: ك «ودفع إلى عقائلى زائدا عن مهرها».

وقد نظم ابن سناء هذه المعانى فى قوله مخاطبا القاضى الفاضل:

ورأيتُ قدرى فى البريةِ خامـلاً   فجعلتَ قدرى فى البريةِ نابِهًا [الكامل]

ديوان ابن سناء: ٢/ ٢٥

(٦) فى ك: «وبلغه».

(٧) عبارة «للفائزين إماما» ساقطة من: ك.

(٨) نظر فى هذا المعنى إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِين يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنا وَذُرِّيَاتنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ سورة الفرقان ٢٥/ ٧٤

(٩) البيت لابن الرومى (على بن العباس بن جريج). من قصيدة يرثى بها أبا الحسين يحيى بن حسين بن زيد بن على، ونصه فى ديوانه (٢/ ٢٩٤):

سلامٌ وريحانٌ وروحٌ ورحـمةٌ   عليكَ وممدودٌ من الظلِّ سَجْسَجُ

وروى البيت بدون نسبة فى الوافى بالوفيات (٤/ ٢٥١)، ونصه:

صلاةٌ وتسليمٌ وروحٌ وراحـةٌ   عليهِ وممدودٌ من الظلُّ سجـــسَجُ

السجسج: الهواء المعتدل بين الحر والبرد. لسان العرب (سجسج) ص ١٩٣٩، وتاج العروس ٦/ ٣٠، ومقاييس اللغة ٣/ ٦٤

وقوله: «وممدود من الظل» مستمد من قوله تعالى: ﴿وظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ سورة الواقعة ٥٦/ ٣٠ وقوله: «وممدود من الظل سجسج» مستمد من حديث ابن عباس فى صفة الجنة: «وهواؤها السجسج». النهاية فى غريب الحديث، لابن الأثير: ٢/ ٣٤٣.

فصل فى كتاب[١] [إلى[٢]] الأجل الأشرف[٣] [ولده[٤]] ـ أبقاه الله ـ[٥]

تعرف القاضى السعيد وصول كتابه المعطوف[٦] على الفائية الوفائية، وقبلها وصلت السينية السنية، وما يرينا من آية إلا هى أكبر من أختها[٧]، وما يجلو علينا عروسًا[٨] إلا وقد جمع بين حسنها وبختها[٩]، وقلَّ ما يُجمع الحسن والبخت [للواحدة فى الذكر والنعت[١٠]]، ولهذا قيل[١١]:

---

(١) فى: ك «كتابه» وفى: ب، س «كتاب المولى»

(٢) زيادة من: ك.

(٣) الأجل الأشرف: أحمد بن عبد الرحيم بن على القاضى الأشرف أبو العباس ابن القاضى الفاضل، ولد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وتوفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة هجرية، وكان كبير المنزلة عند الملوك، مثابرًا على سماع الحديث وتحصيل العلم. انظر ترجمته فى: وفيات الأعيان ٣/١٦٣ والوافى بالوفيات ٧/ ٥٧ ـ ٥٨ (ترجمة رقم ٢٩٨٩ ٩ والعبر للذهبى ٣/ ٢٤٥

(٤) زيادة من: ك.

(٥) فى: س «رحمه الله».

(٦) كلمة «المعطوف» ساقطة من: د.

(٧) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ...﴾ سورة الزخرف ٤٨/٤٣.

(٨) ورد هذا المعنى فى قول الحسن بن رجاء لأبى تمام حين مدحه بلاميته: ما أحسن ما جليت به هذه العروس؟ يعنى القصيدة حلاوة وزينة وجمالا (الشعر والشعراء للشكعة ص ٦٥٢) وفى قول أبى أحمد عبد الله بن محمد بن ورقاء الشيبانى:

عرائسُ تجلوهَا عليكَ خدورُهَا ... ولكنما تلك الخدور دفاتِرُ [الطويل]

(يتيمة الدهر ١/ ١٢٤).

وفى المثل: «جلى محب نظرة» من جلوت العروس «إذا حسنتها».

فصل المقال، ص: ٤٨٦، مجمع الأمثال: ١/٢١٣، المستقصى: ٢/ ٥٤.

(٩) البخت: الجد، ورجل بخيت ذو جد. لسان العرب (بخت) ص ٢١٩ والمعنى أنها جمعت جمال الشكل والمضمون.

(١٠) زيادة من: ك.

(١١) فى: ك «كما قيل».

«وقد تُمُنِّيَ المليحة بالطلاق[١]»، وعقائله المليحة[٢] لا تطلق ولا تطاق. وقد علقت العرب // أدون منها، فلا غرو أن هذه بالقلوب تعلق، وبالضلوع تعنق، فالمعلقات بعدها زادت على عدتها، وفضلتها هذه بجودتها وجدتها.

فأما الفائية فالوأواء[٣] عندها فأفاء[٤]، ومن هو الوأواء الركيك[٥] بل كل شاعر[٦] مفلق[٧] على حروف المعجم عندها فأفاء[٨] وأوجه الحساد عند سماع قوافيها أقفاء[٩]، ولو

(١) في: ك «وقد تبلى المليحة». وفي لسان العرب (منى) ص ٤٢٤٣، منيت بكذا وكذا: ابتليت به. ويقال: مني ببلية أي ابتلي بها.

وقد جاء هذا المعنى في قول يزيد بن محمد المهلبي عندما قدم المتوكل إلى دمشق سنة ٢٤٣ وقيل ٢٤٤هـ، ونقل دواوين الملك إليها، وأنشأ قصرًا بداريا:

أظنُّ الشامَ تَشْمَتُ بالعراقِ إذا عزم الإمامُ على انطلاقِ [الوافر]
فإنْ تدَعْ العراقَ وساكنيهَا فقد تُبلى المليحةُ بالطلاقِ

تاريخ الطبري ٩/ ٢٠٩، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨

وعبارة «قد تبلى المليحة بالطلاق» في مجمع الأمثال ٢/ ١٥٥ بدون نسبة.

(٢) «المليحة» ساقطة من: ك.

(٣) الوأواء: محمد بن أحمد الغساني الدمشقي، أبو الفرج، المعروف بالوأواء شاعر مطبوع، حلو الألفاظ، في معانيه رقة، متوفى نحو ٣٨٥هـ. الأعلام ٦/ ٤ ٢ وانظر أيضا: يتيمة الدهر ١/ ٣٣٤ ـ ٣٤٥

(٤) الفأفاء: من يكثر من ترديد الفاء متعثرًا في إخراجها، وهي من عيوب النطق وقد ورد هذا المعنى في قول ابن المعتز في ديوانه بتحقيق د. محمد بديع شريف ٢/ ٢٧٤:

فأجابني والسكر يخفض صوتَه بتلجلجٍ كتلجلجِ الفأفاءِ [الكامل]

وفي قول أبي محمد الخازن: (يتمة الدهر ٣/ ٢٢٩).

لو أن سحبان باراه لأسحبه على خطابته أذيال فأفاء [بسيط]

وفي قول ابن سناء الملك في مدح القاضي الفاضل: (ديوان ابن سناء: ٢/ ١٩٧).

وكنتُ احسبُ قسًا في فصاحته فردًا فأبصرتُ قسًا عنده فافا [بسيط]

(٥) عبارة: ومن هو الوأواء الركيك ساقطة من: ك.

(٦) كلمة: «شاعر» ساقطة من: ك.

(٧) شاعر مفلق: مجيد، يجيء بالعجائب في شعره. وأفلق في الأمر إذا كان صادقًا به. لسان العرب. (فلق) ص ٣٤٦٣ ومقاييس اللغة ٤/ ٤٥٢

(٨) نص العبارة في: ك «عندها عن حروف المعجم فافاء».

(٩) قافية كل شيء آخره، ومنه قافية بيت الشعر. وأقفاء: جمع قفا، وهو مؤخر العنق. لسان العرب (قفا) ص ٣٧٠٨ ومقاييس اللغة ٥/ ١١٢ =

وَفَى سار[١] بنظره عندى لَوَفَتْ، ولو كَفَى مؤنس من أنسه[٢] لكفت، ولو استعطفت الفصاحة على[٣] الألسنة العربية بكلمة [فصحية[٤]] منها لعطفت وانعطفت[٥]، ولو أن البلاغة حلة لكان لابسها[٦]، ولو أن الشعراء[٧] حلبة لكان[٨] فارسها، ولقد أنجب[٩] الزمان الذى ولده، وفخر الوالد الذى ما قضى حقه أن أحبه بل لو أن عبده[١٠]

//وما أنصرف عن بيت أشهد له[١١] بالسبق إلا استأنفت بيتًا أشهد [٦/أ] له بأنه الأحق، وكل يدلى إلى القلب بحجة ويفد إليه[١٢] بمغتض[١٣] لذة، ومستطرف بهجة، ولو ساعدنى[١٤] الخاطر والوقت الضيقان[١٥] لَوَصَفْتُها مجتهدًا، وأطنبت فيها محتشدًا، ولسعيت[١٦] لكشف محاسنها متجردًا، وأتيت على عيونها ـ وكلها عيون ـ معددًا ثم كنت

= والمراد ـ والله أعلم ـ أن القصيدة الغائبة رائعة فى فنها، بديعة فى نظمها، فائقة فى حسنها، لم يستطع الحساد سماعها لعجزهم عن فهمها، أو الإتيان بمثلها.

(١) وفى الشىء: كثر ويلغ تمام الكمال وتمّ. اللسان (وفى) ص ٤٨٨٥ ومقاييس اللغة ٦/١٢٩ وامرأة سرّة وسارّرة: تسرك. اللسان (سرر) ص: ١٩٩٢

(٢) فى: س، ب «من انسه عندى».

(٣) فى: د «العربية» مكان كلمة «على».

(٤) زيادة من: س، ب.

(٥) عطفت وانعطفت: مالت وانثنت. اللسان (عطف) ص ٢٩٩٦ ومقاييس اللغة ٤/٣٥١

(٦) فى: ك «لكان القاضى السعيد لابسها».

(٧) فى: ك «للشعراء».

(٨) فى: ك: «لكان مثله».

(٩) فى: ك «نجب». أنجب الرجل: أى ولد نجيًا ونجب ينجب نجابة إذا كان فاضلاً نفيسا فى نوعه. اللسان (نجب) ص ٤٣٤٢.

(١٠) فى: ك: «ما قضى بحبه حق فضله ولو عبده». وفى أ «ما قضى حقه ان احبه بل اكون عبده».

(١١) فى: ك «اشهد له فيه».

(١٢) فى: س، ب، ك «عليه» وفى: ز «ويغدو إليه».

(١٣) «بمنتض» هكذا فى: ك. وفى: ص، أ، ز «بمقتض». وفى: س، ب، د «بمقتضى» الغض والغضيض: الطرى من كل شىء راجع لسان العرب (غضض) ص ٣٢٦٥ ومقاييس اللغة ٤/٣٨٣.

(١٤) فى: ك «ولو ساعدنى الإمكان فى ».

(١٥) فى: ك «وهما الضيقان».

(٦) لسعيت «هكذا» فى: د وفى: ك «القيت». وفى س، ب «وتجردت». وفى ز «كنت» «تحريف». وفى أ: «انبثت» تحريف. وفى: ص: الكلمة مطموسة.

ألجأ إلى العذر، وألتمس منه أن يساعدنى ـ حفظه الله ـ[(١)] على ما يستحقه من معانى الشكر، ولكن قد[(٢)] علم الله أن الخاطر متوزع[(٣)]، وأن الدهر قد تفنن فى مكروهه وتنوع، وأن القلم يكتب بدربته، ويرسل[(٤)] نفسه على سجيته، ويسحب نفسه على أم رأسه[(٥)] وتأخذ العجلة بمضايق أنفاسه، ولا يرجو // منى غيثًا[(٦)] إذا استمطرنى[(٧)] فلا[(٨)] جرم، [٦/ ب] أن غريمه[(٩)] ما طالبنى قط فأنظرنى[(١٠)] فإنى آتى بالغثّ[(١١)] لإعواز[(١٢)] السمين وأَقْنَعُ بالمبتذل وأشكره[(١٣)] على ما محنى من المصون الثمين.

والقصيدة الأولى السينية ما وافقها[(١٤)] كما ذكر[(١٥)] القاضى السعيد ـ زحل[(١٦)] فى طريقها، بل يقوم[(١٧)] المشترى[(١٨)] أحسن القيام فى قضاء حقوقها. وتأخرت عندى إلى أن

---

(١) فى: ك «وألتمس منه حفظه الله أن يساعدنى».

(٢) «قد» ساقطة من: ك.

(٣) فى: ك «موزع». التوزيع: القسمة والتفريق.
لسان العرب (وزع) ص ٤٨٢٦.

(٤) فى: ر «فيرسل».

(٥) فى: ك «فيجرى على أم رأسه».

(٦) «غيثا» كذا فى: ك وهو الصواب وفى: ص، س، ب، د، أ، ر «غريبًا» تحريف.

(٧) فى: ك «ايستمطرنى».

(٨) فى: ك «ولا جرم».

(٩) الغريم: الذى له الدين والذى عليه الدين جميعا والجمع غرماء. اللسان (غرم) ص ٣٢٤٧.

(١٠) أنظرنى: أخرنى وأمهلنى. المعجم الوسيط ٢/ ٩٣٢.

(١١) كلام غث: لا طلاوة عليه. اللسان (غثث) ص ٣٢١٣ ومقاييس اللغة ٤/ ٣٧٩.

(١٢) العوز: أن يعوزك الشيء وأنت إليه محتاج والعوز: الفقر. لسان العرب (عوز) ص ٣١٦٩

(١٣) فى: ك «فى شكره».

(١٤) فى: س «رافقها». وافقته، أى صادفته.
لسان العرب (وفق) ص ٤٨٨٤ ومقاييس اللغة ٦/ ١٢٨

(١٥) فى: ك، أ «كما قال».

(١٦) زحل اسم كوكب من الخنس، وسمى بزحل لأنه زحل أى بعد. اللسان (زحل) ص: ١٨١٨ وهو خامل عند أصحاب المطالع، ويقولون عنه فلك الثوابت مبالغة فى بطء حركته (الغيث: ٢/ ١٧٧) والمنجمون يزعمون أنه نحس أكبر. (الغيث: ٢/ ٢٨٠). وبه ضرب المثل فى الشؤم، فقيل: «أشأم من زحل». (الدرة الفاخرة ١/ ٢٥٣).

(١٧) فى: ك، أ «قام».

(١٨) المشترى: قيل: «إنه سمى بذلك لحسنه» (الغيث: ٢ / ٢٤٥)، وقال الخارزنجى (أحمد بن =

سيرتها مقترنة بالغائية، لتكون البلاغة أكثر نفيراً[١]، ويكون بعضها لبعض ظهيّراً[٢] ولو أنصفناها[٣] لكان أدنى ما فيها من بيتٍ يعمر ألف بيت، وكان يوسف[٤] عروسها قد قال لها أغناها[٥] عن أن تقول له هيت[٦]

وقرنتها بفضل إلى المقام الناصرى نبهت فيه على // أنها [٧/أ] من القول الفصل، وأقمت الشهادة فى بابه، وإن كان صغيراً فإنه كبير أهل الفضل الذى علمهم الفضل. وأن الدولة[٧] بمدحه[٨] قد أنزل الله[٩] [آياته[١٠]] عليها[١١] فى الغابرين[١٢]، وأبقى لها[١٣] ذكراً حسنًا فى الذاكرين، وقيد مآثرها[١٤] ولا تزال طائرة على ألسن الآثرين[١٥]

= محمد أبو حامد الخارزنجى البشتى): «المشترى كوكب العظماء والملوك وعطارد كوكب الكتاب والأدباء (ديوان أبى تمام ٢/ ٧٢). وهو كوكب السعد. (ديوان ابن سناء ٢/ ٩).

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾ سورة الإسراء ١٧/ ٦

(٢) فى: ك «ويكون بعض الكلام لبعض ظهيراً». اقتباس من قوله تعالى: ﴿لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ سورة الإسراء ١٧/ ٨٨.

(٣) فى: ص، س، ب، د، ر، أ «أنصفناه وما أثبته من: ك وهو المناسب للسياق.

(٤) يوسف بن أيوب بن شاذى، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبى، الملقب بالملك الناصر ٥٣٢ ـ ٥٨٩هـ. (الأعلام ٩/ ٢٩١ ـ ٢٩٢).

(٥) فى: ك «فأغناها».

(٦) فى ك: «عن أن يقول له هيت».

انظر فى هذا المعنى إلى قوله تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ سورة يوسف ١٢/ ٢٣

(٧) فى: ك «وأن دولته».

(٨) فى: ك «فى مدحها».

(٩) لفظ الجلالة «الله» ساقط من: د.

(١٠) زيادة من ك.

(١١) كلمة «عليها» ساقطة من: ك.

(١٢) الغابرين. الغابر: الباقى. والغابر: الماضى، وهو من الأضداد. انظر: لسان العرب (غبر) ص: ٣٢٠٥ ومقاييس اللغة ٤/ ٤٠٨ والأضداد للأنبارى ص ١٢٩

(١٣) فى: ك «وأبقى لها بذلك».

(١٤) «ما أثرها» هكذا فى: ص، س، أ، ر، د. وهو خطأ فى الرسم الإملائى مآثر العرب مكارمها ومفاخرها التى تؤثر عنها أى تذكر وتروى لسان العرب (أثر) ص ٢٦

(١٥) (الأثرين) الآثر: مخبر يروى الحديث. اللسان (أثر) ص ٢٥ ومقاييس اللغة ١/ ٥٣ ـ ٥٤.

ونرجع إلى جواب الكتاب، ونصحو[١] من سكر ما سقتناه قصيدته من الشراب الذى يلعب بالألباب[٢] ونقف[٣] حيث انتهينا من الوصف الذى ينفد[٤] للمحاسن التى لا تنفد[٥] لئلا يذهب زيت الفقراء فى حديث الأغنياء[٦].

قلت: هذا الفصل جواب عن كتاب كتبته إليه ـ رحمه الله ـ[٧] وقصيدة فائية هنيت بها الملك الناصر[٨] ـ رحمه الله ـ[٩] بالعافية من مرضته[١٠] // [٧/ب] المشهورة[١١] وأول القصيدة[١٢] المذكورة:

(١) «نصحو» ساقطة من: د. و «الصحو» رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة و«السكر» غيبة بوارد قوى. وهما من مصطلحات الصوفية المتفق عليها. (تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب، ص: ٢٨٠).

(٢) فى: ص. د. ر «من الألباب». وهذا المعنى قريب من قول أبى العلاء المعرى:

لفظٌ كان معانى السكرِ تسكنُه فمَنْ تحفَّظ بيتًا منه لم يُفقِ [بسيط]

(سقط الزند: ٢/ ٦٧٩).

(٣) فى: أ «يقف».

(٤) «ينفد» كذا فى: س، ب، أ. وفى: ص، د، ر «تنفد» تصحيف. وفى: ك «الذى يتناهى». وهذا المعنى مستمد من قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ سورة الكهف ١٨/ ١٠٩

(٥) فى: ك «إلى المحاسن لا تعرف تناهيا».

(٦) المداد: الذى يكتب به. قال ابن الأنبارى: سمى المداد؛ مداد لإمداده الكاتب.

كما سمى الزيت مداد لأنه يمد السراج». لسان العرب (مدد) ٤١٥٨ مقدمة للوثائق العربية ص٣١.

(٧) فى: أ «رحمه الله تعالى».

(٨) منذ عهد الخليفة الحافظ لقب الوزير بلقب الملك، وأول مَنْ لقب به رضوان بن ولخشى، فقيل له: السيد الأجل الملك الأفضل وذلك سنة ٥٣٠هـ، ولقب به من أتى بعده من الوزراء ولقب صلاح الدين ـ وهو آخر وزراء الدولة الفاطمية ـ بالملك الناصر وظل هذا اللقب حتى آخر حياته.

انظر: دراسات فى التاريخ الإسلامى، د. جمال الدين الشيال ص: ٥٠.

(٩) فى: أ «رحمه الله تعالى».

(١٠) فى: أ «مرضه».

(١١) قيل: إن ذلك كان فى أواخر ذى الحجة سنة ٥٨١هـ. انظر ك ديوان ابن سناء ٢/ ٢

(١٢) القصيدة «فى ديوان ابن سناء ك ٢/ ٢ ـ ٢ ٢

١- نظرَ الحبيبُ إلىَّ من طرفٍ[(١)] خفي[(٢)] فأتى الشفاءُ لِمَدْنَفٍ[(٣)] من مدْنِفِ
٢- ودَنا فسكَّنَ نَارَ قلبي خدُّهُ أسمعتُمُ ناراً بنارٍ تنطفي[(٤)]
٣- لا أرتضي بالشمسِ تشبيهاً لهَا والبدرِ بلْ لا أكتفِي بالمكتفى[(٥)]
٤- تتلوُ ملاحتُها محاسنَ وجهِهَا فتريكَ معجزَ آيةٍ في الزُخْرف[(٦)]

(١) «الطرف: طرف العين. والطِّرْف والطَرْف: الخرق (الكريم المتخرق في الكَرَم، وقيل: هو الفتى الكريم الخليقة. اللسان (خرق) ص: ١١٤٢) الكريم من الفتيان والرجال. وأطرف الرجل: أعطاه ما لم يعطه أحدا قبله، وأطرفت فلانا شيئًا أعطيته شيئا لم يملك مثله فأعجبه. «والمعنى الثانى (الكرم والعطاء) هو المراد هنا. لسان العرب (طرف)، ص: ٢٦٥٧، وانظر: مقاييس اللغة: ٣/ ٤٤٩.

(٢) خفى: خفيت الشىء، أخفيه: كتمته. وخفيته أيضا: أظهرته، وهو من الأضداد. انظر: اللسان (خفى)، ص: ١٢١٦ ومقاييس اللغة: ٢/ ٢٠٢ والأضداد، ص: ٩٥ ـ ٩٧.

(٣) الدنف: المرض. ورجل دَنَفٌ ودَنِفٌ ودُنفٌ ومَدْنَفٌ: براه المرض. لسان العرب (دنف) ص: ١٤٣٢ مقاييس اللغة: ٢/ ٤ ٣.

(٤) «تنطفى» أصل الفعل «تنطفىء» حذفت الهمزة لضرورة القافية. وبعد هذين البيتين (١, ٢) ثلاثة أبيات فى ديوان ابن سناه ٢/ ٢٠

(٥) عبارة: «والبدر بل لا أكتفى بالمكتفى» كذا فى: س. وهى رواية الديوان أيضا: ٢/ ٢٠ وهى الصواب. وفى بقية النسخ: «والبدر لا بل أكتفى بالمكتفى».

«المكتفى»: على بن أحمد بن الموفق بن المتوكل العباسى، المولود سنة ٢٦٣هـ، والمتوفى سنة ٢٩٥هـ. كان موصوفا بالجمال، انظر: ثمار القلوب ص ١٩٠، سير أعلام النبلاء: ١٣/ ٤٧٩ ـ ٤٨٥ وشذرات الذهب ٢/ ٢١٨ والأعلام للزركلى ٥/ ٥٦.

وبنص رواية: (س) نسب البيت لابن سناه فى: الوافى بالوفيات: ٣/ ٨٧، الغيث: ١/ ٢٠٩، فوات الوفيات: ٣/ ٦ وفيه: «فى تشبيهها»، معاهد التنصيص: ٢/ ٢٥٩.

وهذا المعنى قريب من قول ابن المعتز:

والله لا كلمتُه ولو انَّهُ كالشمسِ أو كالبدرِ أو كالمكتفى [الرجز]

ديوان ابن المعتز، لمحمد بديع: ١/ ٢١٩، يتيمة الدهر: ٣/ ٣٢٦، ثمار القلوب، ص: ١٩٠ وفيه: ما كلمته».

وبعد البيت الثالث بيت فى ديوان ابن سناه (٢/ ٢٠) خلت منه النسخ.

(٦) المراد أن جمالها يريك آية معجزة فى الزخرفة.

وبعد هذا البيت أربعة أبيات خلت منها النسخ. انظر ديوان ابن سناه ٢/ ٢ ـ ٢٠١

٥- وتقول مَنْ هذا وقدْ سفكْــت دمــى ظلمًا وتسأل عن فؤادى وهى فـى[١]

٦- أنتِ الحبيبُ عطفتِ أو لم[٢] تعطفِى وأنا المحبُّ صدفتِ أو لمْ تصدفى[٣]

٧- ماذا[٤] لقيتُ من الصـدودِ لأنّنِـــى ألقَى خشونتَــهُ بقلـــبٍ متــرفِ[٥]

٨- والقلبُ يحلــفُ أن سيــسلُو ثم لا يسلَو ويحلــفُ أنّه لمْ يحــلفِ[٦]

٩- قسمًا أقــولُ لقد سلا وســلُّوه[٧] فرحٌ لأن جــاءَ البشيرُ بيوســفِ[٨]

---

(١) الرواية فى الديوان ٢/ ١ ٢ «فتقول من ...» فى الأصل أن يقول: (فيه)، ولكنه اكتفى بالفاء والياء لمراعاة الوزن والقافية. «وهذه الظاهرة يسميها البلاغيون بالاكتفاء، وهو أن يكتفى الشاعر ببعض الكلمة، وأحيانا يكتفى بكلمة عن كلام كثير. ومثال الأول، قول ابن سناء

ولقد كففتُ عنانَ عينى جاهدًا حتى إذا أعييتُ أطلقتُ العنَا [الكامل]

فالأصل «العنان» فاكتفى ببعض الكلمة عن بعضها الآخر.

والثانى، قوله:

يا عاذلين جهلتُم فضلَ الهــوَى لعذلتُم جهلاً ولكــنى أنـــا [الكامل]

أى ولكنى أنا أعلم بفضيلتها. انظر: ابن سناء حياته وشعره: ١/ ١٢١

(٢) «أو لم» كذا فى جميع النسخ، والذى فى ديوان ابن سناء (٢/ ١٠٢): «أم لم». فى شطرى البيت.

(٣) «الصدوف»: الميل عن الشىء وصدف عنى أى أعرض.

لسان العرب «صدف»، ص٢٤١٦، مقاييس اللغة: ٣/ ٣٣٨. والبيتان (٥، ٦) كذا ترتيبها فى جميع النسخ، أما ترتيبهما فى ديوان ابن سناء ٢/ ١ ٢ فالسادس فى مكان الخامس، والخامس فى مكان السادس.

(٤) «ماذا» من استخداماتها أنها تأتى «بمنزلة اسم واحد هو الذى».

لسان العرب «ذا»، ص: ١٤٧٩

(٥) رجل مُتْرَفٌ ومُتَرَّفٌ: مُوسَّع عليه. اللسان (ترف)، ص: ٤٢٩.

ومقاييس اللغة ١/ ٣٤٥ ومعنى البيت: قد يكون الجزاء من غير جنس العمل: فيقابل الحب بالجفوة، والقرب بالصدود والقسوة. وقبل البيت السابع بيت فى ديوان ابن سناء: ٢/ ١ ٢، وليس فى النسخ.

(٦) «لم يحلف» الصواب «لم يحلفْ» بتسكين الفاء، ولكنه حركها بالكسرة لضرورة حركة القافية.

(٧) عبارة: «أقول لقد سلا وسلوه» كذا فى جميع النسخ. والذى فى ديوان ابن سناء الملك: ٢/ ١ ٢ «أقول سلا وإن سلوه».

(٨) «بيوسف» والصواب «بيوسفَ» لأنها ممنوعة من الصرف للعلمية والعجمة، وتكون علامة جرها الفتحة، ولضرورة مراعاة حركة القافية حرك الفاء بالكسرة.

١٠- جاءَ البشيرُ بأن يوسف قد شفـا مَرَضَ الزمانِ لأنَّ[١] يوسف قد شفى

١١- كان الملطفُ كالقميصِ أما ترَى[٢] أبصَارَنَـا رُدَّتْ لنَـا بملطَّـف [٨/أ][٣]

وأما القصيدة[٤] السينية المشار إليها فكنت قد[٥] مدحتُ بها الملك الناصر ـ رحمه الله[٦] قبل هذه الفائية، وأرسلتها إليه وكان بدمشق[٧] والملك[٨] الناصر ـ رحمه الله[٩] بحَرَّان[١٠]، فأخر إنفاذها إليه لأجل المرض[١١] الذى كان فيه. فلما عوفى وكتبت إليه هذه الفائية أشرت فى كتابى إلى السينية وتأخرها بأن قلت: إن تلك القصيدة صادفها زحل فى الطريق، وحرمها [مآرب السعادة[١٢]] والتوفيق، فلهذا أجاب [القاضى[١٣]] بما تضمنه الفصل[١٤] فى هذا المعنى[١٥].

---

(١) فى: ك «بكون يوسف». وبعد البيت العاشر بيتان فى ديوان ابن سناء ٢/١ ٢، وليسا فى النسخ.

(٢) فى: د «ألا ترى». وهى رواية الديوان ٢/١ ٢٠

(٣) فى البيت إشارة إلى قصة يعقوب عليه السلام حينما ألقي قميص يوسف على وجهه فارتد يعقوب بصيرا. وقد ورد هذا المعنى فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ سورة يوسف ٩٦/١٢.

وبعد البيت الحادى عشر تسعة عشر بيتا. انظر ديوان ابن سناء الملك: ٢/١ ٢ ـ ٢ ٢.

(٤) كلمة «القصيدة» ساقطة من: د.

(٥) كلمة «قد» ساقطة من: ك، س، ب.

(٦) فى: أ «رحمه الله تعالى».

(٧) «دمشق» (بكسر أوله وفتح ثانيه، هكذا ضبطه الجمهور، وكسر الميم لغة فيه) اسم مدينة وهى عاصمة سوريا الآن كانت فى أيام ياقوت ـ كما روى ـ قصبة الشام. انظر معجم البلدان: ٤٦٣/٢ ـ ٤٧٠، معجم ما استعجم: ٥٦٦/٢، لسان العرب (دمشق) ص: ١٤٢٢

(٨) كلمة «الملك» ساقطة من: ك.

(٩) فى: أ «رحمه الله تعالى».

(١٠) «حرَّان» بفتح الحاء وتشديد الراء المفتوحة «اسم بلد» (لسان العرب (حرن) ص: ٨٥١) من كور ديار مضر. سميت بحران بن آذر، أخى إبراهيم ـ عليه السلام ـ (معجم ما استعجم: ٤٣٥/٢). قال ياقوت: إنها فتحت فى أيام عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم. معجم البلدان: ٢٣٦/٢

(١١) فى: ك «لأجل مرضه».

(١٢) زيادة من: ك يقتضيها السياق.

(١٣) زيادة من: ك.

(١٤) فى: ك «بما تضمنه فصله».

(١٥) قوله: «فى هذا المعنى» ساقط من:ك.

وأول السينية[1]:

١ أمجلسَ لَهوِى[2] ليسَ لِى منكَ[3] مجلسُ لأوحشتَ لما غابَ لِى عنكَ مؤنِـسُ[طويل]

٢ وما كان ليلِى فيك بالبــدر مقمـــرا ولكنه من مخجلِ الشمسِ[4] مشمِـسُ

٣ // وبى مَلكُ الحسنِ الذى الجسمُ قصيرهُ وقلبى لهُ فى ذلك القصرُ مجلِـسُ[5] [٨/أ]

٤ يصرِّفُ أمـــرى جَــوْرُهُ[6] فبأمـــرِه ترَى الصبرَ[7] ينفَى[8] والصبابةُ تُحبَسُ

---

(١) القصيدة فى ديوان ابن سناء الملك: ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٦، وعدد أبياتها ثمان وخمسون بيتا.

(٢) «لهت المرأة إلى حديث المرأة تلهو لُهوًا ولَهوًا: أنست به وأعجبها، ولهى به: أحبه واللهوة واللهية: العطية، وقيل: أفضل العطايا وأجزلها. لسان العرب (لها) ص: ٤٠٩٠، ٤٠٩١. وانظر مقاييس اللغة (لهو): ٥/٢١٣

والمراد هنا: أنه مجلس أنس وحب وعطاء مستمر.

(٣) فى: ك «ليس لى عنك». وفى: ر «ليس مثلك».

(٤) الخجل: الحياء وواد خجل: مغنٍ معشب وكلا مخجل: واسع كثير نام يقام فيه ولا يجاوز وثوب خجل: يعتقل لابسه. لسان العرب (خجل) ص: ١١٠٦ وانظر مقاييس اللغة: ٢/٢٤٧

يقول: إن مؤنسى شمس يحجب ضوؤها كل ضوء. وكأنه نظر فى هذا المعنى إلى قول النابغة الذبيانى:

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكـــبٌ إذا طلعتَ لمْ يبدُ منهنَّ كوكبُ [الطويل]

ديوان النابغة الذبيانى ـ الدكتور حنا نصر الحتّى ـ ص: ٢٥

ويعد البيت الثانى بيت ليس فى النسخ، انظر: ديوان ابن سناء الملك ٢/ ١٧٢

(٥) «ملك الحسن» يعنى به الملك الناصر، ويعد البيت الثالث بيتان ليسا فى لنسخ انظر ديوان ابن سناء الملك: ٢/ ١٧٢

(٦) الجور: الميل عن القصد. اللسان (جور) ص ٧٢٢ ومقاييس اللغة: ١/ ٤٩٣. والمراد بقوله: «يصرف أمرى جوره» أن حبه ملكه فأصبح يصرفه كيفما شاء.

(٧) «ترى الصبر» كذا فى جميع النسخ والذى فى ديوان ابن سناء (٢/ ١٧٢): «ترى الصب». «وصب الرجل إذا عشق يَصبُ صبابة» اللسان (صبب) ص: ٢٣٨٧

(٨) «ينفى» كذا فى: ص، س، ب، د ، أ، ر. وفى: ك «يبقى» والذى فى الديوان ٢/ ١٧٢ «يغنى». والمراد بـ «الصبابة تحبس»، أى تصبح وقفا عليه. ويعد البيت الرابع بيت ليس فى النسخ. انظر الديوان ٢/ ١٧٢

٥ وحلَّفَـــنِى أنْ لا أنـــامَ فـزادَهُ   تبرُّعُ(١) طرفِـــى أنه ليـــس ينعـــسُ

٦ ويلبسُ ديباجَ(٢) الثياب(٣) مصـوراً   ومن فوقهِ(٤) ديبـاج خديـه(٥) أطلس(٦)

٧ وجاريةٍ(٧) تُخفى الجوارى لحسنِهَا(٨)   ألم تعلـموا أنَّ الجـوارِى كُـنَّسُ(٩)

٨ يزخرِفُ(١٠) منها وَجْهُهَا فهو جنـةٌ   ويخضرُّ(١١) منها نُضْرةٌ(١٢) فهو سندسُ(١٣)

---

(١) تبرع بالعطاء: أعطى من غير سؤال أو تفضل بما لا يجب عليه.

لسان العرب (برع) ص: ٢٦٠ ومقاييس اللغة: ١/ ٢٢

(٢) الدبج: النقش والتزيين، فارسى معرب. والديباج: ضرب من الثياب مشتق من ذلك. اللسان (دبج) ص: ١٣١٦ ومقاييس اللغة: ٢/ ٣٢٣.

(٣) «الثياب» كذا فى جميع النسخ. والذى فى ديوان ابن سناء (٢/ ١٧٣) «الحرير».

(٤) فى: ز «ومن تحته».

(٥) ديباجة الوجه وديباجه: حسن بشرته. اللسان (دبج) ص: ١٣١٧

(٦) الطلس: الملاسة وهو المراد هنا مقاييس اللغة: ٣/ ٤١٨. والمعنى أن جمال بشرته يبهر الأبصار ويخلب العقول.

وبعد البيت السادس بيت خلت منه النسخ. انظر ديوان ابن سناء ٢/ ١٧٣

(٧) الجارية الشمس والجارية: الفتية من النساء. اللسان (جرا) ص: ٦١٠، ٦١١ والمعنى المراد هنا يحتمل المعنيين معا فجمالها كضوء الشمس الذى يحجب كل ضوء.

(٨) فى: س، ز «بحسنها». وهى رواية الديوان أيضًا: ٢/ ١٧٣

(٩) «كنس» جمع كانس وكانسة. والجوار الكنس: قال الزجاج: النجوم تطلع جارية، وكنوسها أن تغيب فى مغاربها التى تغيب فيها وقال الفراء هى النجوم الخمسة: بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى وقيل: الكنس الظباء والبقر تكنس، أى تدخل فى كنسها إذا اشتد الحر. اللسان (كنس) ص: ٣٠٣٨ والكنس: الكواكب تكنس فى بروجها كما تدخل الظباء فى كناسها. مقاييس اللغة ١٤١/٥ والمعنى المراد أن النجوم تظهر ليلاً وتختفى نهارًا لأن ضوء الشمس يحجبها. وقد نظر فى هذا المعنى إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ سورة التكوير ٨١/ ١٥، ١٦

(١٠) الزخرف: الزينة وكمال حسن الشىء. لسان العرب (زخرف) ص ١٩٢١

(١١) ماء أخضر: يضرب إلى الخضرة من صفائه، والاخضرار: الخصب والسعة. اللسان (خضر) ص: ١١٨٢، ١١٨٣ والمعنى المراد هنا الخصوبة والجمال.

(١٢) فى: ك «منها جلدة».

(١٣) السندس: رقيق الديباج ورفيعه. اللسان (سندس) ص ٢١١٧ وقد نسب البيت الثامن لابن سناء الملك فى الغيث (٢/ ٤٢١)، ونصه فيه:

تزخرفُ منهَا وجههَا وهى جنةٌ   ويخضرُ منها نضرةً فهو سندسُ

٩ ويصبحُ مِثْلِي حُلْيُهَا عاشقًا لها ألستَ تراهُ أصفراً[١] يتوسوَس[٢]

ولهذه القصيدة قَصَصٌ وقَصَصٌ[٣]، وجاءت عنها منه[٤] ـ رحمه الله ـ[٥] أجوبة ستجيء فيما بعد، وعند مجيئها[٦] أذكر باقي المختار من غزلها، ومن مدحها[٧] [إن شاء الله[٨]].

(١) «أصفراً» الصواب «أصفر» لأنها ممنوعة من الصرف للوصفية مع وزن أفعل. وقد صرف الممنوع من الصرف لضرورة الوزن.

(٢) الوسوسة والوسواس: حديث النفس. اللسان (وسس) ص: ٤٨٣. وهو المعنى المراد هنا. وبعد هذا البيت بيتان ليسا في جميع النسخ انظر ديوان ابن سناء ٢/ ١٧٣

(٣) في: ك «بل قصص».

(٤) في: ك «منه عنها».

(٥) جملة «رحمه الله» ساقطة من: ك.

(٦) في: ك «وعند ذلك».

(٧) في: ك «ومدحها».

(٨) ما بين المعقفين زيادة من: ك يقتضيها السياق.

فصل من كتابه إلى الأجل الأشرف(١) ـ أبقاه الله(٢) ـ

// وأما اعتذارك عن معلمك القاضي السعيد في كونه فارقني فأرّقني(٣) [٩/أ] وأوحدني(٤) فأوقدني، فهذه حجج ملفقة علمك إياها(٥)؛ فإنه يعلمك السحر(٦) ولكن سحر البيان(٧) وما أحق أقواله أن تُوصف بما وصف به ابن المعتز(٨) كتابته بأنها(٩) سحّارةٌ تُحكَم(١٠)

(١) في: ب «الأشرف ولده». والأشرف من ألقاب المقام والمقر، والمقر لقب شرفي يمنحه السلطان لكبار أرباب الوظائف الديوانية وكذلك ينعم به السلطان على الأمراء. صبح الأعشى: ٦/٦ـ٧.

(٢) في: س «رحمه الله». وفي: أ «أبقاه الله تعالى». والدعاء بإطالة البقاء أرفع من الدعاء بإطالة العمر؛ ذلك لأن البقاء لا يدل على مدة تنقضي لأنه ضد الفناء. صبح الأعشى: ٦/ ٢٧٢

(٣) «فارقني» ساقطة من: أ.

(٤) في: ك، أ، ر «أوجدني». وَجَدَ عليه يجِدُ وجْدًا: غضب. لسان العرب (وجد) ص ٤٧٧٠. وأوحده: تركه منفردًا. اللسان (وحد) ص ٤٧٨٠.

(٥) في: د «إياه».

(٦) السحر والتمويه يرجعان إلى معنى واحد، هو إخراج الشيء على وجه في مرأى العين وحقيقته على خلافه. (شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٥٨). وقد نظر في هذا إلى قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ...﴾ سورة البقرة ٢/ ١٠٢

(٧) شبه البيان بالسحر لحدة عمله في عقول السامعين، وسرعة قبولهم إياه (ديوان الأبيوردي: محمد بن أحمد بن إسحاق ١/ ٨٧). وقد نظر في هذا إلى حديث ابن عمر، ونصه: عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قدم رجلان من أهل المشرق فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لسحرًا».

انظر: صحيح البخاري: ٥/ ١٩٨٦ حديث رقم ٤٨٥١، التجريد الصريح لأحكام الجامع الصحيح ٢/ ٤٦٠، صحيح ابن حبان ١٣/ ٩٦ وفيه «إن من البيان سحرًا». وقيل: حديث صحيح ورجاله ثقات، الأمثال في الحديث النبوي، ص: ٣٠٧، الأضداد، ص: ٢٤٣

(٨) أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد. ولد بسامراء سنة ٢٤٧هـ ومتوفى سنة ٢٩٦هـ. كان أديبًا بليغًا، وشاعرًا مطبوعًا. انظر في سيرته: طبقات الشعراء، لابن المعتز ص: ٨ ـ ١٠، ديوان ابن المعتز ـ تحقيق دكتور محمد بديع، تاريخ بغداد ١٠/ ٩٥، وفيات الأعيان ٣/ ٧٦ ـ ٨٠، فوات الوفيات ٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠، معاهد التنصيص ٤/ ٣٨ ـ٤٧ وشذرات الذهب: ٢/ ٢٢١ ـ ٢٢٤، الأعلام للزركلي: ٤/ ٢٦١ ـ ٢٦٢

(٩) في: ك «من أنها».

(١٠) في: ك «بحكم» تصحيف.

عقد اللسان[١]، [فلا يجد البليغ معارضتها في الإمكان[٢]] وقد عقد[٣] لساني عن عتبه بالسحر من كتبه[٤]، فإني لما قرأت كتابه، وتأملت قصيدته التي اعتذر فيها عن فراقي، وهربه[٥] مني، وتركه[٦] أيدي أشواقي آخذة بأطواقي، كنت كلما قرأت فصلاً أو بيتًا[٧] تحللت عقدي[٨] فعلمت أن أقواله هي النفاثات في العقد[٩] وأن من وجد منها[١٠] ما وجد، ما فقد منه[١١] ما فقد، وما هرب إلا خوفًا أنْ // يُقضَى على[١٢] بالمحتوم وهو حاضر[١٣] بحضرتي فينفرد بتجرع[١٤] [٩/أ] حسرتي دون أسرتي[١٥]، وهذا عذر أستحَي أن

---

(١) جاء هذا المعنى في قول ابن المعتز:

وهاكِهَا بنـــت يهوديــــة	سحارة تُحكم عقدَ اللسان
يكتبَ فيها ماؤها أسطراً	حروفها من شعر الزعفران

ديوان أشعار الأمير أبي العباس ابن المعتز: ٢/ ٣١٦.

(٢) ما بين المعقفين زيادة يقتضيها السياق من: ك.

(٣) في: ك «عقدت».

(٤) في: ك «بالسحر من ألفاظ كتبه».

(٥) في: س، ب، «وهروبه».

(٦) في: ز «فتركه» تحريف.

(٧) في: ك «أو وقفت على بيت من أشعاره مُحَلَّى أطلقت يدي».

(٨) في: ك «وتحللت من عقدي». وفي: ز «تحللت عقدتي». «وتحللت عقده» مثل يضرب للغضبان إذا سكن غضبه. مجمع الأمثال: ١/ ١٩٥، لسان العرب (عقد) ص: ٣٠٣٣.

(٩) نظر في هذا المعنى إلى قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ سورة الفلق: ١١٣/ ٤ «وكانوا يسمون الكلام الغريب السحر الحلال، ويقولون: اللفظ الجميل إحدى النفاثات في العقد» زهر الآداب ١/ ٤٠.

(١٠) كلمة: «منها» ساقطة من: د. ومعنى وجد منها: ظفر منها. لسان العرب «وجد» ص: ٤٧٧٠.

(١١) في: أ «وفقد منها ما فقد». وفي: ز «فقد منه ما فقد» ومعنى العبارة «أن سحر ألفاظه، وغزارة معانيه وعذوبة بيانه غفرت له ما بدر منه».

(١٢) في: د «عليه» تحريف.

(١٣) كلمة «حاضر» ساقطة من: ك.

(١٤) في: أ «متجرع».

(١٥) في: ك «رفقتي».

يقوله فقلته عنه، وخجل أن يجعله عذره فعذرته عند نفسي[١] منه[٢] ما عليه والله عتب ولا له ذنب[٣] ومن أين للوجه الجميل[٤] ذنوب[٥].

وودت[٦] لو كان البحتري[٧] حيًا فكنا نلسعه[٨] من تلك[٩] القصيدة بحية[١٠]، وكانت

---

(١) في: ر «خشتى» تحريف.

(٢) كلمة منه ساقطة من: س.

(٣) هذا المعنى قريب من قول ابن المعتز:

عتبتْ عليك مليحةُ العتب غضبَى مهاجرة بلا ذنـــب

ديوان أشعار الأمير أبي العباس بن المعتز: ١/ ٢٢٢

ومن قول الأمير أبي الفضل الميكالي في رسالته إلى أبي منصور عبد الملك ابن محمد بن إسماعيل الثعالبي فما على الدهر عتب ولا له على أهله ذنب زهر الآداب ٢/ ٥٤٦.

(٤) في: ب «المليح» وفي: ر «الجليل».

(٥) هذا عجز بيت لأبي فراس الحمداني (الحارث بن أبي العلاء بن سعيد حمدان) ونص البيت:

يعد عليَّ العاذلون ذنوبـــه ومن أين للوجه المليح ذنوب؟ [طويل]

ديوان أبي فراس، ص: ٤٤. ونسب البيت لأبي فراس في وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٦٠) ونصه فيها:

يعد على الواشيان ذنوبـــه ومن أين للوجه الجميل ذنوب؟

(٦) في: أ، د، ك «وودت» خطأ في الرسم الإملائي.

(٧) أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي. غلب عليه لقب (البحتري) نسبة إلى بحتر، وهي عشيرة من عشائر طيء يرجع إليها نسب أبي عبادة البحتري. ولد سنة ٢٠٤هـ على خلاف في ذلك. وتوفي سنة ٢٨٤هـ على خلاف في ذلك أيضًا. وهو شاعر كبير يقال لشعره: سلاسل الذهب، وأحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي وأبو تمام والبحتري.

انظر في ترجمته: طبقات الشعراء لابن المعتز صفحة ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٥٨، الموازنة بين الطائيين للآمدي، ديوان البحتري ـ تحقيق حسن كامل الصيرفي، شذرات الذهب ٢ / ١٨٦ ـ ١٨٨، الأعلام للزركلي ٩/ ١٤١ ـ ١٤٢، وكتب الأدب والتاريخ التي أرخت لهذه الفترة.

(٨) في: ك «حيًا لنلسعه».

(٩) كلمة «تلك» ساقطة من: ك.

(١٠) في: ك «بحية ولا تجدي منها رقية تكون بها نفسه مرقية». والمراد أن بائية ابن سناء تفوق بائية البحتري لدرجة أنه لو كان حيًا وسمعها لانفرطت نفسه، وطارت شعاعًا كما لو كان قد لدغته حية. بدليل رواية: ك «. . ولا تجدي منها رقية تكون بها نفسه مرقية. . .».

بائيته تغض من بأوها[١] وعجبها، وتستتر[٢] من الأوراق فى حجبها، وكنا نعلم أى الزينبين[٣] هى الخلوب[٤]، وأيهما أحق بملك القلوب، ولا شك أن الغالبة هى زينب الغالب ـ صاحبنا ـ والمغلوبة هى زينب المغلوب.

قلت: كنت فى سنة // ثلاث وثمانين [وخمس مائة[٥]]،[١/أ] قد مضيت[٦] إلى زيارة القدس، ثم سرت منه إلى زيارته ـ رحمه الله[٧] ـ بدمشق[٨] فوجدته مريضًا مدنفا فى خطة[٩] صعبة وفى[١٠] حالة مخطرة[١١] فخشيت أن أقيم فيجرى من المحتوم عليه[١٢] ما لا طاقة لى بمشاهدته، فأقمت عنده أيامًا[١٣] قلائل، واعتذرت إليه بأننى[١٤] وردنى[١٥] عن أبى ـ رحمه الله[١٦] ـ خبر مزعج، وحديث مقلق فأعطانى دستورًا بالعود[١٧] عن نفس غير

(١) كلمة «بأوها» ساقطة من: ك. و«البأو: العظمه والكبر والفخر» اللسان (بأى) ص ٢٠٢

(٢) فى: د، ر «وتستر» وفى: ك «وتستر».

(٣) الزينب: شجر حسن المنظر طيب الرائحة، وبه سميت المرأة. اللسان (زنب) ص ١٨٦٩ والمقصود قصيدتا ابن سناء والبحترى المتحدث عنهما.

(٤) فى: أ، ر «الحلوب» تصحيف. وفى: ك «الغلوب» تحريف.

(٥) زيادة فى: س يقتضيها السياق.

(٦) فى: ك «سافرت».

(٧) فى: أ «رحمه الله تعالى».

(٨) كلمة «بدمشق» ساقطة من: ر.

(٩) فى: س، ب «وفى خطة». والخطة: الحال والأمر والخطب. اللسان (خطط) ص ١١٩٩

(١٠) «فى» ساقطة من: ك، ر.

(١١) مخطرة: من أخطر الرجل. وقع فى الخطر، وهو الإشراف على الهلاك. لسان العرب (خطر) ص ١١٩٦

(١٢) فى: ك «فيجرى عليه من المحتوم».

(١٣) فى: ك «فبقيت أيامًا».

(١٤) فى: ك «بأنه». وفى: ر «بأنى».

(١٥) فى: ك «وصلنى» وفى: أ «ورد لى». والصواب: «ورد إلىّ».

(١٦) جملة «رحمه الله» ساقطة من: أ، ب.

(١٧) فى: ك «دستورًا بالانصراف لأعود».

طيبة(١)، وعن(٢) كراهية(٣) غير خافية. فلما عدت ومنَّ الله تعالى بعافيته(٤) كتبت إليه كتابًا ونظمت فيه قصيدة(٥) أعتذر في كل منهما، وأستغفر(٦) من انفصالي عن خدمته(٧) وخروجي من جنته.

فأما قصيدة البحتري البائية(٨) // فهي التي أولها: [١/ب]

أحدك(٩) ما ينفكُّ يسري ل «زينبا» خيالٌ إذا آب(١٠) الصباح(١١) تأوبـا

وأما قصيدتي(١٢) فهي التي أولها:

١ تذكرتُ أيامَ الصبابَةِ والصِّـبَا وعيشًا مليحًا(١٣) بالمليـحةِ معجبًا [طويل]

٢ وثوبُ نعيمٍ(١٤) لا يحلُّ لباسُهُ لذي ورعٍ(١٥) لأنَّه كان(١٦) مُذهبًا(١٧)

(١) في: ك «عن نفس منه غير راضية».

(٢) في: ص، س، د، ر «على». وكلمة: «على» ساقطة من: أ. ك. وما أثبته من: ب لمناسبته للمعنى المراد.

(٣) في: ك «وكراهة في ذلك» وفي: ر «كارهة» تحريف.

(٤) في: ك «فلما عدت وقد من الله تعالى عليه بالشفا».

(٥) في: أ، د «ونظمت قصيدة، وكلمة «فيه» ساقطة منهما. وفي: ك «كتابًا وفيه قصيدة».

(٦) في: ك «واسترضيه بهما» مكان «وأستغفر».

(٧) في: ك «عن إنفصالي عن حضرته».

(٨) كلمة «البائية»: ساقطة من: ب. وفي ك «فأما بائية البحتري المشار إليها».

(٩) (أجدك): أبجد منك.

(١٠) آب وتأوب: بمعنى رجع وتراجع.

(١١) «الصباح» كذا في: ص، د، ك، أ، ر. وفي: س، ب «الظلام» والرواية في ديوان البحتري «الظلام» وهذا البيت مطلع قصيدة مدح بها البحتري الفتح بن خاقان. انظر: ديوان البحتري بتحقيق الصيرفي ١/١٩٦، الموازنة ٢/ ١٧٠، ١٧٥، حماسة ابن الشجري ص ١٧٨، المثل السائر ٢/٢٧٨، ٣٢٢، ٤٠٥.

(١٢) القصيدة في ديوان ابن سناء: ٢/٥٣٨ ـ ٥٤١.

(١٣) المقصود بالعيش المليح هنا «العيش الرخي» انظر: اللسان (عيش) ص ٣١٩٠، مقاييس اللغة: ٤/ ١٩٤

(١٤) النعيم غضارة العيش وحسن الحال. المعجم الوسيط (نعم) ٢/ ٩٣٦.

(١٥) الورع في الأصل: الكف عن المحارم والتحرج منه ثم أُستُعِيرَ للكف عن المباح والحلال. اللسان (ورع) ص ٤٨١٤، مقاييس اللغة ٦/ ١٠

(١٦) «لأنه كان»: كذا في: ص، س، ب، د، أ، ر، وهي رواية الديوان أيضًا (٢/٥٣٨). وفي: ك «إذ لا يزال».

(١٧) المذهب: الشيء المطلي بالذهب والمذاهب: البرود الموشاة. اللسان (ذهب) ص ١٥٢٢ ـ ١٥٢٣

٣ ومُذَهَّبَةُ الخدينِ(١) يحمرُ خدُّهَا ... ليجنِى ويجرى الماءُ منه(٢) ليُشرَبَا
٤ ومن خدُّهَا(٣) يحمرُ ياقوتُ عقدِهَا ... ويصفرُ إمّا خجلةً أو تهيُّبَا
٥ أبو ثغرِهَا الدُّر(٤) الذى قُلدتْ به(٥) ... ولكن رأيتُ الابنَ قدْ فضَّلَ(٦) الأبَا
٦ سقَى اللهُ أيامَ الشبابِ مدامعِى ... على زينبٍ(٧) وأخذَ(٨) اللهُ زينبَا(٩)
٧ فذاك زمانٌ كلُّ عيشِى به رضًا ... وكلُّ نسيمٍ هبَّ من صبوتِى صبَا
٨ وتُضمرُ(١٠) حبِّى كلُّ ضامرةِ الحشَا ... وتنعمُ عيشِى(١١) كلُّ ناعمةِ الصبَا
٩ // تكاثرَ لثمُ الغانياتِ بعارضِى ... فكدتَ تراهُ بالمباسمِ أشنبَا(١٢) [١١/أ]
١٠ تقبلُنى(١٣) عن قبلةٍ ألفَ قبلةٍ ... وحُلِّلَ فى شرعِ الهوَى ذلك الربَا(١٤)

(١) فرس مذهب إذا علت حمرته صفرة، والأنثى مذهبة. اللسان (ذهب) ص ١٥٢٣ وفى مقاييس اللغة ٢/ ٣٦٢ (ذهب) يدل على حسن ونضارة وهو المراد هنا. والرواية فى ديوانه ٢/ ٥٣٨ «مذهبه» بدون واو والصواب إثباتها لاستقامة الوزن.

(٢) «منه» كذا فى جميع النسخ، والراية فى الديوان ٢/ ٥٣٨ «فيه».

(٣) فى: ك «وفى جيدها».

(٤) المراد بالدر هنا «الأسنان».

(٥) فى: ب، س «الذى فى عقودها» وهى رواية الديوان (٢/ ٥٣٨) أيضًا.

(٦) فى جميع النسخ «فضح» وهو تحريف. والتصحيح من الديوان: ٢/ ٥٣٨.

(٧) «زينب» اسم ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث وقد صرفه الشاعر لضرورة الوزن.

(٨) فى: ك «آخذ».

(٩) قبل البيت السادس ثمانية أبيات، خلت منها النسخ، انظر ديوان ابن سناء الملك: ٢/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩.

(١٠) فى: ب «ويضمر».

(١١) فى: ر «عينى» تحريف.

(١٢) «أشيبا» كذا فى جميع النسخ، وهو تصحيف صوابه كما فى الديوان: ٢/ ٥٣٩. «أشنبا» والشنب: ماء ورقة يجرى على الثغر، وقيل: رقة وبرد وعذوبة فى الأسنان: وقيل: طيب نكهتها، وقيل البرد والعذوبة فى الفم. اللسان (شنب) ص ٢٣٣٦

(١٣) فى: س «يقبلنى».

(١٤) الربا: مقصور، وهو فى الشرع الزيادة على أصل المال من غير عقد تبايع، وله أحكام كثيرة فى

١١ أساءَتْ بِى(١) الأفلاكُ غارتْ نجومُهَـا ولا نزعتُ عن(٢) ملـبسِ الحزنِ غيهبَا(٣)

١٢ ويا ليتَ شعرِى مَنْ لمنْ أشتكِى لها(٤) أخاطـبُ ثوراً(٥) أم أعاتـبُ عقـرِبًا(٦)

ومنها فى الاعتذار والمدح(٧):

١٣ نأيتُ فيا شوقَاهُ(٨) عن أبيضِ الجدَا(٩) وسـرتُ فيا لهفَاهُ عن أخضرِ الربُا(١٠)

١٤ عن المالكِ الأملاك رأيـًا وحكـمةً وفاضلهـم علمًا وحـلمًا ومنصبًا(١١)

١٥ تجوبُ ملوكُ الأرضِ أقصى بلادِهَـا لبابِ تراهـا فيهِ حسرَى(١٢) ولُـغَّبا(١٣)

---

(١) فى: ك «أساءتنى».

(٢) فى: ك: «من» وهى رواية الديوان أيضًا: ٢/ ٥٣٩.

(٣) الغيهب: شدة سواد الليل. اللسان (غهب) ص ٣٣١١ والمراد هنا شدة الحزن.

(٤) فى: ك «ويا ليت شعرى من ومن اشتكى له».

(٥) الثور: برج من بروج السماء. اللسان (ثور) ص ٥٢٣.

(٦) العقرب: برج من بروج السماء. اللسان (عقرب) ص ٣٠٣٩. وأبيات من (١-١٢) إضطرب ترتيب أشطرها فى النسخة «ر» لمجاء عجز كل بيت منها وبعده صدر البيت الذى يليه. لأن الناسخ جعل صدر البيت الأول مستقلا. وبعد البيت (١٢) بيتان فى الديوان ٢/ ٥٣٩.

(٧) فى: س، ب «ومنها فى المديح والاعتذار» وفى: ص «منها فى الاعتذار والمدح». وعبارة: «فى الأعتذار والمدح» ساقطة من: ك.

(٨) فى: ك «فواشوقاه» وفى: ر «فوا أسفاه» وعلى هذه الأخيرة يستقيم المعنى أيضًا كأنه أراد «نأيت عن أبيض الجدار فوا أسفاه».

(٩) غيث جدًا: لا يعرف أقصاه ويقال للرجل: إن خيره لجدا على الناس. أى عام واسع. لسان العرب (جدا) ص ٥٧٢. والمعنى أنه كثير العطاء بلا منّ.

(١٠) المراد بأخضر الربا هنا: خصب العيش.

(١١) هذا المعنى قريب من قول المتنبى فى مدح سيف الدولة:

ولكن تفوقُ الناس رأيًا وحكـمةً كمَا فقتهُم حالاً ونفسًا ومحتدا [الطويل]

ديوان المتنبى، للبرقوقى ٢/ ١١، التبيان للعكبرى ١/ ٢٨٩

(١٢) «حسرَى» كذا فى جميع النسخ. ورواية ديوان ابن سناء ٢/ ٥٣٩ «خسأى» و«حسرَى» مفرد حاسر وحاسرة وحسير والحسر من لا درع عليهم ولا بيض والحسر والحسور: الإعياء والتعب. اللسان (حسر) ص ٨٦٨، ٨٦٩، ومقاييس اللغة: ٢/ ٦٢ والمراد أن القوى عنده ضعيف، والعزيز أمامه ذليل. وفى اللسان (خسأ) ص ١١٥٥ خسأته فخسأ، أى أبعدته فبعد. انظر فى (خسأ) أيضا مقاييس اللغة ٢/ ١٨٢ والتعبير «بحسرى» أنسب لمعنى البيت.

(١٣) اللغوب: التعب والإعياء. اللسان (لغب) ص ٤٦ ٤.

١٦ رأيتُهـم يأتُـونَ منْـهُ معـظمًا وابصرتُهـم يستأذنُـون المحجبا

١٧ // يطوون بساطًا فيه للشمسِ منصب(١) وإنْ كانَ فيه(٢) للسحائبِ مسحبًا [١١/ب]

١٨ أقمـتُ بهِ بين البشاشـةِ والقِـرَى وإنْ شئتَ قلْ بين المحبـةِ والحِبَا(٣)

١٩ أعانـقُ للآمـالِ قـدًا مهفهَـفًا(٤) والثمُ ثغـرًا للأمانـى أشنبَـا

٢ وأوصلُ رزقًا كـان من قبلِ قد نأى(٥) وانهضُ جَدًا(٦) كان من قبلِ قد كَبَا

٢١ وأشفـعُ حتى لا تُـردَّ شفاعتِـى ولو فىَّ إذ أصبحتُ بالبعدِ مذنبـًا

٢٢ وكم سيقَ من نُعْمَـى إلىَّ ونعـمة(٧) وكم قِيلَ لى أهلاً وسهلاً ومرحبًا(٨)

٢٣ فلا يذكـرنَّ آلَ المهلـبِ(٩) ذاكـرُ فقدْ جاءَ من ينسيهم والمهلَـبَا(١٠)

---

(١) فى: ك «مطلع».

(٢) فى: س، ب «كما أن فيه» وهى رواية الديوان أيضًا (٢/ ٥٤) وفى: ك «على أن فيه».

(٣) الحباء: العطاء بلا منٍّ ولا جزاء. اللسان (حبا) ص ٧٦٦.

(٤) ثوب هفهاف: رقيق شفاف. اللسان (هفهف) ص ٤٦٧٦.

(٥) فى: ك «وأوصل رزقا عنده من قطيعة» وفى: ز «قد نأ» خطأ فى الرسم ورواية الديوان (٢/ ٥٤) «قد نأى».

(٦) الجد: معناها هنا «الحظ والرزق». اللسان (جدد) ص ٥٦٠.

(٧) فى: ك «زبنة» تحريف. والمعنى فى صدر بيته قريب من قول بشار بن برد:

فكم نعمة ألبستُهَا بعـد نعمـةٍ وكم نفحة فى جوده حصلتْ عندى [طويل]

ديوان بشار بن برد، ص ٢٩٠. الإبانة عن سرقات المتنبى ص ١٥١

(٨) هذا المعنى قريب من معنى صدر بيت لجميل بثينة، وهو:

يقولون لى: أهلاً وسهلاً ومرحبًا ولو ظفروا بى ساعـةً قتلونـى [طويل]

ديوان جميل بثينة. تحقيق إميل بديع ص ٢٠٧ شرح الحماسة للمرزوقى ١/ ٣٢٥.

(٩) المهلب بن أبى صفرة (٧-٨٣ هـ)، «وأبو صفرة»: ظالم بن سراق الأزدى العتكى، ويُكنى «المهلب» بأبى سعيد. كان المهلب وابنه «يزيد» من أجواد العرب فى زمن بنى أمية، ومدحهما كثير من الشعراء انظر فى ترجمته: المعارف لابن قتيبه، ص ٣٩٩ - ٤، وفيات الأعيان ٥/ ٣٥٠ - ٣٥٩، الأعلام ٨/ ٢٦٠ - ٢٦١ وفى البيت إشارة إلى قول الأشقرى فى آل المهلب:

فدَى لكم آل المهلـبِ أسرتِـى وما كنت أحوى من سوامٍ وأجمعُ [طويل]

ديوان ابن سناء: ٢/ ٥٤.

(١٠) فى: أ وديوان ابن سناء الملك ٢/ ٥٤٠ «المهلبا» بدون الواو وهى الأنسب للمعنى.

٢٤ فيَا جذلَى إذ كنتُ(١) فى الخلدِ حاضرًا ... ويا أسفى إذ كنتُ(٢) عنهُ مغيَّبَا

٢٥ بسوءِ(٣) اختيارى كان لى عنك مذهبُ ... على أنَّ(٤) قلبى لم يجدْ عنكَ مذهبًا

٢٦ ولولا أبى ما كان لى(٥) عنكَ مرغبُ ... وكيف أرَى عن جنةِ الخلدِ مرغبًا

٢٧ وكم لكَ لولا سوءُ بختِى نعمةٌ ... مننتَ بها لو شئتَ سميتُها أبَا

٢٨ // وبعد أبى كم نعمةٍ منكَ نلتُها ... فألفيتُها أحلَى وأهنَا وأعجبَا(٦)

٢٩ ولو عدتُ بالملكِ العقيمِ(٧) وأنَّنى ... رجعتُ به(٨) ما كنتُ إلا مُخيبًا

٣٠ رجعتُ أعضُّ الراحتينِ وراحتِى ... إذا ضاقَ صدرِى أن أبكى وأندُبَا

٣١ وأطلبُ بَعْدَ البينِ شملاً منظَّمًا ... فأطلبُ بعدَ الصبحِ نجمًا مغرَّبًا(٩)

٣٢ أمولَى الموالِى إنّنى بقصيدتى ... شكوتُ لترثِى(١٠) ما شكوتُ(١١) لتطرَبَا

٣٣ أقلنِى أقلنى تبتُ توبةَ نادمٍ(١٢) ... لترضَى ولمْ أذنبْ بجهلِى لتغضبَا

٣٤ ولِى طمعٌ فى حسنِ رأيكَ صادقٌ ... وما طمعِى فى حسنِ رأيكَ أشعبًا(١٣)

---

(١) «إذ كنت» كذا فى جميع النسخ، ورواية الديوان (٢/ ٥٤): إن كنت».

(٢) فى: ب «إذ صرت».

(٣) فى: ك «السوء» وهى رواية الديوان أيضًا: ٢/ ٥٤.

(٤) فى: ك «وإن كان قلبى».

(٥) «ما كان لى» كذا فى جميع النسخ. والذى فى ديوان ابن سناء الملك: ٢/ ٥٤ «ما كان بى».

(٦) بعد البيت الثامن والعشرين ثلاثة أبيات ليست فى النسخ. انظر ديوان ابن سناء الملك: ٢/ ٥٤٠، ٥٤١.

(٧) يقال: الملك عقيم، لا ينفع فيه نسب والعقم: القطع. ومنه قيل: الملك عقيم لأنه تقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق. اللسان (عقم) ص ٣٠٥١.

(٨) فى ك: بعدت.

(٩) بعد البيت الحادى والثلاثين ثلاثة أبيات خلت منه النسخ. انظر ديوان ابن سناء الملك: ٢/ ٥٤١

(١٠) فى: ر «لطرسى» تحريف.

(١١) فى: س، ب «ما شدوت» وفى: ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٥٤١ «لا شدوت».

(١٢) «نادم» كذا فى جميع النسخ. وفى ديوان ابن سناء الملك (٢/ ٥٤١) «ناصح».

(١٣) أشعب بن جبير. يعرف بابن حميدة المدنى وقيل: ابن عثمان وقيل: مولى عبد الله بن الزبير ولد فى السنة التاسعة من الهجرة، وتوفى فى سنة ١٥٤هـ، به ضرب المثل فى الطمع فقيل أطمع من أشعب. انظر الوافى بالوفيات ٩/ ٢٦٩ ـ ٢٧٤ ترجمة رقم ٤١٩٢، زهر الآداب ١/ ٢٠٣، لسان العرب (شعب) ص ٢٢٧٢ الأمثال العربية ومصادرها ص ٢٢٩

وأنا أذكر أنه كتب فصلاً آخر جوابًا عن هذه القصيدة[١] إلا أننى وقت هذا التدوين[٢] ما وجدته. ومتى وجدته أضفته[٣]

(١) فى: ك «انتهى. ثم ذكرت أن القاضى الفاضل ـ رحمه الله ـ كتب فصلا آخر فى هذه القصيدة».
(٢) فى: ب «إلا أننى وقت التدوين» وفى: س «إلا أننى وقت هذا التدوين».
(٣) فى: ك «ما وجدته ولعلى أجده بعده فاضيفه إليه».

فصل آخر[١] من كتاب إلى أبى[٢] ـ رحمه الله[٣] ـ بخط يده الكريمة[٤]

//ووقفت على الكتاب السعدى ـ أسعده الله ـ [وزاده اقتداراً[٥]] [١٢/ب] وداوت[٦] جراح[٧] خاطرى ما فيه[٨] من الغرائب التى أنشأهن إنشاء فجعلهن أبكاراً[٩]، وعرَّف[١٠] بهن وكان العَرْفُ منهن إنكاراً[١١]، وصافح الأسماع عنها ما لم يخطر على الأذهان، وحسر[١٢] قلمه عن ساعد البيان، فجاء بالنجم مصفوداً[١٣] من الأفق، وجاء الناس بالقول من كَثَبٍ[١٤]،

(١) كلمة «آخر» ساقطة من: ك.

(٢) فى: س، ب «إلى والدى». وفى: ك «من كتاب له إلى أبى».

(٣) فى: ك «رحمهما الله» وفى: أ «رحمه الله تعالى».

(٤) كلمة «الكريمة» ساقطة من: ك.

(٥) ما بين المعقفين زيادة من: ك.

(٦) فى: أ «داويت» وفى: ك «داوى».

(٧) فى: ر «الجراح».

(٨) فى أ، ك «بما فيه».

(٩) تأثر فى هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ (سورة الواقعة ٥٦/ ٣٥، ٣٦) وبكر كل شىء: أوله؛ وكل فعلة لم يتقدمها مثلها: بكر. لسان العرب (بكر) ص ٣٣٣. والمراد أن معانيه بكر لم يسبق إليها

(١٠) عرفه الأمر: أعلمه إياه. اللسان (عرف) ص ٢٨٩٨ وعرفها لهم: طيبها وزينها. اللسان (عرف) ص ٢٩٠ ومقاييس اللغة ٤/ ٢٨١ وفى القرآن الكريم عن الجنة التى أعدها الله للمؤمنين: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ سورة محمد ٤٧/ ٦

(١١) نَكُرَ الأمر صَعُبَ واشتد: اللسان (نكر) ص ٤٥٣٩ والمراد: أن هذه المعانى لا يدركها إلا أصحاب الفهم الثاقب الذين يسبرون أغوارها.

(١٢) (حسر) معناها هنا: «كشف» انظر: اللسان (حسر) ص ٨٦٩ ومقاييس اللغة ٢/ ٦١

(١٣) صفده يصفده صفدا وصفودا وصفده: أوثقه وشده وقيده. اللسان (صفد) ص ٢٤٥٧، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٩٣، ٢٩٤

(١٤) فى: أ، ر «كتب» تصحيف وتحريف. وهذا المعنى مقتبس من قول أبى العلاء المعرى:

إنَّا بعثناك نبغى القولَ من كثَبٍ ... فجئتَ بالنجمِ مصفوداً من الأفقِ [بسيط]

(سقط الزند: ١/ ٤١٢، ٢/ ٦٧٥) والمراد أن الألفاظ والمعانى منقادة له فأتى بما لم يستطعه البلغاء.

ولم ينالوا ما أرادوا بعد الجهد والطلب[١]، ولا ظفروا بهذه العيون بوجه ولا سبب[٢].

وما رأيت[٣] أغرب من[٤] مطلع هذه القصيدة ولا أدل منها[٥] على شطارة طبع، ولا من بيت الكأس المكسورة، ولا أدل منه على صلابة نبع، ولا من بيت الورق الخضر، ولا أدل[٦] منه على رقة طبع[٧] وشدة // نزع، [١٣/أ] ما هو إلا[٨] مالك عنان الفضل فى عصره، وواحد كل دهر ولا أسمح بهذه المنقبة لدهره.

وما تغصصت إلا بغيبة ابن المعتز عن أن يسمع كنا نسمع[٩] فيقطع بفضله كما نقطع، ويكف عن عدواء تشبيهه[١٠] ويغض من غلواء توجيهه[١١] ويوافقه[١٢] على أنه اتكأ[١٣]

(١) فى: ك «فى الطلب».

(٢) فى: ك «من هذه العيون». الوجه، من معانيها: المعنى (لسان العرب «وجه» ص ٤٧٧٥) والسبب: كل شىء. يتوصل به إلى الشىء. (لسان العرب «سبب») ص ١٩١

(٣) فى: س، ب «ولا رأيت».

(٤) «من» ساقطة من: ب.

(٥) فى: س، ب «منه».

(٦) فى: ك «أطل» تحريف.

(٧) كملة «طبع» ساقطه من: ص.

(٨) فى: ك «وما هو إلا».

(٩) فى: ز «أن يسمعك ما نسمع» خطأ فى الرسم.

(١٠) فى: ب، س، ز «من عدواء توجيهه». العُدواء: بُعد الدار. لسان العرب (عدا) ص ٢٨٤٧، وعدواء الشوق: ما برح بصاحبه. اللسان ص ٢٨٤٩ والمراد هنا بلاغة تشبيهه وعمق معناه.

(١١) فى: س، ب «ويغض من غلواء تشبيهه». (غلواء) الغلاء: الارتفاع ومجاوزة القدر فى كل شىء. اللسان (غلا) ص ٣٢٩٠ ومقاييس اللغة ٣٨٨/٤، التوجيه فى الشعر: حركة الحرف قبل الروى المقيد. المعجم الوسيط (وجه) ١٥/٢ ١، والتوجيه فى البلاغة: إيراد الكلام محتملاً لوجهين متضادين الذم والمدح. انظر: البديع فى ضوء أساليب القرآن ص١٠٤ والمعنى الثانى هو المراد هنا.

(١٢) فى: د «ونوافقه» وفى: ك «وتوافق».

(١٣) توكأ على الشىء واتكأ: تحمل واعتمد. اللسان (وكأ) ٤٩٠٤.

واتكل[١] على ذى الرمة[٢] فأخذ[٣] فى طريقه مستأنسًا برفيقه[٤]، فماترك له تشبيهًا إلا نقله وصقله[٥]، واستعمله واستنزله[٦]، وروجه ورندجه[٧] وخرجه وضرجه[٨]، ولو تؤمل شعر[٩] ذى الرمة لخرج منه ما قاله برمته[١٠] وعرف[١١] أنه غال[١٢] غيلان، وأغار[١٣] على بنات فكرته فكان ابن المعتز يخلع من ملك البلاغة خلعه من ملك الخلافة، [ويعطى شهادة على نفسه بالتقصير فى هذه الحلبة[١٤]] فتشتبه[١٥] يوماه، ويرجع[١٦] عن القول بإمامته من

(١) اتكل: يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه. اللسان (وكل) ٤٩٠٩

(٢) (ذو الرمة)، هو: غيلان بن عقبة بن مسعود، وقيل: ابن نهيس ابن مسعود، وقيل: ابن بهيش ويكنى أبا الحارث، ويلقب بذى الرمة، من شعراء الطبقة الثانية فى عصره. ولد سنة ٧٧هـ وتوفى سنة ١٧٧ هـ. انظر ترجمته فى: الشعر والشعراء لابن قتيبه: ١/٥٣١ ـ ٥٤٣، وفيات الأعيان ٤/١١ ترجمة رقم ٥٢٣، البداية والنهاية ٩/٣١٩ ـ ٣٢، معاهد التنصيص ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦٤، الأعلام للزركلى ٥/٣١٩ ـ ٣٢

(٣) كلمة «فأخذ» ساقطة من: ك.

(٤) فى: ك «مستأنسًا بأنس رفيقه».

(٥) قال الحصرى، فى زهر الآداب ١/٢١٩: «وكان أبو العباس عبد الله بن المعتز فى المنصب العالى من الشعر والنثر وكان كما قال ابن المرزبان: إذا انصرف من بديع الشعر إلى رقيق النثر أتى بحلال السحر وليس بعد ذى الرمة أكثر إفتنانًا وأكبر تصرفا وإحسانا فى التشبيه منه».

(٦) فى: ك «واستنزله واستعمله». انزل الشىء: رتبه ووضعه منزله. المعجم الوسيط (نزل) ٢/ ٩١٥

(٧) روجت الأمر فراج يروج روجا: إذا أرجته. اللسان (روج) ص ١٧٦٣ و(اليرندج) صبغ أسود يسود به الخف. اللسان (ردج) ص ١٦٢

(٨) كذا فى: ك. وفى سائر النسخ: «واخرجه وخرجه». وضرجه أنسب للمعنى هنا. لأن تضريج الكلام: تزويقه وتحسينه. اللسان (ضرج) ص ٢٥٧١

(٩) فى: د «تأمل». وفى: ك «ولو تأمل أحد شعر».

(١٠) برمته: أى كله. اللسان (رمم) ص ١٧٣٦

(١١) فى: ك «ظهر».

(١٢) الغيلة: الخديعة والاغتيال. لسان العرب (غيل) ص ٣٣٢٩. والمراد: أغار على تشبيهاته.

(١٣) «واغار» كذا فى: ك، وهو الصواب. وفى: ص، س، ب، د، أ: «فغار» وفى: ر «قفار» تحريف. وغار عليه يغار من الغيرة، والمقصود هنا الإغارة وفعلها: أغار.

(١٤) ما بين المعقفين زيادة من: ك.

(١٥) فى: ك «ويشتبه».

(١٦) فى: ر «فيرجع».

المبايعين والمتابعين قوماه // وكان يصدق شيخ البلاغة(١) إذ يقول: * ولكنه صوب العقول(٢) *

وصاحبنا هذا(٣) صحبته الديم، وصبحته النعم، وسبح بحمده القلم(٤) [وكبر له وهلل فيما رقم أو فيم نثر بمدحه ونظم(٥)] ما استأنس إلا بنفسه، ولارأى مثلها ولا يرى ولا نرى(٦) ولا أخرج إلا من كيس فكره النقود التى تباع بها القلوب وتُشترَى(٧).

---

(١) فى: ب. س «شيخ البديع». وهو أبو تمام، حبيب ابن أوس بن الحارث الطائى، الشاعر الأديب أحد أمراء البيان. تعددت الروايات فى سنة ولادته، فقيل سنة: ١٧٢هـ، ١٨٢، ١٨٨، ١٩٢هـ. توفى سنة: ٢٣١هـ. انظر: الأعلام ٢/ ١٧ ـ ١٧١، ديوان أبى تمام، تحقيق محمد عبده عزام، أخبار أبى تمام للصولى، وكتب التراجم والأدب التى أرخت لهذه الفترة.

(٢) فى: ك «وما فى شعره قد صاب عقل ولكنه صوب العقول». فى: ر «صوب القول» تحريف. والمراد بصوب العقول هنا: عطاؤها وفيضها، من الصوب وهو نزول المطر. انظر: لسان العرب (صوب) ص ٢٥١٨، مقاييس اللغة ٣/ ٣١٧ وهذا جزء بيت لأبى تمام فى صفة الشعر، ونصه فى ديوانه (١/ ١٤) هو:

ولكنه صوبُ العقولِ إذا نَجَلَّـتْ سحائبُ منـهُ أعقـب بسحائبِ [الطويل]

وقبله قوله:

ولو كان يُغنِى الشعرَ أفناهُ ما قرَتْ حياضك منهُ فى العصورِ الذواهبِ

(٣) يعنى ابن سناء الملك.

(٤) «يريد أن شعره يصدر عن عاطفته وعقله، «والقلم هو ترجمان العقل، ومسجل خطرات الفكر» الشعر والشعراء للشكعة ص ٦٥٤ ولعله فى هذا المعنى متأثر بقول أبى تمام فى وصف القلم:

لك القلـمُ الأعلَـى الذى بشباته تصابُ من الأمرِ الكُلَى والمفاصلُ [الطويل]

ديوان أبى تمام ٣/ ١٢٢

(٥) زيادة من: ك.

(٦) فى: أ «ولا راى مثلها ولا نرى». وفى: ك «ولا راى مثلها ولا يرى».

(٧) هذا المعنى قريب من قول المتنبى فى مدح أبى الفضل محمد بن العميد:

بأبى وامـى ناطـقٌ فى لفـظِه ثمنٌ تباعُ بهِ القلـوبُ وتُشتَـرَى [الكامل]

ديوان المتنبى، للبرقوقى ٢/ ٢٧١ ديوان المتنبى للعكبرى ٢/ ١٦٥ وعبارة: «ولا أخرج إلا من كيس فكره .» عكس المثل: «ليس هذا من كيسك». مجمع الأمثال: ٢/ ٢٢٣

وما غلت[١] هذه الدرة بسفرة[٢]، ومع معاودة تأملها فإننى[٣] أعاود وصفها، وأقتبس من نار نضارها، وأحلى عطفها[٤]، وأنفق منها عليها، وأعيد[٥] بضاعتها إليها، فإن حلى الحسناء[٦] فى وجهها [عند تجليها[٧]]، وهو[٨] أوصف لها من واصفيها[٩]

وقد تجاذبت الهمم روايتها؛ فإن فهمها[١٠] رأس مال فى فصل الخطاب[١١] وتناوبت الأقلام نسخها[١٢] فإنها طيارة لا يقيدها إلا الكتاب[١٣]. // [١٤/أ] وهذا فصل لا ينتهى أو يُنْتَهَى عنه[١٤] ولا يبالغ فيه إلا ويلتمس العذر منه.

قلت: هذا الفصل جواب عن قصيدة رائية[١٥]، كان سبب نظمها وإرسالها إليه ـ رحمه الله[١٦] ـ أن كتابه وصل من الشام يذكر تبريزه[١٧] من دمشق عائداً إلى مصر

(١) غلا النبت: ارتفع وعظم. لسان العرب (غلا) ص: ٣٢٩٢.

(٢) سفر، من معانيها: كشف، أضاء وأشرق. اللسان (سفر) ص: ٢٤ ٢، ٢٠٢٥ والمعنى المراد أن قصيدته الرائية الرائعة اكتسبت جمالها من شكلها ومضمونها.

(٣) فى: ب، س، ك «فإنى».

(٤) فى: ر «وأجل عطفها».

(٥) فى: ك «وأرد».

(٦) فى: ك «فحلى الحسناء».

(٧) زيادة من: ك.

(٨) كلمة «هو» ساقطه من: ب.

(٩) فى: ك «وهو واصف لها بل لمحاسن من واصفيها»، وفى: س، ب «من واصفها».

(١٠) فى: ك «ففهمها». بدون «فإن».

(١١) فى: ك «رأس مال الألباب».

(١٢) فى: ك «وتناولت الأقلام فى الطروس كاتبها».

(١٣) فى: ك «طيارة حتى يقع تقييدها فى كتاب». وقد نظر فى هذا المعنى إلى قول رسول الله ﷺ: «ما قيد العلم بمثل الكتابة» وفى رواية أخرى: «قيدوا العلم بالكتاب». سنن الدارمى: ١/١٢٧، مجمع الزوائد: ١/١٥٢ العلل المتناهية: ١/٧٧ ـ ٧٨، الأمثال فى الحديث النبوى، ص: ٤٥٢.

(١٤) فى: ك «وينتهى عنه».

(١٥) فى: ر «هذا الفصل جواب أيضًا عن قصيدتى الرائية».

(١٦) فى: أ «رحمه الله تعالى».

(١٧) عبارة «يذكر تبريزه» ساقطة من: ر وفى: ك «يذكر فيه تبريزه» فى سنة ٥٨٤ هـ رأى صلاح الدين أن يبعث بالقاضى الفاضل إلى مصر ليصلح شؤونها المالية فأرسل القاضى الفاضل إلى ابن سناء الملك ليخبره بحضوره فأعد له هذه القصيدة غير أن ظروف طارئة حالت بين القاضى الفاضل والذهاب فزفها إليه ابن سناء مع خطاب إلى دمشق. (ديوان ابن سناء ٢/١٤٩).

فعملت[١] القصيدة الرائية[٢] المشار إليها[٣]، أهنيه بالقدوم، وأعددتها لأعرضها عليه إذا وصل، ثم قدر الله[٤] تعالى أنه تأخر، فكتبت[٥] له[٦] كتابًا[٧] شرحت له[٨] القصة فى القصيدة[٩] ونفذتها[١٠] إليه. وأنا أورد عيونها وأنبه على الأبيات التى عناها[١١] ونبه عليها.

فمطلعها[١٢] الذى قال فيه: وما رأيت أغرب من مطلعها، ولا أدلَّ منه على شطارة طبع[١٣]، فهو:

١//ألا فانتبه[١٤] من أُفْقِها طلعَ الفجــرُ وحاشاك نم[١٥] من وجهِهَا ضحكَ الثغرُ [١٤/ب][طويل]

٢ هـــوَ الثغرُ إلاَّ أنَّه الصبـحُ طالعًا علـــى أنه الكافـــورُ[١٦] لكنَّـــهُ الدرُّ

٣ إذا ابتسمتْ لمْ تُبقِ[١٧] للشمـسِ آيـةً وتغتاظُ[١٨] منَهَا الشمـسُ إذ يفرحُ البدرُ

(١) فى: ك «فانشات»

(٢) فى: ك «القصيدة المذكورة».

(٣) قوله: «المشار إليها» ساقط من: ك.

(٤) فى: ب «فقدر الله».

(٥) فى: ك «فحررت».

(٦) فى: س، ب «إليه»

(٧) فى: ز «كتا» خطأ فى الرسم الإملائى».

(٨) كلمة «له» ساقطة من: ب، س.

(٩) فى: ز «القصة والقصيدة».

(١٠) فى: ك «أرسلتها» وفى أ «أنفذتها».

(١١) فى: ك «التى نبه عليها وعناها».

(١٢) فى: أ «ومطلعها» والقصيدة فى ديوان ابن سناء الملك ٢/١٤٩ ـ ١٥٢

(١٣) عبارة: «من مطلعها ولا أدل منه على شطارة طبع» ساقطة من: ك.

(١٤) نبهه على الشىء وللشىء: وقفه عليه وأطلعه ، وتنبه على الأمر شعر به، لسان العرب (نبه) ص٤٣٣٢.

(١٥) نامت الريح: سكنت ونام البحر هدأ. اللسان (نوم) ص ٤٥٨٦

(١٦) الكافور: أخلاط تجمع من الطيب طيبة الرائحة والكافور نبات له نور أبيض كنور الأقحوان. اللسان (كفر) ص ٣٩٠١

(١٧) «لم تمح» كذا فى كل النسخ. ورواية ديوان ابن سناء الملك (٢/١٤٩) «لم تبق» وهى الصواب.

(١٨) فى: ب «ويغتاظ».

٤ وما رَضِيتْ سودَ الليالِي ضفائــــرًا عليهــا ولا أنَّ الهــلالَ لهَا ظُفُــرُ(١)

٥ ومحسودة الأنفاسِ مغبوطـةُ اللَّمَى(٢) وحاسدٌ ذى(٣) مسكٍ وغابطُ ذا خـمرُ(٤)

٦ وساحرةٌ صانَــتْ سلافةَ(٥) جفنِهَــا(٦) بكأسٍ بهِ كسرٌ وهذا هـو السـحرُ(٧)

هذا البيت(٨) الذى قال فيه: ولا من بيت الكأس المكسورة ولا أدل منه على صلابة نبع(٩)

٧ يعانــقُ كفيْهَــا الخضــابُ صبابــةً فلا راعَــهُ ما راعنِــى(١٠) وهو الهــجرُ(١١)

٨ وقـد وطئتـه حيـن أصـبحَ عاشقًـا كأنَّ عليهــا وطءَ عـشاقِهَــا نـــذرُ(١٢)

٩ // فلا تنكروا منهَا الخضــابَ فإنمــا هي الغصـــنُ في أطرافِه الورقُ الخضرُ(١٣)

---

(١) (الهلال) من معانيها: غرة القمر والبياض الذى يظهر فى أصول الأظفار وحسن الوجه اللسان (هلل) ص ٤٦٩٠. والظفر: ظفر الإصبع والجمع اظفار. اللسان (ظفر) ص ٢٧٤٩

(٢) اللمى: سمرة الشفتين واللثات يستحسن. اللسان (لما) ص ٤٠٨١.

(٣) فى ديوان ابن سناء ٢/ ١٤٩ «فحاسد ذا».

(٤) فى: ك «ذى خمر» وبعد البيت الخامس بيت فى ديوان ابن سناء: ٢/ ١٤٩

(٥) السلافة من كل شيء خالصه. اللسان (سلف) ص ٦٩ ٢

(٦) فى ديوانه ٢/ ١٤٩ «ثغرها».

(٧) نسب البيت لابن سناء الملك فى «مطلع الفوائد» ص ٣١٣ ونصه فيه:

وساحرةٌ صانتْ سلافةَ لحـظــهَا بكأسٍ به كسرى وهذا هو السحرُ

(٨) فى: أ «وهذا البيت». وفى: ك «هذا البيت هو الذى قال فيه ولا من بيت الكأس المكسورة ثم قال».

(٩) عبارة: «ولا أدل منه على صلابة نبع» ساقطة من: ك.

(١٠) «فلا راعه ما راعنى» كذا فى ب، س، د، ك. وهى أيضًا رواية الديوان ٢/ ١٤٩ وفى: ص، أ، ز: «فلا راعنى ما راعنى».

(١١) قبل البيت السابع بيتان فى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ١٤٩

(١٢) فى: ب، س: «وطى عاشقها». (وطئته) من معانيها: صرعته. لسان العرب (وطأ) ص ٤٨٦٢.

(١٣) فى مطلع الفوائد، ص ٣١٣ نسب البيت لابن سناء الملك وفيه «فى أطرافها» وقبله بيتان هما:

ساحرة صانت سلافــة لحظهــا بكأس به كسرى وهذا هو السـحر

وكم قائل قد قال هل هى روضة فقلت وعقد الدر فى جيدها النهر

وهذا المعنى قريب من قول قيس بن الملوح

تكادُ يدِى تنــدَى إذا ما لمستَهــا وينبتُ فى أطرافِهَا الورقُ الخــضرُ [طويل]

هذا هو البيت[١] الذى قال فيه: ولا من بيت الورق الخضر، ولا أدل منه على رقة طبع وشدة نزع[٢].

١ وكمْ قائلٍ[٣] قدْ قال هل هى روضةٌ فقلتُ وعقدُ الدرِّ فى جيدِهَا النهــرُ[٤]

ومن هذه القصيدة:

١١ عجبتُ لسعــى الدهــرِ بينى وبينهَا فلما انقضى ما كان لم يسكن الدهر[٥]

١٢ هنيئًا لمصــرَ أنَّها حلَّهَـــا النَّــدَى وبُشْرَى لمصــرَ أنَّهاحلَّهَـا[٦] البحــرُ[٧]

منها فى صفة مسيره فى طريقه:

١٣ وجازَ طريقًا يرهَبُ النســرُ قطعَهَــا على أنه نسرُ الكواكــبِ لا النـــسرُ

١٤ ويطلعُ فيها الصبـــحُ والليـــلُ بعدَهُ وفى قلبِ ذا خوفٌ وفى صدرِ ذا ذعرُ

١٥ // تهابُ الرياحُ الهوجُ مسَّ ترابِهَـــا فما نـالَهُ ذلُ السبـاءِ ولا الأسـرُ[١٥/ب]

---

(١) فى: ب، د «هذا البيت» وفى: أ «وهذا البيت».

(٢) عبارة «ولا أدل منه على رقة طبع وشدة نزع» ساقطة من: ك.

(٣) فى ديوانه ٢/ ١٥٠ «وكم سائل».

(٤) نص البيت فى: ك:

وكم قائلٍ باللهِ هل هى روضــةٌ فقلتُ نعم والعقدُ فى جيدِهَا النهرُ

وبعد البيت العاشر بيت فى ديوان ابن سناء: ٢/ ١٥٠ خلت منه النسخ.

(٥) هذا البيت قريب من قول أبى صخر الهذلى (عبد الله بن سلمه السُّهمى):

عجبتُ لسعى الدهرِ بينى وبينَـها فلما انقضَى ما بيْنَنَا سكنَ الدهــرُ

وبهذا النص نُسبَ البيت لأبى صخر، فى: الشعر والشعراء لابن قتيبه ٢/٥٦٨، عيون الأخبار لابن قتيبه ٤/١٣٥، ديوان مجنون ليلى ص: ١٠٣ أمالى القالى: ١/١٤٩، مروج الذهب للمسعودى ٤/ ١٦٠، شرح ديوان الحماسة للتبريزى ٣/١١٩، الأغانى: ٢٤/١٠٨، ١٢٥

وعلى هذه الرواية ـ أيضًا ـ نسب البيت لمجنون ليلى فى ديوانه ص: ١٠٢ وبنصه أيضًا لم ينسب فى جوهر الكنز ص ٥٦. وبعد البيت الحادى عشر خمسة أبيات فى ديوان ابن سناء ٢/ ١٥٠ خلت منها جميع النسخ.

(٦) فى: ك «زارها» وفى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ١٥٠ «جاءها البحر».

(٧) بعد البيت الثانى عشر عشرة أبيات خلت منها النسخ. انظر ديوان ابن سناء ٢/ ١٥٠، ١٥١

١٦ وجارَ وأنفُ الكفرِ فى التربِ راغمٌ وما زالَ فى إيمانه(١) يرغمُ الكفرُ
١٧ يحفُّ به(٢) من خلفه وأمامه مهندةٌ بيضٌ وخطيةٌ سمرُ(٣)
١٨ فتحرسُه من جنده البيضُ والقَنَا ويحرسُهَا منهُ(٤) التلاوةُ والذكرُ(٥)
١٩ جرَى الناسُ فى آثاره فتعثَّرُوا ومن قبلِهم ريحُ الجنائبِ والقطرُ(٦)
٢ وإنْ أشبهوهُ خلقةً لا سجيةً(٧) فلا عجبًا قد يشبُهُ العسجدَ الصفرُ
٢١ أيا نعمةً من بعدِ أن نالنَا الأذَى ويا رحمةً من بعدِ أنْ مسَّنا الضرُّ
٢٢ قدمتَ ربيعًا فى ربيعٍ وفصلُنَا ربيعٌ فجاءَ النهرُ والشهرُ والزهرُ

كان قد اتفق قدومه فى ربيع الآخر والربيع الأول هو النهر الصغير.

٢٣ / /وذا السجعُ سجعٌ ليس فى الشعرِ مثلُه(٨) وهذا جناسٌ ليس يحسنُه الشعرُ(٩) [١٦/أ]

---

(١) «فى إيمانه»: كذا فى: ص، د، ك، أ، ز. وفى: ب، س «من إيمانه» ولعلها الصواب والرواية فى ديوانه: (٢/ ١٥١): «من إيمانه».

(٢) كذا فى جميع النسخ، ورواية الديوان ٢/ ١٥١ «تحف به». وبعد هذا البيت روى بيت فى: ب، س خلت منه بقية النسخ، ونصه:

ولا فرقَ لولا اللونُ بين سلاحهم فآراؤه بيضٌ وراياتُهم صفرُ

(٣) الخطية: الرماح المنسوبة إلى «الخطّ» وهى قرية قديمة ناحية البحرين اشتهرت بصناعة هذه الرماح. (معجم البلدان ٢/ ٣٧٨).

(٤) فى: ز «ويحرسه منها» وفى: ب «وتحرسها منه» وهى الرواية فى ديوانه ٢/ ١٥١

(٥) بعد البيت الثامن عشر ثمانية أبيات خلت منها النسخ، تنظر فى ديوانه: ٢/ ١٥١، ١٥٢

(٦) الجنائب مفردها: جنية، والجنيبة: الدابة تقاد وكل طائع منقاد جنيب. لسان العرب (جنب) ص ٦٩١ القطر: المطر. اللسان (قطر) ص ٣٦٦٩ وبهذا المعنى - أيضًا - مدح الشاعر أباه القاضى الرشيد بقوله:

يسبقُ الخلقَ فى طريقِ المعالى وجرَى كلُّ مَنْ جرَى فتعثر

ديوانه ٢/ ١٤٦

(٧) فى: ك، ز «خلقة لا سماحة» وفى: ب «خليقة».

(٨) فى: ب، س «والديوان ٢/ ١٥٢» وذا السجع سجع ليس فى النثر مثله».

(٩) فى: د « وهذا جناس يحسنه النثر». وعلى رواية الديوان روى البيت منسوبًا لابن سناء الملك فى الوافى بالوفيات ١/ ٢٦٩ وفيه «فذا السجع».

وبعد البيت الثالث والعشرين ستة أبيات خلت منها النسخ، تنظر فى ديوانه: ٢ / ١٥٢

ومن كتاب إلى والدي ـ رحمه الله ـ بخط يده[١]

(وصل الدرج[٢]) والكراريس[٣] السعيدية، والكتاب منه[٤] والقصيدة المقترنة[به[٥]]، والتفضل المشكور منه، والاهتمام المحمود عنه، والمنة[٦] التي هو أولَى بها، والسبق إلى المكرمة التي له قدم صدق في إرثها[٧]

وما أجدر هذه القصيدة أن تكون كأختها في الهناء بالأمر غير الواقع وبالوصول إلى مصر ودونه ما شاءت الأقدار من الموانع[٨]. وبالجملة إن أهل هذه الصناعة وقفوا خلفا ووقف أمامًا، // وأتت السماء بهم دخانا[٩] [١٦/ب] وأتت به غمامًا، وتأخروا وإن تقدموا، وتقدم وإن تأخر، وقصروا وإن سبقوا، وسبق وما قصر. وأنه[١٠] لا يوقف له[١١] على بديعة إلا والتي بعدها أبدع، ولا على واقعة إلا والتي تليها أوقع، وإن محاسنه بالعقول أملك من النجوم بالأفلاك، وأنه لا يمسك خشية الإنفاق[١٢] بل ينفق خشية

(١) في: س، ب «فصل آخر من كتاب . » وفي: ك « . إلى والدي بخط يده ـ رحمهما الله تعالى». وفي: ب « . رحمه الله بخطه». وفي: أ «رحمه الله تعالى».

(٢) الدرج. الذي يكتب فيه. لسان العرب (درج) ص ١٣٥٣ و«هو الورق المستطيل المركب من عدة أوصال متلاصقة. القلقشندي في كتاب صبح الأعشى ص٨٠.

(٣) الكراريس: جمع كراسة، وقيل: سميت بذلك لتكرسها بالعلم. لسان العرب (كرس) ص ٣٨٥٤

(٤) في: ك «والكتاب والقصيدة».

(٥) زيادة من: ك، ب.

(٦) في: س، ب «المدحة».

(٧) في: ك «والسبق إلى المكرمة التي تشهد بالإرث لربها».

(٨) في: ك «من موانع».

(٩) هذا المعنى مستمد من قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ سورة الدخان ٤٤/ ١٠ ودخان مبين أى جدب بين لسان العرب (دخن) ص ١٣٤٤ والمراد أنهم فقراء في هذه الصناعة.

(١٠) كلمة «وأنه» ساقطة من: س.

(١١) كلمة «له» ساقطة من: أ.

(١٢) في: س، ب «ولا يمسك خشية الإملاق» بدون «وأنه». و«الإملاق» الفقر. والمعنى على هذه الرواية أنه لا يمتنع عن الانفاق خشية الفقر. وهذا التعبير اقتباس من قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ﴾ سورة الإسراء ١٧/ ١٠٠

الإمساك، وتبحرتها فغرقت فى بحرها، وتحليت[١] من درها، وناجتنى ببشر وجهه لما جلت[٢] وجه بشرها، وطويتها ونشرتها حتى رققت[٣] لها مما رقت بطيها[٤] ونشرها، وأخذتها لآخذ وصفها عنها، وسألتها أن تقرضنى لها منها، فإذا الصفو يفضح الكدر، والشمس لا تجتمع هى[٥] والخفر[٦]، وما // قدرتها حق قدرها، ولا بلغت بعض ما فى [١٧/أ] نفسى من أمرها.

وما كتبت هذه المكاتبة إلا وأنا بين جماعة كلهم يراجعنى[٧] الأقوال، ويشغل[٨] قلبًا كثير الأشغال، وسمعًا قد[٩] ازدحمت عليه الأحاديث، فهى فيه[١٠] تشكو ضيق المجال. فأما[١١] كراريس المجموع الذى[١٢] تفضلت الحضرة السعيدية بإنفاذها[١٣] فإن[١٤] المجموع أُغتُبط فى سن العشرين من كراريسه. وما كنت أرجو إلا أن يبلغ[١٥] به[١٦] أرذل العمر[١٧]، فإن أرذله أفضله، وأفضله أكمله، ولابد من تتمة يتسع بها ما بين الجلدين، ويباعد بها ما بين

(١) فى: ك «وتحليت بما فى البحر من درها».

(٢) فى: ك «جلت لى».

(٣) «رققت» كذا فى: ك، وهو الصواب. وفى بقية النسخ «رقيت».

(٤) فى: ب، س «لطيها». ورقت لطيها. أشفقت على نفسها. ورقت بطيها: كادت تبلَى.

(٥) كلمة «هى» ساقطة من: ك.

(٦) الخفر: شدة الحياء. لسان العرب (خفر) ص ٩ ١٢ و«الخفر» هى الرواية فى كل النسخ. وأظنها محرفة عن «الخضر» وهو شدة السواد.

(٧) فى: ك «جماعة تراجعنى».

(٨) فى: ك «وتشغل».

(٩) كلمة «قد» ساقطة من: ك.

(١٠) كلمة «فيه» ساقطة من: ك.

(١١) فى: ك «وأما».

(١٢) فى: س، ك «التى».

(١٣) فى: ك «بإنفاذها ومتعت فيها الخواطر والقلوب بملاذها».

(١٤) فى: ك «فإن ذلك».

(١٥) فى: ك «وكنت أرجو أن تبلغ».

(١٦) كلمة «به» ساقطه من: ب، د.

(١٧) أرذل العمر آخره فى حال الكبر والعجز. لسان العرب (رذل) ص ١٦٣٢ وقد نظر فى هذا إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ سورة النحل ١٦/ ٧

الدفتين، وإلا نسب[١] إلى الخفة ميزان المعتدل الرجحان من تفضله، وإلى الضيق // ميدان مألوف السعة من تطوله[٢]. [١٧/ب]

وإن يسر الله الاجتماع أخذت بثأرى المطول[٣] وأشمت[٤] ناظرى فى ذلك الوجه[٥] المقبول وإن وقت مشاهدته لما جاءنى عائداً بدمشق كان مختصرًا، بل كنت فيه محتضراً فلذلك ما وردت الماء من مزنه، ولا قطفت الورد من غصنه، وإنما كان الجمع تحلة قسم من الدهر[٦] القاسط، وغلطة رضا من الزمن الغابط[٧]، فلا عدمت فرع الحضرة الرشيدية وأصلها، ورحم الله نجرها[٨] وأبقَى نجلها فقد أحسنتم[٩] إلىَّ إحسانين: أحدهما راهن فى الدهر الحاضر، والآخر باقٍ على الدهر الغابر، وما يؤمن بالحسنة إلا مؤمن، ولايكفرها إلاكافر. ولقد وددت لو أقدرنى الله على المكافأة من غير ضرورة // ينزلها بساحتكم، [١٨/أ] وأن يسهل الله راحة قلبى بما يجلبه على يدى ولسانى من راحتكم، فو الله إننى ذام لتقصيرى فى حقوقكم، وممسك إمساكًا شبيهًا بالغدر[١٠] وقد شبهه[١١] الظاهر بعقوقكم، ولا تكفى النية دون أن يعنونها فعلها، وهى أهلكم، وأنتم أهلها.

قلت: هذا الفصل جواب عن قصيدة بائية[١٢] كتبتها إليه[١٣] عند وصوله إلى القدس

---

(١) فى: د، أ «الأنسب» وفى: س «ولا نسب».

(٢) فى: ك «ميدان ذلك التبيان من تطوله».

(٣) المطل: الطول. والمطل فى الحق والدين تطويل المدة التى يضربها الغريم للطالب. اللسان (مطل) ص ٤٢٢٦، مقاييس اللغة ٥/ ٣٣١

(٤) فى: ب، س، ك «أسمت». ورواية «أشمت» من شام البرق: نظر إليه فردد نظره ليرى أين يتجه. (لسان العرب «شيم»، ص ٢٣٨٠). ورواية «أسمت» من أسام إليه ببصره نظر وأدام النظر، والمعنى: «أدمت نظرى فى هذا الوجه المقبول» (ترتيب القاموس «سوم» ٢/ ٦٥٢) وبهذا تقترب الروايتان فى المعنى.

(٥) فى: ك «فى ربيع ذلك الوجه».

(٦) فى: ب، س «الزمن».

(٧) فى: ب، س «الدهر» وفى: ك «الحظ الساخط».

(٨) فى: ك «نجارها» النجار: الأصل والحسب. اللسان (نجر) ص ٤٣٥٠

(٩) فى: ك «أحسنتما».

(١٠) فى: ك «شبيها بالغدر».

(١١) «شبَّهه» كذا فى كل النسخ ولعلها محرفة عن «يشهد». وهى الصواب.

(١٢) القصيدة فى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٤٣ ـ ٤٧

(١٣) فى: ك «كتبت إليه بها».

متوجهًا إلى مصر، هنيته[١] فيها بالقدوم، وأشرت فيه إلى القصيدة الرائية المقدم ذكرها، فلهذا قال فى الجواب: وما أجدر هذه القصيدة أن تكون كأختها فى الهناء بالأمر غير الواقع[٢]، والوصول[٣] إلى مصر ودونه ما شاءت الأقدار من الموانع[٤].

وأول هذه[٥] القصيدة البائية التى فيها // الإشارة إلى القصيدة الرائية: [١٨/أ]

١ رأتْ منــكَ رائيتى ما تُحسبُ ... وبُشــرَى لَها أنهَا لمْ تخـــبْ[٦] [المتقارب]

٢ أتيتَ فجليتَ عنَّا الهمـــومَ ... وجئتَ ففرجتَ عنَا الكُــربْ[٧]

منها[٨] وكان النيل قبل قدومه قد نقص نقصًا كثيرًا[٩] فنزع السعر [إلى الغلاء[١٠]]، وغلت الغلة، فلما توجه إلى الديار المصرية عائدًا، زاد النيل، ورخص السعر، فقلت فيها:

٣ بكتْ مصرُ بالنيلِ لما طغَى[١١] ... قديمًا وغرَّق[١٢] أعلَى الكُتُبْ[١٣]

إلى قولى منها فى مدحه[١٤]:

٤ فأنقذنَا اللهُ بعـــدَ الـــردَى ... وسلَّمَنا اللهُ بعــدَ العطـــبْ[١٥]

(١) فى: ك «أهنيه».
(٢) فى: ك «غير الواقع يعنى فى الوصول إلى مصر ونحوه».
(٣) فى: ك، د، أ، ر «إلى الوصول».
(٤) عبارة «ودونه ما شاءت الأقدار من الموانع» ساقطه من: ك.
(٥) كلمة «هذه» ساقطة من: ك.
(٦) بعد البيت الأول اثنا عشر بيتا فى ديوان ابن سناء: ٢/٤٣، ٤٤.
(٧) بعد البيت الثانى بيتان فى ديوان ابن سناء: ٢/٤٤.
(٨) فى: أ، ب «ومنها».
(٩) فى: ك «وكان النيل قبل قدومه قد نقص كثيرًا أيام زيادته».
(١٠) زيادة من: ك يقتضيها السياق.
(١١) فى ديوان ابن سناء الملك ٢/٤٤: «حتى طغى».
(١٢) فى: ك «وأغرق».
(١٣) بعد البيت الثالث خمسة أبيات، خلت منها النسخ، انظرها فى ديوانه: ٢/٤٤.
(١٤) فى: أ «إلى قوله منها فى مدحه».
(١٥) بعد البيت الرابع واحد وعشرون بيتًا فى ديوان ابن سناء: ٢/٤٤ ـ ٤٦.

٥ تغضُّ لديك عيونُ الشمــوسِ وتنحطُّ دونكَ أعلَى الرُتـبْ[١]

٦ // وأصلهُم أنتَ يا فرعَـهُم فلا قَطَع اللهُ أصلَ العـربْ[٢] [١٩/ أ]

وعطفت على هذه القصيدة[٣] كتابًا جاء[٤] من فصوله[٥] فى ذكر هذه القصيدة: ولما علم المملوك بالإياب سارع إلى عمل قصيدة للهناء بالقدوم [جريا على الرسم المعلوم[٦]]، وأملاها عليه لسان الجذل اقتضابًا، وأذن له الفرح وقال صوابًا[٧]، وجعل القافية على باء[٨]، وأراد تسييرها[٩] لتلقَى مولانا فى طريقها[١٠] فوجدها مقيدة[١١]، والمقيد أسير لا يطيق المسير[١٢]، وتأسى[١٣] بها المملوك لأنه يجب عليه أن يسعى إلى أول[١٤] البلاد الشامية؛ ليلقَى[١٥] مولانا فكان هو أيضًا مقيدًا من الإحسان بقيود[١٦] لا يطيق معها إلا القعود[١٧]

(١) بعد البيت الخامس سبعة عشر بيتًا فى ديوان ابن سناء: ٢/ ٤٦ ـ ٤٧.

(٢) هذا المعنى قريب من قول أبى فراس الحمدانى: (ديوانه ص: ٢١):

ينادين بين خلالِ البيوتِ لا يقطعُ اللهُ نسلَ العربِ [المتقارب]

(٣) فى: د «وعطفت على هذا كتابًا».

(٤) كملة: «جاء» ساقطة من: ك.

(٥) فى: ب «عن فصول» تحريف.

(٦) ما بين المعقفين زيادة من: ك.

(٧) فى: ك «وأذن له بها فرحه». وفى هذا إقتباس من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ سورة النبأ ٧٨/ ٣٨.

(٨) فى: ك «وقيد قافيتها» وفى: ب «وجعل قافيتها».

(٩) فى: ب «أن يسيرها» وفى: ك «وسيرها».

(١٠) فى: ص، أ، ر. د «التلتقى» تحريف. وفى: ب «فى طريقه».

(١١) فى: ك «وسيرها إلى المولى لتلقاه عن صاحبها ممهدة ولو نظر فيها يجدها مقيدة» أى ساكنة الروى.

(١٢) فى: ك «المعير» تحريف.

(١٣) فى: ك «فتأسى».

(١٤) كلمة: «أول» ساقطة من: ك.

(١٥) فى: ص، أ، ر، د «التلتقى».

(١٦) فى: ك «الكن من الإحسان بقيود». ولعله تأثر فى هذا بقول المتنبى فى مدح سيف الدولة:

وقيدت نفسى فى ذراك محبة ومن وجد الإحسان قيدًا تقيدا. [طويل]

التبيان فى شرح الديوان: ١/ ٢٩٢

(١٧) فى د: «لا يطيق معها العقود» تحريف.

فلما أبطأ إيابه سيرتها إليه، وكتبت عليها[١] كتابا جاء منه فى ذكرها: كان المملوك سارع // إلى نظم قصيدة للهناء بالقدوم[٢] وأن الباء [١٩/] فتحت له بابها، وسبقت إليه[٣] أصحابها، وجعلها[٤] عنده لئلا يهجم عليه من سرور القدوم ما يبدهه فيشدهه[٥]، ويستريح إلى العى بذلك عنه ويلهيه[٦] [ولا يعجبه ذلك ولا يرضيه[٧]]، فنظمها[٨] والخاطر مطمئن، والقلب يقهقه بعد أن كان يئنُّ. وقال امرؤ القيس[٩]:

تعالوا إلى أن نأتى الصيد نحطُبُ[١٠] *

فقال المملوك:

تعالـوْا إلى أنْ يأتى الغيثَ نبذُرُ[١١] *

---

(١) كذا فى سائر النسخ عدا (ب) وفيها: «معها» ولعله الصواب.

(٢) عبارة: «فلما أبطأ إيابه سيرتها للهناء بالقدوم ساقطة من: ك.

(٣) فى: ب «فتحت لها بابها» وفى: ب، س، «وسبقت له».

(٤) فى: ك «وكان جعلها».

(٥) بدهه أمر يبدهه بدها: فاجأه. لسان العرب (بده) ص: ٢٣٣

شده: شغل وقيل: تحير وقيل: دهش. اللسان (شده) ص ٢٢١٨

(٦) فى: ك «وربما استراح إلى العى فيه». عىَّ بالأمر: عجز عنه ولم يطق إحكامه. اللسان (عيا) ص ٣٢٠١.

(٧) زيادة من: ك.

(٨) فى: ك «فينظمها».

(٩) فى: ك «قال امرؤ القيس». وامرؤ القيس من أشهر شعراء العرب فى الجاهلية، ذكرت المراجع له عدة أسماء منها: حندجا وعديا ومليكه. ومن ألقابه: امرؤ القيس وذو القروح والملك الضليل. ويكنى بأبى وهب وأبى زيد وأبى الحارث. اختلف فى سنة مولده ووفاته ويظن أنه ولد فى أوائل القرن السادس الميلادى، وتوفى بين سنتى: ٥٣٠ و٥٤٠ من الميلاد. ينظر فى ذلك: ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل والأعلام ١/ ٣٥١ ـ ٣٥٢، كتب التراجم والأدب التى تناولت هذه الفترة.

(١٠) فى: ك، أ، ب «يأتى». وفى: أ «يحطب» تصحيف. وهذا عجز بيت لامرىء القيس، ونصه فى ديوانه ص: ٣٨٩:

إذا ما ركبنـا قال ولدان أهلنـا تعالوْا إلى أنْ يأتى الصيدُ نحطُبُ [طويل]

(١١) فى: ص، س، د، ر «تأتى» تصحيف. وفى: ص، س، ك، أ، ر «يبدر» تصحيف. وفى: د «نبدر» تصحيف. والصواب ما أثبته من: ب. ولم أعثر على بقية البيت فى مصادرى.

وأنهى فى تلك الخدمة أنها أراد تسييرها لتلقَى[١] مولانا فكانت[٢] مقيدة، والمقيد لا يطيق السير، ولا فى عصاه سير[٣]، وتجدد بعد ذلك أنها قلقت وتشوفت[٤] لمولانا وتشوقت، وأبت القعود، وسارت فى القيود، وسيرها المملوك غريبة وحيدة // ليرحم مولانا غربتها[٥] ويؤنس بإنعامه[٦] [٢٠/أ] وحدتها، ولا يحل عَقْدَها بل يحل عُقْدَتها[٧]

---

(١) فى: ب، س، أ «لتلتقى» تحريف.

(٢) فى: ب «وإن كانت».

(٣) «ولا فى عصاه سير» مأخوذ من قولهم: «ولا فى العصا سير» وإذا لم يجعل المسافر فى عصاه سيرا سقطت إذا نعس من يده. البيان والتبيين ٣/ ٦٦، ٦٧ وعبارة: «وأنهى فى تلك الخدمة عصاه سير» ساقطه من: ك.

(٤) فى: ب «وتشوقت» تصحيف. تشوفت إلى الشىء أى تطلعت. وتشوفت المرأة: تزينت. لسان العرب (شوف) ص ٢٣٦١.

(٥) فى: ك «ثم لما قلقت وتشوقت أبت القعود وسارت إلى المولى فى قيود وحيدة غريبة ليرحم غربتها».

وهذا المعنى قريب من قول أبى تمام:

غريبةٌ تؤنســُ الآدابَ وحشتُــهَا فما تحلُّ على قومٍ فترتحلُ [بسيط]

أى هى وحشية المعانى فلا يبيِّن غموضها إلا الآداب البارعة والأفهام الثاقبة. ديوان أبى تمام ٣/ ٢٠

(٦) فى: ك «ويؤنس بقبوله».

(٧) العقد: ما عقدت من البناء وعقد البناء بالجص يعقده عقدا: ألزقه. لسان العرب (عقد) ص ٣٠٣١: والمراد أنها محكمة البناء (عقد كلامه): أعوصه وعماه. وكلام معقد أى مغمص. اللسان (عقد) ص: ٣٠٣٢ والمراد هو: يسبر غورها ويظهرها.

فصل آخر[١] فى كتابه إلى الأشرف ولده[٢] بخط ابن زكى الدين[٣] قاضى دمشق[٤]

وتضمن الكتاب السعيدى موشحًا، فارسية خرجته[٥]، عربية لهجته، واضحة فى تعجيز السابقين الأولين[٦] حجته. وقد صح[٧] بهذه الموشحة أنه شيخ الطريقة، والسنائى[٨] على الحقيقة، ولا تزال والله قد لَسَبَتْ[٩] أسماعَنا حُرُّ[١٠] الكلام، وقد أعتقت أيدينا رق

(١) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك.

(٢) فى: س «ولده رحمه الله» وفى: ب «ولده أبقاه الله».

(٣) ابن زكى الدين: محمد بن على بن محمد، المعروف بابن زكى الدين الدمشقى. فقيه خطيب أديب حسن الإنشاء، مكاتبات القاضى الفاضل إليه كثيرة ولد سنة ٥٥٠هـ، توفى بدمشق سنة ٥٨٨هـ. ينظر فى ترجمته: الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٢٥٨/٩، وفيات الأعيان: ٢٢٩/٤ـ٢٣٧، العبر: ١٢٤/٣، الوافى بالوفيات: ١٦٩/٤ـ١٧١، طبقات الشافعية للإسنوى: ٩/٢، صبح الأعشى: ١٨٩/١٢، شذرات الذهب: ٢٣٧/٤، الأعلام: ١٦٨/٧

(٤) فى: ب «حاكم دمشق».

(٥) فى: ك «موشحا بالفارسية» وفى: ب، س «موشحة فارسية».

الخرجة هى القفل الأخير فى الموشح وهى جزء أساسى فى بنائه، وقد حصر الدكتور عبد العزيز عتيق ـ فى كتابه: الأدب العربى فى الأندلس ـ أنواعها فى ثلاثة: خرجة معربة الألفاظ فصيحة، خرجة ملحونة الألفاظ عامية، خرجة أعجمية الألفاظ.

(٦) كلمة: «الأولين» ساقطة من: ك، د. وفى: ك «وحجته أوضح على قيام صاحبه بشعاتر الفضل المبين».

(٧) فى ك «وضح».

(٨) السنائى: هو السنائى الغزنوى: الحكيم أبو المجد مجدود بن آدم السنائى، من أكابر شعراء المتصوفة فى القرن السادس الهجرى، شاعر فارسى مفلق، ولد فى غزنة فى أوائل أو أواسط القرن الخامس الهجرى واتصل بسلاطين الغزنويين وكبار دولتهم ومدحهم. اختلف فى تاريخ وفاته.. ، ويرجح «ذبيح الله صفا» أنه توفى سنة ٥٣٥هـ.

:القصة فى الأدب الفارسى، أمين عبد المجيد بدوى ـ ص ٤٠٥، تاريخ الأدب الفارسى، ترجمة محمد موسى هنداوى، ص ٧٣.

(٩) فى: ب، س «لسب». ولسب «بفتح السين: لدغ، وبكسر السين: «لزق». لسان العرب (لسب) ص ٤٠٢٨.

(١٠) فى: ر «جر تصحيف».

الأقلام، وقد ولينتا الهموم[١] وبسطت علينا مظالم الأوهام حتى يرد منه كتاب فإذا هو سمير الأسى، ننفى[٢] ظلامها بكاسه وننفى سمها بقرطاسه[٣] ويغالط ما يأخذ بالأنفاس منها ما نستطبه ونستطيبه من أنفاسه[٤]

وبالجملة[٥] إن كانت البلاغة دينا فقد ألحد من لا يُوحده، وإن كانت سيفًا[٦] فقد تعرض للجذر[٧] من لا يقلده[٨]، وإن كانت فراشًا[٩] فقد نفى عن ظهر البلاغة من لا يلده[١٠]، وإن كانت كنزًا فقد وجد منها ما يطوف عليه من يمشى فى مناكبها فلا يجده[١١] والله يحسن به الإمتاع، ويسر به الأبصار كما سر ببيانه الأسماع[١٢].

قلت: هذا الفصل جواب[١٣] عن كتاب كتبته إليه[١٤] ـ رحمه الله[١٥] ـ عطفته على

---

(١) عبارة: «وقد وليتنا الهموم» ساقطة من: س.

(٢) فى: ب، س «يظلم ظلامها».

(٣) فى: ب، س «وينفى سمها». وعبارة: ولا تزال والله قد لبست سمها بقرطاسه «نص روايتهما فى: ك «وإن أسماعنا لتلبس بمثل ذلك ديباج الكلام، وأيدينا لتفتق مالها من أرقاء الأقلام، وقد كنا من الأوهام فى هموم، وليلها ينشر من وساوسه ذوات السموم، حتى أقبل كتابه يمحو ذلك الليل بأنوار كاسه، ويرد على السليم بالرقى من آيات قرطاسة».

(٤) عبارة: «ويغالط ما يأخذ بالأنفاس من أنفاسه»، ساقطة من: ك.

(٥) قوله: وبالجملة «ساقط من: ك.

(٦) فى: ك «أو سيفا».

(٧) فى: ك «للبلاء» وفى: ب، س «للجلد» تحريف. وفى: ز «لحذر» تصحيف. جذر الشىء يجذر وجذرا: قطعه واستأصله. اللسان (جذر) ص ٥٧٥ جزر الشىء يجزره: قطعه. اللسان (جزر) ص: ٦١٤

(٨) فى: ك «يتقلده». تقلد الأمر: احتمله والمقلد من معانيها: السابق لسان العرب (قلد) ص ٣٧١٨ والمعنى أن من يفتقر إلى البلاغة يصبح ضيعفا.

(٩) افترش فلان لسانه: تكلم كيف شاء، أى بسطه: اللسان (فرش) ص ٣٣٨٢.

(١٠) الوَلَدُ والوُلْد: ما وُلد أيا كان. اللسان (ولد) ص ٤٩١٤ والمعنى من لا يملك الموهبه وأدوات البلاغة لا يكون بليغا.

(١١) عبارة: «وإن كانت فراشا فلا يجده» ساقطة من: ك.

(١٢) فى: ك «والله يحسن به الإمتاع ويديمه فى رؤيته على العيون، وفى تبيانه على الأسماع».

(١٣) فى: ب «جوابًا» وهو خطأ.

(١٤) فى: ك «حررته إليه».

(١٥) فى: أ «رحمه الله تعالى».

موشح أطرفته به، لأني جعلته[١] خرجته فارسية. وكنتُ لما[٢] أولعت بعمل الموشحات قد نكبت عما يعمله المصريون من استعارتهم[٣] // لخرجات موشحاتهم خرجات موشحات المغاربة فكنت إذا عملت موشحًا[٤] لا أستعير خرجة غيرى بل أبتكرها وأخترعها ولا أرضى باستعارتها، وكنت قد نحوت فيها[٥] نحو المغاربة، وقصدت فيها[٦] ما قصدوه، واخترعت أوزانًا ما وقعوا عليها، ولم يبق شيء عملوه إلا عملته إلا الخرجات الأعجمية فإنها كانت بربرية[٧] فلما اتفق لى أن تعلمت[٨] اللغة الفارسية عملت هذا الموشح وغيره، وجعلت خرجته فارسية بدلا من الخرجة البربرية[٩].

وقوله ـ رحمه الله ـ: هو شيخ الطريقة، والسنائى على الحقيقة إشارة إلى النسائى الشاعر الفارسى، شاعر العجم، وله أشعار فارسية بديعة، وهو فى ذلك الشعر بذلك اللسان شاعر مفلق[١٠]، وطبقته عليا، ويكاد // يكون فى [٢١/ب] العجم كامرىء القيس فى العرب. وَوَرَّى بقوله: السنائى على الحقيقة بنسبى إلى جدى سناء الملك ـ رحمه الله[١١] ـ وهذا من معجز الاتفاق الذى وقع لذلك الخاطر الخطير الخطار[١٢] والموشح[١٣]:

فى خديكَ مَنْ صبرِّ اللا[١٤] ذ ثيـــابَ الياسمـــين

(١) فى: ك «وقد جعلت».

(٢) فى: د «كلما». تحريف.

(٣) فى: س «استعارتهم».

(٤) فى: ك «فإذا عملت موشحا».

(٥) كلمة «فيها» ساقطة من: ك.

(٦) كلمة «فيها» ليست فى: س.

(٧) فى: ك «فإنها كانت فى توشيحاتى بربرية».

(٨) فى: ك «فلما اتفق لى تعلم.

(٩) فى: ص «بدلا من الخرجة الفارسية» تحريف. وفى د «الخرجة الفارسية البربرية» والصواب ما أثبته من النسخ الأخرى.

(١٠) فى: ك «وله أشعار فارسية بديعة غاية وهو فى شعره بلسان الفرس شاعر مفلق».

(١١) فى: أ «رحمه الله تعالى».

(١٢) فى: س، د «الخاطر الخطار». وفى: ك: «الخاطر الخطير».

(١٣) فى: ك «والموشح هو قولى».

(١٤) اللاذ: ثياب حرير تنسج بالصين، واحدته لاذه. لسان العرب (لوذ) ص ٤٠٩٧.

وذْع ذا فيَا حيرةَ الوا | شِ من ذا السحرِ المبين[١]
أهيمُ ولمَ لا أهيمُ | ومالى لا أود
غزالا[٢] وقد قيل ريمُ | وقد قالوا أسد
غرامى عليهِ مقيمُ | ولِى فيه جسد
بمصر وقلبى ببغداً | دَ مع ظبيٍ فى عرين
وكم ماتَ وجداً[٣] وكم عا | شَ فى سمحٍ وطنين[٤]
تغربتُ فيك بمصرى[٥] | مذ أخفاكِ[٦] الرحيل
وما سرتُ[٧] إلا لصدرى | ولكن لا سبيل
للقياكِ إلا بفكرى | على أنى قتيل
بسهمِ[٨] للحظك نفًّا | ذ للبسِ الدارعين
وبأسٍ لحسنك بطًّا | ش بنسكِ الطائعين
فيا طولَ شوقى إليهِ | ويا فرطَ همى عليه[٩]
وماذا يكونُ عليهِ[١٠] | لو أسرَى بى إليه
لأشربَ من مِرشفيْهِ[١١] | وأُسقَى من يديه

(١) «السحر المبين» لم تظهر فى النسخة: ص.
(٢) فى. ب، س «هلالا». وهى الرواية فى دار الطراز، ص ١٨١
(٣) فى: ك «صب».
(٤) «وضنين» كذا فى كل النسخ. والصواب ما أثبته من دار الطراز فى فن الموشحات، ص: ١٨١
(٥) فى: أ «تغربت فيك صبرى» تحريف.
(٦) فى: ب، س «أجفاك».
(٧) فى: ب، س «صرت».
(٨) كلمة «بسهم» ليست فى: ص.
(٩) فى: ص، س، ب، د، أ، ر «وياهمى» والصواب ما أثبته من: ك. لصحة المعنى والوزن.
(١٠) فى: ك «وماذا يكون لديه».
(١١) فى: ك «لأنهل من مرشفيه».

سلافًا من الدّنِ كـم عـا ... ذَ بهـا القلـبُ الحزيـن
فى طاسٍ من التبر كم طا[١] ... ش بها العقـلُ الرصيـن
أحـومُ لأنّى محـرومٌ ... ومثلـى مَـنْ يحُـوم
وحسـنُ حبيـبى مرحـومُ ... ولِـى قلـبٌ رحُـوم[٢]
والله إنّـى مظلـومٌ ... ومحبوبـى ظلُـوم[٣]
سميعُ ظلمِـى بنو شـا[٤] ... ذ ملـوكُ العامليـن
أما بأسهمِ هـزرِ أعـرا ... شُ ديـارِ الظالميـن
وخَوْدٍ[٥] كما شئتَ طفلـة ... كغصـنِ مـا
// أردتَ أن تكونَ خُلّـةْ ... لظبـى كانـس[٦]
فلما جئتَ منهُ قبلـةْ ... شـدَتْ بالفارسـى[٧]
دانستى كى بوسـه بمن داذ ... دهـا انكستريـن
أو أزكواى دست مـن باش ... ببوسنـه مـم شييـن[٨]

---

(١) فى: د «فى طاس من التبرطاش».

(٢) فى: ك «قلب وجوم» تحريف.

(٣) فى: ب «ومجنونى ظلوم» تصحيف.

(٤) وبنوشاذ: ملوك بنى أيوب.

(٥) الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة وقيل: الجارية الناعمة والجمع خودات وخود. لسان العرب (خود) ص ١٢٨٤

(٦) الكانس: الظبى يدخل فى كناسه وهو موضع فى الشجر يكتن فيه ويستتر. اللسان (كنس) ص ٣٩٣٨.

(٧) معنى هذه الخرجة:

أتعرف من أعطانى القبلة؟ ... مازلت أتذكره
وهذا الذى أنعـم علـىَّ ... بالقبلة أحترمه

دار الطراز فى عمل الموشحات لابن سناء الملك ص: ١٨٣ هامش ١

(٨) قوله ك: «مم شيين» ساقط من: ص.

ومن كتاب إلى أبي - رحمه الله[١] -
بخط يده[٢]

وأما كتاب القاضي السعيد فقد وقفت عليه قبل كل كتاب وصل في هذه النوبة، ارتياحًا إلى ما يصدر منه[٣]، وعلما بفضل ما يؤثر عنه. وما رأيت أحسن من نظمه إلا نثره، ومن نثره إلا نظمه[٤]، ولا من آخره إلا أوله[٥] [ولامن أوله إلا آخره[٦]]، ولا نظرت ولا سمعت فيه إلا بعين الهوى وإلا بأذنه[٧]، ولا قلت إلا ما استمده خاطر الإنصاف وقلمه من حسن لا خلاف // في حسنه، [٢٣/أ] ولا قلت هذه الغاية إلا ويعلمني أنها[٨] البداية، ولا قلت[٩]: هذا البيت آية القصيد[١٠] إلا تلا ما بعده: «وما نريهم من آية»[١١]، «أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون»[١٢]. ولا عيب في هذه[١٣] المحاسن إلا قصور الأفهام، وتقصير الأنام[١٤]، وإلا فقد لهجوا[١٥] بما تحتها[١٦] ودونوا ما دونها، وشغلوا التصانيف

---

(١) في: أ «رحمه الله تعالى» وفي: ب «رحمه الله عليه».

(٢) عبارة: «بخط يده» ساقطة من: ب.

(٣) في :ب «ارتياحا لما يصل منه» وكلمة: «منه ساقطة من: ر.

(٤) في: أ، ك «ولا من نثره إلا نظمه».

(٥) في: ر «ومن آخره إلا أوله».

(٦) زيادة من: ب، ك. ونص الرواية في: ب «ولا من أوله إلا آخره، ولا من آخره إلا أوله».

(٧) في: أ «ولا نظرت إلا بعين الهوى، ولا سمعت فيه إلا بأذنه».

(٨) في: ب «أنه» تحريف.

(٩) في: ب، س «ولا أقول».

(١٠) في: ك «هذه آية بيت القصيد».

(١١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ الزخرف ٤٣/٤٨.

(١٢) اقتباس من سورة الطور: ٥٢/١٥

(١٣) في: س، ب «ولا عيب لهذه».

(١٤) في: ك «وتقصير البارع من الأنام». وفي: ب «تقصير الأوهام» تحريف.

(١٥) في: ص، س، ب، د، ر «لهج» وهو تحريف، وما أثبته هو الصواب كما في: أ، ك.

(١٦) في: ك «بما دونها».

يقاربها، وسارت الأشعار وطارت(١) بما لا يبلغ مدها(٢) ولا نصيفها(٣).

والقصيدة فائقة فى حسنها، بديعة فى فنها، وقد ذلت السين فيها وانقادت فلو أنها الراء لما زادت(٤)، وبيت يُعزل ويُكنس أردت أن أكنسه من القصيدة(٥) فإن لفظةَ الكنس غير لائقة بمكانها أصلاً(٦).

قلت: هذا الفصل جواب عن القصيدة // السينية التى تقدم [٢٣/ ب] ذكرها(٧) والبيت الذى ذكر(٨) أنه أراد أن يكنسه منها هو فى الغزل وهو(٩):

صِلِينى وهذا الحسنُ باقٍ فربما ... يُعزَلُ بيتُ الوجهِ منهُ ويُكنَسُ(١٠)

---

(١) فى: ب «امتدت الأشعار وطالت» وفى س «بما لا يقاربها ولا وطالت» هكذا كتبت العبارة فى: س.

(٢) المد: ضرب من المكاييل، وهو ربع صاع والمد: رطل وثلث عند أهل الحجاز والشافعى، ورطلان عند أهل العراق وأبى حنيفة. لسان العرب (مدد) ص ٤١٥٨، ٤١٥٩ والمراد هنا بما لا يبلغ أقلها.

(٣) النصيف: نصف الشىء، المعجم الوسيط «نصف» ٢/ ٩٢٧ وقوله: «لا يبلغ مدها ولا نصيفها» اقتباس من قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه» مختصر صحيح البخارى ٢/ ٣٤٢. والرواية فى: ك «وإلا فقد لهجوا بما دونها، وأبدت فيه الخواطر والتصانيف فنونها، وطارت الأشعار بما لا يبلغ مُدَّها ولا نصيفها، وسجدت الأقلام إلى ما زينت به كلماته حروفها، والقصيدة فائقة...».

(٤) فى: ك: «ولو أنها الراء من الحروف ما زادت». والراء من أحلى حروف الروى، وأكثرها دورانا على الألسنة لسيولة مخرجها وكثرة أصولها فى الكلام لذلك فهى من القوافى الذلل وليس من القوافى النفر: (عناصر الإبداع الفنى فى رائية أبى فراس، محمد عارف - ص: ٢ (بتصرف).

(٥) فى: ك «وبيت يعزل منها ويكنس أردت أن أكنسه فعلا فإن لفظة الكنس...».

(٦) فى: ص، س، ب، د، أ، ر «قبلا» وهو تحريف، والصواب ما أثبته من: ك وهو «أصلاً».

(٧) فى: ك المقدم ذكرها.

(٨) فى: ك «الذى قال».

(٩) فى: ك «هو قولى فى غُزلها شعر».

(١٠) كذا فى كل النسخ، وهو روايته فى ديوانه أيضًا: ٢/ ١٧٣ ونسب البيت لابن سناء فى: صبح الأعشى: ٢/ ٢٧٠ وفيه «بيت الحسن» بدلا من «بيت الوجه». وعلى هذه الرواية فى: ثمرات الأوراق، ص ٢٩، والغيث ٢/ ٣٣، ٤٢١. وهذا المعنى قريب من قول المتنبى:

زودينا من حسن وجهك مادا ... م فحسن الوجوه حال يحول [الرمل]

وصلينا نصلك فى هذه الدنـ ... يا فإن المقام فيها قليل

ديوان المتنبى للبرقوقى ٣/ ٢٦٨ والتبيان فى شرح الديوان: ٣/ ١٤٩، والغيث ٢/ ٣٣.

فلما وقفت على ما قاله كتبت إليه كتابًا، وأجبته عما قاله عن هذا البيت بما نسخته[١]: وعلم المملوك ما نبهه عليه مولانا من البيت الذى أراد أن يكنسه من القصيدة، وهو صلينى . . ، وقد كان المملوك مشغوفًا بهذا البيت، مستحليًا له، متعجبًا منه [معجبًا به[٢]]، معتقدًا أنه قد ملح فيه، وأن قافيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه[٣]، وما أوقعه فى الكنس[٤] إلا ابن المعتز فى قوله فإنه قال فى قصيدته المشهورة[٥]:

// وقوامى مثل القناةِ من الخط ... طِ وخدِّى من لحيتى مكنوسُ[٦] [كامل] ٢٤/ أ

والمولى[٧] يعلم أن المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويتعثر، ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر[٨] وما آمن[٩] المملوك به سدًى، ولا آنس ناره إلا لما وجد عندها هدًى[١٠]، ولا مال[١١] المملوك[١٢] إلا إلى طريق من ميله إليه طبعه ولا سار قلبه إلا إلى من دلَّهُ عليه سمعه[١٣] ورأى المملوك أبا عبادة قد قال: *

(١) فى: ك «كتبت إليه أجيبه عن ذلك بما صورته».

(٢) زيادة من: ك.

(٣) فى: ك «معتمدًا أن قافيته أميرة قوافى ذلك الشعر وأنه ملح فيه».

(٤) فى: ك «فى ذلك الكنس».

(٥) فى: ك «فى قوله من قصيدته المشهورة» وفى: د «فى قوله فى قصيدته».

(٦) كذا فى كل النسخ، وهى الرواية فى ديوان الأمير أبى العباس بن المعتز: ٢/ ٢٧٣، وديوان ابن المعتز: طبعة بيروت، ص ٢٧٢ وفيه «وفؤادى»، وثمرات الأوراق ص ٣٠ والغيث: ٢/ ٤٢٢ وصبح الأعشى ٢/ ٢٧٠

(٧) المولى: المنعم والمنعم عليه، وهو من المشترك اللغوى. فقه اللغة، للثعالبى تحقيق د. جمال طلبه ص ٣٤٢.

(٨) فى: ك «أو تتعذر».

(٩) فى: ك «ولكن ما آمن».

(١٠) فى: ك «وجد عليها». وهذا تلميح إلى قصة موسى ـ عليه السلام ـ حين قال لأهله: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ سورة طه ٢٠/ ١٠

(١١) فى: ب «وما مال».

(١٢) كلمة «المملوك» ساقطة من: ك.

(١٣) فى: ك ولا سار قلبه حتى قام إليه بوظائف الدليل سمعه».

البيتان من قصيدة لأبى عبادة البحترى فى مدح الفتح بن خاقان. (ديوانه ١/ ١٩١).

ويا عاذلي[١] في عبرةٍ[٢] قد سفحتُهَا لبَيْنٍ وأخرَى قبلهـــا للتجنـــب[٣] [طويل]
تحاول مني شيمـــــةً غير شيمتـــي وتطلبُ مني[٤] مذهبًا غير مذهبي

وقد قال:

ومـــا زارني إلا ولهتُ صبابـــةً إليه[٥]، وإلا قلتُ: أهلاً ومرحبًا[٦] [طويل]

فعلم[٧] المملوك أن هذه طريق[٨] لا تُسلك، وعقيلةٌ لا تُملَك، وغايةٌ لا تُدرَك، ووجد أبا تمام قد قال: خشُنَتْ عليهِ أختَ بـنِي خُشَيْـنِ[٩] [الوافر]

وقد قال: * سلِّم على الربعِ من سلمى بذى سلَمِ[١٠] [البسيط]

(١) «ويا عاذلي» أجمعت النسخ على هذه الرواية، والرواية في ديوان البحتري للصيرفي ١/ ١٩١ «ويا لائمي» وفي جوهر الكنز ص ٢٩٩ «فيا لا ئمي».

(٢) في: ب، س «في دمعة».

(٣) في: ب «التجنب» وهي الرواية في ديوانه: ١/ ١٩١

(٤) «وتطلب مني» أجمعت النسخ على هذه الرواية، والرواية في ديوان البحتري ١/ ١٩١ «وتطلب عندي». وبنص رواية النسخ نسب البيتان للبحتري في: ثمرات الأوراق ص ٣٠ والغيث: ٢/ ٤٢٢ وصبح الأعشى: ٢/ ٢٧٠ وقد أُعجِب ابن سناء بالبيتين لما فيهما من عذوبة الألفاظ وسهولة السبك وقوة التأثير في النفس.

(٥) في: ب «صبابة عليه» وكلمة: «إليه» ساقطة من: أ.

(٦) البيت كله سقط من: ك. والبيت بنصه للبحتري في ديوانه ١/ ١٩٦ والغيث ٢/ ٤٤٢ وثمرات الأوراق ص ٣٠ وصبح الأعشى ٢/ ٢٧١

(٧) في: ك «وقد علم.

(٨) «هذه طريق» أجمعت النسخ على هذه الرواية وفي الغيث: ٢/ ٤٢٢ وثمرات الأوراق ص ٣٠ «هذه طريقة».

(٩) هذا صدر بيت من قصيدة لأبي تمام يمدح بها إسحاق بن إبراهيم، وعجزه.

* وأنجح فيك قول العاذلـــين *

والبيت بنصه في: ديوان أبي تمام ٣/ ٢٩٧ وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٨٥ والموازنة بين الطائيين للآمدي ١/ ٢٨٦ والموشح للمرزباني ص ٢٧٥ والصناعتين لأبي هلال العكسري ص ٣٦٨ وإعجاز القرآن للباقلاني ص ١١ والغيث ٢/ ٤٢٢ وثمرات الأوراق ص ٣٠.

(١٠) هذا صدر بيت من قصيدة لأبي تمام في مدح مالك بن طوق التغلبي، وعجزه:

* عليه وسم من الأيام والقدم *

ديوان أبي تمام: ٣/ ١٨٤ والموازنة للآمدي: ١/ ٤٤١، ٥١٩ والغيث: ٢/ ٤٢٢ وصبح الأعشى ٢/ ٢٧١ وثمرات الأوراق ص ٣٠.

فاشمأز من هذا النمط طبعه[١]، واقشعر منه فهمه[٢]، وكان سمعه يتجرعه ولا يكاد يسيغه[٣] ووجد هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز قد قال[٤]:

وقفتُ بالروضِ[٥] أبكى فقدَ مشبهه حتى بكَتْ بدموعى أعين الزهر[٦] [البسيط]

لو لم أعرهَا دموعَ العينِ تسفحــها لرحمتى لاستعارتها من المطـــر[٧]

وقد قال[٨]:

قدُّكَ غصنٌ لا شـــك فيهِ كمـــا وجهُكَ شمسٌ نهارُهُ[٩] جسدك[١٠] [المنسرح]

---

(١) فى: ك «فاشمأز من العبد بهذا النمط طبعه» والنمط المشار إليه من خلال بيتى أبى تمام هو تكلف أبى تمام فى التجنيس القبيح.

(٢) فى: ك «واقشعر فهمه».

(٣) فى: ك «ونبا عنه سمعه، وكان الذوق يتجرعه ولايكاد يسيغه، وولغ الخواطر فيه ليس إلا فى البلايا ولوغه». وقوله: «وكان سمعه يتجرعه ولا يكاد يسيغه» اقتباس من قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ سورة إبراهيم ١٤/١٧

(٤) فى: ب «ووجد المبدع» وفى ك «ولا يكاد يسيغه، وهذا عبد الله بن المعتز يقول» وكلمة «السيد» ساقطة من ك، س.

(٥) فى: ك «وقفتُ فى الروض» وفى: ب «وقفت بالربع» تحريف.

(٦) البيت بنصه فى: ديوان الأمير أبى العباس بن المعتز ١/٢٥٧، وديوان ابن المعتز، طبعة بيروت ص ١٩٥، والغيث: ٢/٤٢٢ ن وصبح الأعشى: ٢/٢٧١ وثمرات الأوراق ص ٣٠.

(٧) فى: ب، س:

لو لم تعرها دموع العين تسفــحه لرحمتى لاستعارته من المطــــر

ونص روايته فى: ديوان ابن المعتز ١/٢٥٧، ودار الطراز ص ١٠:

لو لم تعرها جفونى الدمع تسفحه لرحمتى لاستعارته من المطــــر

وعلى رواية: ص، د، ك، أ، ز، روى البيت لابن المعتز فى:

الغيث: ٢/٤٢٢ وصبح الأعشى: ٢/٢٧١ وثمرات الأوراق ص ٣٠.

(٨) فى: ك «وقد قال أيضًا».

(٩) الذى فى ديوان الأمير أبى العباس بن للعتز ١/٣٤٦ وديوان ابن المعتز طبعة بيروت، ص ١٦٩ «نهارها».

(١٠) وعلى هذه الرواية ـ أيضًا ـ نسب البيت لابن المعتز فى: الغيث: ٢/٤٢٢ وصبح الأعشى: ٢/٢٧١ وثمرات الأوراق، ص: ٣١.

// فوجد المملوك طبعه إلى هذا النمط[١] مائلا، وخاطره فى[٢] بعض [٢٥/أ] الأحيان عليه سائلاً، فنسج على ذلك[٣] الأسلوب وغلب خاطره عليه[٤] مع علمه أنه المغلوب، (حبك الشيء يعمي ويصم[٥])، فقد أعماه حبه له وأصمه إلى أن نظم تلك اللفظة فى تلك الأبيات تقليداً لابن المعتز[٦]، قالها[٧]، وحمل أثقالها، وهى تغتفر[٨] لذلك فى جنب إحسانه فأما المملوك فهى عورة ظهرت من لسانه[٩]

ومن مختار السينية فى مدح الملك الناصر ـ رحمه الله ـ [١٠]:

١ ـ إذا قِيل بيتٌ قدْ توشَّحَ باسمِهِ الـ ـعظيمِ فذاك البيتُ بيتٌ مقدس[١١] [طويل]

---

(١) كلمة «هذا» ساقطة من: د وكلمة: «النمط» ساقطة من: ز. المراد بهذا النمط ـ هنا مذهب ابن المعتز فى البديع، فقد «مال ابن المعتز إلى الزخرف الحسى كما مال زميله البحترى»، وحاد عن الزخرف العقلى الذى استبد بأبى تمام وطغى على بديعه». (الصبغ البديعى فى اللغة العربية، ص ١٠٨

(٢) كلمة «فى» ساقطة من: ك.

(٣) فى: س «على هذا».

(٤) فى: ك «وغلب ميله إليه مع علمه».

(٥) قيل: حديث مرفوع إلى النبى ـ عليه السلام ـ ينظر: مسند أحمد ٥/ ١٩٤، ٦/ ٤٥٠، سنن أبى داود فى باب الأدب ٢/ ٦٢٧، مصابيح السنة ٣/ ٣٤٥، ٣٤٦ حديث رقم ٣٨١٦، الأمثال فى الحديث النبوى، ص ٣٣٦ وهو مثل يضرب فى ذم الهوى، ينظر فيه: الحيوان للجاحظ ٣/ ٤٤٨، رسائل الجاحظ ٢/ ١٦٧ ، عيون الأخبار ٣/ ٧٦، العقد الفريد ٣/ ٤٦، الأغانى ١/ ٢٣٨، جمهرة الأمثال ١/ ٢٨٨، مجمع الأمثال ١/ ٢٥٧.

(٦) عبارة: «فقد أعماه ... لابن المعتز» روايتها فى: ك «فقد وقع العبد فى ذلك وزاد عليه بما يصم حين نظم تلك الكلمة فى الكلمات من تلك الأبيات تقليداً لابن المعتز».

(٧) فى: ك «الذى قالها».

(٨) هذه رواية كل النسخ والذى فى الغيث ٢/ ٤٢٣، وثمرات الأوراق ص ٣١ «تغفر» وكلاهما صواب.

(٩) فى: ك «.. فى جنب إحسانه، ويكون بذلك تعديل ميزانه، وإن ظهرت بها على المملوك عورة من عورات لسانه».

(١٠) فى: ك «ومن مختار تلك القصيدة فى مدائحها» وفى: ب، س «ومن مختار السينية فى المدح منها فى مدح الملك الناصر» وجملة «رحمه الله» ليست فى: س.

(١١) قبل هذا البيت [إذا قيل بيت] أربعة أبيات، ليست فى كل النسخ، انظرها فى ديوانه: ٢/ ١٧٣ ـ وبعد هذا البيت ـ أيضًا ـ تسعة أبيات خلت منها كل النسخ أنظرها فى ديوانه ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٤

٢ لهُ جَحفـلٌ(١) جـرٌّ القَنا فتعثـرتْ قَنا الخطُّ(٢) إلا أنها ليس تنعـسُ(٣)

٣ وكلٌّ حصـانٍ بالحديـدِ ملثـمٌ عليه كميٌّ(٤) بالحديـدِ مقلنـسُ(٥)

٤ // تزاحمتْ الأبطـالُ فيه فخرَّقـتْ ثيابًا(٦) لَها من عهـدِ داود(٧) تُلبسُ [٢٥/ب]

٥ وأظلمَ فيهَا(٨) النقعُ واشتكتْ الظبيُ(٩) فأصبحَ فيها(١٠) الموتُ لا يتَنفـسُ

(١) الجحفل: الجيش الكثير، ولا يكون ذلك حتى يكون فيه خيل. لسان العرب (جحفل) ص ٥٥٢.

(٢) فى: س «المتعثرت به الخط» و«الخط: قرية بالبحرين القديمة ينسب إليها الرماح الخطية. اللسان (خطط) ص ١١٩٩

(٣) فى: س «إلا أنه ليس تبعس» تحريف. وفى: ب، د: ك «تتعس» تحريف وما أثبته من: ص، أ، ز هو الصواب، ورواية الديوان: ٢/ ١٧٤ «تنفس» نفس جسمه ونعس رأيه: لان وضعف. المعجم الوسيط (نعس) ٢/ ٩٣٤

تنفست القوس: تصدعت. اللسان (نفس) ص ٤٥٩٤ وكلتا الروايتين صواب. والمعنى: أن الجيش كثير العدد والعدد يسد مهب الريح من كل وجهة يزحف جارا أسلحته، ولجودتها لم تلن ولم تتصدع.

(٤) الكمى: الشجاع المتكمى فى سلاحه، لأنه كمى نفسه، أى سترها بالدروع والبيضة والجمع الكماة اللسان (كمى) ص ٣٩٣٤، مقاييس اللغة: ٥/ ١٣٧

(٥) قلنس الشيء: غطاه وستره اللسان (قلنس) ص ٣٧٣٠.

(٦) فى جميع النسخ «ثيابا» على بناء الفعل (خرقت) للمعلوم وفى الديوان ٢/ ١٧٤ «ثياب» على بناء الفعل للمجهول.

والمقصود بالثياب هنا الدروع، وكان داود - عليه السلام - يصنعها، فقد علمه ربه كيف يصهر الحديد ويلينه، ويصنع منه دروعا. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا فى قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ سورة سبأ: ٣٤/ ١١

(٧) «داود» من أنبياء الله، آتاه الله الملك والنبوة، وأنزل عليه الزبور، وهو عبارة عن مجموعة من القصائد والأناشيد تتضمن تسبيح الله تعالى، وتمجيده، والثناء عليه، وكان داود - عليه السلام - يلحنها ويرددها بصوته الجميل أو بمزماره، وكانت الجبال والطيور تردد تسابيحه التى عرفت بالمزامير، وقد علمه ربه كيف يصهر الحديد ويلينه، ويصنع منه دروعا يلبسها وقت الحرب». (معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص ١٧٩، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٥ - ٤٦).

(٨) فى: ك «وأظلم فيه».

(٩) الظبة: حد السيف والسنان والنصل وما أشبه ذلك. لسان العرب (ظبا) ص ٢٧٤٣

(١٠) فى: ك «وأصبح فيه.

٦ ومن خوفهِ الشمسُ المنيرةُ فى الضُّحَى ... تموتُ وفى نقعِ الحوافرِ ترمسُ(١)

٧ غدا(٢) المرانُ(٣) يحمل بينهم ... ولكنَّهُ بين الجوانحِ يُغرَسُ

٨ ترَى بِيضَهم(٤) بعد اللقاءِ كأنَّما ... أحاطَ به(٥) من أسهمِ القسِّ(٦) قُندسُ(٧)

٩ خيولُهم أمَّا على كلِّ قلعةٍ ... فتطفُوا وأمَّا فى الدماءِ فتُغمَسُ

١٠ أمرتَهم أنْ يُنذِرُوا قبلَ حربِهم ... ولمْ ترضَ أنَّ الجيشَ فى السرِّ يكبِسُ

١١ وأغناكَ عن كيدِ الأعادِى احتقارُهَا ... فما لكَ فيهم مخبرٌ(٨) يتجسسُ

١٢ لأعدائِكَ الويلُ الطويلُ أما دَرُوا ... بأنَّكَ شمسٌ نورُهَا ليسَ يُطمَسُ

١٣ وقد ضلَّ مَنْ مسَّ الشعاعَ بكفِّهِ ... إذا ظن أنَّ الكفَّ للشمسِ تلمِسُ

١٤ تشارِكُكَ الأملاكُ فى الاسمِ وحدَهُ ... ولمْ يَشرِكُوا لما زكَا(٩) لكَ مغرِسُ(١٠)

١٥ // يقولُونَ ما لا يفعلُون(١١) أما استحُوا ... ومَنْ يلقَ ما يلقُونَه كيفَ ينبِسُ(١٢) [٢٦/أ]

---

(١) رمس الشيء: طمس أثره. اللسان (رمس) ص ١٧٢٨

(٢) فى: ك «ترى».

(٣) المران: الرماح الصلبة اللدنة واحدتها مرانة. اللسان (مرن) ص ٤١٨٦.

(٤) البيضة واحدة البيض من الحديد وهى الخوذة. اللسان (بيض) ص ٣٩٨.

(٥) فى ديوان ابن سناء: «٢/ ١٥٧» أحاط بهم» وفى مطلع الفوائد ص ٢٧٥ (أحاط بها).

(٦) فى جميع النسخ «القسى» وهو تحريف يخل بالوزن والصواب ما أثبته من الديوان: ٢/ ١٧٥ وفى مطلع الفوائد ص ٢٧٥ «القوم». والقس: رئيس من رؤساء النصارى فى الدين والعلم. اللسان (قسس) ص ٣٦٥٢.

(٧) قندس: فى هامش الديوان ٢/ ١٧٥ «القندس خشبة للبنائين يستعملونها فى بناء القناطر». ولعل المعنى فى البيت: أن عناية الله كانت تحوطهم وترعاهم فلم ينلهم أذى من عدوهم. وهذا البيت [ترى بيضهم] سقط من: ك.

(٨) فى: ك «فما لك فيهم جائل».

(٩) زكا الرجل يزكو زكوا: تنعم فى خصب. اللسان (زكا) ص ١٨٥٠

(١٠) بعد هذا البيت [تشاركك] بيت ليس فى النسخ انظره فى ديوانه ٢/ ١٧٥

(١١) نظر فى المعنى إلى قوله تعالى: ﴿وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ الشعراء ٢٦/ ٢٢٦.

(١٢) ما نبس بكلمة، أى ما تكلم. لسان العرب (نبس) ص ٤٣٢٤.

١٦ وقد كثّروا(١) الأقوالَ قبلَ لقائهِ فما بالهُم ألوانُهم تتورَّسُ(٢)

١٧ لعمرِى لهم جندٌ وبندٌ يظلُّهم وهذاك مهزومٌ وهذا منكَّسُ(٣)

فأجاب القاضى الأجل الفاضل ـ رحمه الله(٤) ـ عن هذا الفضل بما نسخته: ولاحجة للقاضى السعيد فيما احتج به عن الكنس فى بيت ابن المعتز، فإنه غير معصوم من الغلط، ولا يقلد [المرء(٥)] إلا فى الصواب فقط(٦)، وقد علم(٧) ما ذكره(٨) ابن رشيق(٩) فى العمدة(١٠) من تهافت طبعه، وتباين وضعه(١١) فذكر(١٢) من محاسنه ما لا يغلق(١٣) معه كتاب، ومن بارده وغثه(١٤) ما لا يلبس(١٥) عليه الثياب. وقد تعصب القاضى السعيد على

---

(١) فى: ك «أكثروا».

(٢) الورس: صبغ أصفر اللسان (ورس) ص ٤٨١٢. وهو هنا يشير إلى الحرب النفسية، والإعلام الحربى الذى يسبق الحروب ـ غالبًا ـ فلقد رسموا صورة مزيفة لشجاعتهم التى استحالت جبنا، وأمنهم الذى تبدل خوفا ورعبا، فاصفرت ألوانهم خجلا وخزيا.

(٣) معنى البيت: هذه جنودهم قد هزمت، وهذه أعلامهم قد نكست. وبعد هذا البيت (لعمرى...) عشرة أبيات خلت منها كل النسخ تنظر فى ديوانه: ٢/ ١٧٥ ـ ١٧٦

(٤) فى: ك «أجاب عن ذلك القاضى الفاضل ـ رحمه الله ـ بما نسخته «وفى»: أ «رحمه الله تعالى».

(٥) زيادة من: ك.

(٦) أشار إلى هذا المعنى صاحب الصناعتين فى قوله: «إنما الاقتداء فى الصواب لا فى الخطأ». الصناعتين ص ٣٩٦

(٧) فى: ك «وقد علم القاضى».

(٨) جملة: «ما ذكره» ساقطة من: د.

(٩) ابن رشيق (٣٩٠ ـ ٤٦٣ هـ): الحسن بن رشيق القيروانى، أبو على: أديب نقاد باحث. تنظر ترجمته فى الأعلام: ٢/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥

(١٠) فى: ك «فى كتابه العمدة».

(١١) فى: ك «وتباين وضعه أحيانا، ولا يصحب ذلك سيانا».

(١٢) فى: ك «وإن ذكر».

(١٣) فى: ب، س «ما لا يليق» تحريف.

(١٤) كلمة: «غثه» ساقطة من: ك.

(١٥) فى ب، س، ك «تلبس».

أبى تمام فنقصه // وحطه[١]، [٢٦/ب] وللبحترى فأعطاه أكثر من حقه، وما أنصفهما [فيما به وصفهما[٢]].

ولو كان هذا موضعَ العتبِ لاشتفَت قلوبٌ ولكن للعتاب مواضعُ[٣] [الطويل]

ونعود إلى ذكر المحاسن السعيدية[٤] أين الكراريس التى من شعره ورسائله، ووكلت الحضرة[٥] فى تحصيلها، وورد كتابها بأنه قد شرع فيها، وأن المرض عاقها[٦]، فلمَ لا كانت متنجزتها[٧] ولمَ لا عاضنى[٨] عن قربه بها[٩] وعلل خاطراً عليلاً بفراقه[١٠] بالنظر فيها، وآنس وحدة قلب فى كثرة المجتمعين عليه[١١]، وقلة الأشكال[١٢] له.

سبب هذا كتاب كتبه إلى أبى فى أثناء[١٣] كتاب كتبه إليه، ولم يتفق تسيير شىء من ذلك الأمور عاقت عنه[١٤]

(١) فى: ك «فنقصه من رزقه».

(٢) زيادة من: ك.

(٣) البيت لمجنون ليلى، ونصه كما فى الديوان ص ١٤٦

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفَى فؤادى ولكن للعتاب مواضع

وعلى رواية الديوان روى البيت بدون نسبة فى: الغيث: ٢/ ٤٢٣، صبح الأعشى: ٢/ ٢٧٣، ثمرات الأوراق ص ٣٢.

(٤) فى: ك «ثم نعود إلى ذكر المحاسن السعيدية والمحادثات الواقعية».

(٥) فى: ك «والتى وكلت الحضرة».

(٦) فى: ك «وإنما المرض عاق عنها».

(٧) فى: ك «فلمَ لم تكن متنجزة». والتنجز: طلب شىء قد وُعدته. لسان العرب (نجز) ص ٤٣٥٢.

(٨) عضت فلانا وأعضته وعوضته إذا أعطيته ما ذهب منه. اللسان (عوض) ص ٣١٧٠

(٩) فى: ب، س «قربه منها».

(١٠) فى: ك «وعلل خاطرا ضعيفا بالنظر فيها».

(١١) فى: ك «وآنس قلبًا منها فى وحشة من الحاضرين لديه».

(١٢) الشكل هنا بمعنى: المثل. اللسان (شكل) ص ٢٣١٢

(١٣) فى: ك «فى شأن».

(١٤) الرواية فى: ك «سبب هذا كتاب حرره قبل إلى والدى فى شأن ذلك ولم يتفق تسيير شىء من المذكور إليه لوجود المانع».

ومن كتاب إلى أبي - رحمه الله - بخط يده[١]

// وقفتُ لي كتاب القاضي السعيد - أبقاه الله - وعلى الورقة [٢٧/أ] المسودة، فرأيت فيه الجد الأبيض[٢]، والحسن الأحمر[٣]، والعيش الأخضر[٤]، والروض الأنضر[٥]، ورأيت مطالع القصائد فرأيتها مطالع سعيدية سعيدة[٦]، ومبادىء كعواقب حميدة[٧] وفواتح حسن[٨] كل بيت منها قصيدة.

فأما[٩] التالية المرفوعة فلا يقربها ولا يُقرُّ بها[١٠] فما أعجبتني، لا لأنها غير معجبة[١١] بل لأني أعلم أن الله لو حشر[١٢] الأولين والآخرين ما قدروا أن يكملوا القصيدة من ذلك الجنس[١٣] ولا أحاشي من[١٤] ذلك الكرام الكاتبين[١٥] فضلا عن الإنس[١٦]. وإذا كانت لا

(١) في: ك «ومن كتاب بخط يده إلى أبي رحمهما الله تعالى». وفي: ب، س «وله أيضا من كتاب إلى أبي رحمه بخط يده». وفي: أ «ومن كتاب إلى أبي - رحمه الله تعالى - بخط يده».

(٢) المراد بالجد الأبيض: العمل الجاد النقي المعبر عن صاحبه.

(٣) «الحسن الأحمر» مأخوذ من المثل العربي «الحسن أحمر ومعناه: من طلب الجمال احتمل المشقة: الحيوان، للجاحظ ٥/٩٦، شرح الحماسة للمرزوقي ٢/٦٨٧، ٣/١١٠٣، فصل المقال ص ٣٤٤ ومجمع الأمثال ١/ ٢٦٠، ولسان العرب (حمر) ص ٩٩٠، ٩٩١

(٤) المراد بالعيش الأخضر: خصب العيش.

(٥) المراد بالروض الأنضر: الغنَى والجمال.

(٦) في: ك «فإذا هي مطالع سعيدة» وفي: ب، س «مطالع سعيدة».

(٧) في: ك «ومبادئها كالعواقب الحميدة» وفي: د «كواعب حميدة» تحريف.

(٨) في: ك «وما هي إلا فواتح حسن».

(٩) في: ك «وأما».

(١٠) عبارة: «فلا يقربها ولا يقربها» ساقطة من: ك، ونص الرواية في: ك «وأما التالية المرفوعة التي أوجبت على كل قلب تصورت إليه ولوعه».

(١١) في: ك «لا لأنها غير معجبة ولا غير مطربة».

(١٢) في: ك «لو أن الله حشر الأولين والآخرين».

(١٣) في: ك «ما قدروا على تكميلها من هذا الجنس».

(١٤) في: ك «في ذلك».

(١٥) ورد ذكر الكرام الكاتبين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ الانفطار ٨٢/ ١١

(١٦) في: ك «عن عالم الإنس».

تدرك فلتترك[١] لئلا تكون غايتنا فيها إذا برزنا السلامة، وإذا قصرنا حصول الندامة[٢].

وأما البائية فبيت طيبها // درج طيبها[٣]، وقد تعطر به كل فم يرويه، [٢٧/ب] وكل سمع يعيه[٤] وهو من غريب ما قيل فى الشيب وما أحسب أحدًا وقع عليه بل كل مؤمن به فإنه من الإيمان بالغيب[٥] وهو بيت كله فضل وما فيه فضلة، ويهون على الإنسان بيت إذا قال مثله[٦].

وأما التائية المفتوحة الخمرية[٧] فقد ثلمتُ منها[٨] سكرًا، وصحوتُ بها شكرًا[٩]، ودخلت بخاطرى على عروس كل بيت فوجدته بكرًا، ونسخت عندى خمريته الأولى[١٠] وإن كانت طائلة فلها[١١] اليد الطولى.

قلت: هذا الفصل جواب عن كتاب كتبته إليه[١٢] عطفته[١٣] على ورقة من مسوداتى، وكانت عادتى معه ـ رحمه الله ـ أن يطالبنى بالوقوف على مسودات شعرى // ونثرى[١٤]

(١) فى: ك «وإذا كان شيء لا يدرك فأولى أن يترك».

(٢) فى: ك «وإذا قصرنا الحصول على الفضيحة والندامة».

(٣) فى: س «فبيت طيها» طيها تحريف. وفى: ك «وأما البائية فمهب زهرها درج أسطرها». الدرج، بالضم: سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيبها وأدواتها لسان العرب (درج) ص ١٣٥٣

(٤) فى: ك «وقلب يعيه» بدون كلمة «وكل».

(٥) فى: ك «وما أحسب الأقدار بمثله إلا من جنس الإيمان بالغيب» وفى: د «وما أحسب أحدا وقع عليه بل كل مؤمن به فإن إيمانه بالغيب».

(٦) فى: ك «ويهون على كل بارع فى بيت أن يتعوض منه مثله».

(٧) فى: ك «الخمرية الآخذة بالزخارف الأدبية».

(٨) فى: س، ب «فقد ثملتُ بها».

(٩) عبارة «وصحوت بها شكرا» ساقطة من: د. وفى ك: «بل صحوت».

(١٠) فى: ك «الخمرية الأولى».

(١١) فى: ك «وإن كانت طائلة فلهما اليد الطُولَى».

(١٢) فى: ك «سطرته إليه».

(١٣) فى: ك «وعطفته».

(١٤) كلمة «ونثرى» ساقطة من: ب.

ويرى ما ضربتُ عليه[١] وما أثبته فربما[٢] [٢٨/أ] رأى ما ضربتُ عليه خيراً مما أثبته، فيناقشني في الحساب[٣]، ويطالبني بالجواب، ويوضح لي وجه الخطأ والصواب[٤] هذه عادتي[٥] معه من أول ما أدبني وعلمني وهذبني[٦]، فشرعت في حال غيبته[٧] في قصائد في أغراض مختلفة، واتفق ورود كتابه إلى والدي ـ رضي الله عنه[٨] ـ يطلب منه ما تجدد عندي من المسودات فسيَّرت إليه الورقة التي أشار إليها.

فأما[٩] التائية المرفوعة التي نهى عن تكميلها[١٠] فهي مرثية في امرأة لها قصة طويلة ما يتسع شرحها[١١] وهي[١٢]:

١ بكيتُكِ بالعينِ التي انتِ اختُهَا ... وشمسُ الضُّحَى تبكيكِ[١٣] إذا أنتِ بنتُهَا [الطويل]

٢ وتضحكُ غزلانُ الفلاةِ لأنَّني ... بعينيكِ لما أنْ نظـرتُ فضحتُهَـا[١٤]

٣ // أفاديَتِي يالَيْتَ أنِّي فديتُهـا ... وسابقتنـي يا ليـتَ أنِّـي سبقتُهَـا[١٥] [٢٨/ب]

(١) في: ك «وينظر ما ضربت عليه».

(٢) في: ك «وربما»

(٣) في: ك «فيناقشني الحساب»

(٤) في: ك «وجه الخطأ من الصواب».

(٥) في: ك «كانت هذه عادتي» وفي: أ وهذه عادتي».

(٦) في: ك «وعلمني وأفادني وهذبني».

(٧) في: ك «فكنت شرعت أيام غيبته».

(٨) جملة: «رضي الله عنه» ساقطة من: ك.

(٩) في: ك «وأما».

(١٠) في: ك «التي استبعد تكميلها».

(١١) كذا في: ص، ز، أ، د. وفي: ب، س «لها قصة طويلة لا يتسع شرحها» وفي: ك «لها قصة لا يتسع هذا الموضع لشرحها».

(١٢) كلمة: «وهي» ساقطة من: ك وفي: ك «وإنما هذا بعضها». وهذه القصيدة في ديوان ابن سناء الملك ٢/٢ ٥ ـ ٥٠٣

(١٣) في: ص، أ، ز، د «تحكيك» في: ك «تنعيك» وهذا تحريف والصواب ما أثبته من: ب، س، وهي أيضا الرواية في ديوانه: ٢/٢ ٥

(١٤) بعد البيت الثاني بيتان في ديوانه ٢/٢ ٥

(١٥) بعد البيت الثالث أربعة وعشرون بيتاً في ديوانه ٢/٥٠٢.

وأما البائية[١]، فهى[٢]:

١- ألاَ فاعجبوا من هجرِهَا لحبيبِـهَا ... ولا تعجبُوا من لِّمتى ومشيبِهَا[٣] [الطويل]

٢- إذا هجرتنى شيَّبتنى بهجرِهَـــا ... وإن واصلَتْنى شيبتى بطيبِـــهَا

وأما التائية[٤] الخمرية، فهى[٥]:

١- الكأسُ لمْ تذنب فكيف حبستُهَا ... أوحشتُهَا من بعدِ[٦] ما آنستُـهَـا [الكامل]

٢- لا بل هممتَ بشربِهَا ورأيتَهَا[٧] ... ألقتْ عليكَ شعاعَها فلبستَـهَا[٨]

وأما الخمرية الأولى التى أشارت إليها[٩] فهى[١٠]:

١- عمَّمُـــوهَا طينًــا وآدم طيــــنٌ ... شيخةٌ فى حشَا الزمانِ جنيـــنُ[الخفيف]

٢- قبلَ أنْ تُخلَق[١١] الكرومُ وتلـــ ... ـتفُّ عليهَا الأوراقُ والزرجونُ[١٢]

٣- وثريَّا السماءِ[١٣] ما هى عنقــو ... دٌ[١٤] ولا آيةُ الدجَى عرجُـونُ[١٥]

---

(١) المقطوعة مكونة من بيتين، انظرهما فى ديوان ابن سناء: ٢/ ٣٦٧.

(٢) فى: ك «فمنها»

(٣) اللمة: شعر الراس إذا كان فوق الوفرة. لسان العرب (لمم) ص: ٤٠٧٨.

(٤) انظرها فى ديوانه: ٢/ ٥٦٧

(٥) فى: ك «فمنها».

(٦) فى: ك «من طول». وهى أيضًا رواية الديوان: ٢/ ٥٦٧.

(٧) فى: ك «فرأيتها».

(٨) بعد البيت الثانى [لا بل هممت .] تسعة أبيات، انظرها فى ديوانه: ٢/ ٥٦٧.

(٩) جملة «التى أشار إليها» ساقطة من: ك.

(١٠) فى: ك «فمنها».

(١١) فى ديوان ابن سناء: ٢/ ٥٧٥ «قبل أن تغرس».

(١٢) «الزرجون» بفتح الراء أو سكونها كلمة فارسية، ومن معانيها: شجر العنب والخمر، و «زر» بالفارسية معناها الذهب و«جون» اللون وذلك لأن الخمر يُشبَّه لونها بلون الذهب. لسان العرب (زرجن) ص ١٨٢٣ ويعد البيت الثانى [قبل أن تخلق .] بيت فى ديوانه ٢/ ٥٧٥.

(١٣) فى: ك «الشمام» تحريف. الثريا: من الكواكب، سميت بذلك لكثرة كواكبها. اللسان (ثرا) ص ٤٨٠.

(١٤) فى: ك «عرجون» تحريف.

(١٥) بعد هذا البيت [وثريا السماء] بيتان. فى ديوانه: ٢/ ٥٧٥

// وهى طويلة، فمن مختارها(١): [٢٩/ أ] ١

١- تبصرُ الهمَّ فى الأقاصى فتنفيـ ... ـهِ ولا غرَو فالحَبَاب(٢) عُيـــونُ

٢- إنَّ فقرى على المـــدامِ ثـــراءُ ... وشمالى(٣) والكأسُ فيهَا يميــنُ(٤)

٣- إنما الدَّنُّ(٥) سجنُهَـــا فلهـــذا ... ضحكَتْ إذ تراهُ(٦) وهو طعيــنُ(٧)

٤- كلُّ هـــمٌ إذا جلوهَـــا عليـــه ... وهـــى بكـــرٌ فإنَّهُ عنِـــينُ(٨)

---

(١) فى: ك «ومن مختارها أيضًا».

(٢) الحباب: نفاخات الماء التى تطفو عليه. لسان العرب (حبب) ص ٧٤٦، والحباب: طرائق تظهر على وجه الماء تصنعها الرياح. المعجم الوسيط (حبب) ١/ ١٥١

(٣) فى ديوان ابن سناء الملك: ٢/ ٥٧٦ «أو يسارى ... ».

(٤) بعد هذا البيت [إن فقرى ...] خمسة أبيات، انظرها فى ديوانه: ٢/ ٥٧٦.

(٥) الدن: وعاء ضخم للخمر ونحوها. المعجم الوسيط (دنن) ١/ ٢٩٩

(٦) فى: ك «ضحكت حين راح» وفى ب، س: إذ رأته وهى رواية الديوان: ٢/ ٥٧٦.

(٧) فى: ك «ظعين» وهى رواية الديوان ٢/ ٥٧٦.

(٨) العنين: الذى لا يأتى النساء، ولا يريدهن. اللسان (عنن) ص ٣١٤٠ والمراد أنها تقهر الهم وبعد هذا البيت [كل هم ...] عشرة أبيات انظرها فى ديوانه ٢/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦ وترتيب أربعة الأبيات فى كل النسخ يختلف عن ترتيبها فى ديوان ابن سناء فهى فيه على النحو الآتى:

١ ـ تبصر الهم فى الأقاصى فتنفيه ... ولا غـــرو فالحبـــاب عيـــون

٢ ـ كل هـــم إذا جلـــوها عليـــه ... وهـــى بكسر فإنـــه عنيـــن

٣ ـ إنما الـــدن سجنـــها فلـــهذا ... ضحـــكت إذا ورأته هو ظعيـــن

٤ ـ إن فقـــرى عـــلى المدام ثـــراء ... أو يســـارى والكأس فيها يمـــين

ديوان ابن سناء ٢/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦

ومن كتاب آخر(١) إلى أبي ـ رحمه الله ـ
بخط ابن زكي الدين قاضي دمشق(٢)

وكان القاضي السعيد لما وصل إلى دمشق عائدا، جعلت قراءة شعر ابن الرومي(٣) واختياره وكدى(٤)، واخترت أنا وهو حرف الألف(٥)، وتوجه قبل تمام الاختيار(٦) ووعد بأنه يكمله(٧)، فلم لا أنجز(٨) ميعاده، ولمَ لا أجْعَلُ(٩) مرادى(١٠) // مراده، فكان يبرز من الشعر محاسنه المغمورة(١١) [٢٩/ب] ويلفظ أبياته الخراب ويبقى أبياته المعمورة(١٢)، وكان ابن الرومي يشكره في لحده، ويستعير ألسنة الأحياء في حمده(١٣).

فأجبته(١٤) ـ رحمه الله ـ عن الاختيار(١٥) بما نسخته: فأما ما أمر به المولَى في شعر ابن الرومي فما(١٦) المملوك من أهل اختياره، ولا من الغواصين الذين يستخرجون الدر من

(١) كلمة «آخر» ساقطة من: د.

(٢) في: ك ومن كتاب له إلى والدى بخط ابن زكي الدين رحمهم الله». وفي: ب «قاضي دمشق رحمه الله».

(٣) في: ك «اجعل قراءة شعر ابن الرومي» وفي: ب «جعلت قراءة شعر ابن الرومي عليه».

(٤) في: ك « واختياره شاغلا له ولي». (وكَدى): مرادى وهمى وقصدى. (وكُدى) وبالضم: السعي والجهد. اللسان (وكد) ص: ٤٩٠٦.

(٥) في: ك: «ثم اخترنا معًا حرف الألف».

(٦) في: ك «وتوجه قبل تتميم المختار».

(٧) في: ب، د «بأن يكمله» وفي ك: «بأن يتممه».

(٨) في: ك «فلمَ لم ينجز».

(٩) في: ك «ولمَ لمْ يجعل».

(١٠) كلمة: «مرادي» ساقطة من: د.

(١١) في: ك «محاسنه المستورة».

(١٢) في: ك «ويطرح أشعاره الخراب ويقتصر على المعسورة».

(١٣) في: ك «فكان ابن الرومي يحمده ويشكره في لحده، ويستعير ألسنة الأحياء في شكره وحمده».

(١٤) في: ص، د، ك، أ، ر «فأجاب». والصواب ما أثبته من: ب، س «فأجبته».

(١٥) كلمة «عن الاختيار» ساقطة من: ك.

(١٦) في: ك «فليس».

بحاره[١]؛ لأن بحاره زخارة، وأسوده زآره[٢] ومعدن تبره مردوم بالحجارة، وعلى كل عقيلة منه ألف نقاب بل ألف ستارة[٣] يطمع ويؤيس [ويوحش[٤]] ويؤنس، وينير ويظلم، ويصبح ويعتم، [ويواصل ويصرم بين[٥]] شذرة وبعرة[٦]، ودرة وآخرة، وقبلة بجانبها لسبة[٧]، وحرة بجوارها قحبة[٨] // ووردة قد حفً بها الشوك، وبراعة قد غطى عليه النوك[٩] [٣/ أ] لا يصل الاختيار إلى الرطبة حتى ينجرح بالسلَّى، ولا يقول عاشقها هذا المليح[١٠] قد أقبل[١١] حتى يقول قد ولَّى[١٢]، فما المملوك من جهابذته، كيف وقد تفلس[١٣] فيه الوزير، ولا من نقاده وصيارفته[١٤]، ولو اختاره جرير[١٥] لأعياه تمييز الحشى[١٦] من الوشى[١٧]، والوبر من الحرير، والمملوك بمشيئة الله يكمل بقية قراءة حروفه ولكن بَيْنَ يَدَىْ

(١) فى: ك «ولا من الغواصين على الدر المستخرجين فرائده من بحاره».

(٢) فى: ك «لأن بحاره زاخرة، وحرس خدوره أسد زائرة».

(٣) فى: ك «وعلى كل عقيلة فى خدورها ألف حجاب وستارة».

(٤) زيادة من: ك، ب، أ.

(٥) زيادةمن: ك. وقوله: «ويصبح ويعتم». ساقط من: ك.

(٦) فى: ب، س «شذرة وبدرة». الشذر قطع من الذهب والشذر أيضاً: صغار اللؤلؤ، شبهها بالشذر لبياضها. لسان العرب (شذر) ص ٢٢٢ و«شذره وبعره» تعبير يستخدم فى مدح بعض الشىء وذمه. طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٣

(٧) لسبته الحية والعقرب: لدغته. اللسان (لسب) ص ٢٨ ٤.

(٨) عبارة: «وقبلة بجانبها لسبة، وحرة بجوارها قحبة» ساقطة من: ك.

(٩) النوك. بفتح النون المشددة وضمها: «العجز والجهل» اللسان (نوك) ص ٤٥٨٢

(١٠) فى: ص، س، ب، د، أ، ر «الملح» تحريف والصواب ما أثبته من: ك.

(١١) جملة: «قد أقبل» ساقطة من: س.

(١٢) فى: د «حتى تقول قد ولَّى» وفى. ك «قد أقبل إلا وقد ولَّى».

(١٣) فى: د «وكيف تفلَّس. .» وفى ك «كيف وقد تدهقن فيه الوزير».

(١٤) فى: ك «ولا من صيارفته».

(١٥) فى: ك «ولو قال فيه بنو الزمان جرير» وجرير هو: جرير بن عطية الخطفى، الشاعر المشهور (٢٨ـ١١٠هـ). انظر الأعلام ٢/ ١١١

(١٦) فى: ك «ومثل جرير فى هذا الموضع يعييه تمييز الحشى». وفى: ب، س «تمييز الخيش» الخيش، تحريف.

(١٧) الوشى. نقش الأقمشة بالألوان اللسان (وشَى) ص: ٤٨٤٦

من قرأ بين يديه حرف الألف، ويشاهد من مولاه معجز الاختيار الذى يجعل الشعر المختلف فيه من[1] الشعر المؤتلف[2].

(١) كلمة «من» ساقطة من: د.

(٢) عبارة: «والمملوك بمشيئة ... المؤتلف» روايتها فى: ك «والمملوك بمشيئة الله يتم قراءته حروف الديوان عند مَنْ قرأ بين يديه حرف الألف، ويشاهد من مولاه فضل الاختيار الذى يجعل الشعر المختلف فيه من المؤتلف».

ومن كتاب آخر إلى أبي ـ رحمه الله ـ بخط يده[١]

// ورد من القاضي السعيد كتاب فوجدته طوفان بلاغة، [٣/ب] وما قرأت سطرا منه إلا قرأت[٢]: يا سماء أقلعي، ويا أرض ابلعي[٣]، والتقى الماء على أمرٍ قد[٤] قدر[٥]

والماءُ إنْ جـاوزَ الطوفـــانَ مهلكـــةٌ والعدلُ إنْ جاوزَ المشروعَ عدوانُ[٦] [البسيط]

لا سيما ونحن في هذا العشر المبارك نرى السماء قد ضجت بالسحب، وأرسلت ديم الدم منها ما لا يجيء من أمواج اليم، وركب البلد منه[٧] ما لم يترحَّل عنه إلى أن ترحلَّت السقوف عن حيطانها، وجرى منه ما أجرى السيول وقد احتلمت غثاء من جدرانها[٨]

وتعلقت العمائر التي بظاهر دمشق، فإن السيول أتت بيوتها من أبوابها[٩]، فملأت

---

(١) في: ب «ومن كتاب آخر إلى أبي بخط يده ـ رحمهما الله ـ» وفي: ك «ومن كتاب بخط يده إلى أبي ـ رحمه الله ـ وفي أ: «رحمه الله تعالى».

(٢) في: ب، س «طوفان البلاغة».

وفي: ك. «طوفان بلاغة وما هو على ذلك بمقتصر وكلما طالعت سطرا منه قرأت».

(٣) نظر في هذا المعنى إلى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ سورة هود ١١/ ٤٤

(٤) كلمة «قد» ساقطة من: د.

(٥) نظر في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ سورة القمر ٥٤/ ١٢ والمراد هنا وصف الكتاب بالفصاحة والبيان وقد بلغ منهما ما بلغته هاتان الآيتان في قوة التركيب وحسن السبك.

(٦) في: ك: والبحر إن قارب الطوفان مهلكة والعدل إن جاوز المشروع عدوان

وقد نسب هذا البيت لأبي العباس محمد بن إبراهيم الباخرزي، وقبله بيت وبعده بيت، ونصه:

فالماء إن جاوز المقدار مهلكة * والعدل إن جاوز المرسوم عدوان (تتمة يتيمة الدهر ص ٢٢).

(٧) كلمة: «منه» ساقطة من: س.

(٨) الرواية في: ك «سيما ونحن في زمان تسمع السماء فيه تصطخب بوقع قطرات السحب وجرى من الديم ما لا يجرى من لجيم، وركب من ذلك البلد ما لم يترجل عنه حتى ترجلت السقوف عن حيطانها بما جرى منه، لقد احتمل السيل غثاء عن البيوت من جدرانها».

(٩) استمده من قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة البقرة: ٢/ ١٨٩

ساحاتها وقيعانها إلى أن خرج طفيفها من أعاليها، // فأجلَتْ [٣١/أ] عن الأرض قرعًا(١)، وعن الديار صرعَى، وافتقر فيها خلق، فأخذها الله بحق، فما كان الله تعالى ليغسل جنابة تلك الدور إلا بأمواج تلك البحور(٢)

وأعود إلى وصف الكتاب السعيدى فتعجلت(٣) به أيام الربيع فى فصل الشتاء، واستعدت به فى أيام المشيب أيام الفتاء(٤)، وآنسنى [بفضائل القاضى](٥) فكأنى رأيت شخصه(٦)، واسخطنى على كل بليغ فكأنى بزيادته عرفت نقصه(٧) وما أنا فى حاله استوحش فيها لغيبته، ولا هو أيضا عندى مستوطن بل أينما أحله الفضل فهو منه فى دار غربته(٨)، ويكفيه أنا إذا ذكرناه الفحنا(٩) العقم من خواطرنا، واستهلت الجهم من مواطرنا(١٠)

فأما ما ذكره القاضى المذكور(١١) عن الولد أحمد فما أعرف إلا من القاضى السعيد //

(١) أرض قرعة: لا تنبت شيئا. لسان العرب (قرع) ص ٣٥٩٨.

(٢) فى: ك «وتعلقت عمائر دمشق بذيوله للدراعه، عدل بين ساحتها وقيعانها وخرج طفيفه من أعاليها، وقرأت كل دار فى لجنه بسم الله مجريها، وأجلى عن مزارع الأرض فرعَى وعن أصحاب البيوت فيها صرعَى، وافتقر فيها من الأغنياء جلة خلق وأخذ الله منهم فى كفران ما أعطاهم إياه بكل حق وما كان الله ليغسل جنابة تلك الدور إلا بأمواج تلك البحور». وكلمة «فرعَى» تصحيف.

(٣) فى: ك «ثم أعود إلى وصف الكتاب السعيدى فأقول: تعجلت».

(٤) فى: ك «واستعدت به فى عصر الشيب أيام الفتاء».

(٥) زيادة من: ك.

(٦) فى: ك «حتى كأنى أرى شخصه».

(٧) فى: ك «وإن أسخطنى على كل بليغ حتى كأنى عرفت بزيادته نقصه».

(٨) فى: ك «وما أنا بحال استوحش فيها لغيبته ولا هو مستوطن حيث قضى تفرده بالفضل أن كل دار دار غربته».

(٩) فى: ك «الحقنا» تحريف. «والمراد بالحقنا العقم...» جعلناه خصيبًا اى أن ابن سناء مصدر إلهام لخواطرنا ـ حين تجدب بما يثريها به من معانيه المختصة النادرة التى لا يباريه فيها أديب بليغ.

(١٠) الجهم: الجهام: السحاب الذى لا ماء فيه. لسان العرب (جهم) ص: ٧١٤ وهَلَّ السحاب إذا أمطر بشدة. اللسان (هلل) ص: ٤٦٨٩، والمواطر جمع ماطرة، صفة للسحائب.

(١١) فى: ك «وأما ما ذكره المولَى عن الولد».

فضل ترشيحه، وتعجل ترجيحه، قد اسلمته إلى بحره بشرا [٣١/ ب] وأريد أن يرده إلىَّ جوهرا فيكون اجتهاده فى أمره على هذه المقدمة، ويباشره بتلك الهمة الماضية المصممة.

قلت: كان رحمه الله[١] قد[٢] شرفنى بخدمة الأشرف[٣] ولده، ورسم لى أن أُلازِمَهُ وأُذَاكِرَهُ، وأوضح له الطريق التى يسلكها من[٤] المكاتبات، وأمثله له الأمثلة التى يقتفيها فى المراسلات، فامتثلتُ أمره، ولازمتُ خدمته، فوجدته مهذبًا من غير تهذيب، مؤدبًا من غير تأديب[٥]، متوقد[٦] الخاطر الخطار الذى يكاد زيته يضىء ولو لم تمسسه نار[٧] فكتبت إليه[٨] أهنيه به، وبما وهبه الله تعالى منه، وبأنه الكامل الراجح، والخلف الصالح، والحكيم الذى أوتى الحكم // والحكمة[٩] فى سن الصبا، والولد[١٠] الذى يستحق أن يدعَى وهو [٣٢/أ] طفل أبا. فأجاب ـ قدَّس الله روحه ـ عن هذا القول بهذا الجواب[١١]

(١) فى: أ «كان رحمه الله تعالى».
(٢) كلمة: «قد» ساقطة من: ك.
(٣) فى: س، ب «المولَى الأشرف».
(٤) فى: ك «فى المكاتبات».
(٥) فى: ك «مؤدبًا قبل التأديب».
(٦) كلمة «متوقد» ساقطة من: د.
(٧) اقتباس من قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ سورة النور ٢٤/ ٣٥
(٨) فى: ك «فكتبت إلى مولانا».
(٩) فى: ك «والنجيب الذى أوتى الحكمة» اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ سورة ص ٣٨/ ٢
(١٠) فى: ك «والفاضل».
(١١) فى: ك «فأجاب قدس سره عن هذا القول بذاك الجواب».

فصل من كتاب إلى والدى[1]

بخط ابن الحصين[2]

وصل الموشح[3] الذى مدحنى به القاضى[4] السعيد، فألبسنى منه عقد الموشح[5]، وجعلنى به الراجح لا المرجح. وما اكتفى بأن أخمل العرب إلى أن أخمل[6] البربر، ولا أن شاركهم [فى لغتهم[7]] إلى أن جعل[8] نصيبهم الأصغر ونصيبه الأكبر فبخ بخ للبيت الذى شدت به دعائمه، وقامت بمحاسنه إلى يوم القيامة قوائمه، فوالله لقد أبقى لكم يا سلافة[9] [بذكره[10]] ذكرًا فى الغابرين، ولسان صدق فى الآخرين[11]، ومن ولده فما يموت، وسيبقى بأقواله بيته // إذا خربت البيوت، وكل بيت لا يلد مثله فهو أوهَى وأوهن [٣٢/ب] من بيت العنكبوت[12].

قلت: هذا الموشح الذى أشار إليه موشح عملته على وزن موشح عبادة[13] الذى مدح

---

(١) فى: ب، س «فصل من كتابه إلى والدي» وفى: ك «من كتاب له إلى والدى» دون كلمة «فصل».

(٢) ابن الحصين: أبو غالب عبد الواحد بن أبى منصور مسعود بن أبى غالب عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحصين الشيبانى البغدادى، الكاتب المنعوت بالنظام، ولد سنة ٥٣٥ هـ. وتوفى سنة ٥٩٧ هـ. ودفن بحلب. ترجمته رقم ٦١٠ فى التكملة لوفيات النقلة: ١/ ٣٩٨

(٣) فى: ك «التوشيح».

(٤) كلمة «القاضى» ساقطة من: د.

(٥) كلمة «منه» ساقطة من د وفى: ك «فحلانى منه بالعقد الموشح».

(٦) فى: ك «حتى أخمل».

(٧) زيادة من: ك.

(٨) فى: ك «حتى جعل».

(٩) فى: ك «يا سلفه».

(١٠) زيادة من: ك.

(١١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ سورة الشعراء ٢٦/ ٨٤.

(١٢) نظر فى هذا إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ سورة العنكبوت ٢٩/ ٤١

(١٣) فى: ك «أبى عبادة» عبادة: محمد بن عبادة، أبو عبد الله، المعروف بابن القزاز، من شعراء الذخيرة، له اليد الطولىَ فى الموشحات. الوافى بالوفيات ٣/ ١٨٩ ـ ١٩٠ ترجمة رقم ١١٦٦

به المعتصم بن صمادح(١)، وأوله: «يا لائمى قصرا» وردت فى قفله فقرتين، وموشح عباده أقرع(٢) وهكذا هذا الموشح الذى عملته، وهو: *

دانتْ(٣) لِيَ الدنيـا وواصـلَ الوصـلاَ
مَنْ هوَ لى محيًا(٤) وصـارَ لِى خـلاً
لا أسمـعُ النُهيَّـا فـيهِ ولا العـذلاَ
[ما أعطـرِ اللُقيَـا لـهُ وما أحـلاَ(٥)]
تلكَ الخلسُ من النفسِ أو اللَعسُ لقد كَمُلَ بدرُ طرق
مثل الفلق تحتَ الغسق حتى سرقَ الباب أهلِ الصواب
ما صالَ حتى صادَ بطرفه الوسنَـان
// وصير الآسـادَ فرائسُ الغـزلاَن
وأخلـفَ الميعـادَ وأخجلَ السُلـوَان
جبينُـهُ والوقَّـادَ إن شئـتَ والفتَّان
فيه قبسُ تحتَ الغلسِ وقد حرسَ وردَ الخجَلِ نبلٌ رشَـق
حتى أبقَ قلبى فَرِق(٦) فللحـدقِ نُـشَّابٌ بهَا يُصَاب
هذا هـوَ الباطلُ(٧) حـقًا بلا شـك

(١) المعتصم بن صمادح: محمد بن معن بن محمد بن صمادح، الملقب بالمعتصم التجيبى، توفى سنة ٤٨٤هـ: وفيات الأعيان ٥/ ٣٩ - ٤٣، الذخيرة ١/ ٢ ص ٢٣٦، عبر الذهبى ٣/ ٣٠٦.

(٢) الموشح الأقرع هو الذى لا يوجد به المطلع أو القفل الأول. الأدب العربى فى الأندلس - د. عبد العزيز عتيق، ص ٣٤٨.

(٣) فى: د، ر «كانت».

(٤) فى: د، ر «يحيا» وفى: ك «محبا».

(٥) زيادة من: ب، س.

* الموشح فى دار الطراز فى عمل الموشحات، ص: ١٣٠ - ١٣٢

(٦) فى: ب، س «قلبى فرق حتى أبق».

(٧) فى: د «وهذا هو».

وإنمــا القائـــلُ صدقًا بلا إفـــك
مَنْ يمدحُ الفاضلَ بالدرِّ فى السلك
الواصلُ الصائـلُ والفارسُ الملـــك

لما جلس وقد رأس فكم غرس من الدول وكـــم رتـق
مما انفتقْ وما لُحِق لما خُلِـق وهّـــابٌ بلاَ حساب

// قد جرتْ الأقدارُ بحسبِ إيثـــارِه [٣٣/ ب]
وسارتْ الأخبـــارُ بحسنِ آثـارِه[١]
كم مَلـكٍ جبـــارِ سعَى إلى داره[٢]
وراح لمــا حـــار[٣] فى عُظْمِ مقدارِه

إذا عبـــس فقد حبسَ كلَّ نفـسٍ من الوجلِ وإنْ نطـــق
فالسحرُ حق وإن رزقْ فاخشَ غرقَ سحـــابَ ذيلِ السحاب

وأهيـــفُ ألمـــى كدمية المحـرَاب
هامـــتْ بهِ أسمـــا وللهوَى أسبَاب
وهو بهَـــا مصـــمًا وهكذَا الأحبَاب
قالـــتْ لــهُ لمَّـــا غلَّقَتْ الأبَواب[٤]

بالله لس[٥] تبسنى[٦] بس[٧] دع ذا الهوس وذا الكسل وقم ودق
// واركب وسق وازرع وشق ومَنْ يدقُ البابَ مالُو جَواب [٣٤/ أ]

---

(١) فى: ك «بفضل آثاره».
(٢) الرواية فى: د «كم ملك جبار فى عظم مقداره. و«سعى إلى داره» ساقطة من: د.
(٣) عبارة «وراح لماحار» ساقطة من: د.
(٤) نظر فى هذا إلى قوله تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ سورة يوسف ١٢/ ٢٣
(٥) اللس: الأكل. . . ، ولست الدابة الحشيش: تناولته. لسان العرب (لسس) ص ٢٨ ٤.
(٦) البوس: التقبيل، فارسى معرب. اللسان (بوس) ص ٣٨٦.
(٧) بس: بمعنى حسب، فارسية. اللسان (بسس) ص ٢٨٢

وكتبت على هذا الموشح إليه كتاب، جاء فى ذكر الموشح منه:

وقد عطف المملوك خدمته على موشح[(١)] كما وصل من دمياط خاطره[(٢)] وهو جهد المقل، وإقدام المملوك المدل، ولو لم يسيِّره المملوك إلى مولاه لسار إليه على أفواه الأنام، وترنمت به ألسنة الأيام[(٣)]، لأن كل موشح عمله المملوك فى المولى[(٤)] قد طار، وطبق الأقطار، وسرى وسار، وصار[(٥)] سلك در المسار، وأديرت عليه الأكواب وخرقت عليه الأثواب[(٦)] وشدا به الرجال والنسوان، وترنم به الشيوخ والشبان، وصار تحفة الجليس وتحية[(٧)] الندمان.

وسارَ بِهِ مَنْ لا يسيرُ مُشمراً وغنَّى بِهِ مَنْ لا يُغنِّى مُغرداً[(٨)] [الطويل]

وكم من عروس[(٩)] غنى به فالتهى به العروس عن عرسِهِ[(١٠)] وعن عُرسِهِ، وكم من مجلس شدى به فالتهى به النديم عن كأسه وعن أنسه وكم من صوفى سمعه فخرج من لحيته ومن حليته، وكم من مغن غناه فرأى[(١١)] بالنقوط[(١٢)] عليه[(١٣)] غاية سعوده من عوده،

---

(١) فى: ك «وقد عطف المملوك على خدمته بالكتاب موشحا».

(٢) فى: ك «لما وصل من دمياط» وكلمة «خاطره» ساقطة من: ك. ودمياط مدينة مصرية. معجم البلدان لياقوت ٢/ ٤٧٢.

(٣) الرواية فى: ك «وما يرى به نعت المدل فإنه جهد المقل. ويقول: إن أقدامه لو لم تسيره إلى موضع مولاه سار إليه بأفواه الأنام وما ترنمت به ألسنة الأيام».

(٤) فى: ك «فى مولاه».

(٥) فى: ك «وعاد».

(٦) فى: ك «وخرقت فيه الثياب».

(٧) كلمة: «تحية» ساقطة من: د.

(٨) البيت بنصه للمتنبى، من قصيدة مدح بها سيف الدولة، مطلعها:

لكل امرىءٍ مــن دهره ما تعــودا وعادات سيف الدولة الطعن فى العدا

ديوان المتنبى للبرقوقى ٢/ ١٤، وللعكبرى ١/ ٨، ١/ ٢٩١، يتيمة الدهر ١/ ١٣٩

(٩) العروس: نعت يستوى فيه الرجل والمرأة. لسان العرب (عرس) ص ٢٨٧٩

(١٠) عرس الرجل: امرأته. اللسان (عرس) ص ٢٨٧٩

(١١) الرواية فى: ك «وكم من عروس غنّى به فلها من عرسه، ومجلس شدا فيه فألهى النديم عن كأسه وأنسه وكم صوفى سمعه فقام إلى لهوه من قعوده، وعواد غنى به فرأى...».

(١٢) فى: ك «فى النقوط».

(١٣) كلمة: «عليه» ساقطة من: ك.

وما سارت والله(١) هذه الموشحات لحسنها(٢) لكن(٣) لإحسان من توشحت باسمه(٤) وتسورت(٥) ولا عبق نشرها لطيبها لكن(٦) لذكر(٧) من تمسكت بذكره(٨) وتعطرت وما عظم الناس قائلها إلا لعظم من قالها فيه، ولا راقت الأسماع قوافيه إلا لأن مدح مولانا فى قوافيه(٩):

وإذا الفتَى الممدوحُ أنجحَ سعيَهُ ... فى نفسِه ونَداهُ أنجحَ شاعِرَهُ(١٠) [الكامل]

---

(١) كلمة: «والله» ساقطة من: ك.

(٢) فى: ك «هذه الموشحات لحسنها ولا سيرت».

(٣) «لكن» كذا فى: ص، د، ز وفى: ب، ك «ولكن» وفى: أ «إلا». وفى: س «بل».

(٤) فى: ك «بذكره».

(٥) فى: ك «تصورت» والسورة من البناء: ماحسن وطال. لسان العرب (سور) ص ٢١٤٧

(٦) فى: أ «ولا عبق نشرها لطيبها إلا لذكر».

(٧) فى «ك» لفضل».

(٨) فى: ك «بحديثه».

(٩) فى: ك «ولا أطرب حديثها الأسماع إلا لأن مدح مولانا من قوافيه» وفى: س، ب «إلا لأن مدح مولانا فيه».

(١٠) البيت لأبى تمام من قصيدة مدح بها نصر بن منصور بن سيار، وفيها يقول:

لا شىء أحسن من ثنائى سائراً ... ونداك فى أفق البلاد يسايره

وإذا الفتَى المأمول أنجح عقله ... فى نفسه ونداه أنجح شاعره

ديوان أبى تمام ٢/ ٢١٠

// فصل فى كتاب إلى أبى ـ رحمه الله ـ(١)

بخط يده [٣٥/أ]

وأما الكتاب السعيدى فوقفت منه على ظرف الظرف(٢)، وتحفه الطرف(٣)، وكدت أعبده منه على حرف(٤)، وكل حرف(٥) ذلك الحرف، ولا أطيل بأن أقول: وصلنى(٦) منه الكتاب العريض الطويل(٧)، الجلى الجليل(٨)، صرف الله عنه العين، وكفاه أينما كان الأين(٩)، وطوى بينى وبينه شقة البيْن. وهذا الكتاب لا أصفه إلا بأنى لا أصفه(١٠)، ولا أقابل إظهار قدرته إلا بإظهار عجزى عنه(١١).

قلت هذا جواب كتاب الرمد(١٢)، كتبت إليه(١٣) أشرح أمر(١٤) رمدة عظيمة هائلة(١٥) كدت أفلس فيها من العين، ثم من الله عز وجل(١٦) بالسلامة. والكتاب // طويل عريض

(١) فى: ك «فصل من كتاب بخط يده إلى والدى ـ رحمهما الله».

(٢) ظرف الشيء: وعاؤه والجمع ظروف. والظرف: حسن العبارة والحذق بالشيء والبلاغة. والظرف: الكياسة. لسان العرب (ظرف)، ص ٢٧٤٧ والمعنى المراد أن الكتاب كنز بلاغة.

(٣) فى: ك «وطرفة الطرف». التحفة: الطرفة. لسان العرب (تحف) ص ٤٢١ والطرفة: كل شيء استحدثته فأعجبك وهو الطريف: السلان (طرف) ص ٢٦٦١ وشيء طريف: طيب غريب. اللسان (طرف) ص: ٢٦٥٧

(٤) فى: ك «أعبد الله فيه على حرف» وهذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ سورة الحج ٢٢/ ١١

(٥) فى: ك «وكل الحروف».

(٦) كذا فى كل النسخ والصواب: وصل إلىّ.

(٧) فى: ك «ولا أطيل بأن أقول فى جملة القيل: وصلنى بالكتاب الفخر العريض الطويل».

(٨) جملة «الجلى الجليل» ساقطة من: ك.

(٩) فى: ك «صرف الله عنى فيه العين، وحفظ مولانا متى بكون وأين». الأين: الإعياء والتعب. اللسان (أين) ص ١٩٤

(١٠) فى: ك «وهذا الكتاب لا أصفه إلا بأنى لا أصف منه».

(١١) فى: ك «ولا أقابل القدرة فيه إلا بإظهار العجز عنه».

(١٢) فى: ك «عن كتاب الرمد».

(١٣) فى: ك «وكنت كتبت إليه».

(١٤) فى: ك «أشرح قصة».

(١٥) فى: ك «رمدة عظيمة بلغ بها معنى الأذى تجسيمه لست فى خبرها بذى مين».

(١٦) فى: ك «ولقد كدت أن أفلس فيها من العين، ثم مَنَّ الله تعالى بسلامة».

لا يحس إيراده بجملته لئلا يضيع فيه [٣٥/ب] الوقت(١)، ولا يمكن اختياره واختصاره(٢)، لأن بعضه متعلق ببعض، وهو موجود فى كتاب «مصايد الشوارد» فمن أراده فليقف عليه(٣) من ذلك الكتاب إن شاء الله(٤).

(١) فى: ك «الوقت النفس».

(٢) فى: ك «ولا يصح اختياره ولا اختصاره».

(٣) فى: ك «فليقف عليه هناك». وكتاب «مصائد الشوارد» من مؤلفات ابن سناء المفقودة حسب علمى.

(٤) عبارة: «من ذلك الكتاب إن شاء الله» ساقطة من: ك. ومن نص الكتاب المشار إليه عن الرمدة العظيمة التى تحدث عنها ابن سناء: «كتب المملوك - كتب الله على نفسه الرحمة، وعلى عدوه النقمة، وأسبغ عليه كما أسبغ به النعمة، وأدام أيامه حتى تطير من آفاقها النعائم، وحتى تخلع أطواقها الحمائم، وحتى تسقط من كفّ الثريا الخواتم - خدمته بعد أن حصلت عينه فى قبضة الرمد، وبعد أن قسا قلبه وطال عليه الأمد، وبعد أن تعاقبت عليها الدمعتان: دمعة الألم ودمعة الكمد، وبعد أن أججت عليها نار الله الموصدة أصبحت منها فى عمد، وبعد أن مرت بها العبرات والعبر، وبعد أن قذفت من القذى برماد ورمت من الدمع بشرر. ومنها» فأما الشاعر الجاهل فلو أبصر ما أبصره المملوك لما قال:

يا شعرُ فى بصرى ولا فى خده   هذا السواد فداء حمرة ورده

وكان يسأل الله أن يقى سواد عينه بأن ينبت فى خد معشوقه شوك القتاد فضلا عن شوك الورد، وأن يطلع كل نبات فى كتاب أبى حنيفة [يقصد أبا حنيفة الدينورى احمد بن داود، ت ٢٨٢هـ، وكتابه «النبات» وهو من أشهر كتبه] على ذلك الخد، وأما القائل:

تُرابُهُمُ، وحق أبى تراب [هو على بن أبى طالب] أعز على من عينى اليمين

فخصمه فى كذبه من أقسم فى هذا الشعر به.

ومنها: «على أنها - والله - ما هى من الدموع التى تنفس من الخناق، ولا تخفف عن الآماق، ولا يرغب فى مثلها العشاق، ولا هى - كما قيل - حزن محلول على الخدين، ولا ثقل موضوع عن العينين.

ومنها: «ومن توابع الرمدة المحرقة السوداء التى كأنها لعنة الله على كافر، وأما اللبن وضره، والقطنة التى توضع على الجفن لترفعه وهى - والله - تطمره، فأعوذ بالله السميع العليم، ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ سورة البقرة ٢/ ١١٩ ومنها: «وكيف لا ترقد عين غاب عنها من عزة مولانا ضياؤها؟ وكيف لا تسخن وقد قلصت عنها من بركة قربه ظلالها وفاءت أفياؤها؟

لا زال جنابه الكريم كعبة تطوف بها الآمال، وكنزًا نستغنى منه بالمال إلى أن يستغنى عن المال، والسلام».

(مطلع الفوائد ص ٤٥٧ - ٤٥٨).

من كتاب آخر إلى ولده القاضى الأشرف
بخط ابن زكى الدين(١)

وقد عادت على كتبك بركة شيخك القاضى السعيد(٢)، فما اشتملت من يوم أملاك ما تكتبه، ومثل لك ما تمثله(٣) إلا على بشارة تأتى من لفظه بشارة حسنة، وحلية مستحسنة(٤)، وعلى ذكره وذكره [على الفضل(٥)] مقصور لا مذكور بغيره(٦). وردنى منه كتاب وردنى ووردته، وقرانى // وقرأته تضمّن(٧) [٣٦/أ] تصرفات عجيبة أحدثها الحدثان(٨)، وأغرب بها الزمان، وما أحسب أن كتابه هذا والكتاب الذى ورد بخبر ابن بدران(٩) اشتملت سيرة من السير، ولا تاريخ من تواريخ الزمن الذى غبر على مثل هذه البدائع، ولا على نظير هذه الوقائع(١٠).

قلتُ: كان رحمه الله ـ قد أمرنى أن أنقل إليه غرائب الأخبار المستطرفة، والكوائن فى البلاد النازحة والأقطار الشاسعة؛ ليمقلها فى تعليقه الذى يعلق فيه كل ما يتجدد من

(١) فى. ك «فصل من كتاب له بخط ابن زكى الدين إلى ولده القاضى الأشرف».

(٢) فى: ك «وقد عادت على كتبك بركة شيخك القاضى السعيد فيما تبرع فيه منها وما تجبه».

(٣) فى: ك «ومثل لك نجح ما تطلبه».

(٤) فى: ك «وحلة مستحسنة».

(٥) زيادة من: ك.

(٦) فى: ك «مقصور ولم يكن بغيره مذكور».

(٧) فى: ك «وصلنى منه كتاب فى حلل الإعجاب، وردنى بل وردته، وقرأنى بل قرأته، وقد تضمن».

(٨) حدثان الدهر وحوادثه: نوبه وما يحدث منه. لسان العرب (حدث) ص ٧٩٦

(٩) فى: ك «ولا أحسب قبل هذا كتاب ابن بدر فى السير».

لم أعثر ـ فيما سبرت غوره من المراجع ـ على ترجمة لابن بدر أو لابن بدران بل عثرت على ترجمة لابن بدرون ـ ولعله هو ـ وهو: عبد الملك بن عبد الله بن بدرون أبو القاسم الحضرمى ثم الشلبى، أديب أندلسى من أهل شلب، اشتهر بكتابه «شرح قصيدة ابن عبدون» سماه «كمامة الزهر وفريدة الدهر» توفى سنة ٦٠٨هـ. الأعلام ٤/٣٠٦، كشف الظنون ص ١٣٢٩، هدية العارفين ١/٦٢٧

(١٠) فى: ك «.. ابن بدر فى السير ولا تاريخا فى نوادر الدهر الذى غبر اشتمل على مثل ما فيه من البدائع، أو انطوى على نظير تلك الوقائع».

الأحوال[١] يوما يوما بل ساعة ساعة، وله فى كل سنة تعليق يستفتحه باستفتاحها، ويختتمه باختتامها، وأعلمنى[٢] - رحمه الله - أنه شرع فى ذلك من[٣] سنة ستين وخمس مائة // وإلى حين وفاته فى ليلة[٤] [٣٦/] السابع من شهر ربيع الآخر[٥] سنة ست وتسعين وخمس مائة. فمما كتبته إليه ما أجاب عنه بذلك الكتاب، أخبار سمعتها من نشء الخلافة ابن بدران صديقى لما وصل من المغرب، وكان قد سار إليه ومعه جماعة من أهلى هلك أكثرهم، ولم يعد ممن راح معه إلا واحد منهم عاد قبله وعاد هو بعده[٦].

فمما كتبته فى معناه[٧]: وقد سير المملوك أخبارًا تليق بالتعليق، وهى أخبار مغربية وردت على لسان بقية السلف من أهل الملوك[٨] الذين قتلوا بالمغرب، وحال الأجل بينهم وبين ما أملوا ولم ينشد أحد منهم[٩]:

// وأعلمَ قومًا خالفونى فشرَّقُوا وغرَّبتُ أبى قد ظفرتُ وخابُوا[١٠] [الطويل] [٣٧/أ]

---

(١) فى: ك «قلت: كان - رحمه الله - أمرنى أن أنقل إليه الأخبار المستطرفة، وحوادث البلاد الدانية والمتطرفة ليعلقها فى دفتره الذى يعلق فيه كل ما يتجدد من الأمور».

(٢) فى: ك «ويفتتحه بافتتاحها ويختتمه باختتامها وكان أخبرنى».

(٣) فى: ب، س «فى».

(٤) فى: ك «واستمرت كذلك إلى حين وفاته ليلة».

(٥) فى: ك «ربيع الثانى».

(٦) فى: ك «ومما كتبته إليه كما أجاب عنه بذلك الكتاب من أخبار التقطها من كتاب السلافة فى نشأة الخلافة لابن بدر فيما قاله المذكور: كان لى صديق بالمغرب فسار ومعه جماعة من أهلى فهكلوا جميعًا إلا واحدا وصل إلىَّ قبله».

(٧) فى: ب، س «فى معناه إليه». وفى: ك «كتبته إليه فى معنى هذا».

(٨) كذا فى: د، ك وفى: ص، س، ب، أ، ر «المملوك» وهو تحريف.

(٩) كذا فى سائر النسخ وفى: ك «وقد سيَّر المملوك لمولاه أخبارا تليق بذلك التعليق فى حوادث مغربية حكاها عن ذلك السلف واحد من البقية قال: إن واحدا من أهل الملوك الذين قتلوا فى المغرب وحال الأجل بينهم وبين آمالهم فلم يغرب شرد عن أرضهم هربا وأنشد فى نعيهم وما أنشد كذبًا».

(١٠) البيت - بنصه - للمتنبى، من قصيدة فى مدح كافور. :ديوان المتنبى للبرقوقى ١/ ٣٢٦، التبيان فى شرح الديوان للعكبرى ١/ ١٩٩، يتيمة الدهر ١/ ٢٣٧، وفيات الأعيان ٤/ ١٠١، الوافى بالوفيات ١/ ١٧٣، ٩/ ٤٠٣.

إلا هذا الواصل نشء الخلافة ابن بدران فإنه وصل سالمًا(١) ولكن بعد أن خاض الأخطار، وجاب الأقطار، وجاس الديار(٢) ورسب في سرى الليل، وطفا في سير النهار، وبعد أن غرب حتى لم يجد مغربًا(٣)، وبعد أن أوسق(٤) الركاب ذهبا، وبعد أن سلب الجميع عطبا، وبعد أن قضت(٥) منه ملوك المغرب وقضى منها(٦) أربا، وبعد أن نجا برأسه هربا، وبعد أن رأى من الدهر ورأى منه عجبا(٧) وهذا الرجل فرّ من دين خفيف لطيف أعانه على فراره وحسنه له، وحمله عليه أولئك الذين خابوا وظفر(٨) وافتقروا واستغنى، وأبعدوا وتقرب، وتأخروا وتقدم، وقُتِلوا وسَلِم ورُبَّ ساعٍ // لقاعد، وساهر لراقد(٩) [٣٧/ ب] وخرج متكرها مجبرا محينًا محيرًا(١٠)، ووصل كتابه من الطريق(١١) مترجمًا

(١) في: ك «وذلك هو ابن بدر نفسه» بدلا من «إلا هذا الواصل.. فإن وصل سالمًا».

(٢) في: ك «وجاس خلال الديار». وقد نظر في هذا إلى قوله تعالى: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ سورة الإسراء ١٧/ ٥.

(٣) في: ك «وغرّب حتى لم نجد مغربا» وكلمة (نجد) تصحيف وهذا المعنى قريب من قول المتنبي:

فشرَّق حتى ليس للشرق مشرقٌ وغرَّب حتى ليس للغرب مغرب [الطويل]

التبيان في شرح الديوان: ١/ ١٨٧

(٤) في: ك «ثم أوسق».

(٥) في: ك «ثم سلب الجميع بلاء وعطبا وقد قضت».

(٦) جملة: «وقضى منها» ساقطة من: ب، س.

(٧) في: ك «ثم نجا برأسه هربا فرأى من الدهر كما رأى الدهر منه عجبا».

(٨) في: ك «وأن ذاك الرجل إنما هرب وفرّ من دين خفيف ندبه إلى فراره، وزين له دارا غير داره، وطابقه على ذلك أهله المساكين الذين خابوا وظفر». (الدين) من معانيها: الحال، الداء، ما يتدين به الرجل، السلطان، القهر.. لسان العرب (دين) ص ١٤٦٩ وأظن المراد هنا هو «القهر».

(٩) في: د «ورُبَّ قائم لقاعد».

«رُبَّ ساعٍ لقاعد» مثل قيل: للنابغة الذبياني، وقيل: لمعاوية ابن أبي سفيان: المستقصى ٢/ ٩٥، فصل المقال ص ٢٨٧، مجمع الأمثال ١/ ٣٨٢، ولم ينسب في: العقد الفريد ٣/ ٤١، تاريخ الطبري ٥/ ٥٠، البداية والنهاية ٨/ ٢٣٦

وفي ديوان زهير بن أبي سلمى، د. حنا نصر ص ٢٣٩، قال زهير:

أتى قومه منه رحباءُ وكسوةٌ ورُبَّ امرىء يسعَى لآخر قاعد [الطويل]

وورد هذا المعنى في قول النابغة الذبياني:

أتى أهله منه حباء ونعمـــة ورُبَّ امرىء يسعَى لآخر قاعد [الطويل]

ديوان النابغة الذبياني، لكرم البستاني ص ٤٦.

(١٠) في: ك «قد خرج متكرها».

(١١) في: ك «وأنفذ كتابه من الطريق».

بالمملوك الخادم الحائر النادم، فما هو إلا أن وصل إلى صاحبه وجده[١] قد علا، وإقباله قد أقبل، وسعده قد أسعد، وشخصه قد خف على القلوب ولا سيما قلب المصحوب، وفى قصصه عبرة، وفى خبره ما يزيد العاقل بالأيام خبرة. وقد كتب المملوك ما سمعه منه[٢] وإن كان أكثره مُوَشَّى[٣]، وأطرف مولانا بطرفه[٤] التى منها ما هو كالنهار إذا تجلَّى، ومنها ما هو كالليل إذا يغشى[٥].

(١) فى: ك «وإذا جده».

(٢) فى: ك «وقد ستر المملوك ما وعاه من ذاك الحديث» ولعل كلمة (ستر) تحريف (سطر).

(٣) (موشّى) كذا فى: ك «وهو الصواب. وفى: أ «مشاعا» تحريف وفى: ص، س، ب، د، ر «مُشا» تحريف. وكلمة «كان» ساقطة من: د.

(٤) (طرفه) كذا فى: ك وهو الصواب. وفى ص، س، ب، د، أ، ر «بخرائفه» ولعلها تحريف بطرائفه».

(٥) اقتباس من قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ سورة الليل ١/٩٢

فصل من كتاب إلى أبى ـ رحمه الله ـ بخط يده(١)

ورد كتاب القاضى السعيد وقصيدته، وهى قصيدة(٢) فريدة صارت بعدها القصائد قصداً(٣) // وطريقته فيه صارت طرائق البلغاء بعدها طرائق(٤) [٣٨/أ] قددا(٥)، وإن قلت: إنها نادرة فالنادر رأيت(٦)، [وما بمثلها سمعت على كثرة ما رويت(٧)]، أو سيارة(٨) فإنها لا تحتاج إلى لسان راويها ولا إلى يد ناقلها؛ فهى تدل على نفسها بإشراق شمسها، ولا تزال جديدة كل(٩) الأيام يوم قدومها، وكل الليالى ليله عرسها، ولا تعدو أن تدير على العقول كأسا لا يجنى الحديث فى طريق فهمها ما يجنى الحديث فى طريق الكأس من جنسها، وما رأيت أحسن منها إلا الذى نراه(١٠) بعدها، ولا وقفت له على ما ظننته يقف عنده إلا جاءت بعده أخرى لا يقف عندها، ولولا أن أفطن الدهر بمكانه من قلبى، وخوفى أن أعرفه بحسنته منه فأغريه منها برفع أوزار حربى(١١) لقلت فيه قولا يخض الأولين

---

(١) فى: ك «من كتاب له بخطه إلى والدى ـ رحمهما الله ـ».

(٢) فى: ب «وقصيدته التى هى قصيدة»

(٣) القصدة: القطعة من الشىء إذا انكسر. لسان العرب (قصد) ص ٣٦٤٣

(٤) كلمة «طرائق» الثانية ساقطة من: د.

(٥) صار القوم قددا: تفرقت حالاتهم وأهواؤهم. اللسان (قدد) ص ٣٥٤٣ وقد تأثر فى هذا بقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ سورة الجن ٧٢/ ١١

(٦) فى: ك «فالنوادر رأيت».

(٧) زيادة من: ك.

(٨) فى ب: «وإن قلت إنها سيارة».

(٩) كلمة: «كل» ساقطة من: د.

(١٠) فى: ب، س: «أراه».

(١١) والرواية فى:ك «أو أنها أنجم سيارة فلا حاجة بها إلى السير وفضلها قد بسط أنواره فهى الغنية حتى عن لسان راويها وعن يد السائر فى تصوير مباينها، قامت تدل على نفسها بإشراق شمسها، ولا تزال جديدة وما فى عقدها غير فريده فلكل يوم يوم قدومها وكل ليلة ليلة العرس على مخدومها ولا تعدو أن تدير على العقول كأسا فكأسا، ولا على القلوب من جنس الطرب أجناسًا ولا يجنى من الحديث فى طريق أنسها ما يجنى من الخمر فى طريق كاسها وما أقدر أن يكون أحسن منها إلا الذى يتقدم عليه ويتأخر عنها ولولا أن يفطن الدهر بمكانه من قلبى وأخاف أن يعرف حسنته فيغرى عليها برفعه أعلام حربى.

والآخرين// من أهل هذه الصناعة، وأنفذت فيهم سهامًا[1] لا يحمى شاعرًا [٣٨/ب] منها صخرة وجه[2]، ولا كاتبا درع دراعه[3]، بل كنت أقول فيه لا أغضهم إن أنصفوا، ولا أغيظهم إن عرفوا، بل ما كنت[4] أغلب إلا مغلبًا يتبجح بالقصور عن أمده المديد، ويتمدح بالتأخر عن مرماه البعيد[5]، ومن هزمه[6] الشجاع فما سلبه حظه من الشجاعة[7]، وإنما تتفاوت قدراهما فى البراعة[8]، ولو أن له نظيرا لقلت إنه الآن واحد الجماعة، ولو أن لهذه الصناعة طلبة لقلت: إنه الآن على العصابة من عصبة شيخ الصناعة[9]. وعلى الجملة فقد أبقَى لنفسه ولوالده ذكرا أحله فى معقل باقٍ على الأيام لا يملك ولا يهدم، ولا يحصر ولا يسلم. ولا // تبلغه خيل الطلب[10]، ولا تغير عليه خيل النوب [٣٩/أ] وهو بالحقيقة[11] والد والده، وواحد دهره لا خلا من واحده، وأنا شديد الابتهاج بكل ما يمر بى من نتائج خواطره، ودائم الشكر لما ينتظم لدىً من عقود جواهره؛ لأنى أرى نفسى أبا له من حيث الوداد، كما ترى الحضرة نفسها أبًا له من حيث الولاد، والله يمتعنا به معا،

(١) فى: ك «ورميتهم بسهام».

(٢) فى: ك «حر وجهه» تحريف.

(٣) الدرع: لبوس الحديد. لسان العرب (درع) ص ١٣٦١ والمراد أن الأدلة على براعة القاضى السعيد ثابتة واضحة لا تقاوم.

(٤) فى: ك «وهل كنت».

(٥) فى: ب، س «مضماره البعيد».

(٦) فى: ك «هزم».

(٧) وقريب من هذا المعنى قول عمرو بن معد يكرب الزبيدى:

وليس يعابُ المرءُ من جبن يومِهِ وقد عُرِفتْ منه الشجاعةُ بالأمسِ [الطويل]

وديوانه، ص: ١١٥، العقد الفريد ١/ ٥٥.

(٨) فى: و، ك «وإنما بالتفاوت بين قدريهما أدرك إمتاعه».

(٩) فى: س «إنه الآن على الغضاضة»: تحريف وتصحيف. وعبارة «ولو أن لهذه الصناعة... من عصبة شيخ الصناعة» ساقطة من: ك.

(١٠) فى: س «حيل الطلب» تصحيف.

(١١) عبارة «وعلى الجملة فقد وهو بالحقيقة» رويت فى: ك على النحو التالى «وبالجملة فقد أبقى لنفسه ولوالده ذكرًا، وتبوأ فى المجد معقلا تطلع دونه الثريا والشعرى، لا يملك ولا يهدم، ولا يحصر ولا يسلم، ولا تبلغه خيل الطلب ولا تغير عليه فوارس وبالحقيقة هو».

ويسرني بقربه مرأى كما سرني بقربه[1] مسمعًا. ولو كان ما عرضه من زيارته، وسمحت به الحضرة من مفارقته والسفرة في أولها ومن قبل بلوغ أرذلها لكانت منية لا أحطها إلا أن تعرض[2] ومسرة لا أثقل فيها إلا أن ينهض فيها من كرمها[3] ما ينهض. وأنا الآن بين رأيين: أحدهما يشير بالمسير إلى مصر متزودًا منها ومودعًا، // والآخر يجذب [٣٩/ب] إلى الشام على كوني منه منقبضًا مجتمعًا[4] فإن الإقامة بمصر لا أرى أمرها ممكنا، واستمرار المفارقة للأهل لا أرى[5] مركبها إلا خشنا * والله في كل يوم محدث شأنا *[6]

قلتُ: هذا الفصل جواب عن كتاب عطفته على قصيدة، أنا أذكر أبياتا منها، أولها[7]:

١ لو واصلتِني يومًا لمْ أمتْ أبدًا ... أو لمْ تصلِني[8] فيا موتى بها كمدًا [البسيط]

٢ لمن أوصي بميراثِ الغرامِ بهَا ... هيهات هيهات لا أرضَى لهُ أحدًا

٣ ومن غرامي دموعٌ ما لها عددٌ ... وكيفَ بما لمْ أحصِهِ عددًا؟

٤ وإن تشكّكتَ أنّي قد قُتلتُ بهَا ... فاستفهمْ[9] الدَّلَّ أو فاستشهدْ الغيدَا[10]

٥ فثغرهُا ومُحَيّاهَا وقامتُهَا ... كانُوا عليَّ كما شاءَ الهوَى لُبَدَا[11]

---

(١) في: ك «بحديثه» وفي: ب، س «كما يسرني بكتبه»

(٢) في: ك «يعرض».

(٣) في: س «من كرمه».

(٤) في: ك «والآخر يجاذب إلى الشام على كوني منفردًا عنها بل مجتمعا».

(٥) في: ك «واستمرار فرقة الأهل لا يكون».

(٦) هذا تعبير شائع، وقد ورد في شعر نُسِبَ ليحيى بن علي بن المنجم، وهو قوله:

والناسُ يأتمرُون الرأي بينهم ... واللهُ في كلِّ يومٍ محدثٌ شأنا.

ابن المعتز العباسي، د. أحمد كمال زكي، ص: ١٧٨

(٧) عبارة: «عن كتاب عطفته. أولها» ساقطة من: ك. وكلمة: أولها ساقطة من: د. والقصيدة في ديوان ابن سناء ٢/ ٩١ - ٩٤ قالها في مدح القاضي الفاضل.

(٨) كذا في: ك، وهي نص رواية الديوان ٢/ ٩١، والذي في: ص، ب، س، د، أ، ز «ولم تصلني» وهو تحريف يخل بالوزن.

(٩) في: ب، س «فاستقسم» وهي الرواية في ديوانه ٢/ ٩١.

(١٠) الغيد: النعومة. لسان العرب (غيد) ص ٣٣٢٤.

(١١) لبد الشيء بالشيء يلبد إذا ركب بعضه بعضا... ولبد: اسم آخر نسور لقمان بن عاد سماه بذلك لأنه لبد فبقي لا يذهب ولا يموت. وفي المثل: «طال الأبد على لبد». اللسان (لبد) ص ٣٩٨٤.

٦- // وقد سُحِرتُ بتلكَ العين لا قذيتْ　　كما احترقتْ بذاك الخدُّ لا خَمَدَا [٤٠/أ]

٧- وليس ينفعُ فاهًا جحدُهَا(١) لدمى　　وخدُّهَا عند قاضى الحسنِ قد شهِدَا(٢)

٨- رأيتُ كلَّ عجيبٍ من ملاحتِهَا　　حتى رأيتُ بفيهَا الخمر والبرَدَا(٣)

٩- مَنْ علَّمَ الظبىَ لولا ظرفُهَا حورَا　　وعلَّمَ الغصنَ لولا قدُّهَا ميَدَا(٤)

١٠- لمْ تبدُ للبدرِ إلا واستحَى خجلاً　　والنرجسِ الغضُّ إلا واشتكَى رمدا

١١- وعينُهَا وهى لا تدرى وإن رقدتْ　　أعزُّ عندى من طرفى وإنْ سهَدَا(٥)

١٢- قولوا لجنةِ عدنٍ وهى قاتلتى　　مالى رأيتُ نعيمى فيك قد نفَدَا

١٣- قالتْ: فإنِّى بحسنى نعمةٌ حُسِدَتْ(٦)　　فإنْ(٧) أردتَ وصالاً لى فكنْ جسدَا

١٤- وأنتَ يوم ندًى بالدمعِ تهطُلُهُ　　وقلَّمَا اجتمعتْ شمسٌ ويومُ ندَى(٨)

١٥- ما أطرقَ الطَّرفُ من يومِ رؤيتِهَا　　كِبرًا ولكنْ لذاك الحسِ قد سجَدَا

١٦- كذاك قلبى لم يخفق بهَا فرحًا　　وإنما خافَ يومَ البيْنِ فارتعَدَا

١٧- // بالحبِّ يرجعُ عبدُ المرءِ سيدَهُ　　ويجترى الظبى حتى يفرسَ الأسدَا [٤٠/ب]

١٨- قالتْ: سلوتُ وما أدرى أأعلَمهَا　　بذاك دمعى أو أنفاسى الصُّعُدَا(٩)

منها فى مدحه(١٠)

---

(١) الذى فى ديوان ابن سناء ٢/٩١: «جحده».

(٢) من البيت السابع «وليس ينفع فاها» وحتى نهاية البيت السابع عشر «بالحب يرجع..» ساقط من: ك.

(٣) البرد: حب الغمام. اللسان (برد) ص ٢٤٩

(٤) ماد الشيء يميد ميدا: تحرك ومال. اللسان (ميد) ص ٤٣٠٥.

(٥) فى: س «وقد سهدا».

(٦) الذى فى ديوان ابن سناء ٢/٩٢ «نعمة حسنت».

(٧) الذى فى ديوان ابن سناء ٢/٩٢ «وإن».

(٨) فى: د جاء هذا البيت بعد البيت السادس عشر.

(٩) بعد هذا البيت «قالت: سلوت» ثلاثة عشر بيتا، فى ديوان ابن سناء الملك ٢/٩٢ ـ ٩٣.

(١٠) فى: ك «وفى المدح منها».

١٩- كالبحرِ حين طمَى، والقطر(١) حين همَى والنجم حين سمَا، والبدر حين بَدا

٢٠- فى الدستِ يقعدُ والأقدارُ قائمــــةٌ مَنْ شاءَ يقعدْ فليقعدْ كمَا قعدَا(٢)

٢١- تأتى الملــــوك إلى أبوابــــهِ زُمَــــرًا ويدخلونَ على أبوابهِ سُــجَّدًا(٣)

٢٢- قد آنسوا نارَ موســـى من بديهتِـــــهِ فمِمَّا يجيئون إلا يقبسون هــدَى

٢٣- ودَبَّروا(٤) فيه من مُدَاحِــــه مِدَحًــــا لكن يريدون من آرائه الصــفَدَا(٥)

٢٤- مظفرُ الرأى(٦) مدلـــولٌ لفطنتِــــه(٧) على الإصابة يقظانُ وإن هَجَــدَ

٢٥- أغنَى الملــوكَ بكتـبٍ عن كتائبِهِــم فما بَــرى قلمًا إلا غزاَ بلَــدَا(٨)

ومنها فى تشوقه والفسحة فى زيارته(٩)

٢٦- // لم يُبقِ لى بعــدَه قلبًا ولا كبِدًا ولا جفونًا ولا صبرًا ولاجلـــدَا [٤١/أ]

(١) الرواية فى ديوانه (٢/٩٣): والغيث.

(٢) فى: ك «من شاء فى الدست فليقعد كما قعد».

(٣) فى: ك «ويعطفون على أبوابه سجدا». وهذا المعنى قريب من قول المتنبى فى مدح سيف الدولة:

تظل ملوك الأرض خاشعة له لفارقه هلكى وتلقاه سُجدَ [طويل]

ديوان المتنبى بشرح البرقوقى: ٢/٤، والتبيان للعكبرى ١/٢٨٢

(٤) «ودبروا» كذا فى جميع النسخ، والذى فى ديون ابن سناء الملك ٢/٩٣ «وحبروا» ولعلها الصواب.

(٥) هذا البيت «ودبروا فيه. . .» ساقط من: ك. وبعد هذا البيت ثلاثة أبيات فى ديوان ابن سناء الملك ٢/٩٣. والصفدا: العطاء.

(٦) فى: ك «مسدد الرأى».

(٧) فى: ب، س «بفطنته» وهى رواية الديوان أيضا ٢/٩٣

(٨) بعد هذا البيت «أغنى الملوك. . .» خمسة أبيات فى ديوان ابن سناء الملك ٢/٩٣، ٩٤ وقد روى البيت وقبله بيت فى مطلع الفوائد ص ٢١٦ منسوبين لابن سناء الملك ومعنى البيت قريب من قول المتنبى:

يا مَنْ إذا وردَ البلادَ كتابُــهُ قبل الجيوشِ ثنَى الجيوشَ تحيُّرَا [الكامل]

ديوان المتنبى للبرقوقى ٢/٢٧٢، التبيان للعكبرى ٢/١٦٦

(٩) عبارة: «ومنها فى تشوقه. . زيارته» ساقطة من: ك. وفى: ب «ومنها يتوشقه ويسأله فى الفسحة فى زيارته» وفى: س «منها فى تشوقه وسؤاله فى الفسحة فى زيارته».

٢٧ وعند قومٍ على حربِ النوَى عُدَدُ ... وليس يُحسِنُ قلبى ينقل[١] العُدَدَا

٢٨ ياظاعنين[٢]، لقد قصَّرتُمُ أملاً ... يا غائبين لقد طولتُم الأمدَا[٣]

٢٩ أما تشوقتُم مصرَ التى شقيَتْ ... ولا مللتُم[٤] من الشامِ الذى سعدَا

٣٠ يا مالكَ النفسِ لِمَ صيَّرتهَا هملاً[٥] ... وآخذَ القلبِ لِمَ لا تأخذُ الجسَدَا

٣١ تركتنى حائراً فى الدارِ مغترباً ... فى الأهلِ مستوحشًا فى الخلقِ منفردًا

٣٢ كم اجتهدتُ بجُهدى فى اللحاقِ بهِ ... فقد أصاب ولو أخطأ من اجتهَدَا[٦]

٣٣ وعدتَنَا بنجومِ السعدِ طالعةً[٧] ... فينًا ومثلك مَنْ أوفَى بما وعدَا

(١) فى: ك «نقله».

(٢) فى: ك «يا ظاعنون».

(٣) فى: ك «يا غائبون ولم طولتم أمدا».

(٤) فى: ك «أما مللتم».

(٥) هملا: سدى. لسان العرب (همل) ص ٤٧٠١.

(٦) هذا البيت: «كم اجتهدت بجهدى. . » ساقط من: ك.

وهو إشارة إلى قول الفقهاء: المجتهد مصيب ولو أخطأ». وفى ديوانه ٢/ ٩٤ «وقد أصاب».

(٧) الذى فى ديوان ابن سناء الملك: ٢/ ٩٤ «لقد وعدت نجوم».

فصل من كتاب إلى أبي ـ رحمه الله ـ[(١)] بخط يده[(٢)]

وأما دخولها بكتاب القاضي السعيد ـ أقر الله عينها به، وقد فعل، وصرف عنه عين الكمال فإنه قد كمل ـ في هذا القبيل، فإن // هذا زحام[(٣)] [٤١/ب] لا يكاثر هذا المنكب، ونور يشرق لا يدخل عليه دجي ذلك المغرب[(٤)]، وقد وقفت عليه [وأطلقت النظر إليه[(٥)]]، وهو يحتاج إلى زيادة تأمل[(٦)]؛ ليظهر بالاستشفاف ظهور جوهره الشفاف، وأنا والله من انقفال الخاطر[(٧)]، وتشعث[(٨)] الفكر واستغراقه على حالة يجب معها [الجزع][(٩)] ويسقط بها الحق، ولا سيما مذ تجدد هذا الفصل الذي كثرت وطالت فيه الأعلال، ثم اختصرتها على الناس الآجال، ثم استحبها الأبطال الشجعان الجهال، ثم اردفها الغلاء الذي أرباب الأحوال منه بحال، ثم استوجبتُ أنا الإقامة بقية الشتوة على ما لا يقام عليه إلا لأهل الاضطرار[(١٠)]، ثم دفعت إلى ما كنت أنسيته من // الأشغال المستوعبة لليالي الطوال،[٤٢/ أ] وأيامه التي هي قصيرة مع مقاساة الغلاء، وتحمل الأثقال، ومع تكاليف[(١١)] يضيق بها صدر المسؤول

---

(١) في: أ «رحمه الله تعالى».

(٢) عبارة: «من كتاب إلى أبي ـ رحمه الله ـ بخط يده» مكانها بياض في: ك.

(٣) في: ك «فإنه زحام».

(٤) في: ك «ونور مشرق لا يدخل عليه ظلمة ذلك المغرب».

(٥) زيادة من: ك.

(٦) كلمة: «هو» ساقطة من: د. وفي: ك «إلى زيادة تأمل وفضل تعقل».

(٧) في: ك «وإني من انقلاق الخاطر» وفي: د «من انفعال الخاطر».

(٨) في: ب «تشعب».

(٩) زيادة من: ك.

(١٠) عبارة: «على حالة يجب معها لأهل الاضطرار» روايتها في: ك «على حال يجب لها الجزع الباطل ويسقط الصبر الحق، ولاسيما مذ تجدد هذا الفصل الذي خالف أصله فشق وعق وطالت فيه ضروب الاعلال لولا اختصرت من طولها على بعض الناس الآجال، ثم أردفه الغلاء الذي ذهب فيه نفيس الوقت سبهللا، ثم إني آثرت الإقامة بقية الشتوة مع الاستنكار حيث إن الحال الشديدة لا يقيم عليها إلا أهل الاضطرار».

(١١) في: ك «من الأشغال التي تقصر عنها الليالي الطوال على تكاليف» وعبارة: «وأيامه التي هي قصيرة مع مقاساة الغلاء وتحمل الأثقال» ساقطة من: ك.

ولا تتسع لها بيوت الأموال[١] فيما يذود القول عنى أقله[٢] وفيما يحير[٣] بالخاطر ويحيره ويضله، ويشهد أنه لا يهدى إلا من يهدى الله إلى رشاده وأنه لا يقدر المرء ولا يملك لنفسه أمرًا باحتياله واجتهاده[٤].

ومحاسن هذ القاضى[٥] ـ حفظه الله كما تحفظ[٦]، وأبقاه كما تبقَى[٧] على الأيام ولا تلفظ[٨] ـ كاملة كمال البدور، نامية نماء الأهلة[٩]، مستقلة بما[١٠] محاسن الأدوات دونه مستقلة[١١]، وفيها عيادة من مرض الأسى ومسه، وعذرٌ ليوم[١٢] وصولها عن ذنب غده وأمسه[١٣] فزدنا من حديثك يا سعد[١٤] // ومن يمل من الأنفاس ترديدًا[١٥] فإنها كالحياة

(١) فى: ب، س «ولا تتسع به الأموال» وكلمة «بها» تحريف.

(٢) فى: ك «خطوب يذود القول عنى أقلها». وهذا المعنى قريب من قول ابن المعتز:

مَنْ يذود الهموم عن مكروب مستكن لحادثات الخطـــوب [الخفيف]

ديوان أشعار الأمير أبى لعباس ابن المعتز ٢/ ٤٢، أشعار أولاد الخلفاء ص ٢٧١ وقول المتنبى:

وبى ما يذود الشعرَ عنِّى أقلُّهُ ولكن قلبى يا ابنة القوم قلب [الطويل]

ديوان المتنبى للبرقوقى ١/ ٣٠٥، التبيان للعكبرى ١/ ١٨١، يتيمة الدهر ١/ ٢٦٠، معاهد التنصيص ٣/ ٣٠.

(٣) استحار وتحير من معانيها: امتلأ وبلغ الغاية. لسان العرب (حير) ص ١٠٦٧

(٤) عبارة «وفيما يحير بالخاطر ويحيره ويضله» ساقطة من: ك.

وفى: ك». «واشهد أنه لا يرشد إلا من يقضى الله بإرشاده ولا يملك المرء لنفسه أمرا بتحيله واجتهاده».

(٥) فى: ك «ثم إن محاسن القاضى».

(٦) فى: س «يحفظ».

(٧) فى: س «يبقى».

(٨) فى: س «يلفظ».

(٩) فى: ك «فى كمال البدور، ونمو الهلال، وبقاء الحديث فى محاسن الرجال».

(١٠) فى: س «بها» تحريف.

(١١) عبارة: «مستقلة بها. دونه مستقلة» ساقطة من: ك.

(١٢) فى: ك «بيوم».

(١٣) فى:ك «عن هفوات أمسه» وفى: س «عن ذنب غد وأمسه».

(١٤) الرواية فى: ك «ردد حديثك ما طابت مواقعه» بدلا من فزدنا من حديثك يا سعد: وهذا المعنى قريب من قول العباس بن الأحنف (ديوانه، ص: ١٢):

وحدثّتنى يا سعد عنها فزدتَنى جنونًا فزِدْنى من حديثك يا سعد [الطويل]

وانظر: زهر الآداب ١/ ٢١٤، والبداية والنهاية ١٠/ ٢١٠، ومعاهد التنصيص ٣/ ٥٧.

(١٥) فى: ك «فمن يمل من الأنفاس ترويدا».

وانتشاقها [٤٢/ب] وكاختلاف الحيا وانطلاقها، وكالكواكب السيارة التى لا تقصر فى منار إشراقها ومنال آفاقها[١].

قلتُ: هذا الفصل جواب عن كتاب شذ عنى وأُنْسِيتُهُ حتى كأنه ما مرَّ بى[٢]

(١) فى: ك «إنه من جنس الحياة وانتشاقها، ورفع احتباس السماء بإطلاقها وسيارة النجوم التى لا تقصر فى إضاءة آفاقها».

(٢) فى: ك «قلت: هذا الفصل جواب عن كتابٍ غاب عنى، وغلب الدهر على مكانه منى حتى كأنه ما مرَّ بى نسيانا، ولا متعنى برقيمه سماعا وعيانا».

ومن كتاب كتبه إلى أبي بخط يده[١]

وقفتُ على كتاب القاضي السعيد مسرورًا بما وفقه الله[٢] من بلاغة تنم على فضله إذا لبس لبسة المتجمل، وإذا طرح الكلفة فلبس[٣] لبسة المتفضل، وهو بيان يكاد ينمُّ على الممدوح بغير فعله خدعة[٤] كما أن كاتبه قد[٥] أبر على قرائح المذاكى القُرح جذعه[٦]، والله يريها فيه نعمة الدوام فقد رأت فيه نعمة التمام[٧]

قلتُ: هذا الفصل جواب // عن كتاب كتبته إليه قصرتُه [٤٣/ أ] على وصف إنسان فقيه كبير فمن فصوله[٨]: وأما فلان فما يدرى المملوك أعلمُه أرجح أم عقلُه أم دينُه أم يقينُه أن نُسكُه أم سكونُه أم زهدُه أم صبرُه أم شكره[٩] ولو لمْ يُقصَد هذا الرجل لشرف أصله[١٠] ولا لأجلِّ علمه[١١] لقُصِدَ لحسن خلُقه، وبهاء خَلْقه، وطيب حديثه، ومعسول نشره، وطهارة مجلسه، وحلاوة لسانه، ومعشوق شمائله، ورقة حاشيته، وقربه من كل قلب وعلاقته بكل نفس[١٢] وجلالته فى كل عين، ودخوله فى كل صدر ومسراه فى كل سر.

---

(١) فى: ك «فصل من كتاب له بخطه إلى والدى أيضًا ـ رحمهما الله تعالى ـ» وفى: د «ومن كتاب كتبه إليَّ بخط يده» وهو خطأ وهذا الكتاب كله ساقط من: ب، س.

(٢) فى: ك «بما خصه الله».

(٣) فى: ك «وإذا اطرح الكلفة عنه».

(٤) فى: ك «وفيه بيان يشهد للممدوح فيه بغير فعله خدعة».

(٥) كلمة: «قد» ساقطة من: ك.

(٦) الجذع من معانيها: الجديد وهو المراد هنا انظر لسان العرب (جذع) ص ٥٧٦.

(٧) فى: ك «والله يرينا فيه نعمة الدوام فقد رأينا فيه نعمة التمام».

(٨) فى: ك «جواب عن كتاب له إلى والدى حرره فى ذكر إنسان فقيه كبير ومن فصوله».

(٩) فى: ك «أعلمه أرجح أم عقله أم دينه أم نسكه أم حلمه أم يقينه أم زهده أم فقره أم صبره أم شكره».

(١٠) فى: ك «ولو لم يُقصَد هذا الرجل بالثناء لشرف أصله».

(١١) فى: ك «وجلائل عمله وفضله».

(١٢) فى: ك «وبهاء خلقه وما انطوَى عليه حديثه منشورا وفاق به مجلسه وقارا ونورا، وما كان من حلاوة لسانه، ومسابقة الأذكياء إلى الفخار بميدانه ورقة حاشيته، وضروب لطافته، وتقربه من كل قلب، وعلاقته فى كل نفس».

هو كما[١] قال ذلك[٢] الشيخ في تلك العجوز[٣]:

أُفرِغَتْ في الزجاجِ من كلِّ قلبٍ فهي محبوبةٌ إلىَ كلِّ نفـــسٍ[٤] [الخفيف]

//ومع ذلك فقد قتلته الأيام ضرا وفقرا، وقد قتلها صبرا وشكرا[٥] [٤٣/ ب]

فقرٌ كفقرِ الأنبيـــــاء وغربـــةٌ وخصاصةٌ ليس البلاءُ بواحدِ[٦] [الكامل]

---

(١) كلمة «كما» سقطت من: د.

(٢) كلمة: «ذلك» سقطت من: د.

(٣) قوله: «في تلك العجوز» سقط من: ك. والمراد بالعجوز هنا: الخمر القديمة.

(٤) البيت - بنصه - للبحتري، من قصيدة له في وصف إيوان كسرى: ديوان البحتري، للصيرفي ٢ / ١١٥٨، ديوان البحتري طبعة بيروت ١ / ١٩٣ معجم الأدباء ١٩ / ٢٥٦، معجم البلدان ١/ ٢٦٦، جوهر الكنز ، ص ١٨٦

(٥) في: ك « ومع ذلك قد قتلته الأيام فقرا، وقتلها شكرا على ما هو به وصبرا».

(٦) في: ك «عيش كعسفِ الأشقياءِ وفاقة وإضاعة ليس البلاء بواحد»

البيت للبحتري، من قصيدة يعاتب فيها يوسف بن محمد، ونصه في ديوانه:

فقرٌ كفقرِ الأنبياءِ وغربـــةٌ وصبابة ليس البلاء بواحـد

ديوان البحتري للصيرفي ١ / ٥٠٧، المصون في الأدب، ص ٤٦، ثمار القلوب، ص ٦٢

فصل من كتاب إلى أبي بخطه[١]

وعرفت مرض حضرة[٢] القاضي السعيد، واستدفعت الله البلاء عن جسمها وقلبها[٣]، وسألته في أن ينقع[٤] الكبد بل الأكباد بعافيته وجلبها[٥].

قلتُ: هذا الفصل جواب عن كتاب كتبه[٦] إليه أبي[٧] - رحمه الله[٨] - ذكر له[٩]، فيه مرضي[١٠]، وعلمه من جهته[١١] لا من جهتي وسبب هذا الجواب منه لا مني[١٢].

(١) في: ك «فصل من كتاب له بخطه إلى والدي - رحمهما الله تعالى».
وفي: ب، س « ومن كتاب كتبه إلى أبي - رحمه الله - بخط يده».
(٢) كلمة «حضرة» سقطت من: ب، س.
(٣) في: ك «حواسها وقلبها» وفي: ب، س «جسمه وقلبها».
(٤) في: ب، س، د، ك «وسألته أن ينقع».
(٥) في: ك «بالعافية إليه وجلبها».
(٦) في: ك «حرره».
(٧) في: ب «إلى أبي» وكلمة: «إلى» تحريف.
(٨) جملة: «رحمه الله» سقطت من: ك.
(٩) كلمة: «له» سقطت من: س.
(١٠) في: ك «ذكر له فيه مرضي وما كنت عليه إذ ذاك».
(١١) في: س «وعلمه في جهته» كلمة: «في» تحريف.
(١٢) عبارة: «وعلمه من جهته. لامني» سقطت من: ك.

ومن كتاب آخر إلى أبي بخطه(١)

القاضيان الوالد والولد(٢) أحسن الله // عقباهما، وأسبغ نعماهما، [٤٤/أ] وبلغ أصغرهما سن أكبرهما، وأمتعهما(٣) بنعمة نظرهما. حضرته تنوب عنى في إهداء السلام عليهما، واستهداء الدعاء المتقبل من مضنته منهما، وبالله إنى فى هذه السفرة أجد من الغربة لانفرادى من القاضي السعيد وكونى كنت به كثيرًا، وكنت أجد من نظره على الهم سلطانًا نصيرًا(٤) وأعاشر منه واحدًا أجد منه عشيرًا(٥)، وما يسليني إلا أنى أقدم حظ جسمه فى الترفيه من هذه الأوخام، ومن هذه الأسقام على حظ قلبي في الأنس به والتعلل به(٦) وكذلك أيضا حظ نفسها فى إعفائها من مؤونة فراقه، ومن كدِّ ضمائرها باشتياقه(٧)، والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين(٨). كان هذا(٩) الفصل // ابتداء لا جوابا فنذكر سببه(١٠) [٤٤/ ب].

(١) فى: ك «الفصل من كتاب له بخط ابن زكى الدين إلى والدى - رحمه الله» وفى: ب، س «ومن كتاب آخر إلى أبى - رحمه الله - بخطه» والذى فى: س «بخط يده».

(٢) فى: ك «القاضيان السعيدان إلى غير أمد، وما هما إلا الوالد الماجد والولد».

(٣) فى: ك «ومتعهما».

(٤) فى: ك «حضرة كل تنوب عنى فى تحيتها، واستهداء الأدعية المرفوعة من مظنتها، وبالله إنى أجد فى هذه السفرة لانفرادى عن القاضى السعيد غربة ليس عليها قدرة، ولقد كان قليلى بالقاضى كثيرا، ولم يزل نظره إلى على الهموم سلطانا نصيرا». وقوله «سلطانا نصيرا» اقتباس من قوله: ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ سورة الأسراء ١٧/ ٨٠.

(٥) عبارة: «وأعاشر منه واحدا منه عشيرا» سقطت من: ك.

(٦) كذا فى سائر النسخ، والذى فى ب، س: «والتعلل بقربه» ولعله الصواب.

(٧) فى: ك «وما يسليني عن حزازة النوى وتصويرها بعلة لم يكن لها بمشاهدته دواء إلا أنى أقدم خط نفسه فى الترفيه على تلك الأوخام على خط نفسى فى تمتعها بمجلسه البسام، وإعفائها من مؤونة فراقه، وكد ضمائرها باشتياقه».

(٨) اقتباس من قوله تعالى ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ سورة يوسف ١٢/ ٦٤

(٩) فى: ك «قلت: كان هذا. . .».

(١٠) جملة: «فنذكر سببه» سقطت من: ك.

فصل آخر إلى أبي - رحمه الله -بخط بن زكى الدين[١]

ووصل كتاب القاضى السعيد وقصيدته، [فلا فارقت الزمان بهما سعادته[٢]]، ووقفت من قصيدة القاضى السعيد على أدوية للشفاء ما كانت فى قدرة الأطباء، ونسخ استعملتها القلوب فعادت بصحة الأعضاء، فجاءت والعافية فى قرن، ورحضت[٣] ما أبقت العلة من درن، وقامت بينى وبين الحمى فوفرت هذيانها، وتلت علينا آيات محاسن عرفت الحمى مع إساءتها إحسانها، فنكصت على عقبها، ودخلت فى حسبها[٤]، وكأنما كانت فى الحقيقة ماء عذبًا صافيًا أُلقِى على نارها فسبقها إلى حطبها، ولقد أتاه الله - وله // الحمد -[٥] فصل [٤٥/ أ] الخطاب، والانَ له ما ألانَ لصاحبه من صم الحديد الصلاب[٦]،ولو أدركها فتليت عليه لتلا بها مزامير المحراب[٧] فما أرخص وما أغلى ذلك البياع، وما أشد وما أسدى ذلك المتاع[٨]:

(١) فى: ك «فصل من كتاب بخط ابن زكى الدين إلى والدى - رحمهما الله -».

(٢) زيادة من: ك.

(٣) الرحض: الغسل. لسان العرب (رحض) ص ١٦٠٧

(٤) «حسبها» كذا فى: ص، س، د، أ، ر، ك. ولعل الصواب «حبسها» والحبس من حبسه بمعنى أمسكه عن وجهه اللسان حبس ص ٧٥٢

(٥) عبارة: «ووقفت من قصيدة. وله الحمد» روايتها فى: ك «ووقف عليل الجسم منهما على دواء لم يكن فى قدرة الأطباء واستعمله كثيرا حتى عاودته الصحة جسما وقلبا ولقد وصلا والعافية فى قرن، ورحضا ببرئهما ما كان للعلة من درن، وقاما بينى وبين الحمى فقطعا هذيانها، وتلوا آيات شفا عرفت الحمى مع إساتها إحسانها ونقصت على عقبها، ودخلت فى حسبها وكأنما كانت ماءً صافيًا أفرغ على نارها فسبق إلى حطبها ولقد أتى الله مولانا - وله الحمد -».

(٦) فى: ك من قطع الحديد الصلاب «وفى: س من ثمر الحديد الصلاب» وقوله «لصاحبه» يعنى داود عليه السلام. والمراد «بالان له صم الحديد الصلاب» أى مكنه من اللغة، وجعلها منقادة له يشكلها كيفما شاء.

(٧) فى ك: «ولو أدرك فصوله لصور بها مزاميره فى المحراب» ومزامير داود عليه السلام: ما كان يتغنى به من الزبور وضروب الدعاء وإحداها مزمار لسان العرب (زمر) ص ١٨٦١

(٨) فى: ك «الإمتاع».

إنا بعثناك[١] تبغى القول من كثب فجئتَ بالنجمِ مصفودًا من الأفقِ[٢] [البسيط]

فأما القصيدة السلطانية فهى عندى إلى أن يكون عرضها - إن شاء الله - عند الفتح القدسى[٣]، ولو أنصفتها لكان عرضها فى المحل القدسى، فما أقول إنه يجمل أباه الأدنَى بل أباه الأعلى، ولا جيلنا الحاضر بل القرون الأولَى[٤]، وما أقف على لفظة إلا أقول هذه ما بعدها فتأتى الأخرى غضبى علىّ فيقول لى الرضا قف عندها[٥]، وما أعرف لهذه المحاسن نظيرا // ولا تسأل بها غيرى خبيرًا. [٤٥/ب] وهذه دواوين الفحول قد جبها[٦]، وهذه وجوه[٧] الأقوال فقد[٨] أوردها نار النقد فأكبها، وأنا مع هذا مريض الوصف يدارسنى المرض باب التوكيد وأدارس العافية باب العطف. ولقد حال ما وصل منه بينى وبين ما كان يحول بينى وبينى[٩].

وقرأت ما كتبه مما قرأ[١٠] قلبى[١١] وأقر عينى فأما نصيب[١٢] الحضرة الرشيدية فيه فمسرة

(١) فى: ك «إنا ظننانك». والبيت لأبى العلاء المعرى. (سقط الزند ١ / ٤١٢، ٢ / ٦٧٥). وقد سبق تخريجه فى ص ٧٦ هامش ٢ من هذا الكتاب.

(٢) ومن قوله: «فنكصت على عقبها. وحتى مصفودا من الأفق» سقط من ب.

(٣) رواية: ك «وأما القصيدة السلطانية فهى عندى حتى يكون عرضها إن شاء الله تعالى - بيدى إذا وقع الفتح القدسى وأوسع الدهر به حظى وأنسى».

(٤) عبارة: «ولو أنصفتها لكان.. بل القرون الأولى» ساقطة من: ك.

(٥) رواية: ك «وما وقفت فيها على لفظة، فقلت: هذه لا قبلها ولا بعدها إلا تبعتها أخرى غضبى علىَّ فيقول الرضَى قفْ عندها».

(٦) فى: ك «لقد جبها» وفى: أ «لقد ارجبها» تحريف.

(٧) فى: ك «ووجوه» بدون «هذه».

(٨) فى: ك «لقد».

(٩) «بينى وبينى» يعنى بينى وبين عقلى، وهو من تعبيرات الصوفية، وقريب من هذا قول المتنبى:

إذا ما الكأس أرعشتْ اليدينِ صحوتُ فلم تَحلْ بينى وبينى [الوافر]

التبيان للعكبرى ٤ / ١٩٣، يتمية الدهر ١ / ٢١٣

(١٠) فى: ص، س، د، أ، ر «فما كتبت ما قرأ» والصواب ما أثبته من: ك.

(١١) فى: ك «فؤادى».

(١٢) عبارة: «فأما القصيدة السلطانية. فأما نصيب» سقطت من: ب.

عاجلة - لا نغَّصَها الله - وذكر باقٍ - لا قطعه الله -(١) وأما نصيبى منه فكسوة خلعها علىَّ لا تخلع عنى(٢)، وجوهر أقناه فكرى لا أسرق منه ولا يسرق منى(٣).

قلت: هذا الفصل جواب عن قصيدة هنأته فيها بفتح المسلمين لعسقلان(٤) ووصلت وهو بطبرية(٥) مريض // وأما القصيدة السلطانية التى أشار إليها [٤٦/ أ] فهى قصيدة تهنئة(٦) للسلطان بكسرة الفرنج الكسرة المشهورة التى ملك منهم الشام عقيبها. وأنا أذكر من القصيدتين ما يقع لى أنه مختار. فأما القصيدة المختصة به - رحمه الله - فهى(٧):

١ باتتْ معانقتى ولكن فى الـكـرَى ... أترَى دَرَى ذاك الرقيـبُ بما جـَرَى [الكامل]

٢ ونعـم درَى لما رأى فى بُردَتـي ... ردعًا وشـمٌ من الثـيابِ العنبَـرا(٨)

٣ طيفٌ تخطَّى الهولَ حتى يشتـرِى ... بيتَ الحشَا فقد(٩) اشترَى وقد اجترَا(١٠)

---

(١) فى: ك «فمسرة عاجلة وأحاديث فى مجده متواصلة، دام عليه جمالها ولا زالت ممتدة علينا ظلالها».

(٢) فى: ك «وأما نصيبى منه فخلعة شرف لا تُخلَع عنى».

(٣) فى: ك «وجوهر كَلِم أستمدُ منه حُلاى ولا يستمد منى».

(٤) فى: ك « هنأته بفتح المسلمين عـسقلان» وفى: ب، س «هنأته بفتح المسلمين عـسقلان» وعسقلان مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها عروس الشام. .، استولى عليها الإفرنج سنة ٥٤٨ هـ. ، واستنقذها صلاح الدين من أيديهم سنة ٥٨٣ هـ (معجم البلدان، لياقوت: ٤ / ١٢٢، آثار البلاد ص ٢٢٢).

(٥) طبرية: بليدة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية.
معجم البلدان، لياقوت: ٤ / ١٧، تهذيب الأسماء واللغات للنووى ٢/ ١٩٢

(٦) فى: ك «فهى تهنئة» بدون: قصيدة.

(٧) رواية: ك «وأنا أذكر من القصيدتين ما يظهر لى أنه مختارهما، فمن المختصة به قولى». القصيدة ديوان ابن سناء الملك ٢/١٥٧ - ١٦١

(٨) رواية البيت فى: ك «ولقد درَى لما رأى فى حُلتى ورسا وشم من الثياب العنبرا»
ونسب البيت لابن سناء الملك فى جوهر الكنز، ص٣٩٦. ونصه فيه:
ونعم درَى لما رأى فى بردتى ... ردفا وشمٌ من الثياب العنبرا
والردع: اللطخ بالزعفران. . . . وقيل: أثر الطيب فى الجسد. لسان العرب (ردع) ص ١٦٢٣

(٩) «فقد» كذا فى كل النسخ، ورواية الديوان: «وقد اشترى». ديوان ابن سناء ٢ / ١٥٧، وهذا البيت فى جوهر الكنز ص ٣٩٦ وفيه «أطيف».

(١٠) (اجترا) أصلها اجترأ بمعنى أقدم. اللسان (جرأ) ص ٥٨٢.

٤ ما زارَ إلاَّ فــي نهــارِ جبينِــهَا(١) فأقولُ ســارَ ولا أقــولُ له: ســرَى
٥ يا عينُ صرتِ بمَنْ حويتِ مدينــةً ولكم مضــىَ زمنٌ وأنتِ من القُــرَى
٦ بأبى وأمى مَنْ حملــتُ بذكرِهَــا لما انتبهتُ، ومُــذ رقدتُ(٢) تفــسرَا
٧ عُلقتُهَا بيضــاءَ سمــراءَ اللّمَــى(٣) أسمعــتُ فى الدنيا بأبيــضَ أسمرَا

// منها] ٤٦/ب]

٨ ومن العاجائبِ أن مــاءَ رُضَابِهَــا حلوٌ ويخرجُ حينَ تبسمُ جوهــراَ(٤)
٩ أشكُــو إليهَا رقتــى لــترقَ لى فتقولُ : تطمعُ بى وأنتَ كمـا تــرَى
١٠ وإذا بكيتُ دمًا تقــولُ شمتَ بــى يوم النوَى فصبغتَ(٥) دمعكَ أحمــرَا
١١ مَنْ شاءَ يمنحُهَــا الغــرامَ فدونَــهُ هــذى خلائقِهَــا بتخييرِ الشــرَا(٦)

منها(٧):

١٢ لو شاءَ مَنْ ملــك الشــآم بسيفِــه لأراحنى منها بأحســن منظــرًا(٨)
١٣ بسبيئة سبتْ النفــوسَ(٩) لأنهَــا لم تُسبَ إلاَّ من مقاصــرِ قيصرَا(١٠)
١٤ حميتْ لها الهيجاءُ حتى استخرجتْ ظبيا تدافعُ(١١) عنــهُ آسادُ الشــرَى

(١) فى: س «فى نهار جبينه» وهى الروايةفى ديوانه ٢ / ١٥٧

(٢) فى: د «وقد رقدت» وفى: ك « يقظان حتى إذا رقدت»

(٣) فى: د «يسمر اللمى».

(٤) بعد البيت الثامن (ومن العجائب. .) بيتان فى الديوان ٢ / ١٥٧

(٥) فى: ك «وصبغت».

(٦) شرى البرق: لمع وتتابع لمعانه. لسان العرب (شرى) ص٢٢٥٣ والبيت بنصه لابن سناء الملك فى جوهر الكنز ص ٣٩٦. وبعد البيت الحادى عشر «من شاء يمنحها» خمسة أبيات فى ديوان ابن سناء الملك: ٢ / ١٥٨

(٧) كلمة: «منها» ساقطة من: ك.

(٨) الأبيات من الثانى عشر «لو شاء» وحتى الحادى والعشرين «وأقوم من» سقطت من: د.

(٩) فى: ب، س «سبت القلوب».

(١٠) قيصر: لقب ملوك روما.

(١١) فى: ب، س «يدافع» وهى رواية الديوان ٢ / ١٥٨

١٥ فإذا انثنت أبصرتَ منها بانــــةً وإذا رَنتْ أبصــرتَ منهــا جُــؤذرَا
١٦ وإذا خبَّرتَ فقــد خـبرت مؤنثًا(١) وإذا نظـــرتَ فقد نـــظرتَ مُذكَـــراَ
١٧ // ويكاد يجحدُ خدَّها نسبًا لها إذ لا تُرَى لا زال أحـــمر أصـــفرا(٢) [٤٧/أ]
١٨ وأفلكٌ عنها القيدَ وهو ضفائرٌ(٣) أغنَتْ(٤) لكثرة(٥) شعرهَـــا أن تُضفَـــراَ
١٩ وتعودُ فى أسـرِ العناقِ ومثلُهَـــا مــــا كــــان إلا بالعنـــاقِ ليؤثَـــراَ
٢ وتُبيحنى منها الرضابُ لأنهَـــا مَمنْ تديـــنُ بأنْ تُحـلَ(٦) المُسكِـــراَ
٢١ وأقومُ من طـربِ(٧) المسرة منشدًا شعرى وغايـــةُ عاشـــقٍ أنْ يشعـــراَ
٢٢ آنستُ نارَ الخـدِ لا نارَ القِـــرَى وحمدتُ صبحَ الثغرٌ لا صبح السرَى(٨)

(١) رواية الديوان ٢ /١٥٨ «وإذا اختبرت فقد وجدت مؤنثا».

(٢) فى: ك « إذ لا يزال تراه أحمر أصفرا» وفى: ب، س « إذ لا يرى» وفى ديوانه ٢ / ١٥٨ «إذ لا يزال». وبعد البيت السابع عشر « ويكاد يجحد» سقط بيت فى ديوانه ٢ / ١٥٨

(٣) فى ديوانه: ٢ / ١٥٨ « وهو ذوائب».

(٤) فى: ب، س « أعيت» وهى الرواية فى ديوانه (٢/١٥٨) ولعلها الصواب.

(٥) فى: ك « بكثرة» وهى الرواية فى ديوانه ٢ / ١٥٨

(٦) «تدين» و « تحل» كذا فى كل النسخ الخطية، ما عدا ب: ففيها: «يدين» و «يحل» وهى الرواية فى ديوانه ٢ / ١٥٩

(٧) فى ديوانه ٢ / ١٥٩ « من فرط».

(٨) الشطر الثانى إشارة إلى المثل العربى: « عند الصباح يحمد القوم السرى».

نسب للجليح بن شديد التغلبى فى ديوان الشماخ بن ضرار ص ٣٨٤، ونسب لخالد بن الوليد فى الحيوان للجاحظ ٦ / ٨ ٥، جمهرة الأمثال ٢ / ٣٨ وفيه نسب أيضا للجميح والصواب للجليح بن شديد التغلبى (ديوان الشماخ ٣٨٤) ، فصل المقال ص ٢٥٤، ٣٣٤ وفيه نسب أيضا للأغلب العجلى، مجمع الأمثال: ٢/ ٥، جمهرة رسائل العرب ٤ / ٨٧، نهاية الأرب ٣/ ٣٩، تمام المتون ص ٣٥٤ وروى بدون نسبة فى:البخلاء ص١٦٧ وديوان المعانى ١/ ١٣، العقد الفريد ٣/ ١٢ ونصه: «عند الصباح يحمد السرى» و ٣ / ٣٩ ونصه «عند الصباح يحمد القوم السرى»، لسان العرب (غبب) وفيه: «غب» بدلا من «عند».

وهذا البيت «آنست نار. . .»نسب لابن سناء الملك فى تمام المتون فى شرح رسالة ابن زيدون ص ٣٥٥. وقد تأثر به ابن عنين الشاعر (أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسن ابن عنين، ت، ٦٣٠ هـ) فى قصيدته الرائية فى مدح الملك العادل أبى بكر بن أيوب، ومنها:

٢٣ ووصفتُ جـود أبى على وحـدهِ وأنفتُ أنْ أصـفَ الغمامَ المطـرَا
٢٤ ذاكَ الكريـمُ وإن سمعـتَ بغيرِه خُـذْ ما تراهُ وعُدْ عمًّا لا تـرَى[1]

منها[2]:

٢٥ يقرى الضيوفَ شعـاعُ تبرٍ أحمـر فشعاعُ[3] ذاك التبرِ نيرانُ القـرَى[4]
٢٦ كسرُ الصليبِ سميـةَ من رأيـهِ فسلْ العدى منْ كانَ أصلب مكسراَ[5]
٢٧ // ولقد أقرَّ اللهُ عيـنَ نبيـهِ بمطهـرٍ جعـلَ الشـآمَ مطهـرًا [٤٧/ب]
٢٨ ما زال[6] أو جعلَ الكنيسةَ جامعًا والأنبل[7] المخـفوض منها منبـراَ[8]

منها[9]:

= يعشو إلى نار الوغَى شغفًا بهـا ويجلُ أن يعشو إلى نـار القِـرَى [الكامل]
(وفيات الأعيلة ٥ / ٧٧) فى ديوان عبد الله بن رواحة، بتحقيق وليد قصاب، ص ١٥٨ نسب لعبد الله بن رواحة عند الصباح يحمد القوم السرى والأبيات: ٢٢، ٢٣، ٢٤ سقطت من: د.

(١) عجز هذا البيت قريب من معنى صدر بيت المتنبى:

خذ ما تراه ودعْ شيئًا سمعتَ بـهِ فى طلعةِ الشمسِ ما يغنيكَ عن زحلِ [الكامل]

التبيان للعكبرى ٣ / ٨١

وقريب من عجز بيت «الأحمد بن يحيى بن أحمد بن زيد، ت ٥٩٩ هـ» ونص البيت:

ولا تفخرن بالعظـامِ الرفَـاتِ ودعْ ما سمـعتَ وخـذْ ما تـرَى [المتقارب]

الوافى بالوفيات ٨/ ٢٣٢

وبعد هذا البيت «ذاك الكريم. . .» ثلاثة أبيات انظرها فى ديوان ابن سناء ٢ / ١٩٥

(٢) كلمة: «منها» سقطت من ب، س، ك. وفى: أ، د « ومنها».

(٣) فى: ك «وشعاع».

(٤) بعد هذا البيت « يقرى الضيوف» عشرة أبيات فى ديوان ابن سناء: ٢ / ١٥٩ - ١٦٠

(٥) البيت بنصه لابن سناء فى مطلع الفوائد ص ٢١٨

(٦) فى: ك « ما قر» تحريف.

(٧) فى: ك « والموضع».

(٨) بعد هذا البيت « مازال أو جعل» بيت فى ديوان ابن سناء ٢ / ١٦٠

(٩) كلمة: « منها» سقطت من: ك.

وفى: أ، د « ومنها».

٢٩ الشامُ دارُكَ لـو أردتَ أخذتَـه بالإرثِ عن آبائـكَ الشُّمِّ الـذرا
٣٠ منه بزغتَ فكنـتَ طالعـا[١] وبهِ طلعتَ فكنتَ صبحًا مسفرا
٣١ ولهُ ملكتَ[٢] فلا برحتَ مملكًا وبهِ ظفرتَ فلا برحتَ مظفرا
٣٢ من مبلغٍ بيسانَ سيدةُ القُـرَى أن الهناءَ أتـاكَ من أمِّ القُـرَى
٣٣ فلو استطاعَ[٣] البيتُ أرسلَ حجرَهُ وفدًا وأرسلَ بالهنـاء[٤] المشعـرا
٣٤ ولقد أعـدتَ لعسقلانَ روحَـهُ ورفعتَ شاهقه وكـان مدمـرا[٥]
٣٥ وأدمـتَ راحتَه فدمتَ مخلـدًا وعمرتَ ساحتـه فعشتَ معمرا[٦]
٣٦ كفـرَ الشآمُ وعسـقلانُ مؤمـنٌ حاشاهُ وهو عرينُـه أنْ يكفُـرا[٧]
٣٧ // ما أنتَ سيدُ أهلِ مصر وحدَهُمُ بل أنتَ سيدُ كلِّ مصرٍ يذكَـرا[٨] [٤٨/ب]
٣٨ حُسِدَتْ معاليكَ الكرامَ نفاسـة[٩] ولطالما حسـدَ المقـلُّ المكـثرا
٣٩ راموا اللحاقَ بها فمنهُم مَنْ ونَـى عجزًا ومنهُم من جرَى فتعـثَّرا[١٠]
٤٠ الغيثُ أنتَ وأنتَ أنـدَى راحـةً والبدرُ أنتَ وأنتَ أشرفُ عنُـصرا

ومن مختار القصيدة السلطانية[١١] التى أولها[١٢].

---

(١) رواية ديوان ابن سناه الملك: ٢ / ١٦٠ « وكنت بدر نيرا».
(٢) فى: ك «وبه ملكت»
(٣) فى: ك « ولو استطاع».
(٤) فى: ك « أو كان يرسل بالهناء المشعرا» بدون: « وفدا.» وفى: ص، د، أ، ز سقطت كلمة: «وفدا» وما أثبتُه من: ب، س وديوان ابن سناه الملك ٢ / ١٦٠
(٥) الأبيات: ٣٢، ٣٣، ٣٤ ترتيبها فى: ب: ٣٢، ٣٤، ٣٣
(٦) فى: س « قدمت معمرا» وهذا البيت « وأدمت راحته. . .» سقط من: ك.
(٧) بعد هذا البيت « كفر الشام. . .» أربعة أبيات فى ديوان ابن سناه ٢ / ١٦١
(٨) هذا البيت « ما أنت سيد. .» سقط من: ك. وفى: ب، س « بل أنت سيد كل من وطئ الثرى»، وهى الرواية فى ديوان ابن سناه: ٢ / ١٦١
(٩) الرواية فى ديوانه ٢ / ١٦١ « حسدت معاليك الكرام بياسر».
(١٠) بعد هذا البيت « راموا اللحاق. . .» بيت فى ديوان ابن سناه الملك ٢ / ١٦١
(١١) فى: ب، س « ومن مختار القصيدة السلطانية الناصرية» وفى: د: «ومن مختارات».
(١٢) فى: ك «التى مطلعها» والقصيدة فى ديوان ابن سناه الملك ٢/ ٣٤٠ - ٣٤٣.

١ لستُ أدرى بأى فتحٍ تُهنَّا   يا منيلَ الإسلامِ ما قدْ تمنَّى [الخفيف]

٢ كلُّ فتحٍ يقول إنِّى أولَى   وهو أولَى لأنه كانَ أهنَا

٣ أنُهنِّيكَ إذ تملَّكتَ[1] شامًا   أم نُهنيكَ إذ تملكتَ[2] عَدنَا

٤ قد ملكتَ الجنانَ[3] قصرًا فقصرًا   إذ فتحتَ الشامَ حِصنًا فحصنَا

٥ إنَّ دينَ الإسلامِ منٌّ على الخلقِ   وأنتَ الذى على الدينِ منَّا[4]

٦ شكرَ اللهُ ما صنعت على العرْ   ش وفى عَرصةِ[5] الملائكِ أثنَى

٧ // لك مدحٌ فوقَ السماواتِ يُنْشَا   ومحلٌ فوقَ الأسنةِ يبنَى[6] [٤٨/ب]

٨ كمْ تأتَّى النصرُ العزيزُ عن الشا   م[7] ولما نهضتَ لم يتأنَا

٩ قد تَعنَّيتَ[8] حين أحببتَ قُربَ اللـ   ـه[9] بالحربِ والمحبُّ مُعنَّى[10]

١ قمتَ فى ظلمةِ الكريهةِ كالبدرِ   سنًا[11] والبدرُ يطلعُ وهنَا[12]

١١ لم تقف فقط فى المعاركِ إلا   كنتَ يا يوسفُ كيوسفَ حُسْنًا[13]

---

(١) فى: د « إذ ملكت».

(٢) فى: د « إذ ملكت».

(٣) فى: ك « قد ملكت النعيم».

(٤) بعد البيت الخامس « إن دين الإسلام. .» بيت فى ديوان ابن سناء الملك ٢ / ٣٤

(٥) فى: ك « وفى محفل».

(٦) بعد البيت السابع « لك مدح. .» خمسة أبيات، فى ديوان ابن سناء ٢/ ٣٤ - ٣٤١.

(٧) فى: س « على الشام»

(٨) فى: ك « وتعنيت»

(٩) فى: ب، س « وجه الله» وهى أيضا الرواية فى ديوان ٢/٣٤١.

(١٠) بعد هذا البيت « قد تعنيت. . .» بيت فى ديوانه ابن سناء الملك ٢ / ٣٤١.

(١١) فى: ب، س « سناء».

(١٢) هذا البيت: « قمت فى ظلمة. .» سقط من: ك.

(١٣) «يا يوسفًا» كذا فى كل النسخ الخطية، وهو خطأ، لأن يوسف منادى مبنى على الضم فى محل نصب وما أثبته رواية الديوان (٢/٣٤١): « يا يوسف».

ومنها فى ذكر الفرنج - خذلهم الله تعالى -(١)

١٢ حملَوا كالجبالِ عِظَمًا ولكن … جعلتْهُم(٢) حملاتُ(٣) خيلكَ عِهنَا

١٣ جمعُوا كيدَهُم وجاؤُك أركانًا … فمن قدَّ فارسًا هدَّ ركنَا

١٤ لم تُلاقِ الجيوشَ منهم ولكنك … لاقيتَهُم بلادًا ومدْنَا

١٥ كلٌّ مَنْ يجعل الحديدَ لهُ ثوبًا … وتاجًا وطيلسانًا(٤) وردْنَا(٥)

١٦ يدَّعُون الغنَى من الناسِ لكن … أنتَ بالنصر كنت أغنى وأقنى

//١٧ خانَهُم ذلك السلاحُ فلا الرمـ … ـحُ(٦) تثنَّى ولا المهنَّدُ طنَّا(٧) [٤٩/أ]

١٨ وتولت تلك الخيولُ(٨) وكم يُثْنَـ … ـى(٩) عليها بأنها ليسَ تثنَى

١٩ واستحالتْ شقاشقُ الكفرِ(١٠) صمتًا … حين عادتْ تلكَ الشجاعةُ جُبْنَا

٢ أشجعُ القوم فيهم جاعلٌ الدرعَ … هرويًا أو الفرارَ مجنَّا

---

(١) جملة: « خذلهم الله تعالى» سقطت من: ك.

(٢) فى ديوان ابن سناء الملك: ٢ / ٣٤١ « جملتها».

(٣) «حملات» كذا فى: ب، س وهى الرواية فى ديوان ابن سناء ٢ / ٣٤١، وفى: ص، د، أ، ر «خيلات» تحريف وتصحيف، وفى: ك « صولات».

(٤) الطيلسان: ضرب من الأكسية. فارسى معرب،، لسان العرب (طلس) ص ٢٦٨٩.

(٥) الرُّدن: كم القميص. اللسان (ردن) ص ١٦٢٨ والمراد بها هنا الدروع.

(٦) فى: ص، أ، ر، د « العمر» تحريف وما أثبته من ب، س، ك وهو رواية الديوان ٢ / ٣٤١.

(٧) الإطنان: سرعة القطع، اللسان (طنن) ص ٢٧١٠

(٨) فى: ك «وتوالت لك الخيول» وفى: ص، د، أ، ر « تولَّت لك الخيول» وما أثبته من: ب، س، وهو رواية الديوان ٢ / ٣٤١.

(٩) فى الديوان ٢ / ٣٤١ «الكم».

(١٠) فى: د «شقاشق الفكر» والشقشقة: لهاة البعير وقيل: هو شىء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج..، ومنه سُمِّىَ الخطباء شقاشق، شبهوا المكثار بالبعير الكثير الهدر. اللسان (شقق) ص ٢٣٠٣ والمراد بشقاشق الكفر خطباؤه وهو الأنسب للمعنى هنا.

٢١ لم يطيقُوا الهروبَ ضعفًا وعجزاً[١] ... هل يطيقُوا الهروبَ عقرَى[٢] وزَمْنَى[٣]
٢٢ وتصيدتهـــم بحلقَـــة صيـــد ... تجمعُ الليثَ لا الغـــزالَ الأغنَّـــا[٤]
٢٣ وجـــرتْ منـــهمُ الدماءُ بحـــاراً ... فجرتْ[٥] فوقهَا الجزائـــرُ[٦] سُفْنَـــا
٢٤ صُنِعتْ فيهم[٧] وليمـــةُ وحـــشٍ ... رقصَ المشرَفـــى[٨] فيها وغنَّـــى[٩]
٢٥ وتهادَتْ عرائسُ الـمـدنِ تُجلَّـــى ... وثمـــارُ الآمـــال[١٠] منهـــنَّ تجنَّى
٢٦ لا تخصُ الشامَ فيكَ التهانِـــى ... كلُّ صقـــعٍ وكلُّ قُطرٍ يُهنَّـــى[١١]
٢٧ قدْ ملكتَ البلادَ شرقًـا وغربًـــا ... وحويتَ الآفـــاقَ سهـــلا وحزْنَا
٢٨ // وتـــفردتَ بالذى هو أســـمى ... وتوحـــدتَ[١٢] بالذى هو أسنَـــى [٤٩/ب]
٢٩ [فاغتدَى الوصـــفُ فى علاكَ حيراً ... أىُ لفـــظٍ يقالُ أو أىُ معنَى[١٣]]
٣٠ ورأينَا الإلـــهُ[١٤] قال: أطيعُـــوهُ ... سمعـــنَا لربـــنَا وأطَعـــنَا

---

(١) فى: ب، س «لم يطيقوا الفرار عجزاً وضعفًا».
(٢) عقره أى جرحه، فهو عقير وهى عقرَى اللسان (عقر) ص ٣٠٣٤.
(٣) زَمِنٌ أى مُبْتَلَى، والزَّمانَة العاهة وجمع زمن زمنى. اللسان (زمن) ص ١٨٦٧ وهذا البيت «لم يطيقوا الهروب» سقط من: ك.
(٤) فى: ك «وتصيدتهم بكل فخاخٍ توقع الليث لا الغزال الأغنا»
وفى: د «وتصيدتهم بحلقة صيد ليث» وكلمة «ليث» زيادة تخل بالوزن وفى: ب «والغزال الأغنا» وهى - رواية الديوان ٢ / ٣٤٢.
(٥) فى: ك «وجرت فوقها».
(٦) الجزائر جمع جزيرة بمعنى مجزورة. «جزر الشىء: قطعه» لسان العرب (جزر) ص ٦١٤ والمعنى أن دماءهم كانت بحارا، وجثثهم كانت سفنا تعوم على دمائهم.
(٧) فى ص، س، د، ب، أ، ر «فيهم» وفى: ك «منهم» وهى رواية الديوان ٢ / ٣٤٢ ولعلها الصواب.
(٨) «المشرفى» السيف المنسوب إلى المشارف وهى قرى من أرض اليمن اللسان (شرف) ص: ٢٢٤٤
(٩) وبعد هذا البيت «صنعت فيهم...» عشرة أبيات فى ديوان ابن سناء الملك ٢ / ٣٤٢ - ٣٤٣.
(١٠) فى ديوان بن سناء الملك ٢ / ٣٤٣ «وثمار الأموال»:
(١١) فى الديوان ٢ / ٣٤٣ «مُهنَى».
(١٢) فى: ك «وتخصصت».
(١٣) زيادة من: ب، س، والبيت فى ديوان ابن سناء الملك ٢ / ٣٤٣ وفيه «واغتدى الوصف».
(١٤) كذا فى جميع النسخ، والذى فى ديوان ابن سناء الملك ٢ / ٣٤٣ «وسمعنا الإله».
وفى البيت إشارة إلى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ..﴾ سورة النساء ٤ / ٥٩.

ومن كتاب كتبه إلى أبي بخط يده[١]

ووقفت على كتاب ولدها وولدى ومولاى[٢]:

ولولا اتقائي عتبه قلت سيدى ولكن يراها من أجل ذنوبـــى[٣][الطويل]

وذكر فيه مرض الحضرة وأحوالها، وما قاسته ما لو لم تعقبه بإبلالها واستقلالها لخررت صعقًا[٤]، واتخذت فى الأرض نفقًا[٥]، وغودرت على ظهرها لقى[٦] ووالله[٧] لقد كنت فى هذه الليالى[٨] المظلمة، والشتوة الباردة المضطرمة[٩]، والمحاصرة التى كنا منها فى حصرٍ، والمنازلة التى كنا منها فى آطام قبرٍ[١٠] وقد قل التماسك، واشتد التهالك // وخارت العزائم، وتوالت [٥٠/أ] العظائم، ولا أحمل همًا[١١] إلا همها، ولا أقدُم على اسمى فى الدعاء[١٢] إلا اسمها. ولا أستشرف الكتب من ديار مصر إلا لأستطلع خبرها، وأعلم

(١) فى: ك «ومن كتاب له بخطه إلى والدى - رحمهما الله تعالى -» وفى: ب، س «ومن كتاب كتبه إلى أبى - رحمه الله - بخط يده».

(٢) فى: ك «ووقفت على كتاب ولده بل ولدى بل مولاى».

(٣) رُوىَ البيت بهذا النص منسوبًا لعلى بن محمد الكوفى فى زهر الآداب ٣/ ٨٠٨.

(٤) فى: ك «لخر العبد صعقًا». اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ سورة الأعراف ٧ / ١٤٣

(٥) فى: ك «واتخذ فى الأرض نفقا» اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ..﴾ سورة الأنعام ٦ / ٣٥.

(٦) فى: ك «وغودر على ظهرها لقى».

(٧) كلمة «ووالله» ساقطة من: ك.

(٨) فى: ك «ولقد كنت فى تلك الليالى».

(٩) فى: ك «المستحكمة».

(١٠) فى: ك «التى كان منها كلّ منا فى جوانب قبرٍ» و(آطام) جمع: أطم: وهو كل حصن مبنى بحجارة. لسان العرب «أطم» ص: ٩٣

(١١) كلمة: «هما» ساقطة من: د

(١٢) كلمة: «فى الدعاء» ساقطة من: د

منتهى العلة[١] ومصدرها، ولا يخطر ببالي ذكر مال ولا ولد، ولا يشاركها في محلها من القلب لا مَن غاب ولا مَن شهد[٢]

فلما وصل الكتاب السعيدي سكنتُ بعض السكون، وأحمد[٣] الله على ما كان، وانتظرتُ من تمام النعمة ما يكون[٤] وله الحمد[٥] فإنه ينعم بالبلوى فتكون أحسن عائده من النعمى، ويمتحن بالنعمى فتكون أصعب مؤونة من البلوى[٦] ولولا عوارض الدنيا[٧] لقدمنا على الله مفاليس[٨]، هكذا قال بعض الحكماء. ولكن يبتلي الله ليأجر[٩] ويعافي ليشكر[١٠] / ويذكرنا بفضله [٥٠/ب] لنذكره[١١] فله الحمد على العافية يعرفنا قدرها، والموهبة يعلمنا شكرها[١٢].

والحادثاتُ وإنْ أصابَك بؤسُـــهَا فهو الذى أدراكَ كيف نعيمها[١٣] [الكامل]

قلتُ: هـذا الفصـل جـواب عن كتـاب كتبته[١٤] إليه؛ أُعلمـه فيه بمرض أبي رحمـه

---

(١) في: ك «واعلم مورد العلة»

(٢) في: ك «إذ لا يشارك الحضرة في محلها من القلب لا من راح ولا من ورد».

(٣) في: ك «وحمدت».

(٤) في: ك «وانتظرت تمام النعمة فيما يكون» وفي: ب، د «وانتظر من تمام».

(٥) في: ك «وله الحمد من قبل ومن بعد».

(٦) في: ك «فإنه ينعم بالبلاء فيكون أحسن عائدة من النعمَى، ويمتحن بالنعماء لتكون أعظم من البلية العظمَى» وفي هذا المعنى يقول أبو تمام: قد ينعم بالبلوَى وإن عظمت: وان يبتلي الله بعض القوم بالنعم» ديوان أبي تمام: ٣ / ٢٨٠ والموازنة للآمدي ١ / ٩١

(٧) في: ك «ولولا مكاره الدنيا».

(٨) في: ك «لقدمنا على الله مفاليس من كل ما يفيد حظا لديه وغنما»

(٩) في: ك «ولكن يبتلي العبد ليؤجر».

(١٠) في: ك «ويعافيه الله ليشكر».

(١١) في: ك «ويذكرنا بفضله لنذكره، ويتعرف إلينا بما قضاه وقدره».

(١٢) في: ك «وعلى الموهبة يعلمنا شكرها».

(١٣) البيت بهذه الرواية لأبي تمام في ديوانه: ٣ / ٢٧٣، وديوان المتنبي للبرقوقي ١/١٤٩، وزهر الآداب ٤/٩٣٣

ورواية البيت في: ك:

والبؤس في صور الحوادث إن جرَى فهو الذى أدرك كيـــف نعيمـــــها

(١٤) في: ك «هذه جواب عن كتاب حررته».

الله -، وكنت كتمته عنه فلما أبل[١] منه أعلمته به[٢]، فمما في ذلك الكتاب[٣]: وقد كان المملوك والده مريضًا مدنفًا[٤] وعليلاً على شفا، وكانت الحمى وافدة و الأطراف منها باردة[٥]، والقوة فيها خاترة، والحرارة إلى الباطن غائرة، والجفاف قد استولَى على اللسان، واليبس قد استحوذ[٦] على الأجفان، وكل عرضٍ هائل[٧]، وكل ما يؤذن بأن الأيام قلائل[٨] فنظر الله إليه نظرة رد إلينا // منه[٩] الفائت، وأحيا لنا منه المائت[١٠] [٥١/أ]. وثابت بعض القوة، وعادت إليه أوائل الصحة ونقصت الحرارة، وسكنت الأخلاط الفوارة وانتقل على أن صار من الناقهين[١١]، والحمد لله رب العالمين.

(١) بل من مرضه يبل بلا وبللا وبولا واستبل وأبل: برأ وصح. لسان العرب (بلل) ص ٣٤٩.

(٢) في: ك «منه ذكرته له».

(٣) في: ك «ومما قلته في ذلك الكتاب».

(٤) في: ك «وقد كان الوالد مريضًا».

(٥) في: ك «وكانت الحمى عليه والدة، وأطرافه منها باردة».

(٦) في: ك «والسكون استحوذ».

(٧)، (٨) في: ك «وكل عرض من ذلك هائل، ولا أهول من إيمائه إلا أنّ أيام الحياة قلائل.

(٩) في: ك «ثم نظر الله إليه نظرة رد بها إلينا منه» وفي: ب، س « رد لنا منه».

(١٠) في: ك «وأحيا الشخص المائت».

(١١) في: ك «وثابت إليه بعض القوة، وعطفت عليه عوائد الصحة المرجوة وتراجعت الحرارة، وفترت الأخلاط الفوارة ثم كاثر سواد الناقهين».

فصل إلى أبى - رحمه الله -[١]

ورد كتاب الحضرة الرشيدية[٢]، ووافق وروده وحشتى للقاضى السعيد[٣]، فإنه سار وما أقام إلا أربعة أيام، وقلق فما أردتُ أن أقيد قلقه، واشتاق إلى أهله فما أردت أن أعق من شوقه[٤]، وذكر وصية رشيدية له فما رأيت أن أعوقه وبالله[٥] أقسم لقد سررت بنظره، وآنست بقربه[٦]، وفرحت بما استزدته من فضله، وبما استرجحته من عقله، وبما // توقعته من سعادته، [٥٢/أ] وبما قبلته من شهادة التوفيق الذى لا راد لشهادته[٧] فما هو ولد بل هو والد، ولا واحد بل ألف واحد[٨] ولا أديب[٩] بل الأدباء له خدم، ولا صاحب قلم بل السيف له قلم[١٠]، وهيهات أن لا تنم على المسك روائحة، ولَتَخْدُمَنَّهُ الأيام وهيهات ألا تخدم[١١] القلب جوارحه، والله يكتب سلامته، ويحسن صحابته[١٢] وقد توجه إلى صور[١٣] ومنها يتوجه بمشيئة الله إلى مصر. قلتُ: حديث هذه السفرة وما جرَى فيها، واعتذارى عنها قد تقدم ذكره فى أوائل هذه الفصول[١٤].

---

(١) فى: ك «فصل من كتاب له بخطه إلى والدى» وجملة «رحمه الله» ساقطة من: ك.

(٢) فى: ك «الحضرة السعيدية» تحريف؛ لأن الكتاب وارد من القاضى الرشيد (والد القاضى السعيد) فهو إذن كتاب الحضرة الرشيدية كما فى سائر النسخ لا السعيدية كما فى: ك.

(٣) فى: ك «وحشتى للقاضى السعيد دامت عليه نعمة القبول والتأييد».

(٤) «أعق من شوقه» كذا فى سائر النسخ ما عدا: «ك» ففيها: «أعوقه عمن شوقه». ونص عبارة: ك: «ثم قلق فما أردت ان أعارض قلقه، واشتاق إلى عَوْدِه فما رأيت أن أعوقه عمن شوقه».

(٥) عبارة: «وذكر وصية رشيدية.. وبالله» ساقطة من: ك.

(٦) فى: ك «وأقسم لقد سررتُ بنظرِه وبلغتُ من القربِ غايةَ وطرِه».

(٧) عبارة: «وبما توقعته من سعادته. ومن شهادة التوفيق» ساقطة من: ك وقوله: «الذى لا راد لشهادته» روايته فى: ك «الذى على الفضل لا راد لشهادته، وكل فصل فيه آية على كونه إمام جماعته»

(٨) عبارة «فما هو ولد. بل ألف واحد» ساقطة من: ك.

(٩) فى: ك «وليس المسند إليه بأديب».

(١٠) فى: ك «ولا بصاحب قلم وإنما السيف له قلم».

(١١) فى: ك «وهيهات ألا ينم على المسك روائحه، ولتخدمنه الأيام وكيف لا تخدم القلب جوارحه».

(١٢) فى: ك «ويحسن عنه فى أهل خلافته».

(١٣) صور: «مدينة مشهورة. ..، مشرفة على بحر الشام، فتحها المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب وبقيت بأيديهم إلى سنة ٥١٨ هـ فنزل عليها الأفرنج وحاصروها وأخذوها. .» معجم البلدان لياقوت: ٣/ ٤٣٣.

(١٤) عبارة: «وقد توجه إلى صور. هذه الفصول» سقطت من: ك.

// فصل من كتاب إلى أبى بخط يده[١] نهاية [٥٢/ب]

وما استقبلتنى مصر[٢] بهدية أحسن من كتاب القاضى // السعيد، [٥٨/ب] وأبرع من خطابه، وأحسن من صوابه[٣]؛ فإنه كتاب يغنى الكتب والأقلام أوصافًا[٤] ويشتمل على جواهر[٥] حق لخواطرها أن تُسمى بحارًا، ولقراطيسها أن تسمى أصدافًا[٦] عين الله على ذلك الكمال، ولله در[٧] تلك الأنفاس التى تستخف عقول الرجال بل عقود الجبال، وقد ألان الله له ما ألان لنبيه - عليه السلام - من الحديد[٨] الذى له بأس شديد[٩]، وأجرى على قلمه ما أجرى على النضار الذى فيه غنى عتيد[١٠]

وما وقفت على جديد من قوله[١١] إلا انصرف قلبى عن الخليع[١٢] [وأحسبه[١٣]] يفعل

---

(١) فى: ب، س «فصل من كتاب إلى أبى - رحمه الله - بخط يده» وفى: ك «فصل من كتاب له بخطه إلى أبى - رحمهما الله تعالى».

(٢) فى: ص، س، ب، د، أ، ز: «من مصر» والصواب هو ما أثبته من: ك لأن «من» زيادة لا تناسب السياق.

(٣) عبارة: ك « وما أبدع فى خطابه، وما أحسن فيه المرور على مواضع إجادته وصوابه».

(٤) فى: ك «فإن ذلك كتاب يغنى الكتب والأقلام أوصافًا».

(٥) فى: ب، س «وتشتمل عليه جواهر» تصحيف وتحريف.

(٦) فى: ب « حث لخواطرها أن تسمّى أصدافًا، ولقراطيسهَا أن تسمى أصدافًا» كلمة «أصدافًا» الأولى خطأ من الناسخ سببه انتقال النظر من قوله: «أن تسمى» فى العبارة الأولى إلى قوله: «أن تسمى» فى العبارة الثانية.

(٧) كلمة: «در» ساقطة من: ك.

(٨) فى: ك «وقد الان الله للمولى ما الانه لنبيه - عليه السلام - وهنا إشارة إلى قوله تعالى فى شأن «داود» - عليه السلام - ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ سورة سبأ ٣٤ / ١٠

(٩) متأثر بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ سورة الحديد ٥٧ / ٢٥

(١٠) عبارة: ك «وجرى على قلمه ما جرى على الذهب فى استئناف الغنى للمستفيد».

(١١) فى: ك «جديد قوله».

(١٢) الخليع شاعر مفلق، يكنّى بأبى عبد الله، أدرك زمان البحترى. يتيمه الدهر ١ / ٣٣٣ والمراد هنا أن جديده يجذب إليه القلوب ويصرفها عن كل مفلق سواه.

(١٣) زيادة من: ك.

بالأعطاف ما يفعل بالغصن الرطيب الريح الخريع(١) ولقد أبقَى للآباء فى الآثار ذكراً، وللأبناء فخراً(٢) وأرسلها مقلدات، فأرهقها مجردات(٣) وأثارها أوابد، ونظمها قلائد.

// فسارَ بهَا مَنْ لا يسيرُ مشمِّرًا وغنَّى بهَا مَنْ لا يغنِى مُفرِدَا [الطويل](٤) [٥٩/أ]

قلتُ: هذا الفصل جواب عن كتاب كتبته(٥) إليه عند توجهه إلى الديار المصرية، فوصل إليه فى الطريق، وكتبته ارتجالاً فما له عندى نسخة(٦)

(١) فى: ك «وأحسبه يفعل بأعطاف الناس ما يفعله بالغصون الربيع» الخريع: اللينة. لسان العرب (خرع) ص: ١٣٧ والمراد الريح اللينة وهو المقصود هنا.

(٢) عبارة: ك «ولقد أبقى فى أثره للآباء ذكراً وللأبناء مفاخر تترى».

(٣) فى: ك «وأرسلها مقلدات ولو جردها فمرهفات».

(٤) البيت للمتنبى، وقد سبق تخريجه ص١٢٥ من هذا التحقيق.

(٥) فى: ك «قلت: هذا جواب عن كتاب حررته».

(٦) عبارة: ك «وكنت كتبته ارتجالا فليس له عندى مسودة أذكر منها فيه شيئًا».

// فصل من كتاب إلى أبى - رحمه الله -[١] نهاية [٥٢/ب]

وصل كتاب الحضرة السعيدية مضمنا ما أملته // تلك [٥٣/أ] القريحة[٢] التى هى كالخمرة فى كونها أم الكبائر[٣]، وإن لم تورد موردها من الأيام التى ما معها مصادر[٤]، ولا شك أنه أراد أن يرينى ما أعلمه وأتحققه[٥] من أنه على كل فن[٦] من البلاغة قادر[٧] جاءنى وأنا مشدوه الفكر مشغولها، قريح القريحة بل مقتولها، وعلى هذه الصناعة:

سلامُ امرئٍ لمْ تبقَ منه بقيـــةٌ سوى نظرٌ للعينِ[٨] أو شهوةُ القلبِ[٩] [الطويل]

وقد جاء فى هذا المعنى الضيق بالكثير الطيب[١٠]، وتدفق فى هذه[١١] الحادثة الكارثة تدفق الغمام الصيِّب، وهو[١٢] معنى لا يطفئ ماء البلاغة ما يوقده المصاب به من النار وحديث مليح فى السمع بديع ولكن ما تروجه الأفكار[١٣]، وهذا[١٤] القاضى مسؤول فى

(١) فى: ك «فصل من كتاب له إلى أبى - رحمهما الله تعالى -».

(٢) فى: ك «ما أمَلَّهُ عزم القريحة الفاتر».

(٣) فى: ك «التى هى كالخمر أم الكبائر» وكلمة: «كالخمرة» ساقطة من: د.

(٤) فى: ك «وإن لم تورد مواردها من الأيام التى ليس لها عن الأسَى مصادر» وكلمة «تورد» ساقطة من: ب.

(٥) فى: ك «ولقد أراد أن يرينى صورة ما أنا به خبير» بدلا من عبارة: «ولا شك أنه. وأتحققه».

(٦) زيادة من: ك.

(٧) فى: ك «قدير».

(٨) فى: ك «نظر بالعين» وفى ب، س «نظر العينين».

(٩) هذا البيت نُسب لاسحاق بن إبراهيم الموصلى على اختلاف فى رواية الشطر الثانى: البيان والتبيين للجاحظ ٣ / ٢٤٣، الكامل للمبرد: ٢/ ٦٥٥، أمالى المرتض: ١ / ٦٠٦، الموزانة للآمدى: ٢٥٥، معجم الأدباء لياقوت ٦/ ٦٢، تحرير التحبير، ص ٤٣، الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ص ٤٤٩

(١٠) فى: ك «وقد جاء الكتاب فى هذا المجال الضيق بالكثير الطيب».

(١١) فى: ك « فى تلك».

(١٢) فى: ك «وهذا».

(١٣) فى: ك «وحديث فى السمع بديع ولكن إذا روجت سوق بضائعه الأفكار».

(١٤) كلمة: «هذا» ساقطة من: ك.

أن يتحول لنا ببدائعه[١]، // ويؤمننا [٥٣/ب] دثور الظرف[٢] بروائعه، ولا يضن علينا بما هو سهل عليه من منافعه ولا دخل فى من[٣] يمنع الماعون يخرج من الذين هم لأمانات الفضيلة راعون[٤]

قلتُ: هذا الفصل جواب عن كتاب كتبته[٥] إليه أعزيه عن عكا[٦] لما أخذها الفرنج[٧] من المسلمين[٨] ونسخة ما كتبت إليه فى المعنى بعد التصدير[٩]: وينهى أن الداهية التى أعمت وعَمَّتْ، وأصْمَتْ وأصَمَّت، ودهت الإسلام ودهمته، وثغرت ثغرة وهَتَمَتْهُ، وأبدت به الأيام اللئيمة من استرجاع العطية ما كانت كسته[١٠] فإن رحمة الله قريب[١١] وإن صنع الله عجيب، وإن نصر الله يُنتظر، وإن فتح الله يُرتقب[١٢] وإنا لا نقنط من // رحمة [٥٤/أ]

---

(١) فى: ك «والقاضى مسؤول فى أن يوجه إلينا من بدائعه» وفى: ب «يتحرك لنا ببدائعه».

(٢) فى ص، ب، د، س، أ، ر «دثور الكفر» تحريف. وفى: ك دثور الظفر الظرف بروائح مانعة» الظفر، مانعه: تحريف. ولعل الصواب فى كل ذلك: دثور الظرف دثر الشئ: أقدم ودرس. لسان العرب (دثر) ص ١٣٢٦ الظُرف: حسن العبارة. والظرف فى اللسان البلاغة. اللسان (ظرف) ص ٢٧٤٧. والمراد أنه يلقح عقولنا بجديد أفكاره، وروائع بيانه فيؤمنها العقم ويكسبها الخصب.

(٣) فى: ب، س «ولا يدخل فى من» وفى: د «ولا دفع خل فى من» تحريف

(٤) عبارة: و«ولا دخل فى من.. راعون» ساقطة من: ك. وقد تأثر بقوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ سورة الماعون ١٠٧ / ٧، وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ سورة المؤمنون ٢٣ / ٨.

(٥) فى ك: «حررته».

(٦) فى: ك «أعزيه فى عكا»، و«عكَّةٌ» بفتح أوله وتشديد ثانيه: اسم بلد على ساحل بحر الشام. افتحها صلاح الدين يوسف بن أيوب فى جمادى الآخرة سنة ٥٨٣ هـ. «ثم استعادها الإفرنج من المسلمين عنوة فى سابع جمادى الآخر سنة ٥٨٧ هـ.

معجم البلدان، لياقوت ٤/ ١٤٣ - ١٤٤، آثار البلاد وأخبار العباد، للقزوينى ص: ٢٢٣ - ٢٢٤، البداية والنهاية ٨/ ٤٩٣ - ٤٩٦.

(٧) فى: ك «حين أخذها» وفى: ب «لما أخذها الفرنج خذلهم الله».

(٨) كلمة: «المسلمين» ساقطة من: ك.

(٩) فى: ك «ونسخة ما كتبته بعد التصدير».

(١٠) عبارة: ك «وأبدت به الأيام. كسته» روايتها فى: ك «وأعرته الأيام اللئيمة فى استرداد عطائها عما كانت كسته».

(١١) فى: ك «ولكن رحمة الله قريب» اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف: ٧ / ٥٦.

(١٢) فى: ك «وفعله سبحانه وتعالى عجيب وإن نصره فى ضمان وعده به. ووعده محتم الإنجاز لمرتقبه».

الله، وهل يقنط من رحمة الله إلا عدو كافر[١] ولا نخاف أن يخفى ديننا[٢] وقد ضمن إلا أنه الظاهر، ولا نخشى أن يخذل وكيف وربنا الناصر لسلطاننا الناصر[٣]، ولا نيأس من روح الله وكيف ونحن المؤمنون، ولا نرهب أعداء الله ونحن حزب الله وحزب الله هم الغالبون[٤] وما كان الله ليضيع إيمانكم[٥]، [ولا يهزم أبدا أعوانكم[٦]] وعسى ربكم أن يرحمكم[٧]، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا[٨]، وعد الله لا يخلف الله وعده[٩] وكان وعد الله مفعولا[١٠]، ولا يغرنك تقلب الذين كفروا[١١] ولتحقق نزول النصر على المؤمنين إذ نصروا[١٢]، والأيام دول، إذا قويت الأقدار فما أضعف الحيَلَ، ولكل // أجل كتاب [٥٤/ ب].

ولكل كتاب أجل[١٣] ولا سبيل إلى إزالة ما قد تقدم في القدم وسبق في الأزل[١٤]،

---

(١) عبارة: «وإنا لا نقنط.. كافر» روايتها في: ك «والمؤمن لا يقنط من رحمة الله الذى يقنط منها الكافر» وفي: ب، س «وهل يقنط من رحمة الله إلا من كفر».

(٢) في: ك «ولا نخشى من الخلفاء على الدين».

(٣) في: ك «وقد ضمن الله أنه الظاهر، ولا يتوهم خذلان أنصاره وربنا الناصر عبده الملك الناصر».

(٤) في: ك «فنحن حزبه وحزب الله» اقتباس من قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ المائدة ٥ / ٥٦.

(٥) اقتباس من قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة ٢/ ١٤٣

(٦) زيادة من: ك.

(٧) عبارة «وعسى ربكم أن يرحمكم» ساقطة من: ك.

(٨) اقتباس من قوله تعالى ﴿. وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ النساء ٤ / ١٤١

(٩) اقتباس من قوله تعالى ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم ٣٠/ ٦.

(١٠) اقتباس من قوله تعالى ﴿السماء منفطر به كان وعده مفعولا﴾ المزمل ٧٣ / ١٨

(١١) اقتباس من قوله تعالى ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ آل عمران ٣ / ١٩٦

(١٢) في: ك «ولتحقق نزول النصر على المؤمنين لكثير ما قد نصروا» وهذا المعنى مستمد من قوله تعالى ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ سورة التوبة ٩/ ٢٥

(١٣) اقتباس من قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ الرعد ١٣/ ٣٨.

(١٤) عبارة: ك «ولا سبيل إلى إزالة ما كان في الأزل».

ولنا ربٌ واحد يكفينا ما أجمعت عليه الأرباب، ولنا حزب بقوة الله هو الغالب نقاتل به الأحزاب(١)، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا(٢) ﴿وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾(٣) ولهذه المِلّة رَبٌّ هو تعالى أكرم من أن يأخذ بإجرامنا(٤)، ونبىٌّ لا يطيب له المقام المحمود ونحن فى ملموم(٥) مقامنا، ولابد لربنا أن يجعل لنا(٦) الكَرَّة الرابحة، ولعدونا الكَرَّة الخاسرة(٧) والله تعالى فى الغير خير، وفى النقم حكَم، وفى الشدائد فوائد، وفى المصائب مآرب // لا تخلو أفعاله(٨) - سبحانه - من(٩) حكمة إما بادية [٥٥/أ] لنا لنتنزه فيها(١٠) وإما خافية عنا(١١) لنثاب على الإيمان بها. فلذلك علّمنا ما قد قضاه فى عكا ولا يخلو من حكمة قد بدا لنا فيها أنا ما عرفنا مقدار النعمة(١٢) بها وقت ملكها، وإننا ما وفّينا النعمة حق شكرها ولا أعطينا تلك العقيلة حق مهرها(١٣)؛ فندمنا

(١) كلمتا: «حزب، هو» سقطتا من: ب. وعبارة: «ولنا حزب. الأحزاب» روايتها فى: ك «ولنا حزب هو الغالب بقوة الله حين يقاتله الأحزاب» وهذا المعنى مستمد من قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ...﴾ سورة المائدة ٥ / ٥٦.

(٢) اقتباس من قوله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ سورة لقمان ٣١/ ٣٤.

(٣) سورة الجن ٧٢/ ١

(٤) فى: ك «يؤاخذها».

(٥) فى: ك «فى ذميم».

(٦) فى: ك «ولابد أن يجعل لنا ربنا».

(٧) فى ك: «الكرة الخاسرة الفاضحة»، وهذا المعنى مستوحَى من قوله تعالى: ﴿رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ سورة الإسراء ١٧/ ٦

(٨) فى: ب، س «ولا تخلو».

(٩) ك: «عن».

(١٠) فى: ك «لنتنزه فى النظر إليها».

(١١) كلمة «عنا» سقطت من: ك.

(١٢) فى: س «قدر النعمة».

(١٣) عبارة: فلذلك علمنا ما قد حق مهرها» روايتها فى: ك «وعلى ذلك يصير الأمر فيما قضا الله على عكا ولعل من حكم اخذها أنا ما عرفنا فى الحظوة بملكها فضل قدرها. ولا وفينا نعمتها حق شكرها. ولا بذلنا إلى تلك العقيلة لائق مهرها».

واستغفرنا، واعتبرنا واستبصرنا، واستيقظنا[١] لنشكر الله تعالى على ما بقى من الشام معنا، وعرفنا بها الحزم الذى فاتنا فيها فاستدركناه فيما هو أشرف منها وتجرَّعنا عليها كأس حسرة هانت علينا عندها كأس المنية[٢]، ولا نتخاذل إلى أن نتجرَّع مثلها[٣].

ولا نتقاعد إلى أن نمزر فضلها[٤]، وما ذهب من مالك ما وعظك، [٥١/ب] [ولا أجرم إليك من أيقظك[٥]]، ولئن أخذت منَّا بلدٌ فقد بقيت لنا بلاد[٦] أحسن منها وأحصن[٧] وأمنع وأينع[٨]، وأسمَى وأحمَى[٩]، ونرجوا من الله تعالى أن يفتحها مرة أخرى، فنذوق حلاوة الظفر بها مرتين، ويعذبهم مرتين، فيكون الفتح لها ألذَّ وأحلَى وأجلَّ وأجلى، وأشرفَ موقعًا، وأجلَّ موضعًا، وصرنا على العدو أحنق[١٠] وإلى لقائه أشوق، وصار بأسهم أكذب وسيفنا أصدق، وصرنا طالبين[١١] بعد أن كنا مطلوبين، وضاربين بعد أن كنا

---

(١) فى: ك «وتنبهنا» بدلا من «واستيقظنا».

(٢) عبارة: «لنشكر الله... كأس المنية» روايتها فى: ك «إلى شكر الله على الباقى لنا من الشام ونرجوه فى عادتنا من التأييد على صروف الأيام وإنْ فاتنا الحزم فى عكا وما نحدث به عنها فقد استدركناه فيما هو أشرف منها ولقد تجرعنا كأس حسرة عليها هانت علينا بها كأس المنية».

(٣) عبارة: «ولا نتخاذل.. مثلها» روايتها فى: ك «ونريد النهوض لنقطع طريق التخاذل بالموانع الوهمية».

(٤) فى: ب «ولا نتقاعد عن أن نمزر». وعبارة: «ولا نتقاعد. فضلها» ساقطة من: ك. مز شرابكم: اشتدت حموضته. لسان العرب (مزر) ص ٤١٩٢. والمراد ب: «نمزر فضلها»: إذا كان الفعل «نمزر» مبنيا للمعلوم يكون المراد نجعله حامضًا فلا يستساغ فيضيع وعلى أعتبار بنائه للمجهول يكون المعنى: نسقىَ فضلها من غيرنا وفى كلتا الحالتين شعور بالندامة والحسرة.

(٥) زيادة من: ك.

(٦) فى: ك «فلقد بقيت لنا بلاد وفيها كون عظيم يضاعف ذلك الفساد» وقوله «يضاعف ذلك الفساد» لا يناسب السياق وربما يكون الخطأ من الناسخ.

(٧) عبارة: أحسن منها وأحصن «ساقطة من: ك.

(٨) فى: ب، س «أمرع وأينع» وفى: ك «أمتع وأمنع» والروايتان تحتملان الصواب.

(٩) فى: ك «وأحمى وأسمى».

(١٠) فى: س «أخنق» تحريف.

(١١) عبارة «ونرجو من الله تعالى.. وصرنا طالبين» روايتها فى: ك «ونرجو من الله العظيم ذكرا أن يفتحها على المسلمين مرة أخرى حتى تكون حلاوة الظفر بها كرتين، ويعذب الله الكفار على أيدينا مرتين، ويكون فتحها أشرف موقعا، وأفضل تمتعا، ونصير على العدو أحنقَ، وإلى لقائه أشوق، وبأسه كاذبا وبأسنا صادقا مُصَدَّقًا... ونصير طالبين بعد أن كنا مطلوبين».

مضروبين[١]، وحاصرين بعد أن كنا محصورين، وحاشرين بعد أن كنا محشورين[٢].

فأما[٣] المدينة الخربة التي لا // تعيش[٤] الأعداء إلى أن [٥٢/أ] تعشش بها غربانهم، ولا أن تنصلب عليها صلبانهم[٥]، فما زادتهم إلا وبالاً[٦]، وما كانت لهم وإن فرقتهم إلا اعتقالاً[٧] وإنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا[٨] ويجعل كلماتهم السُفلَى وكلمة الله هي العليا[٩] وأن ينافسوا[١٠] عليها فيختلفوا[١١] ويخلفوا عليها فيتلفوا وينصرفوا، فيُتلَى[١٢] ثم انصرفوا، قل هو القادر على أن يبعث عليهم عذابًا من فوقهم أو من تحت أرجلهم، أو يلبسهم شيعًا ويذيق بعضهم بأس بعض[١٣]، وإذا عدمنا الثواب على حسن العمل لله فلا نعدم الثواب على حسن الظن بالله[١٤]

(١) عبارة «وضاربين. مضروبين» ساقطة من: ك.

(٢) عبارة: «وحاشرين. محشورين» ساقطة من: ك.

(٣) في: ك «وأما». والمقصود بالمدينة الخربة هنا «عسقلان». وهذا المعنى مستوحى من قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الحشر ٥٩/ ٢.

(٤) في: ب «يعيش».

(٥) في: ك «وتصلب فيها صلبانهم» والمراد أنهم ألحقوا بهذه المدينة خرابا وفسادا وسيكون ذلك وبالا عليهم.

(٦) الوبال: الشدة والمكروه والعذاب. لسان العرب «وبل» ص ٤٧٥٥ تأثر بقوله تعالى: ﴿.. ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة الحشر ٥٩ / ١٥

(٧) في: ك «وإن تفرقوا فيها إلا اعتقالا».

(٨) في: ب «وإنما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا والآخرة» وقد تأثر هنا بقوله تعالى: ﴿إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا﴾ سورة التوبة ٩ / ٨٥.

(٩) في: ك «ويجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا». وهنا تاثر بقوله تعالى: ﴿وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا﴾ سورة التوبة٩ / ٤.

(١٠) في: ب، س «ولابد ان ينافسوا».

(١١) في: ب «فيتلفوا» بدلاً من «فيختلفوا».

(١٢) في: أ «فيتلى عليهم» إشارة إلى قوله تعالى ﴿ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم﴾ التوبة ٩ / ١٢٧

(١٣) عبارة «وأن ينافسوا عليها. بعضهم بأس بعض» ساقطة من: ك. وقد تأثر بقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ سورة الأنعام ٦ / ٦٥

(١٤) في: ك «وإذا عدمنا الثواب على حسن العمل فعسى أن نحرزه على حسن الظن والأمل».

// فصل من كتاب أبي - رحمه الله - بخط يده(١) نهاية [٥٥/ب]

// ووصل كتاب القاضي السعيد بسَّر الله مساره(٢) وبلَّغه [٥٦/أ] أوطاره(٣) وتعجلت من عنوانه أثر عافيته التي كنت حامل همِّ شرادها(٤) وكانت هذه بشرى لو لم يذكر في الكتب سواها لاكتفيتُ بإيرادها، والله تعالى يدافع عن مهجته ويحميها ولو قُبلتْ الأفدية لكنت بأنفس الأعداء بل الإخوان أفديها(٥)

فأما بلاغته فقد أبلغت(٦) الغاية، وأما قلمه فإنه قد أعطى(٧) الراية وقد تجاوز حد الكمال فانصرفت(٨) عنه عينه، وأوجب حُرمةُ الأيام مقدمًا لابد(٩) أن يقضي منه دينه، وبالله أقسم أن مسرة قلبي تجتمع عند قراءة كتابه هي ولذة سمعي(١٠)؛ فإن محاسنه ما احتجَّت أن يحفزها ما هو موجود في طبعي(١١) فإنها مستقلة ببراعتها، ممدوحة // بلسان ذوي. [٥٦/ب]

---

(١) في: ك «فصل من كتاب له بخطه إلى والدي - رحمهما الله تعالى -».

(٢) في: ك «ضاعف الله مساره، وأظله من سحب مدده كل دارة».

(٣) جملة: «وبلغه أوطاره» ساقطة من: ك. والوطر: كل حاجة يكون لك فيها همة والجمع أوطار لسان العرب (وطر): ٤٨٦٦.

(٤) في: ك «التي أضعف عن حمل هم شرادها» بدلا من «التي كنت... شرادها» وفي: د «شرائها» تحريف.

(٥) عبارة: «وكانت هذي بُشرَى. أفديها» روايتها في: ك «وكانت هذه بشرى لو لم يكن في الكتاب إلا هي عظمت على النعمة في إيرادها، والله سبحانه يدافع عن مهجته ويحميها ولو صحت الفدية لكنت بنفس العدو وإن لم أكن بنفس الحبيب أفديها».

(٦) في: د، ب، س، ك «ابلغت».

(٧) في: ك «فإنه أعطى الراية».

(٨) في: ك «وانصرفت».

(٩) في: ك «ولابد».

(١٠) عبارة: «وبالله اقسم. ولذة سمعي» روايتها في: ك «وأقسم أن مسرات نفسي تجتمع عند قراءة فصل له كتاب وما أرى ظرفه إلا أساليب كل أسلوب يدخل إلى القلب من باب وثوب لطائفه مطرز ببراعتها».

(١١) عبارة: «فإن محاسنه. . في طبعي» ساقطة من: ك.

ودها وعداوتها(١) ومع عافيته فقد انقطعت الأعذار فى تأخر إنفاد الرسائل والأشعار فليرسلها إلىَّ تترَى شفعًا ووترًا(٢) وينفعنى بذكرى بها فإن الذكرى(٣).

قلت: هذا الفصل أجبته به عن كتاب طويل عريض جاه منه(٤): ووقف المملوك على أمر مولانا له بنجاز ما يختاره من شعر، وجمع ما تجدد له من نظم ونثر. فأما الاختيار فقد أنجزه المملوك، وقد فرغ كما رسم، وتركه إلى أن يرد عليه من يعتمد فيه عليه، وأما ما تجدد له من نظم ونثر فوالله ما تجدد له إلا الغموم، ولا نثر إلا الدموع، ولا نظم إلا الهموم، ولا تكلم إلا قلبه ولكن بالكلوم(٥) ولو أطلع المولى على حال عيشه وقلبه وجسمه وذهنه(٦) // وما أصيب به [٥٧/أ] فى كل من ذلك(٧) بما لم يجرِ فى وهمه، ولم يُدر فى ظنه، لعلم أنه ما يذوده أقله عما يقول ويخرسه عما لابد له من الكلام فضلاً عن الفضول(٨).

والأرضُ تعلمُ أنّنِى من فوقِـــهَا مُتَصَرِّفٌ وكأنَّنى من تحتِهَا(٩) [الكامل]

(١) عبارة: فإنها «مستقلة. وعداوتها» روايتها فى: ك «وانها ممدوحة بِأَلْسُنِ أعدائها قبل الـــسن ذوى محبتها».

(٢) عبارة: «ومع عافيته... ووترا» روايتها فى: ك «وبعافية القاضى ولله الحمد انقطعت الأعذار فى تأخير تلك الرسائل والأشعار فلتجعلها تترى شفعًا ووترًا».

(٣) أى فإن الذكرى تنفع... وهذا يسمى بالاكتفاء.

(٤) فى: ك «قلت: هذا الفصل جواب عن كتاب كنتُ حررته إليه، منه».

(٥) عبارة: «فأما الاختيار فقد... بالكلوم» روايتها: ك «فأما المختار فقد نجز على يد العبد كما رسم به وينتظر مندوبا إليه يعتمد فى وصوله عليه، وأما المتجدد إليه نظما ونثرًا فيقسم ما تجدد له منظوم غير عوارض الهموم، ولم يتجدد له منثور سوى دمع هو عليه مقهور، ولا تكلم قلبه من وجوم إلا بضروب وأنواع من الكلوم» والكلوم جمع (كلم) وهو الجرح اللسان (كلم) ص ٣٩٢٣.

(٦) فى: ك «على حال عيشه وجسمه وقلبه وذهنه».

(٧) «فى كل من ذلك» كذا فى: ك، وهو الصواب. وفى: ص، د، أ، ر «كل منهما» تحريف، وفى: ب، س «كل منهم» تحريف.

(٨) عبارة: «العلم أنه ما يذوده... عن الفصول» روايتها فى: ك «العلم أن فى بعض ذلك ما يزوده عما يقول ويصرفه عما لا بد له من القول فضلا عن الفصول» وهى الأجود والأفصح.

(٩) على هذه الرواية روى هذا البيت فى صبح الأعشى ١٤/ ٢٨٤ بدون نسبة. ولم أعثر له على قائل فى مصادرى. ومعنى البيت قريب من قوله يعقوب بن الربيع فى رثاء جارته تسمى «مَلَكًا»

يا مَلَكُ إِنْ كُنْتِ تحت الأرض باليةً فإننى فوقهـــا بادٍ من الـــحزن البيتان للعكبرى ٣/ ٤٣

أما نفسه فليست بالنفس المطمئنة التي تقول: يا حسرتا على ما فرطت، وكيف الخلاص وقد تورطت[١] وهي تنتظر الهون[٢] وتظن بالدهر الظنون، وتصبح مسجونة في بدن[٣] من هو بها مسجون، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت[٤].

روحي شكَتْ جسمي وجسمي شكَا ... روحــي كِلاَ الخلّين يشكُــو السـرَّاح

لو فارقْتــهُ لا متراحَــتْ بــلاَ ... شــكٍ ولو فارقهَــا لا ستــرَاحْ[٥]

// وأما قلبه فلا يعلم[٦] له خبراً، ولا يرى له أثراً، بل خرج من[٧] [٥٧/ب]

صدره وفرّ ومرّ وفتل حبل الصدود وأمر[٨]، وثبت على عهد الهجران واستمر[٩] وأحسن الاختيار إذ قرّ من جناب المولَى فى المستقر[١٠].

قلّبوا ذلك الرمـــادَ تصيــبُوا ... فيه قلبـــى إن لمْ تصيبُوا الجمــرَا[١١]

---

(١) فى: ك «ولا بالقائلة كيف الخلاص من الورطة وإنى قد تورطت».

(٢) فى: ك «فهى تنتظر» وفى: ب، س «المنون». (الهون) بالضم: الخزى ترتيب القاموس (هون) ٤/٥٤٧. و(الهون) بالفتح مصدر هان عليه الشىء أى خف والهون: الرفق. لسان العرب (هون) ص: ٤٧٢٤.

(٣) «فى بدن» كذا فى: ب، س وهو الصواب , وفى: ص، د، ك، أ، ر «فى يد».

(٤) عبارة «وما تدرى نفس ماذا. تموت» ساقطة من: ك. وهى اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سورة لقمان ٣١/ ٣٤

(٥) رواية البيتين فى: ك

روحي شكت جسمي وجسمي يشتكي ... روحي كلا الطرفيـــن ينظر الـــراح

لو فارقتـــه لاستراحـــت من أذى ... فى قربــــهِ أو كان فارقها استــراح

ولم أعثر على البيتين فى مصادرى.

(٦) فى: د «فلم يعلم».

(٧) فى: ك «عن»

(٨) عبارة: ك «وفر وفتل حبل الجفا وأمر».

(٩) عبارة: «وثبت على. . . واستمر» ساقطة من: ك.

(١٠) عبارة: «وأحسن الاختيار. . فى المستقر» روايتها فى: ك «وأظنه اختار أن يقر من جناب المولى بخير مستقر».

(١١) البيت سقط من: ك، ولم أعثر عليه فى مصادرى.

وأما جسمه فقد اتفقت عليه من الأمراض المختلفة ما جعلته خلقًا باليًا وصيرته من العافية طللاً عافيًا(١) وقد(٢) أصبح من صحته كما قال الأول في خلته(٣).

وأصبحتُ من ليلى الغداةِ كناظـرٍ مع الصبحِ في أعقابِ نجمٍ مُغربِ(٤) [الطويل]

فذكر الله عهدها وسقاه، وألقى إليه الخير ولقاه، وجمع بين جسم المملوك وبين الصحة(٥) فإنها الخليلة، والجملة(٦) // الجميلة، والحسنة التي [٥٨/أ] فراقها عقاب السيئات(٧)، والغنى(٨) الذي يُعبر عنه بالحياة(٩) ويعبر عن فقده بالوفاة.

ومَا أنَا من أنْ يجمعَ اللهُ شملنَا(١٠) كأحسن ما كُنَّا علـــيهِ بآيـــس(١١) [الطويل]

---

(١) عبارة: «وأما جسمه. طللاً عافيًا» روايتها في: ك «وأما جسمه فقد اتفق عليه من العلل المختلفة ما تركه باليا خلقا وصيره من العافية طللاً عافيًا».

(٢) في: ب، س «ولقد».

(٣) في: ك «في ذي خلته».

(٤) البيت بهذه الرواية للمجنون، أنظر ديوان المجنون. ص ٦٤، الشعر والشعراء لابن قتيبة. ص ٣٥١ والأغاني ٢/١٩، ٣٢ الخزانة للبغدادي ٤/٥٥٢، أسرار البلاغة ص ١٢٤ وفيه: «فأصبحت» وبرواية أسرار البلاغة نسب للمجنون أيضًا في: الحماسة الصغرى والذخيرة القسم الثاني ١/٤٣، محاضرات الأدباء ٣/٧٤. وقيل لنُصيب بن رباح، وقيل للمجنون. معجم البلدان ٢/٤١٢ وفيه «من الصبح» وفي الحماسة البصرية ٢/٨٩ نسب البيت لقيس ابن الملوح (المجنون) وفي إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢١٥، ٣١٨ قيل: لامرئ القيس أو النميري أو ابن الملوح، ولم أعثر عليه في ديوان امرئ القيس وروايته في الإعجاز: فأصبحتُ من ليلى الغداة كناظرٍ مع الصبحِ في إعجازِ نجمٍ مُغربِ

(٥) عبارة: «وجمع بين جسم المملوك وبين الصحة» تخالف صحيح اللغة؛ لأن بين لا تتكرر إذا وقعت بين ظاهرين. وصواب العبارة: «وجمع بين جسم المملوك والصحة» والرواية في: ك «ومنح جسم العبد من الصحة جلائل المنحة».

(٦) في ب، س «والجملة الجميلة».

(٧) عبارة: ك «والحسنة التي تتضاعف إلى حسنات وفي فراقها عقاب على السيئات».

(٨) في: ب، س « والمعنى» ولعلها الصواب.

(٩) «الذي يعبر عنه بالحياة» كذا في: ب، س ولعله الصواب. وفي ص، د، ك، أ، ر «الذي لا يعبر عنه بالحياة».

(١٠) في: س «يجمع الله بيننا».

روى البيت ضمن بيتين أنشدهما أبو عبد الله بن محمد بن عرفة، مع اختلاف في الرواية، ونصهما: =

- لئن درستَ أسباب ما كان بيننا — من الود ما شوقى إليك بدارس [الطويل]

وما أنا من أن يجمع الله بيننا — على خير ما كنا عليه بيائس

(أمالى القالى ٢/ ١٩١)

وقريب من هذا المعنى، قول ابن خلف النيرمانى (أبو سعد على بن محمد بن خلف الكاتب النيرمانى، ت ٤١٤ هـ):

فلا تيأسا أن يجمع الله بيننا — كأحسنِ ما كنا عليه تصافيا [الطويل]

فوات الوفيات: ٣/ ٧٥، وفيه «ولا تيأسا».

// فصل من كتاب إلى أبى[(١)] بخط ابن الحصين [٥٨/أ]

وصلت القصيدة السعيدية التى لا عيب لها إلا أن جميع فرائدها وسائط[(٢)]، وأن معانيها بين العقول وسكرها وسائط، وقد علم الله ابتهاجى أن أنشأ الزمان مثله[(٣)]، وتصورى[(٤)] الغاية[(٥)] التى يخرج إليها فضله، وتهادَى كُتَّاب[(٦)] الشام وشعراء الوقت هذه القصيدة العينية، وامتدت[(٧)] إليها الأعين، واثنت عليها الألسن، واستغربوا الحسن قبل أن ذكرت السن، فلما ذكرته فمنهم من عرف المولَى فى لحن القول[(٨)] // فاستبدع، ومنهم من لم يعرف القصة مسندًا فاستبعد [٥٩/ب] والله تعالى[(٩)] يقر به العيون، ويرزقه الزمان المأمون[(١٠)].

قلتُ: هذا الفصل جواب عن قصيدة عينية[(١١)] كتبتُهَا إليه بعد مسيره[(١٢)] إلى دمشق فى سفرته الأولى سنة سبعين وخمسمائة، وأول هذه القصيدة[(١٣)].

---

(١) فى: ب، س «إلى أبى - رحمه الله -».

(٢) واسطة القلادة: الدرة التى فى وسطها وهى خرزها. اللسان «وسط» ص: ٤٨٣٣. ووسائط الثانية من الواسطة وهى ما يتوصل به إلى الشىء.

(٣) فى: ك «بأن نشأ فى الدهر مثله».

(٤) فى: ك «وبتصورى».

(٥) فى: ب، س «للغاية»

(٦) كلمة: «كُتَّاب» ساقطة من: د

(٧) ما أثبته من: ب، س. وفى ك: «طمحت». وفى سائر النسخ: «اشتدت» وهذه الأخيرة تحريف.

(٨) «. من عرف المولى فى لحن القول» كذا فى ك، وهو المناسب للسياق. وفى سائر النسخ: «. من عرفنى فى لحن القول» عبارة: «وتهادى كتاب الشام. فى لحن القول» روايتها فى: ك «وتهادى فى كتاب الشام وشعراؤها نسخة القصيدة وكل صار له فى إطرائها اجتهاد يسقط به تقليده وطمحت إليها الأعين وتواقعت بالثناء عليها الألسن. واستغربوا فيها كمال الحسن على قلة المعدود من ذلك السن. ولما ذكرت ذلك منهم من عرف المولى فى لحن القول» وهذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ سورة محمد ٤٧/ ٣.

(٩) فى: ب «ومنهم من لم يعرف القصة فاستعبدوا الله تعالى».

(١٠) عبارة: «فاستبدع ومنهم من لم يعرف. الزمان المأمون» ساقطة من: ك، ا.

(١١) القصيدة فى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ١٩٠-١٩١

(١٢) فى: س «كتبتها عند مسيره» وفى: ب «كتبتها إليه عند مسيره»

(١٣) فى: ب، س «وأول القصيدة».

١ فراقٌ قضَى للقلبِ والهمُّ بالجمـــع وهجرٌ تولَّى صلحُ عينى مع دمعـــى [الطويل]

منها[١]:

٢ ووصلٌ سعَى فى قطعه مَنْ أحبُّـــهُ ولا عجبًا قد يَهلكُ النجمُ بالقطـــعِ[٢]

٣ وفى الحىِّ مَنْ حيَّرتُها نُصبَ خاطرى فما[٣] أذنتْ فى نازلِ الشوقِ بالرَّفعِ[٤]

٤ تتيهُ بفـــرعٍ منهُ أصـــلُ بليَـــتى ولم أرَ[٥] أصلاً قطُّ يُعزَى إلى فـــرعِ

٥ وتبسمُ عـمَّا يُسكفُ الدرُّ[٦] عنـــدَهُ فكيفَ ترَى من بعدِه حالةَ الطلـــعِ

٦ // فكمْ تركتْ فى ذلك الحـى ميتًا وكم حملتْ منَّها الضلوعُ على ظلعٍ[٧] [٦٠/أ]

٧ وكم ذابَ مِنْ حرِّ التعانُـــقِ بينَـــنَا قلائدُهَا[٨] حتى افترقْنَا من اللـــذعِ[٩]

٨ إذا شئتُ غنانى غـــزالٌ مُغَـــازِلٌ نشيطُ الثَّنى فاتـرُ المنِّ[١٠] والمنـــعِ

٩ يُغنى[١١] فتحمرُّ المدامـــةُ خجلـــةً لتقصيرِهَا عن سلبةِ العقـــلِ بالجـــذعِ

١٠ فاصرفْ كأسى حين يكسفُ بالِهَا وأشربُ منهُ كأســـهُ بفـــمِ السمـــعِ

---

(١) كلمة: «منها» ساقطة من: ب، س، ك.

(٢) هذا البيت «ووصل سعى...» ساقط من: ك، وبعده بيتان خلت منهما النسخ، وهما فى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ١٩٠ و «النجم»: النبات، والنجم أيضا: الثريا.. لسان العرب (نجم) ص ٤٣٥٧.

(٣) فى: ك «وما».

(٤) بعد هذا البيت «وفى الحى..» بيتان، وفى ديوان ابن سناء ٢/ ١٩٠ خلت منها النسخ.

(٥) فى: ك «ولم ير» والأصل والفرع مصطلحان فقهيان.

(٦) فى: ك «البدر».

(٧) فى: ب، س « حملت منه الضلوع» وهذا البيت سقط من: ك.

والظَّلْع: العَرَج، لسان العرب (ظلع) ص: ٢٧٥١ والمراد: حملت ما لا تطيق.

(٨) فى: س «قلائدنا» ورواية الشطر الأول فى ديوانه (٢/ ١٩١): «وكم ذاب من جمر التعانق بيننا» وبعد هذا البيت ثلاثة أبيات خلت منها النسخ تنظر فى ديوانه ٢/ ١٩١

(٩) فى: ك «حتى تفرقن». واللذع: حرقة كحرقة النار. اللسان (لذع) ص ٤٠٢٤. وهذا البيت بهذه الرواية لابن سناء الملك فى مطلع الفوئد ص ٨.

(١٠) فى ديوان: ٢/ ١٩١ «فاتر الخلف».

(١١) فى: ك «نغنى» تصحيف.

ومنها فى مدحه وتشوقه[١]:

١١ نأى فدنَا من كلِّ طرفٍ سهادُه وسارَ فأبقَى كلَّ قلبٍ علَى فجـــعِ

١٢ إذا نظرتْ عينٌ سواهُ تلثَّمـــتْ حياءً بعنوانِ الوفاءِ من الدمـــعِ[٢]

هذه القصيدة[٣] عندى من الشعر[٤] النازل؛ لأنى عملتها فى صدر العمر، وفى[٥] فتاء السن، فلهذا وصفها (القاضى الفاضل[٦]) - رحمه الله - تعجبًا لصدورها ممن ذلك سنه[٧]، لا ممن هذا شعره

---

(١) فى: ك «ومنها فى مدحه وتشوقه إلى ممدوحه».

(٢) الرواية فى ديوان ابن سناء: « إذا نظرت عينى. .» وبعد هذا البيت أربع أبيات خلت منها النسخ الخطية، تنظر فى ديوانه ٢/ ١٩١

ونسب هذا البيت لابن سناء الملك فى مطلع الفوائد، ص ٣١٨، ونصه فيه:

إذا نظرت عينى سواه تلثمت حياء بأردانِ الوفاءِ من الدمع

(٣) زيادة من: ك.

(٤) فى: ك «من شعرى».

(٥) كلمة «فى» ساقطة من: ك.

(٦) زيادة من: ك.

(٧) فى: ك «ممن ذلك عمره».

// فصل إلى الأشرف ولده بخط ابن زكى الدين(١) [٥٩/أ]

وفى هذا اليوم وصل كتاب القاضى السعيد إلى(٢) دمشق، فوصل إلى العين منه إنسانها(٣)، وتبوأ من النفس مكانها(٤)، وهو مكانها وأحواله(٥). سارة فى جسمه، والطريق ما أثرت فيه أثراً ينقص من نشاط عزمه، وكان معى كما قال المجنون(٦):

وخُبِّرتُ ليلَى بالعراقِ مريضـــةً فأقبلْتُ من مصرَ إليهَا أعودُهَا(٧) [الطويل]

ولقد أبْعد فى الجميل مرماه ولكنه كريم فى قضاء // الحقوق منتماه(٨). [٥٥/ب]

ولقد استبشرت بنظره، وحادثت صدفته نفسى بجوهره(٩) ونُصرتُ على ليالى السقم بنجدةٍ من سَمَرِه، وأقول: هذا بيت قد(١٠) نفعنى الله تعالى(١١) بأعجاره وهواديه، وصدوره

(١) فى: ك «فصل من كتاب له بخط ابن زكى الدين إلى ولده الأشرف».

(٢) كلمة: «إلى» ساقطة من: ك.

(٣) عبارة: ك «ووصل بمداد أحرفه من العين إنسانها» بدلا من عبارة «فوصل إلى العين منه إنسانها».

(٤) فى: ك «مكانه» ولعلها الصواب.

(٥) فى: ك «وهو مكانها يشهد أن أحواله».

(٦) فى: ك «والطريق ما أثرت نقصا فى نشاط عزمه وكان لدى شخصه المصون كما قال فى صبابته المجنون». والمجنون هو: قيس ابن الملوح.

(٧) فى: ك «وأخُبِّرتُ ليلى». وفى: ب، س «ونُبِّئْتُ ليلى» وفى أعودها «أزورها مكان «وأعوادها». وهذا البيت للمجنون، وروايته فى ديوانه، ص ٨٦:

يقولون ليلى بالعراق مريضة فأقبلت من مصر لها أعوادها

وعلى هذه الرواية أيضا بدون نسبة فى شرح ديوان الحماسة ٣ / ١٩١ وفيه «سوداء الغميم» «فأقبلت من مصر». وفى الحماسة البصرية ٢/١٩١ نسب البيت للحسين بن مطير وفيه «وخبرت ليلى» وروى البيت بدون نسبه فى ديوان لأبى تمام ٤/٤٤٩ وفيه نبئت سوداء القلوب مريضة فأتيت من مصر لها أعودها.

(٨) فى ك «ولقد بعد فى كل جميل مرماه. وإن كان كريما بما تضمنه من المبررات وأداه» ومن قوله: «فصل إلى الأشرف ولده.. إلى: الحقوق منتماه» سقط من أ.

(٩) فى: ك «وقد استبشرت بنظره وحادثت نفسى صدفته بجوهره».

والصدف غلاف اللؤلؤ. لسان العرب (صدف) ص ٢٤١٧ والمراد وصف الكتاب بالبلاغة فشكله ينبئ عن مضمونه.

(١٠) كلمة: «قد» ساقطة من: ك.

(١١) كلمة: «تعالى» ساقطة من: ك.

وقوافيه، فأنا منهم بين غائب يحرسني وحاضر يؤنسني، وبين توقع غَرْسٍ، يثمر[١] لغيري فإني أرى الأيام دونه ستحبسني، والله يعين على مكافأتها من غير ضرورة، ويقوم عني بشكر نعمتهم فإنها عندي[٢] غير مكفورة.

قلت: هذا الفصل في[٣] جملة ما كتبه في معنى قدومي إلى دمشق حرسها الله[٤]، وقد سلف في هذا الكتاب أمثاله فيما تقدّم[٥]

(١) في: ك «ثمرة».

(٢) كلمة: «عندي» ساقطة من: ك.

(٣) في: ك «من».

(٤) في: ك «حرسها الله تعالى».

(٥) عبارة: «وقد سلف. فيما تقدم» ساقطة من: ك.

// ومن كتاب إلى القاضى الأشرف ولده[١] [٦٠/ب]

تعرَّف شيخَكَ القاضى السعيد وصول كتابه الذى سطره عاجلاً، وكتبه فى الدهليز[٢] مُرتجلاً، واستوحش فيه لانقطاع كتابى لما انقطع وأنس باتصال خبرى لما وصل[٣] وما أعُدُّ اللفظة منه[٤] إلا فجراً فى ظلام[٥] لليالى الهموم الطوال[٦]، ولا الكتاب[٧] إلا جنةً[٨] غديرية أتقى بها نطفَ الأملِ النهال، وما كلماتُه إلا[٩] معجزاتٌ بها يُتحدَّى، وأمثلة بها يُتهدَّى، وآياتٌ كل واحدة أكبر من أختها[١٠] وفكرةٌ مرزوقةٌ فى أيام الجمعة كلها[١١] إذا أتت الفكرُ أرزاقها يوم سبتها. وهو ينعم بأن ينجدنا بهذه المحاسن الشَّاكَّة السلاح، الجديرة وإن كانت سلاحا أن تداوى بها الجراح[١٢] إن شاء الله تعالى[١٣].

//قلت: هذا الفصل جواب عن كتاب كتبته[١٤] إليه [٦١/أ] فى دهليز الدار ارتجالا[١٥] وما عندى ما أذكره فى هذا الكتاب[١٦]

---

(١) فى ب، س «الأشرف ولده - رحمه الله -».

(٢) الدُهْليز: ما بين الباب والدار. فارسى معرب.. والجمع (دهاليز) لسان العرب (دهلز) ص ١٤٤٣، والقول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب، لابن أبى السرور، ص ٥٥.

(٣) عبارة: «لانقطاع كتابى. لما وصل» روايتها فى ك: «لانقطاع كتبى حينا، ثم بلغ باتصالها من الأنس تمكينا».

(٤) فى: ك «فيه».

(٥) فى: س «فى ظلمات».

(٦) فى: ك «تلك الأحوال» لكان «الليالى الهموم الطوال».

(٧) فى: ك «كتابه».

(٨) جنَّة: (الجُنَّة): الدرع، وكل ما وقاك جُنَّة. اللسان (جنن) ص ٧٠٢.

(٩) «وما كلماته إلا» كذا فى: ك وهو الصواب، وفى: ص، س، ب، د، أ، ر، «وما هى إلا معجزات».

(١٠) فى: ك «بها يتحدَّى، ودلائل فضل عليه فبها يهتدى، بل آيات كل واحد منها أكبر من أختها».

(١١) فى: ك «بل نتائج فكر مرزوق كل أيام الجمعة».

(١٢) عبارة: «وهو ينعم.. الجراح» روايتها فى: ك «وهو ينعم بأن ينجدنا بهذه المحاسن التى هى شاكية السلاح فإنها وأن تجرحت بها القلوب لجديرة أن تتداوَى بها الجراح».

(١٣) جملة: «إن شاء الله تعالى» ساقطة من: ب، كلمة «تعالى» ساقطة من: د.

(١٤) فى: ك «حررته».

(١٥) فى: ك «ارتجالا كما أشار إليه».

(١٦) فى: ك «وما عندى ما أذكره فيه».

فصل آخر إلى أبى - رحمه الله - بخط يده[١]

وكتاب القاضى السعيد وَصلَ وطية المقاطيع التى ما سُمِّيَت بهذا الاسم[٢] إلا لانقطاع الخواطر عن مجاراتها، والأبيات التى هى أحسن مما استقرت عليه أبيات[٣] سلمى وجاراتها[٤]، وقرئت إلى أن حُفظتْ، وأُوثرت إلى أن أُثرت[٥] وعوَّذتُ ذلك الخاطر الخطار المستولى على أمد الخطار فى ذلك المضمار[٦]، وأنشدت:

كسحق[٧] اليمانى قد تقادَم عهدُه ورقعته ما شئتَ فى العينِ واليد[٨] [الطويل]

قلتُ: هذه المقاطيع التى أشار إليها، [وأوقع الغبطة فى إشارته عليها[٩]] عملتها تجربة

(١) فى: ك «فصل من كتاب له بخطه إلى والدى - رحمهما الله تعالى»

(٢) عبارة: «وكتاب القاضى ... الاسم» روايتها فى: ك «وقد وصل كتاب القاضى السعيد وفى طيه المقاطيع التى ما تسمت بذلك».

(٣) فى: ك «بيوت»

(٤) «سلمى وجارتها» هذا التعبير اقتباس من قوله عمرو بن معدى كرب:

* قد علمت سلمى وجارتها ما قَطَّر الفارس إلا أنا *

ديوان عمرو بن معدى كرب ص ١٥٥ الصناعتين، ص٧٤ شرح الحماسة للمرزوقى ١/ ٤١١ معاهد التنصيص ٣/ ٢٦١ وبيت أبى سلمى من بيوتات الشعر و المعرقين فيه فى الجاهلية.. العمدة لابن رشيق ٢/ ٣٠٦.

(٥) فى: ك «واوثرت حتى أثرت»

(٦) فى ك: «المستولى على خصل فى هذا السياق بمعنى فضائل».

(٧) «كسحق» كذا فى: س.ب.د.أ. ر وفى ص مكان الكلمة بياض. وفى: ك كبرد «والسحق: الثوب البالى، والبرد الثوب المخطط، أو كساء يلتحف به واحدته بالهاء: بردة».

(٨) البيت بهذه الرواية لأبى الأسود الدؤلى فى ديوانه، ص: ٥٣ وعيون الأخبار ٤/ ٤٤ وله أيضاً فى البيان والتبيين ١/ ٢٢٤ وروايته فيه:

كبرد اليمانى قد تقام عهده ورقعته ما شئت فى العين واليد

وفى طبقات فحول الشعراء ٢/ ٧٢٩ وفيه «كثوب اليمانى».

وفى العقد الفريد ٦/ ١٦١ نسب البيت - وقبله بيت - الأعرابى لم يذكر اسمه وفيه: «كبرد يمان» وعلى رواية العقد الفريد روى البيتان فى الحماسة البصرية ٢/ ٣٧٠ بدون نسبة، ونسبهما المحقق لأبى الأسود فى الهامش رقم ١٧

(٩) زيادة من: ك

للخاطر، وتحديًا لمن تسمى بالشاعر، تغزلت بها فى عمياء، وبلغته // من غيرى؛ فطلبها منى فنفذتها إلى الشام(١)، فمنها: [٦١/ ب].

١ شمسى(٢) بغيرِ الليلِ(٣) لم تَحتجـبِ(٤) وفى سوَى العينينِ لَمْ تُكسفِ(٥) [السريع]
٢ مغمـدةُ المرَهـفِ(٦) لكنَّهَـا تقتـلُ بالغمـدِ(٧) بـلا مرهـفِ
٣ رأيـتُ منها الخـدِ فى جـؤذرٍ(٨) وناظرِى يعقـوبَ(٩) فى يوسـفِ(١٠)

وفيها أيضاً(١١):

١- فتنتنـى مكفوفـةٌ ناظرَاهَـا كتبًا لى من الجراحِ(١٢) أمانا [الخفيف]

(١) عبارة: «تغزلت بها إلى الشام» روايتها فى: ك «تغزلت بها فى عمياء وتميزت بذلك على بنى الدنيا فبلغت بعض من يضع منى. فأرسل بطلب نسخها فرحلتها إلى الشام عنى لأجيبه بما يكدره ويكون فيه قصاص ما يطويه فى أمرى وما ينشره». وفى: ب. س «نفذتها إليه الى الشام».

(٢) فى: د «شمس» وهى أيضاً الرواية فى ديوانه ٢/ ٤١٧

(٣) فى: ب «بغير الشمس» تحريف وفى وفيات الأعيان ٦/ ٦٣ «بغير الشعر»

(٤) فى: ب.د.ز «تحجب» وهى أيضاً الرواية فى ديوانه ٢/ ٤١٧.

(٥) كسفت الشمس: ذهب ضوءها واسودت لسان العرب (كسف) ص٣٨٧٧ و المعنى أنَّ جمالها متدفق جذاب فهى كالشمس التى لم يُحْجَبَ ضَوْؤُهَا وإن حجب فى عينها.

(٦) المُرهف: من معانيها: اللطيف الرقيق. اللسان (رهف) ص ١٧٥٤و المراد ب «مغمدة المرهف» مطبقة الجفون ورغم ذلك يشعان رقة ولطافة وجمالاً

(٧) فى وفيات الأعيان ٦/ ٦٣: «تجرح بالجفن بلا مرهف» وفى الغيث ٢/ ٣٢: «تفتك بالغمد» والغمد: غلاف السيف اللسان (غمد) ص ٣٢٩٢ والمراد به هنا «الجفن».

(٨) الجؤذر بضم الذال وفتحها: ولد البقرة وفى الصحاح البقرة الوحشية اللسان (جذر) ص ٥٧٥.

(٩) فى وفيات الأعيان ٦/ ٦٣ «ومقلتى يعقوب» يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليه السلام معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص ٥٩٤

(١٠) «يوسف بن يعقوب بن اسحق...» معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص ٥٩٦-٥٩٧ وهنا إشارة الى قوله تعالى ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ...﴾ سورة يوسف ١٢/ ٨٤.

(١١) فى: ب «ومنها أيضاً» وفى: ك «ومنها» وهذه الأبيات فى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٤٥٦ ورويت ما عدا الرابع منسوبة لابن سناء فى الغيث: ٢/ ٣٢١

(١٢) فى: د «الجروح».

٢- فهى لم تسلل الفـتورَ(١) حسامًـــا لا ولـم(٢) تحملْ الفتـــورَ(٣) سنانًا

٣- وهى بكرُ العينيْنِ محصنةُ الأجفــانِ ما أفتضَّ ميلُـها(٤) الأجفانَــا(٥)

٤- قصرت عشقَهَا علىَّ فلم تعشـــقْ فلاناً إذا لـمْ تعايِـــنْ فلانــاً

٥- ولا لَمْ تُبصر الرجـالَ فتختـــارَ علـى ملتحيهـــم المُردانَـــا(٦)

٦- عميَت من هواى وارتحلْ الإنســانُ مـن عينِهـا وأخلَــى المكانَـــا

٧- علَمتْ غيرتـــى عليهَا فخافَـــت أن تسمـى(٧) غيـــرى لها إنسانًا [٦٢/أ]

وفيها أيضاً(٨):

١- إنَّ الكمالَ أصابَ من(٩) محبوبتـــى لما أصـــابَ بعينـــه عينيْهَـــا [الكامل]

٢- زادت حلاوتها(١٠) فصرت تخالها(١١) وسنَى وقد لبس الكرَى جفنيهَا(١٢)

---

(١) فى الغيث: ٢/ ٣٢١ «فهى لم تسلل الجفون حسامًا» الفتر: الضعف. وطرف فاتر: فيه فتور ليس بحاد النظر. لسان العرب (فتر) ص ٣٣٤١

(٢) فى: د «وهى لم».

(٣) فى ديوانه ٢/ ٤٥٦ «لا ولم تحمل اللحاظ سنانا».

(٤) (ميلها) ميل الكحل الذى يكتحل به اللسان (ميل) ص ٤٣١١

(٥) هذا البيت سقط من: ك

(٦) المرد: نقاء الخدين من الشعر والأمرد: الشاب الذى بلغ خروج لحيته وطر شاربه ولم تبد لحيته. اللسان (مرد) ص ٤١٧٢ - ٤١٧٣

(٧) فى: ك «يستمى» وفى الديوان ٢/ ٤٥٦ «أن تسمى».

(٨) هذه الأبيات فى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٤٦٨ والبيت الأول والثانى والثالث فى الغيث ٢/ ٣٢١ و البيتان الثانى و الثالث فى مطلع الفوائد ص ٣٢٢

(٩) الرواية فى ديوانه (٢/ ٤٦٨) فى محبوبتى.

(١٠) فى: ك «زات ملاحتها» وهى أيضاً الرواية فى مطلع الفوائد ص ٣٢٢

(١١) فى مطلع الفوائد ص ٣٢٢ «إخالها»

(١٢) فى: ب «قد اسر الكرى جفنيها» وهى الرواية فى الغيث ٢/ ٣٢١ ومطلع الفوائد ٣٢٢ وامرأة وسنى ووسنانه فاترة الطرف. شبهت بالمرأة الوسنى من النوم. اللسان (وس) ص٨٣٩.

٣- وكما علمتُ وللدبيبِ حــلاوةٌ[١] فكأنِنــي أبــدأ أدبُّ عليهــــا

٤- ولئنْ عدمتُ السُكرَ من ألحاظِهَا[٢] فلقد وجدتُ السكرْ في شفتيهَا[٣]

(١) في: ك «وكما علمتم للدبيب حلاوة». وفي ديوانه (٢/ ٤٦٨): «وكذا علمت».

(٢) في: ب، س «من لحظاتها».

(٣) في: ك «فلقد أصبت السكر» وفي ب، س «من شفتيها» السكر: بضم السين المشددة وتسكين الكاف: نقيض الصحو. لسان العرب (سكر ص ٢٠٤٧) و السكر بفتح السين المشددة وتسكين الكاف: سد الشق ومنفجر الماء. اللسان (سكر ص ٤٨ ٢) ومعنى البيت: إن عدمت السحر من نظراتها فلن أعدم السكر من رضاب شفتيها.

فصل من كتاب آخر إلى أبي - رحمه الله -[١]

و القاضي السعيد - وفقه الله - حاله في هذا الوقت بعد فقد الفقيدة - رحمها الله - حالة[٢] أنا أتطلع إليها وإلى تذكر عزمه وحضور فهمه[٣] ففي هذا الوقت يحتاج إلى العزم المذكر[٤] - من الذكورة[٥] لا من الذكر[٦] - وإلى أن تشد الرجال حيازيم[٧] الصبر،// فقد دفعنا إلى زمان خير من الدار للنساء [٦٢/ب] فيه القبر[٨] فكيف بمن هجير[٩] الشفيق عليه من السؤال له في الستر[١٠] والله تعالى[١١] يروح أسراره ويطفيء بالرضا والتسليم ناره[١٢] ولا يوحشه ممن يحب عينه وآثاره[١٣] قلت: كانت قد[١٤] توفيت لي كريمة - رحمها الله - وبلغه خبر وفاتها فكتب الفصل معزياً ومسلياً[١٥] وكتبت إليه جوابه وهو موجود فيما دونته من كتبي إليه - رحمه الله -

---

(١) في: ك «فصل من كتاب له إلى أبي - رحمهما الله تعالى»

(٢) في:ب «حال».

(٣) عبارة: «والقاضي السعيد وحضور فهمه» روايتها في: ك «والقاضي السعيد وفقه الله - بعد فقد الفقيدة - رحمها الله - بحال أنا أتطلع إليها وأكثر المرور من تذكار عزمه وثاقب فهمه».

(٤) يوم مذكر: إنما وصف بالشدة و الصعوبة اللسان (ذكر) ص١٥٠٨

(٥) في: ك «المذكورة» تعريف ورجل ذكر إذا كان قوياً شجاعاً أنفاً أبياً. لسان العرب (ذكر) ص ١٥٠٨

(٦) الذكر: جرى الشيء على لسانك اللسان (ذكر) ١٥٠٧

(٧) في: ب. س «يشد الرجال». الحيازيم: ضلوع الفؤاد واشدد حيزومك وحيازيمك لهذا الأمر أي وطن نفسك عليه وهذا الكلام كناية عن التشمر للأمر والاستعداد له. اللسان (حزم) ص ٨٦٠

(٨) كذا في: ك وفي سائر النسخ: «خير من الدار للرجال القبر» وهنا دعوة للمسلمين أن يهبوا لمقاومة الصليبيين مضحين بأرواحهم دفاعاً عن دينهم ووطنهم.

(٩) في: د «هجر» وفي: ك «شأن». و الهجير: المتروك. اللسان (هجر) ص ٤٦٢

(١٠) في: ب. س «من السؤال في الستر» ولعله الصواب. وفي: ص. ح. أ. ر «في السؤال له ستر وفي: ك سؤاله إليه ظلال الستر و المراد أن يشفق عليه حين يخلو بنفسه ويتذكرها فيزداد حزنه».

(١١) في: ك « والله سبحانه».

(١٢) في: ك «بفيض الرضا و التسليم».

(١٣) في: ك «ممن يحب أن يبقى إليه عينه وآثاره».

(١٤) كلمة: «قد» ساقطة من: ب. س

(١٥) عبارة: قلت: «كانت ومسلياً» روايتها في: ك « قلت هذا جواب خبر بلغه في موت كريمة لي - رحمها الله - فكتب إليّ معزياً ومتوجعاً ومسلياً».

فصل من كتاب إلى أبى - رحمه الله[١]

وأزعجنى أمر[٢] السقطة التى جرت للقاضى السعيد فهى[٣] سقطة سقط[٤] لها فى يدى[٥] وإن كان كما ظن المنجم[٦] أثر قطع فما كان[٧] إلا فى مولدى، وأرجو - إن شاء الله - أن يكون الآن[٨] // اندفع الحرج برفع [٦٣/أ] العرج، وأن الله تعالى أغاثه على عادة غوثه فى الشدة بالفرج[٩]

قلت[١٠]: كنت قد[١١] سقطت على ظهر الدابة بطريق مصر[١٢] ووثئت[١٣] رجلى، فكتبت إليه بما نسخته[١٤] ينهى أنه سقط من على الدابة سقطة كاد يسقط فيها بالوفاة[١٥]

---

(١) فى: ك «فصل من كتاب إلى والدى - رحمهما الله تعالى»

(٢) فى: د «أمره» تحريف.

(٣) فى: ك «وهى».

(٤) فى: ب. س «سقطه رجل» سقط.

(٥) متأثر بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ...﴾ سورة الأعراف ٧/١٤٩

(٦) فى: ك «وإن يكن كما يقول المنجم».

(٧) فى: ك «أثر قطع فما هو»

(٨) فى: ك «وأرجو أن يكون - إن شاء الله - الآن» وكلمة الآن ساقطة من: س.

(٩) عبارة: «اندفع الحرج.. بالفرج» روايتها فى: ص. ب. س. د. ا. ر «قد دخل فى الحرج برفع العرج» وإن يعيذه الله تعالى من الخروج من الحرج فيوقع الفرج وهى عبارة تخل بالمعنى المراد هنا ولعل اضطرا بالحقها من الناسخ وتناقلته هذه النسخ وما أثبته من: ك وهو الصواب الموافق للمعنى المراد.

(١٠) فى: س «قال».

(١١) كلمة: «قد» ساقطة من ب. ك.

(١٢) عبارة: «سقطت من... مصر» روايتها فى: ك سقطت عن ظهر الدابة ببعض طرق مصر

(١٣) فى: ك وأصيبت ووثئت على صيغة ما لم يسم فاعله. فهى موثوءة. والوثء: وصمٌ يصيب اللحم ولا يبلغ العظم وقيل: هو توجع فى العظم من غير كسر وقيل هو الفك لسان العرب (وثأ) ص٤٧٦٢.

(١٤) فى: ب. س «فكتبت إليه بما هذه نسخته» وفى: ك وكتبت إليه بما نسخته.

(١٥) فى: ك «على الوفاة».

ويقطع لها ما بينه وبين الحياة[١] إلا أن الله تعالى فدى روحه برجله وما أخلاه فى كل حالة من لطفه[٢] ولا أعراه من فضله وهو إلى الآن (فى آثار ما كان[٣]) إلا أن الألم قد خف[٤] والورم قد جف[٥] وانصباب المواد قد كف[٦] ولم يبق إلا أن الأعصاب قد ضعفت وعظام القدم إلى الآن ما التأمت[٧] وجراحها الباطنة ما التحمت[٨]، وكان فصل الشتاء يمنع من // فصل القضية، ويستطيل عمر البلية التى سبقت بها المشيئة. [٦٣/ ب]

(١) فى: ك «ويقطع بها الموصول بينه وبين الحياة»

(٢) عبارة «إلا أن الله.. من فضله» روايتها فى: ك «إلا أن الله تعالى فدى روحه برجله وبذل إليه لطفه العظيم فى محله وما أعراه فى كل حال من ملابس رعايته وفضله»

(٣) زيادة من: ك يتطلبها السياق.

(٤) عبارة: «إلا أن الألم قد خف» روايتها فى: ب «آلام قد خف» بدون «إلا أن»

(٥) فى: ك «قد انصرف».

(٦) فى: ك «انكف»

(٧) عبارة: «ولم يبق إلا أن الأعصاب التأمت» روايتها فى: ك «وإن كانت الأعصاب قد ضعفت وعظام القدم لم تلتئم على عهدها بعد أن اختلفت».

(٨) عبارة: «وجراحها الباطنة ما التحمت» ساقطة من: ك وفى: ص. أ. ر «وجراحها الماضية» وما أثبته من: ب. س وهو الصواب المرافق للمعنى المراد.

من كتاب إلى أبي ـ رحمه الله[١]

وأما كتاب القاضي السعيد فقد جاء[٢] في وقت خاطري فيه كليل، وهمى فيه[٣] دقيق جليل، ولكن أثر فيه كالاقتداح بالزند[٤] وكاد به الخاطر[٥] أن يستريح[٦] مما هو فيه من الكد. وكلما وقفتُ على كتاب أقول ما بعده جاء، الذى بعده فوق الذى قبله[٧]

ووقفتُ[٨] على موشح الجلنارة، وهو أحسن[٩] من الموشح الجلنارى الذى كان زينةأعياد الخلفاء، وأجدر منها بالنفاسة من القيمة والزيادة في البقاء[١٠] وما ينفك (القاضى[١١]) يغايظنا بهذه الملح، ويومض إلينا بهذه اللمح[١٢]، فإذا سألناه في إباحة معاقلها ،وجلاء عقائلها قد // تمنع[١٣] [٦٤/أ]

(١) في: ك «فصل من كتاب له الى والدى» وفي: ب. س «ومن كتـــاب آخر إلى والدى» - رحمه الله -.

(٢) في: ك «فقد ورد».

(٣) كلمة: «فيه» ساقطة من: ك.

(٤) عبارة: «ولكن أثر. . بالزند» روايتها في: ك «ولكن أثر في الخاطر أثر الاقتداح بالزند».

(٥) كلمة: «به الخاطر» ساقطة من: ك.

(٦) في: ك «أن يستريح إليه».

(٧) عبارة: «وكلما وقفت. . الذى قبله» روايتها في: ك «وكلما وقفت في الكتاب على فصل جاء الذى بعد يطلب رتبة قبل».

(٨) في: ك «ووقفت فيه».

(٩) في: ك «فكان أحسن».

(١٠) عبارة: «الذى كان زينه. في البقاء» روايتها في: ك «الذى وقع زينة أعياد الخلفاء سابقاً وأفضل في نفاسة الجملة، وفضيلة البقاء».

(١١) زيادة من: ك يتطلبها السياق.

(١٢) في: ك «وتومض عنه بروق تلك اللمح».

(١٣) عبارة: «فإذا سألناه. تمنع» روايتها في: ك «وكم سألناه إباحة معاقلها، وجلاء عقائلها فيمتنع بها عن مواضع الفضل».

وإنما يتمنع من يخاف التبذل بالذل[١] وهذه المحاسن لا يخاف عليها[٢] الملال، ولا يتطرق إليها الابتذال[٣] ولا يختلط بزها ببز[٤] ولا يوقَّع عَلَى مفصلها بحز[٥]

قلتُ هذا الموشح الذى أشار إليه موشح على وزن: قم براح عسجدية وزدت أقفاله فقرتين على أقفال ذلك الموشح، ونفذته إليه، فكتب عنه الفصل المذكور[٦] والموشح المذكور أيضاً[٧]:

صرفُ[٨] كاسِى جلنـــارَه ‏ وهى بالمـزجِ بهًـــارَه[٩]
فأدرهَـــا واسقنيهَـــــا ‏ فى هوَى مَنْ ريـــقَ فيها
من شرابِ الكاسِ أحلَـى ‏ ولهذا صـــارَ أغلَـــــى
بثنايَـــــا كالأقاحِـــى ‏ فَضَحَتْ نشر[١٠] المدامَـه
وقنـــاعٌ كالصبـــاحِ ‏ غلبتْ ألفَ غمامَـــه[١١]
// فتنحُوا يالـــواح[١٢] ‏ وأسألوا اللهَ السلامَـــة [٦٤/ب]

---

(١) فى: ك «التبذل من البذل». والتبذل: ترك التصاون. لسان العرب (بذل) ص٢٣٨ وتبذل الرجل: ترك التزين والتجمل. المعجم الوسيط ١/ ٤٥.

(٢) عبارة: «وهذه.. عليها» روايتها فى: ك «ومحاسنة لا تخاف عليها».

(٣) ابتذال الثوب وغيره: امتهانه. اللسان (بذل) ص ٢٣٨.

(٤) البز: الثياب. وقيل: ضرب من الثياب و البزة الهيئة و الشارة اللسان (بزز) ص٢٧٤

(٥) الحز: القطع. اللسان (حزز) ص٨٥٦.

(٦) فى: ب. س «فكتب هذا الفصل المذكور» وفى: ك فكتب فيه الفصل المذكور.

(٧) جملة: «والموشح المذكور أيضاً» روايتها فى: ك «وذات الموشح» وقوله: «المذكور أيضاً» ساقط من: ب وكلمة: «أيضاً» ساقطة من: س.

(٨) الصرف: الخالص من كل شيء. وشراب صرف أى بحت لم يمزج. اللسان (صرف) ص ٢٤٣٦.

(٩) البهار: نبت طيب الريح و البهار: العرار الذى يقال له عين البقر وهو بهار البر وهو نبات جعد له فقاحة صفراء ينبت أيام الربيع اللسان (بهر) ص ٣٧١

(١٠) الرواية فى دار الطرز ص: ١٨٣ «فضحت سر المدامة»

(١١) الرواية فى ك: «. دونه كل غمامه»

(١٢) اللواحى جمع لاح، أى لائم ولحا الرجل يلحاه لحياً: لامه لسان العرب (لحا) ص ١٥ ٤

فلهَــا علَــى المــلاحِ | بجمالهــا الإمامَــــه(١)
ثغرُهَــا عقَــدُ الــوزارَةَ | ريقُهُــا دارُ(٢) الإمـــارَه(٣)
فـلذا تصدتيهــا حيــن | لم ترشبيها(٤) أى حسن ما أجلا

ونـــوال مـــا أقـــلا

يا فنونَ الــعذلِ ذولِــي | يا صنــوفَ اللــومِ كُـفى(٥)
إنهَــا غايـــةُ سؤلــى | إنهــا غايـــةُ حتفـــى(٦)
حسنها أذكَــى غليلـــى | حسنهَا أفحـــم وصفِـــى(٧)
أى خــلٍ يشتــرِي لِـى | قلبـــةٌ منهَـــا بألـــفِ
فابحثُوا لِى عــن عبـارةٍ | مُشْتَــرَاةِ لا معـــــارة
فبنفسى أشتريهَا إنَّ نفسى(٨) | تشتهيهَا فعسَى بالوصلِ تجلى(٩)

فيعود القـــولُ فعـــلا(١٠)

مدة الهجـــرِ تناهَـــتْ | فابـــــتدى بالله صــلحًا
// ووجوهٌ بكِ شاهـــتْ | لـو شـــاة فيـــكِ تلحَى(١١) [٦٥/أ]

---

(١) الرواية فى: ك «ولهذى فى الملاح دولة تعنى الامامة».

(٢) فى: ك « ريقها ورد».

(٣) الرواية فى: ب. س «ريقها دار الامارة ثغرها عقد الوزارة» وفى دار الطراز، ص ١٨٤: «وريقها دار الإمارة ثغرها عقد...» «وضعت نقط بعد عقد».

(٤) الرواية فى: ك «تستديم الصدتيها حيث لا تلقى شبيها» وفى: ب , س « لا ترى» وهى الرواية فى دار الطراز ص ١٨٤

(٥) فى: ب «بل صنوف اللوم كفى» وعلى رواية: ب، رؤى فى دار الطراز ص ١٨٤

(٦) الرواية فى: ك « إنها غاية سؤلى ضاعفت غاية حتفى»

(٧) الرواية فى: ك « مثله افحم وصفى».

(٨) فى: ك «إن قلبى يشتهيها».

(٩) عبارة: « فسمى بالوصل تجلى» روايتها فى: ك لو أبت بالوصل نجلا».

(١٠) فى: ك « ليعود القول فعلا).

(١١) (تلحى) لاحاه ملاحاة: نازعه وخاصمه. المعجم الوسيط (لحا) ٢/ ٨٢٠.

وعذولٌ فيــكِ بَاهَــتْ ويظنُ العذلَ نُصحَــا
أو ما السمــا تاهَـــتْ بسناهَا حين أضحَى[1]

منكِ في البـدرِ إشارة فخذوا منه[2] البشارة وأَعْلِمُوا العاذل فيهَا
أنه عادَ سفيهـًـــا لا راينا منكَ وصـلاً أن فيـكَ عــذلاً

إنْ ضننتَى[3] بوصالكِ فاحذرى قتلَ الُمحب
أنا أدرى بقتالِـــكِ فأذنى منى بحــــربِ
أنا أشكو من ملالِكِ إنه أقرحَ قلبِــــى[4]
واشتكائى من خيالِكِ أنه أقلَقَ جنبِـــى[5]

فامنعى الطيفَ الزيارَة هو والربحُ خسارةُ[6] زورةٌ لا أرتضيـــها
وكذَا لا أقتضيهَــــا أىُّ طيــــفٍ زارَ إلاَّ هيَجَ الشوقَ وولَــى

// لِمَ ترومينَ هلاكِى؟ لِمَ تريدين فنائـــى[7]؟ [٦٥/ب]
قد قضَى اللهُ فكاكِــى من عذابى وعنائـــى
واسترحنَا من هــواكِ وجلسنَــا للهنـــاءِ
وحديثٌ لســـواكِ[8] واسمعيـــهِ من غنائى

---

(١) الرواية في: ك والسما لا شك باهت بسناها حين أضحى
(٢) في س:: « فخذوا منها».
(٣) في: ب. س « إن بخلتى» وهى الرواية فى دار الطراز فى عمل الموشحات. ص ١٨٥
(٤) فى: س « إنه أقلق جنبى» ويبدو أن انتقال نظر الناسخ بين البيتين جعله يقدم ويؤخر. قرحه: جرحه. المعجم الوسيط (قرح) ٢/ ٧٢٣
(٥) فى: س «إنه أقرح قلبى» وفى: ك «إنه حرم قربى»وفى دار الطراز ص ١٨٥ «إنه أقلق حبى».
(٦) رواية: ك «امنع الطيف الزيارة إن ذا الربح خسارة».
(٧) فى: ب , س « لم تريدين هلاكى لم ترومين فنائى» وفى دار الطراز ص ١٨٥
كم تريدين هلاكــى كم ترومين فنائـــى
(٨) فى: ك « وحديث فى سواك».

سكنت بجنب جـــارَه هربَتْ من أهلِ الحارَه[١]
خلصت منهم يديْهَـــا وتقولُ إنَّ حَوا إليهَـا[٢]
وايش يريدُوا بى هؤلاءِ إنَّ جارى بى أولَـــى[٣]

(١)، (٢)، (٣) من قوله: « سكنت بجنب» إلى قوله: بى أولى خلت منه النسخة ك وفى دار الطراز فى عمل الموشحات. ص: ١٨٥ « وايش يروابى هولا ».

فصل من كتاب إلى أبي - رحمه الله

والقاضي السعيد أنا منتظر منه الكراريس الكثيرة العدد، الدقيقة الخط، الخفيفة الورق، الراجحة الوزن، المقاربة الأسطر، المزدحمة الرصف[١] التي لم يرحم[٢] الناسخ من كثيرات بيوتها[٣] ولم يقبل الآخر[٤] التوسعه في طررها[٥] ولا يحمد// مزيد الكراريس عن حجم المجلد الواحد، [٦٦/أ] فإنها إن زادت قسمته مجلدين، فإني ممن إذا اكتال على الناس استوفى[٦]، ولعلي لا آثَمُ في هذا التطفيف، ومن أطعم فعليه أن يشبع، ومن أعطى فعليه أن يقنع[٧] قلت: هذه الكراريس التي أشار إليها مجموع أمرني بجمعه وتسييره إليه وكتبت كتاباً عليه جاء في ذكر هذه الكراريس منه ما هذه نسخته[٨]: وقد جمعه المملوك فما[٩] أتى

(١) الرصف: ضم الشيء بعضه إلى بعض ونظمة، وعمل رصيف اى محكم. لسان العرب (رصف) ص ١٦٥٦

(٢) في: س « لم يزاحم» وفي « ب» «تراحم» تحريف.

(٣) في: س « في كثيرات» وفي: ب « من كبيرات» وفي: د « من كثرات».

(٤) في: ص. د. أ. ز. «الأجر» تصحيف. والصواب ما أثبته من: ب، س.

(٥) الطرير: ذو الرواء والمنظر... وطرة كل شيء: ناحيته، اللسان (طرر ص ٢٦٥٤).

(٦) نظر في هذا إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ سورة المطففين ٨٣/ ٢

(٧) عبارة: « والقاضي السعيد. أن يقنع» روايتها في: ك « وإنّي أنتظر من القاضي السعيد الكراريس الجليلة في كل فن، الجالبة بفضائل كل وصف، الخفيفة الحجم، الراجحة الوزن، الآخذة بأطراف الغاية في الرصف، التي لم ترحم الناسخ من كثرة أسطرها، ولم يقبل مزيدا في محاسن طررها، وأن المملوك فيما لا يخفى ممن إذا كال طفف، أو اكتال على الناس استوفى، لعله في هذا التطفيف لا ينسب إلى حيف ولا يحيف، ومن أطعم أشبع، ومن لم يعط فليقنع»

وقوله: « ومن أطعم فعليه أن يشبع...» قريب من قول ابن الرومي (ديوان: ٦/ ٢٢٦٥)

لا نصنعن صنيعة مبتورة وإذا اصطنعت إلى الرجال فتمم
لا تطعمنهم وتقطع عنهم أشبع إذا أطعمت أو لا تطعم

محاضرات الأدباء: ٢/ ٥٥١، وفيه: « لمإذا اصطنعت» « فتقطع عنهم».

(٨) عبارة: « وكتبت كتابا.. هذه نسخته» روايتها في: ك « فعلت وحررت معها إليه كتاب منه في ذكر الكراريس»، وفي: ب« وكتبت كتابا عليه جاء في ذكر الكراريس هذه نسخته» وكلمة: منه « ساقطة من: س

(٩) في: ك « وما»

فيه[1] بغريب واجتهد غايته وإن كان مجتهداً غير مصيب[2] وقد أتى هذا المجموع الباطل من بين يديه ومن خلفه، وقد جمع الغثاء[3] والغث[4] والخلق و الرث[5]، والورق[6] الأسود و المداد الأبيض والخط المرتعش و السطر المضطرب، وكل ما غزا المملوك فى ذهنه // [٦٦/ب] وفى يده[7] وأبكاه فى يومه وأياسه فى غده، والمملوك يقول عنه[8] ما قاله البديع الأصطرلابى[9] وقد طلب منه السلطان السلجوقى[10] مجموعًا فجمعه وكتب معه[11].

---

(١) كلمة: « فيه»ساقطة من: ب، س.

(٢) عبارة: «واجتهد غايته. . . مصيب» روايتها فى: ص. ب. س. د. أ. ر «واجتهد وكل مجتهد إلا هو مصيب» وما أثبته من: ك «المناسبته لمعنى السياق وقد تأثر فى هذا المعنى بقوله - عليه السلام -: « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران. إذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله أجر» مختصر صحيح البخارى ص ٥٠٣.

(٣) الغثاء: ما يحمله السيل من القمش. لسان العرب (غثا) ص ٣٢١٥

(٤) الغث: الردىء من كل شىء. «وكلام غث لا طلاوة عليه» اللسان (غثث) ص ٣٢١٣.

(٥) الرث: الخلق الخسيس البالى من كل شىء. اللسان (رثا) ص ١٥٨٠ وعبارة: « وقد أتى هذا المجموع. . والرث» روايتها فى: ك «وأيسر ما يقال فى وصفه أن الباطل أتاه من بين يديه ومن خلفه. ولم يجمع هذا المجموع غير الغث والخلق والرث».

(٦) فى: ك « والذرق» تحريف. الذرق من ذرق الطائر: أفرغ ما فى بطنه،اللسان (ذرق) ص ١٤٩٩

(٧) عبارة: « والخط المرتعش. . وفى يده» روايتها فى: ك «والخط المضطرب. والسطر الذى إلى كل عيب ينجلب. وجميع ما بدا للملوك فى ذهنه. وصار إلى يده» وفى: د « فى ذهنه ويده» بدون كلمة «فى».

(٨) كلمة: « عنه» ساقطة من: ب و س

(٩) أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف الأصطرلابى. المعروف بالبديع نشأ فى أصفهان. ثم رحل إلى بغداد حيث اشتغل بالفلك. وهو من العلماء الأطباء. ومن كبار علماء الفلك. وكان أديبًا شاعرًا. توفى سنة ٥٣٤ هـ ينظر فى ترجمته: وفيات الأعيان ٢/ ١٨٤ فوات الوفيات: ٢/ ٣١٣. مرآة الجنان: ٣/ ٢٦١ هدية العارفين: ٦/ ٥٠٥. الأعلام ٩/ ٥٨.

(١٠) السلطان السلجوقى: لعله: أبو شجاع محمد بم ملكشاه بن ألب أرسلان الملقب غياث الدين. . كان رجل الملوك السلجوقية وفحلهم، وله الآثار الجميلة، والسيرة الحسنة توفى يوم الخميس الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة إحدى عشر وخمسمائة. انظر ترجمته رقم ٦٩٢ وفيات الأعيان ٥/ ٧١-٧٣

(١١) فى: ب. س «وكتب معه أبياتًا»

وعبارة «وأياس فى غده. . . وكتب معه» روايتها فى ك « وآيه من غده ويقول فيه ما قاله البديع الأصطرلابى للسلطان السلجوقى وقد طلب منه مجموعًا مجمعه وكتب إليه معه».

أرسلتُ مجموعاً وهَا[١] قد أتى[٢] يحكى تفاصيلى ومجموعى [السريع]

يريــــكَ[٣] مطبوعــــاً ولكــــنه ألف[٤] ماليسَ بمطبـــــوعِ

لــكن عـــذرى فيه تلقيــــبُه[٥] زهيدٌ[٦] أسقاطُ المجاميــــعِ

---

(١) كلمة: «ها» ساقطة من: د.

(٢) الرواية فى / ك «حررت مجموعا إلى أن أتى».

(٣) فى: ك «تراه».

(٤) فى: ك «يجمع ما ليس».

(٥) الرواية فى: ك «ثم أعتذارى عنه تلقيه».

(٦) فى: ك «رهين» وفى: د «رهينك» وفى بقية النسخ «رهيك» وأظن أن الكلمة محرفة عن (زهيد) وتناقلت النسخ هذا التحريف. وعطاء زهيد: قليل. لسان العرب (زهد) والمعجم الوسيط ١/ ٤٠٥.

ومن كتاب إلى الأشرف ولده بخطه[١]

وأنا الآن مقسم الفكر[٢] بسبب القاضي السعيد، ومتطلع[٣] إلى وصوله وسرعة قفوله وبما أنصف فإنه زار قليلاً وكَلَّفَ الْهَمَّ طويلاً[٤] وبالله إننى[٥] مشغول السر بتأخير خبره فى الطريق[٦] ومستعيذ بالله[٧] له من أسباب التعويق.

// قلتُ: هذا الفصل من كتاب كتبه إلى ولده - أبقاه الله -[٨] [٦٧/أ] قبل علمه بوصولى إلى مصر بعد فراقى له من دمشق فى السفرة التى تقدم ذكرها[٩].

---

(١) فى: ك « فصل من كتاب له بخطه إلى ولده الأشرف» وفى: ب، س « ومن كتاب إلى الأشرف ولده - رحمهما الله -».

(٢) فى: ك « الفكر الشريد».

(٣) كلمة: «ومتطلع» ساقطة من: ك.

(٤) عبارة: « فإنه زار قليلاً.. طويلاً» روايتها فى: ك « فإنه زار قليلاً. وكلف القلب هما عريضا طويلاً».

(٥) فى: س. د « إنى».

(٦) الرواية فى: ك « مشغول السر من تأخر أخباره فى الطريق».

(٧) زيادة من: ك يتطلبها السياق.

(٨) فى: س « رحمه الله».

(٩) عبارة « قلت: هذا. تقدم ذكرها» روايتها فى: ك « قلت: إنما كتب هذا قبل علمه بوصولى مصر بعد أن فارقته بدمشق فى السفرة الأولى» أنظر ص: ٦٧ وما بعدها من هذا التحقيق.

ومن كتاب آخر بخط يده[١]

و القاضى السعيد مسؤول فى متجددات خواطره[٢] ودفاتره[٣]، فما يخلو من أن يقول، ومن أن يختار[٤] فيكون بالاختيار كالقائل[٥] فأما فى القول فإنه منقطع القرين[٦] وأوقات العزمات يستعان عليها بما يتعلل به فيقطع على اَلْهَمِّ طريقه ببياض قراطيسه التى أنا إليها اشوق منى الى الصباح فيه[٧].

قلتُ: لما ورد هذا الفصل سيَّرت إليه مقاطيع كنت عملتها فى ذلك الوقت[٨]

منها: [البسيط]

// يا ساقى الراح بل يا سائقَ الفرحِ[٩] ويا نديمى بل يا كل مقترحـــــى[١٠] [٦٧/ب]

لا تخش من قصرِ ليلٍ فى تواصلِنـا[١١] أما ترانى شربتُ الصبحَ فى القدحِ[١٢]

---

(١) فى: ك « فصل من كتاب له بخطه».

(٢) فى: ك: « خاطرهَ.

(٣) فى: ك « وما تبسم به الثغور دفاتره».

(٤) عبارة: ك « . أن يقول أو يختار من خير ما فيه يجول. . .».

(٥) عبارة: «فيكون بالاختيار كالقائل» ساقطة من: ك والمراد بهذا التعبير أن اختيار المرء جزء من عقله.

(٦) عبارة: « فأما فى القول. . القرين» روايتها فى: ك «فإن مولانا فى فضله المبين منقطع النظير والقرين»

(٧) عبارة: « وأوقات العزمات. الصباح فيه» روايتها فى: ك « والغائب مثلى فى تهجيره وتغليسه يستعين على سواد الهموم بالنظر فى بياض قراطيسه، وإننى إلى أدبها ومعانيه لأشوق من أخ السرى إلى تلألؤ الصبح فيه».

(٨) فى: ك « عملتها إذ ذاك».

(٩) «يا سائق الفرح» كذا فى كل النسخ والرواية فى ديوان ابن سناء ٢/ ٣٧٥ « ساقى الفرح».

(١٠) هذا البيت سقط من: ب. س.

(١١) الرواية فى ديوان ابن سناء الملك (٢/ ٣٧٥): «لا تخشين ليل لهوى من تقاصره».

(١٢) هذا البيت (لا تخش. .) سقط من ب. س.

ومنها[١]:

قبَّلتُه ولحظتُ[٢] فى تقبيلِه حتى استحالتْ صبغةُ الرحمنِ[٣] [الكامل]

يأخذُه عذرًا إليكِ[٤] فإننى أذبلتُ فيكِ شقائقَ النعمانِ[٥]

ومنها:

يا ابن بدرٍ علَوتَ فى الحظِّ قدرًا عندما قايسُوكَ بابن هلالِ[٦] [الرمل]

ذاك يحكى أباهُ فى النقصِ لما جئتَ تحكى أباكَ عندَ الكمالِ[٧]

ومنها [مجزوء الرمل]

// إنما ثغرُ سليمان كعقد ملء[٨] سلكه [٦٨/أ]

ملكُ الناسِ[٩] وهذا فمُهُ خاتمُ ملكه

ومنها:

١) ومذ قوَّضُوا أطنابَهم صار ناظرى خباءً ولكن بالدموعِ مطنبَا[١٠] [الطويل]

٢) سقَى اللهُ أيامَ الشبابِ مدامعى على زينب لا آخذَ اللهُ زينبَا

---

(١) البيتان فى ضمن قصيدة لابن سناء فى مدح القاضى الفاضل فى ديوانه ٢/٣٣٦-٣٣٩.

(٢) الرواية فى: ك «قبلته واطلت».

(٣) هذا البيت (قبلته.) سقط من: ب، س.

(٤) فى: ر «عدد إليك» تحريف وتصحيف.

(٥) فى: ك « جففت منك شقائق» شقائق النعمان: نبت، واحدتها شقيقة، سميت بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة البرق، والنعمان النعمان بن المنذر لسان العرب (شقق) ص ٢٣٠ وهذا البيت «يخذه. .» سقط من ب، س

(٦)، (٧) البيتان سقطا من: ب، س، ولم أعثر عليها فى ديوان ابن سناء الملك.

(٨) فى: أ، ر، د «كعد ملو» تحريف. وهذا البيت سقط من: ب، س.

(٩) فى: ك «ملك الحسن» وفى ديوان ابن سناء ٢/ ٤٣٠ «ملك الخلق». والبيت سقط من: ب، س والبيتان إشارة إلى قصة سليمان - عليه السلام - بأنه ملك الجن والإنس بسبب خاتمه ديوان ابن سناء ٢ / ٤٣٠.

(١٠) الأبيات الخمسة: (ومذقوضوا. تقبلنى عن. .) ذكرت فى: ص ٧ من هذا التحقيق. وهذه الأبيات لم تذكر فى س، ب فى هذا الفصل وإنما ذكرت فى فصل آخر سبق هذا، أنظر: النسخة س ورقة ٨ وجه ب، والنسخة ب ورقة ١ وجه ب.

٣) فذاكَ زمانٌ كلُّ عيشى بـهِ رضَـا وكل نسيم هبَّ من صبوتى صـبَا
٤) تكاثر لثمُ الغانياتِ بعارضـى فكدتَ تراهُ بالمباسـم أشنبـا(١)
٥) تقبلُنى عن قبلةٍ ألـفَ قبلـةٍ وحُلِّلَ فى شرعِ الهوَى ذلـكَ الربَا

ومنها: [الكامل]

١)// تجنى لواحظهُ ويستعـدى(٢) أو ما علمت(٣) تمـردَ المـرد(٤) [٦٨/ب]
٢) ظلمٌ(٥) كريـقٍ فم شهدتُ لـهُ أنَّ المجاجةَ(٦) منـه كالشهـد(٧)
٣) بأبى مليـحٍ مـذ كلفـتُ بـه بعتُ الهُدَى(٨) وزهـدتُ فى الزهـدِ
٤) شاكى سلاحَ الحسن منفـردٌ(٩) وكأنَّهُ يلقـاكَ فى جنـدِ(١٠)
٥) الوردُ وجنتُـه وقدْ شرفـتْ عن أن تخونَ خيانـةَ الـوردِ
٦) والعقدُ مبسمهُ ولستَ تـرَى(١١) فى السلكِ منهُ زمردَ العقـدِ(١٢)

---

(١) رواية الشطر الثانى فى: ك «فكدت تراه للتلألؤ أشيبا».
(٢) الرواية فى: س «وتستعدى»وهى أيضا الرواية فى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٣٧٦.
(٣) الرواية فى: ك «أو ما رأيت».
(٤) المرد: نقاء الخدين من الشعر، ونقاء الغصن من الورق، لسان العرب (مرد) ص ٤١٧٢ والمراد هنا وصفها بالحسن فى أبهى صوره.
(٥) فى: ك «ظلما» وفى: ص، س، د، أ، ز «ظلم» بضم الظاء وهذا خطأ. والرواية فى ديوان بن سناء ٢/ ٣٧٦ «ظلم لريق». والظلم: الماء الذى يجرى ويظهر على الأسنان من صفاء اللون لا من الريق..، وقيل: الظلم بياض الأسنان، وقيل: ماء الأسنان وبريقها، وقيل: رقة الأسنان وشدة بياضها. لسان العرب (ظلم) ص ٢٧٦٠
(٦) المجاجة: الريق الذى تمجه من فيك، ومجاجة الشئ عصارته. اللسان (مجج) ص ٤١٣٧.
(٧) فى: س «للشهد».
(٨) «بعت الهدى» كذا فى كل النسخ، أما رواية ديوان بن سناء ٢/ ٣٧٦ «بعت الهوى» تحريف. ورواية النسخ أنسب للمعنى فمنذ قلبه بالمليح باع الهدى.. أما الهوى فمعناه ترك الحب.
(٩) الرواية فى: ب، س «منفردا».
(١٠) الرواية فى: ب، س «وكأنما يلقاك». رواية الشطر الثانى فى: ك «لكن يرى بحلاه فى جند».
(١١) فى: ك «وليس ترى».
(١٢) الزمرد: الزمرذ: بالذال من الجواهر. اللسان (زمر). معجم متن اللغة ٣ / ٥٦، ترتيب القاموس: ٢ / ٣٧٤.

٧) أصفُ الحبيبَ[١] ولستُ أبصرهُ وكذاكَ توصــف جنةُ الخلــدِ[٢]

٨) ضايقتَنى يا دهرُ فى قمـــرى فأخذتَهُ وتركتَنـــى وحـــدى[٣]

٩) عهدى وعانقنى[٤] فقلتُ لـهُ[٥] لا كانَ هــذا آخــرَ العهــدِ

١٠) ومدامعى تجرى على يـــدِه ودموعُـــهُ تجـــرى على خدى

١١) بين خرجتُ عليه من جلدِى ولئنْ رجعتُ خرجتُ من جلدى[٦]

١٢) // ولقد وقفتُ على منازلـهِ أرأيـــتَ عارضَـــهُ على الخـــدِّ [٦٩/أ]

١٣) ولقد أتيتُ لهَا[٧] على ثقـــةٍ ولقدْ رجعـــتُ بخجلـــةِ الـردِّ

١٤) أخفَى التفرقَ[٨] أهلُها فغـدَتْ تُبدى الغرامَ بهـم كما أُبـــدى[٩]

١٥) سرٌّ تمَّ وسارَ القلبُ يتبعكُــم ليرَى خيمكُــم علــى بُعــدِ[١٠]

١٦) وطردتمُوهُ ولم يعدْ[١١] خجـلاً لا القلبُ عندكُـم ولا عنـــدى

---

(١) فى: ك «أصف المليح».

(٢) لما قال «أصف الحبيب ولست أبصره».

قال «وكذلك توصف جنة الخلد» أى يصفها القرآن ونحن لم نرها.

(٣) هذا البيت (ضايقتنى يا دهر.) ساقط من: ك.

(٤) فى: ك «عهدى وودعنى».

(٥) فى: ب، س «وقلت له» وهى رواية ديوانه ٢/ ٣٧٦.

(٦) الرواية فى: ك بينُ خرجتُ إليه عن جلَدِى ولئن أعِدَ خرجتُ عن خُلدِى»

وفى ديوان ابن سناء: ٢/ ٣٧٦ «خرجت عن خلدى».

(٧) الرواية فى: ك «ولقد سعيت لها».

(٨) فى: ب «أخفى تفرق».

(٩) رواية البيت فى: ك

«أخفى الرحيل قطينها فغدت تبدى الغرام بهم كما أبدى»

(١٠) رواية البيت فى: ك

سـاروا وسار القلب يتبعـــهم ليرى ظلالهم على بعـــد

(١١) فى: ب «فلم يعد».

١٧) هذا حديثى بعدكُم(١) فتُـرَى يا قومُ كيفَ حديثَكُم(٢) بـعدِى

١٨) ياجاحدى سقَمى بعزتِــه(٣) أوما سمعتَ شهادةَ الشهــدِ(٤)

١٩) يدرى غرامى ثم ينكــرُهُ(٥) ويريدُ يخرجُه بلاَ حمـــــدِ(٦)

٢) شاعَ الغرامُ وشابَ من كلفى رأسى وأنهجُ(٧) فى الهوَى بردَى

٢١) وكما يشا كَلَفِى تفضلِ بِى(٨) ولقدْ تعرض لِى من المهـــدِ(٩)

٢٢) مبدَأ غرامِى فيكَ عـــن خطأٍ ولجاجُ قلبِى فيكَ عن عمـدِ(١٠)

---

(١) فى: ك «هذا حديثى بعدهم».

(٢) فى: ك «كيف حدثتهم».

(٣) فى: ب «سقمى بعشرته» تحريف وفى: س «بغرته» تصحيف وتحريف.

(٤) هذا البيت (يا جاحدى.) سقط من: ك.

(٥) فى: ب «ثم يجحده».

(٦) رواية البيت فى: ك

«يدرى غرامى ثم ينكره ليصير واقعة بلا حمـــدِ»

وروايته فى ديوان ابن سناء: ٢/ ٣٧٧.

«اتدرى غرامى ثم تنكره وتريد تخرجنى بلا حمدِ»

(٧) فى: ك «ومزق» وأنهج الثوب إذ أخذ فى البلى. لسان العرب (نهج).

(٨) فى: ص، س، ب، د، أ، ر «وكما نشا كلفى تفضوْل بى». وفى ديوان ابن سناء ٢/ ٣٧٧: «وكما نشَا كلفى تفضل بى». وهو الصواب.

(٩) هذا البيت: (وكما يشا. . .) ساقط من: ك.

(١) رواية البيت فى: ك

«مبدا غرامى فيك عن غلطِ ولجاجُ قلبى فيهِ عن عمـدِ»

// فصل من كتاب إلى أبى بخط ابن زكى الدين[١] [٦٩/ب]

ولى من الحضرة الرشيدية وَعْدٌ لا تخلفه، وهى المحاسن السعيدية، فلها معى عشاق يهوون ذلك الكلام، ولاسيما ما فيه علم[٢] الكلام، فتلك المحاسن أى مركب ركبت فإنه النهاض[٣] غير المنهاض[٤]، وأى روضة اقتطفت من جناها اقتضت رياضة الأنفس فى تلك الرياض، وما كل كلمة منها إلا كلمة ولكمات حمل[٥] السلاح، إلا أن هذه خلاف تلك تزيد الجراح.

وما يصلح أن توصف تلك المحاسن إلا بمثلها، بل يصلح أن توصف بهذه إلى دونها لتعرف[٦] لتلك المزية فَضْلَها، وهذا التطويل كله ليكون كذلك[٧] يكتب طويلاً، وهذا التكثير جميعه لتكون المجلدات // ولا أقول الكراريس [٧٠/أ] معدودة كثيرة، فليس ممن يخفى عليه أن الحاصل كثير كبير، وأن الذى وقفت عليه خردلة من ثبير[٨] فعلى هذه

(١) فى: ك «فصل من كتاب له إلى أبى بخط ابن زكى الدين» وفى: ب، س «فصل من كتاب إلى أبى - رحمه الله -» وسقط منها «بخط ابن زكى الدين». انظر التعريف به ص: ٩٤ من هذا التحقيق.

(٢) فى: ب «ما فيه علم».

(٣) النهاض: السرعة. لسان العرب (نهض) ص: ٤٥٦٠.

(٤) هاض الشئ هيضا: كسره. واهتاضه فهو مهتاض ومنهاض. اللسان (هيض) ص ٤٧٣٦.

(٥) فى: س «حمله».

(٦) فى: س «ليعرف».

(٧) فى: ص، د، أ، ر « ليكون ذلك» والصواب ما أثبته من: ب، س.

(٨) ثبير: جبل بمكة. لسان العرب (ثبر) ص ٤٧.

وعبارة: «ولى من الحضرة الرشيدية. . خردلة من ثبير» روايتها فى: ك «ولى من الحضرة الرشيدية وعد، وما كانت لتخلفه الحضرة السعيدية بعد وكم فيها من مستهام خصوصا بفضل الكلام الذى سجدت للطائفة الأقلام فيما تضمن من ذلك النقض والإبرام ومحاسنها فى كل ما ذهبت وعلى أى مركب ركبت تنهض إلى الولوع بها غير المناهض وأى رياض اتصلت بجناها اقتطفت رياضة الأنفس من تلك الرياض، وما فيها كلمة إلا كلمة من ذوى السلاح إلا أن مجاريحها خفية الجراح وما يصلح أن توصف تلك المحاسن إلا بمثلها، ومن أين يوجد لها مثل فى فضلها، وإنها فى نهاية الغنى عن التطويل وأنا أريد به الإشارة إلى أن موضعه من الحسن عريض طويل فإن كثرة الأوصاف تقول أن الخردلة من ثبير تنادى على عظمة المجهول».

المقدمة يكون الاستنتاج، وإن كنت قد أخطأت فى الاستدراج لكان ينبغى أن أمسكت إلى أن يصل المسير، ثم أستأنف طلب، ما تأخر، لكن الحضرة ما منها[١] مكتتم فى الحيل المتشعبة، والمطامع المذبذبة[٢] ولا لوم فى رفع اللوم لمن عدم فى هذه الأسفار الطويلة حضور القاضى السعيد، ومحاضرته، ومكاونته ومعاوضته.

* * فما عايض منه وإن جل عايض[٣] * *

قلتُ: علم الكلام الذى أشار[٤] إليه هو[٥] فصل فى كتاب كتبته إليه، وشرحت له فيه مجلس مناظرة جرت بين[٦] الشريف // أبى القاسم [٧/ب] الحلبى[٧] - رحمه الله - والرئيس أبى عمران [موسى[٨]] اليهودى[٩]، وهو مجلس طويل لا يتسع ذكره فى هذا الكتاب[١٠].

---

(١) « ما منها» كذا فى: س، ب، أ، ر وهو الصواب: ص، د «مامنها» تحريف.

(٢) عبارة: «فعلى هذه المقدمة. المطالع المذبذبة» روايتها فى: ك

«وعلى هذه المقدمة يكون الاستنتاج والخطأ المنشور فيما طويت عليه الأدراج يقتضى أن أمسكت إلى أن يصل المسير ثم استأنف طلب ما تأخر لكن الحضرة لا يصلح فيها مكتوم مما يرام أو يكون غير مروم حيث إن الأطماع فى ذلك الخط مذبذبة، والحيل فى أسباب تحصيله متشعبة».

(٣) عبارة « ولا لوم فى رفع. . . وإن جل عايض» ساقطة من: ك.

وقوله: «فما عايض جل عايض» شطر بيت من بحر الطويل استشهد به الفاضل على أنه لا يوجد ما يعوض عن ابن سناء الملك. ولم أعثر على البيت فيما لدى من مصادر.

(٤) فى: س «أشان» تحريف.

(٥) فى: س «لهو» تحريف.

(٦) فى: ب، س «جرت بينى وبين»، «بينى»: تحريف وتكرار كلمة «بين» بين اسمين خطأ، والصواب: « بين الشريف أبى القاسم الحلبى والرئيس أبى عمران اليهودى». وهو ما أثبته من: ك. وفى: ص، س، ب، د، أ، ر: « بين الشريف ابى القاسم الحلبى رحمه الله - وبين الرئيس أبى عمران اليهودى».

(٧) الشريف أبو القاسم عبد الرحمن الحسينى الحلبى، متوفى ٥٨٢ هـ ديوان ابن سناء ٢ / ٥٠٤ .

(٨) زيادة من: س يتطلبها السياق.

(٩) أبو عمران موسى بن ميمون القرطبى، من فضلاء أحبار اليهود، طبيب ماهر استطبه صلاح الدين وولده الأفضل، كان على علم بالفلسفة، ولد سنة ٥٢٩ هـ وتوفى فى الأرجح سنة ٦٠٥ هـ: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ٣/ ١٩٤-١٩٥ فوات الوفيات ٤ / ١٧٥-١٧٦ وفيه أنه توفى سنة ٦٠١ هـ، معجم المطبوعات، العربية والمعربة ص ٣٢٩، معجم المؤلفين ١٣/ ٤٨-٤٩، ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٢٩٦

(١٠) عبارة: « قلت: علم الكلام. فى هذا الكتاب» روايتها فى: ك.

« قلت: كنت حررت إليه فى كتاب مجلس مناظرة جرت بين الشريف أبى القاسم الحلبى، والرئيس أبى عمران اليهودى، وحديثه طويل لا يتسع له صدر هذا الكتاب».

فصل من كتاب إلى أبى بخط ابن زكى الدين[١]

وقد علم الله تعالى ما كان عندى، وما بقى من مقاسمتها فى أمر ثمرة قلبى وداداً، ولادا، وثمرة قلبها ولادا، القاضى السعيد - عافاه الله - وقد شرحت العلة ولم تلم بذكر انقضائها[٢]، ورأيت فى الكتب من غيرها ما يدل على أسباب الصحة بعد إقبالها.

وما يخشى على الأجسام الضعيفة، الأعضاء النحيفة إلا من النكس التى تلقاها وهى كليلة الاحتيال، وقليلة الاحتمال، فيحترز منها، وليس للإنسان والله [إلا[٣]] أن يحترز، وينتهز فى مداواة الأمراض فرصة عصر الشباب وإلا // فإن الشيب يعجز المنتهز[٤] [٧١/أ].

ثم قد علم الله مساهمتى[٥] لها فى الوحشة من شيخنا الفقيد - رحمه الله - فى

---

(١) فى: ك « فصل من كتاب له إلى أبى بخط ابن زكى الدين - رحمه الله» وفى: س «فصل من كتاب إلى أبى - رحمه الله - بخط ابن زكى الدين». وفى: ب «فصل من كتاب إلى أبى - رحمه الله - بخط أحمد بن زكى - رحمه الله».

(٢) فى: ب، س « انفصالها» تصحيف.

(٣) زيادة يقتضيها السياق أضافها المحقق.

(٤) قوله: « وما يخشى على الأجسام. فيحترز منها» يراد به أن الوقاية خير من العلاج، فالمريض بعد الشفاء يحتاج إلى فترة نقاهة يبدأ فيها جهاز المناعة بتكوين الأجسام المضادة ليستعيد نشاطه فإذا لم يحترز المريض خلال هذه الفترة يعرض نفسه لمهاجمة « الميكروبات» - وقد تكون أقوى من الأولى - فتحدث النكسة المرضية لأن جهاز المناعة لم يستعد نشاطه كاملا فتكون الأعراض شديدة والمضاعفات خطيرة.

وقوله: «وينتهز فى مداواة الأمراض فرصة عصر الشباب» مستمد من قول الرسول - عليه السلام-: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك» انظر: صحيح الجامع الصغير للألبانى - (حديث رقم ١٠٨٨) ١/٣٥٥ وقوله: « فإن الشيب يعجز المنتهز» قريب من قول أبى العتاهية:

ألاَ ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما صنع المشيب [الوافر]

ديوان أبى العتاهية، شكرى فيصل - ص ٣٢

(٥) «مساهمتى كذا فى النسخ، والصواب «إسهامى» لأن المساهمة تعنى المبارزة بالسهام.

الاستهجان بعده لشمله الفريد وعد منا من كنا بفتوره أوثق منا باجتهاداتنا وبيومه أطيب نفساً لشهرنا في عباداتنا[١]

وهذا آخر صباح الحى إذا انتهى به في ليل الحياة السرى.

* وما الدهر و الأيام إلا كما ترى[٢] * [الطويل]

والله يقدمه على رضوانه، ويجزيه بإحسانه عن إحسانه وبلغنى حديث المرثية ومن

---

(١) عبارة: « وقد علم الله تعالى ما كان عندي. في عباداتنا» روايتها في ك: « وقد علم سبحانه بحال المملوك فيما حاكاه مولانا من ديباج الحديث وما يحوك، لولا تضمنه ما كان من حادث العلة وآثارها التى احسب نفسى بها مستقلة، وقد شرح كتابُهُ أمرها، وطوى فى المعافاة ذكرها حتى شكونا إلى حلاوة عقباها المفهومة من غير الكتاب مرها، وقد علم الله مساهمتى إياه فى الوحشة من شيخنا الفقيد، وما عاد على شمل الفضائل بذلك من التبديد - رحمه الله - وبَوَّأَهُ إحسانه ورضاه».

(٢) صدر بيت. نسب في المستطرف فى كل فن مستظرف ٢/ ٦٠ وقبله بيت لأبى الأسود الدؤلى - ولم أعثر عليهما فى ديوانه - ونصهما:

وإنَّ امرأ قد جرب الدهر لم يخف تقلب عصريه لغير لبيب [الطويل]
وما الدهر و الأيام إلا كما تـــرى رزية مال أو فراق حبيب

وعلى هذه الرواية أيضا نسب البيتان فى الحماسة البصرية ٢/ ٤١١ لزباد العذرى و الصواب ما جاء فى الأعلام ٣/٩٣ من أنه زياد بن منقذ بن عمرو الحنظلى من بنى العدوية. وحرفت (العدوى) إلى (العذرى) ونص البيتين فى الحماسة البصرية:

وما الدهر و الأيام إلا كما تـــــرى رزيئة مال أو فراق حبيب
وإن امرأ قد جرب الدهر لم يخـــف تقلب عصريه لغير لبيب

وعلى رواية الحماسة البصرية روى البيت (وما الدهر. . .) فى العقد الفريد ٣/ ١٧٤ بدون نسبة ولم ينسب أيضاً فى محاضرات الادباء ٣/ ٦٤ وعيون الأخبار ٣/٣٨ ونصه فيهما مع اختلاف فى رواية الشطر الثانى:

وما الدهر إلا هكذا فاصطبـــــر له رزية مال أو فراق حبيب

وفى تاريخ الطبرى ٦/ ١٨٥ روى البيت ضمن خمسة أبيات. تمثل بها عبد الملك بن مروان ونسبت لزيادة بن زيد وفيه: «هل الدهر. . . رزيئة مال. . .».

وفى ديوان المتنبى للمرزوقى ٣/ ٨٣ هامش (١) و التبيان للعكبرى ٢/ ٣٤٣ هامش (٤) بدون نسبة ونصه فيهما: ــ

وما الناس والأيام إلا كما تـــرى رزية مال أو فراق حبيب

العجب أن يبلغنى خبرها من غيركم ومن القبيح أن تحوجونى إلى أن أطلبها من سواكم ولقد تكفى الإشارة(١)

قلتُ: كان جدى - رحمه الله - (٢) قد توفى وأنا مريض في شهر رمضان سنة ثمانين وخمسة مائة(٣) وعمره ست //وتسعون سنة(٤) فشيعتُ(٥) [٧١/ب] جنازته متحاملاً وعدت(٦) منها محمولاً واشتد المرض، وحصل(٧) اليأس ثم منَّ الله تعالى(٨) بالعافية ووهب المهلة فعملتُ مرثية فى الجد - رحمه الله - وذكرت(٩) فيها موته ومرضى(١٠) أولها(١١):

١ خانت جفونى لما لمْ تفضِ بدَمِــــى لكن وفى الجسمِ لما فاض بالسقـــمِ [البسيط]

٢ وما بكى(١٢) الطرفُ منى وحــدَهُ ألماً لكن بكاك(١٣) جميعُ الجسمِ بالألمِ(١٤)

٣ خرجتُ خلفكَ محمولاً كما خرجُوا بجسمكَ الطهرُ محمولاً على القمَـمِ

---

(١) عبارة: «والله يقدمه. تكفى الإشارة» روايتها فى: ك « والله يجعل مقدمه على رضوانه ويضاعف له إحسانه على إحسانه، وقد بلغنى حديث المرثية، واعجب أن يبلغنى خبرها من غيركم ومن المكروه أن أحوج إلى أن أطلب نسختها من سواكم، وقد تكفى الإشارة»

وفى: ب، س « تحوجونى أن أطلبها» بدون « إلى»

(٢) جملة: «رحمه الله» ساقطة من: ك

(٣) عبارة: «وأنا مريض وخمس مائة» روايتها فى: ك «كنت مريضاً فى شهر رمضان سنة ست وثمانين وخمس مائة» كلمة: «ست» تحريف يخل بالمعنى

(٤) كلمة: «سنة» ساقطة من: ك

(٥) فى: ك «وشيعت»

(٦) فى: ك «حتى عدت»

(٧) فى: ك «وغلب» وفى: س «وحضر»

(٨) كلمة: «تعالى» ساقطة من: ك

(٩) فى: ك « وأشرتَ» وفى: ب، س «ذكرت» بدون الواو

(١٠) عبارة: «وذكرت ومرضى» روايتها فى: ك «وأشرت فيها الى المرض الذى كنت عليه»

(١١) المرثية فى ديوان ابن سناء الملك ٢/٥١٧-٥١٩

(١٢) فى: ص «بكا» خطأ فى الرسم الاملائى

(١٣) فى: ك «لكن بكاه»

(١٤) بعد البيت: «وما بكى . . .» بيتان خلت منهما النسخ، انظرهما فى ديوان ابن سناء الملك ٢/٥١٧.

٤- يا حسرَتا[١] إذ أرانِي[٢] راكباً لهم وماشياً لا علَى رأسِي ولا قدمِي[٣]

(١) في: ك «يا حسرتي» وهي أيضاً في ديوان ابن سناء ٢/ ٥١٧

(٢) في ديوان ابن سناء ٢/ ٥١٧: «رآني» ورواية البيت فيه: ـ

يا حسرتي إذ رآني راكباً لهم وما مشيت على رأسي ولا قدمي

(٣) بعد البيت الرابع (يا حسرتا. .) (٣٣) ثلاثة وثلاثون بيتاً انظرها في ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٥١٧-٥١٩.

فصل من كتاب آخر[١]

موجب[٢] هذا الفصل أنه كان - رحمه الله -[٣] قد اقترح على جمال الملك[٤] بن المأمون[٥] أن يعمل تاريخاً للدولة الماضية[٦] بمشاهداته[٧] // فيها[٨] وما أدركه منها فكتب هذا الفصل إلى والدى - رحمه الله - [٧٢/أ] (يقول)[٩]:

والتاريخ المأمونى يوسع فيه، ويحشد ويكثر، ويصيره مصنفاً قائماً، وتاريخاً مستقلاً[١٠]، ويسدد القاضي السعيد مراثيه[١١] بتهذيباته واقتراحاته وقت راحاته، ويذكر فيه همة تلك الدولة وذخائرها، وتحفها وجواهرها، وتفرقاتها ورسومها، وكسواتها ورقومها،

(١) في: ك «فصل من كتاب له أيضاً»

(٢) في: ك «سبب»

(٣) كلمة: «قد»ساقطة من: ك

(٤) اسمه «موسى وينعت بشرف الخلافة وجمال الملك، وهو صاحب التاريخ الذي يعد من المراجع الرئيسية التى استعان بها» المقريزى «عند تعرضه لتاريخ الدولة الفاطمية ويذكر أن هذا المؤلف كان أربعة أجزاء»، انظر: الوزارة و الوزراء فى العصر الفاطمى ٦١، ١٢٠، ١٢١ و التاريخ العربى و المؤرخين لشاكر مصطفى ٢/٢١١

(٥) المأمون البطائحي: محمد بن فاتك ابو عبد الله بن أبى شجاع وزر للخليفة الآمر سنة ٥١٥هـ وقبض عليه سنة ٥١٩ ومات مصلوباً سنة ٥٢٢ هـ. انظر: وفيات الأعيان: ٥/٥٩٩، العبر: ٢/٥١٢، سير أعلام النبلاء: ١٩/٥٥٣ الوافى بالوفيات: ٤/٣١٣-٣١٤ النجوم الزاهرة ٥/٢٢٩ شذرات الذهب: ٤/٦٠ وفى أنه قتل سنة ٥١٩هـ الوزارة و الوزراء فى العصر الفاطمى، ص ٣٩، ٦١، ٦٦، ٦٨، ٧٣، ٨٢. وأخرى.

(٦) الدولة الماضية المراد بها الدولة الفاطمية

(٧) في: ب «بمشاهدته»

(٨) كلمة: «فيها» ساقطة من: ك

(٩) زيادة من: ك يتطلبها السياق

(١٠) عبارة: «والتاريخ المأمونى مستقلاً» روايتها في: ك» والتاريخ المأمونى ينبغى أن يوسع لفظًا ويستكثر؛ ويبالغ فيه ولا يقصر، ليصير مصنفًا ليس إلا، وتاريخًا كافيًا مستقلاً».

(١١) في ك: «مراميه» تحريف.

ورواتبها فى خزائن كسوتها(١)، ومؤونات مطابخها، وأخبار دعواتها، وأوقات همتها، ومغانى مجالسها(٢)، وأيام محاضرها(٣)، وأيام ركوبها، وهيئات(٤) مواسمها، وتجملات أعيادها، ورسوم همما طارئها وراتبها(٥)، واحتفالها فى مواكبها، وحلى مراكبها، وأزيائها المختلفة فى لباسها فى أيام ركوبها وفى أيام // أعيادها، وفى أوقات طروق مساجدها وجوامعها، [٧٢/ ب] ومشاهد تعازيها وجنائزها، وفى أوقات أفراحها، وركوب صيدها، ومجالس أنسها، وتقدير العدد الذى كان يحيط به قصرها، وتشتمل عليه مواكبها، وأحوال مراتبها ومراتب جهاتها، ورواتبها، وأقدار أستاذيها وخدمها، ووظائف إطلاقها(٦) ومقتضى تقليداتها، وإطلاق أيدى وزرائها، ومبادىء أحوالهم إلى أن ترقوا إلى وزاراتها(٧)، وعواقب أمورهم عند استحالة الدنيا عنهم(٨) عن حالاتها، وأحوال أصحاب دواوينها وكتابها، وتلك المجالس التى كانت تدرس فى مدارسها، والطلبة وما ينقلون عن مشايخهم، ومن طار منهم ومن وقع(٩).

---

(١) خزائن كسوتها: كانت معروفة فى العصر الفاطمى، وهى عبارة عن خزانتين: الخزانة الظاهرة وهى جزء من خزانة الكسوة وفيها الديباج الملون على اختلاف أنواعه وغيره من أنواع الأقمشة وأما الخزانة الثانية فهى معدة للباس الخليفة خاصة. (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى؛ ص: ١١٨، ١١٩).

(٢) «ومعانى» كذا فى ص؛ د؛ ا؛ ز؛ ك وهو تصحيف صوابه ما فى ب؛ س «ومغانى».

(٣) فى ب؛ س: «وأيام محاضرتها» تحريف.

(٤) ما أثبته من ك؛ ب وهو الصواب؛ وفى سائر النسخ «وهبات» تصحيف وتحريف.

(٥) فى: ص «وزاتبها» تصحيف.

(٦) فى: ب؛ س «إطلاقاتها».

(٧) عبارة: «ومبادئ أحوالهم.. وزارتها» ساقطة من: د.

(٨) كلمة: «عنهم» ساقطة من: ب؛ س.

(١) عبارة: «ورواتبها فى خزائن كسوتها.. ومن طار منهم ومن وقع» روايتها فى: ك؛ والمرتبات فى خزائنها؛ ومبالغ النفقات إلى واردها وقاطنها، وأخبار وقائعها؛ وضروب هممها، وأوقات مجالسها ومواكبها؛ وهيئات مواسمها؛ وتجملات أعيادها؛ ورواتب مطابخها؛ واحتفالها بمظاهر إقبالها فى مراكبها وثيابها؛ وضروب عددها فى الخيول والسلاح والعساكر والحرس والخدام؛ وخروجها إلى المساجد؛ ومحافل تعازيها وتهانيها؛ وركوبها فى اللهو والصيد؛ وتقدير الجند المعدة للإحاطة بقصورها ومتنزهاتها؛ وجميع ما تشتمل عليه أطوارها وتنتهى إليه أقدارها؛ وما كانت عليه الوزراء والخواص؛ ثم يذكر عواقب الأمور؛ وما جرى به عليه المقدور فى تحول الأحوال؛ وفساد الآمال، وخلو دواوينهم من كتابها؛ ومجالسهم من أصحابها؛ ومن طار منهم ومن وقع».

// ومن ارتفع منهم ومن اتضع، وقضايا الأمراء فى مقادير [٧٣/ أ] أرزاقهم وأسبابها وتفاوت رتب أمثالها وأطواقها، وذوى قضاتها(١)، ودار ضيافتها(٢) ودار فطرتها(٣) وتفرقات أضحيتها، وغرة سنتها، وما أحاط به دفتر مجلسها(٤) والقائمين(٥) بمصادرتها، والتأويلات السوء فى معاملتها، وتذكر العواقب لمسيئها، لينتهى من ينتهى إليه الخبر من أهل الشر، وحسن عواقب المحسن(٦) ليستبصر من يسمع بالخبر من أهل الإحسان ففى ذلك ثواب وصواب؛ فهذا المعنى مراد الله تعالى بقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾(٧).

---

(١) فى: ب؛ س «أقضائها» تحريف.

(٢) دار الضيافة: هى الدار التى ينزل بها الرسل والعربان الواردون على السلطان (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى؛ ص: ١٢٩).

(٣) دار الفطرة: بنيت فى العصر الفاطمى؛ وخصصت لعمل ما يحمل إلى الناس فى العيد من الكعك. .» (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى؛ ص: ١٣٠).

وكلمة: «فطرتها» ساقطة من د.

(٤) فى د: «دفتر حبسها» والمراد به دفتر سجنها المدون فيه أسماء المساجين.

(٥) «والقائمين» كذا فى س؛ وهو الصواب لأنها معطوفة على منصوب وفى سائر النسخ «والقائمون» خطأ.

(٦) فى د: «وحسن العواقب المحسن» تحريف.

(٧) ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم...﴾ سورة يوسف ١٢/ ١٠٩؛ غافر ٤٠/ ٨٢، محمد ٤٧/ ١٠

وعبارة: «ومن ارتفع منهم ومن اتضع. أفلم يسيروا فى الأرض» وروايتها فى: ك» ومن انخفض أو ارتفع؛ لينتهى من انتهى إليه الخبر عن فعل سوء وشر؛ وليرغب المحسن فى قرباته ويسكن إلى الصواب والثواب من حركاته فهذا المعنى قام عليه الحث والحض؛ ولا يغيب عنك أفلم يسيروا فى الأرض».

فصل من كتاب آخر إلى أبى بخط يده(١)

وقد ذكرت من مرض القاضى السعيد ما لله فيه لطيفة // وإن كان [٧٣/ ب] فى فاتحتها الابتلاء ونعمه، وإن كان فى طالعها ما وجب إليه الالتجاء، وذلك أنها أنسيت ما لولا الروعة لما نسى(٢) إلا أن تمادَى العهد، وطال الدهر ففرج عنها بعافيته الفرج الذى لا شغل للشكر عما كان يشتغل به من الصبر، والحمد لله على كل حال، ونسأله الخيرة لنا ولها فى كل الأحوال(٣).

قلتُ: هذا جواب عن كتاب كتبه أبى - رحمه الله - يعلمه بالمرض الذى قدمت ذكره، وتوفى جدى - رحمه الله - فى تلك المرضة، وقد قدمت ذكرها(٤)

(١) فى: ك فصل من كتاب إلى أبى بخطه» وفى: ب، س» فصل من كتاب إلى والدى ـ رحمه الله ـ بخط يده.

(٢) فى: ب؛ س «ما لولا الروعة بمرضه لما نسى».

(٣) عبارة: «ونسأله الخيرة. . كل الأحوال» ساقطة من: د.

(٤) تقدم ذكره هذه المرضة فى ص: ٨ ٢ من هذا التحقيق. ورواية هذا الفصل فى ك: «ولقد ذكرت لى مرض القاضى السعيد لطيفة وإن كان فى ابتدئها مكاره مطيفة ونعمة تقوم فيها سوق الرجاء؛ وإن كان فى طالعتها ما يستوجب إليه الالتجاء؛ وهى الذهول عن رويه سقمه، ولم يكن فى الدهر ذهول عنها ولو بالغ فى كيفه وكمه؛ وكان ذلك فى الشدة أول الفرج؛ وبه افتتح باب المعافاة الذى كان ارتتج.

قلتُ: هذا جواب عن كتاب حرره إليه أبى ـ رحمه الله ـ يذكر فيه حديث المرض الذى كان لحقنى؛ ومات فيه جدى كما قدمت ذلك قبل».

فصل من كتاب إلى أبى - رحمه الله -(١)

استلوحت من كتاب الحضرة أن القاضي وولده - أبقاهما الله -(٢) محزونان؛ لفراق من فارقاه(٣) فأما الحديث مع القاضي(٤) // السعيد(٥) فإن تقديم الحرم من النعم(٦)؛ وأما الحديث مع ولده [٧٤/ أ] فلو بقى(٧) الأصل والفرع لما كان فى دار العدم؛ ولا وحشة على من استدل؛ ولا على من احتكم(٨)

والله تعالى الخليفة على دعائم هذا البيت(٩) وأركانه؛ وهو(١٠) المسؤول فى زيادته؛ والمستعاذ(١١)، من نقصانه. وإن كان لابد من عدم فلا يعدم سيف غير أجفانه(١٢)

قلتُ: هذا جواب منه لأبى - رحمه الله - أعلمه فيه بوفاة أم ولدى(١٣).

---

(١) فى: ب «فصل من كتاب إلى والدى - رحمه الله -» وفى: ك «فصل من كتاب له بخطه إلى والدى وجملة: «رحمه الله» ساقطة من: ك.

(٢) جملة: «أبقاهما الله» ساقطة من: ك.

(٣) فى: ب؛ س «من فارقاها» وعبارة: «لفراق من فارقاه» روايتها فى: ك «من الفُرقة التى لا ينفلت من شركها الحيوان».

(٤) عبارة: «فأما الحديث مع القاضى» روايتها فى ك: «وأما الحديث فى ذلك مع القاضى».

(٥) كلمة: «السعيد» ساقطة من: ك.

(٦) الرواية فى: ك «فإن تقديم الحرم من ضروب النعم».

(٧) فى: د «فلا بقى» تحريف.

(٨) فى: ب؛ س «من احتلم» تحريف وعبارة: «وأما الحديث مع ولده. من احتكم» روايتها فى: ك «وأما الحديث مع ولده فلو بقى فرع وأصل فى دار العدم ما كان تمييز بين محكوم عليه وبين الذى حكم».

(٩) عبارة: «والله تعالى. هذا البيت» روايتها فى: ك «والله خليفة على دعائم هذا البيت».

(١٠) كلمة: «وهو» ساقطة من: ك.

(١١) فى: ك «والمستعاذ به».

(١٢) عبارة: «وإن كان لا بد أجفانه» روايتها فى: ك «وإن كان لا بد من عدم يضاف إلى الدهر وحدثانه فلا عدم السيف المهند غير أجفانه».

(١٣) عبارة: «قلت: هذا. أم ولدى» روايتها فى ك: «قلت: هذا جواب عن كتاب حرره إليه والدى، وذكر فيه وفاة أم ولد له».

وكتب أيضاً فى هذا(١) المعنى ما نسخته؛ وضاعف كمدى وفاة أم ولد القاضى السعيد، وعز علىَّ عدم أبى الحسن - أبقاه الله - إياها، وتجرعه الحرقة عليها، وعز على قلة صبره، وشدة جزعه، وهو بحمد الله قد لحق // الرجال فى العمر، وأرجو أن يلحق السادة فى العلم والحظ(٢)، [٧٤/ ب] والله(٣) لا ينقص للحضرة عدداً، ولا يثكل لها ولداً(٤)، ولا يكدر من عيشها مورداً.

وكنتُ كتبتُ إليه أعلمه بموتها فى جواب كتاب جاء منه(٥)؛ وفى هذا الشهر ماتت أم ولد المملوك(٦) فيا لله(٧) ماذا فجعت وماذا أوجعت وماذا أبكت، وماذا أنكت(٨).

و * لولا الحياء لَهَاْجَنِى استعبار(٩) * [الكامل]

---

(١) فى ب: «هذه» تحريف.

(٢) عبارة: «وكتب أيضًا. العلم والحظ» روايتها فى ك: «ومما كتبته أيضًا فى ذلك: وقد ضاعف كمدى، وضرب فى صدرى وعضدى وفاة أم ولد القاضى السعيد. ووقوفه منها على مصاب كل فقيد، ويعز على عدمها إلى أبى الحسن ـ دام له البقاء ـ وترقية فى جزعه وجرعه عليها سوء المرتقى، وإن كان بحمد الله قد التحق بالرجال، ويبلغ من هممهم مجر الأذيال، وأرجو أن يلحق بأشياخ العلوم، والسادة والقادة فى كل فضل مروم.

(٣) فى س: «والله تعالى».

(٤) جملة: «ولا يثكل لها ولدًا» ساقطة من: ك.

(٥) عبارة: «وكنت كتبت جاء منه» روايتها فى ك: «وكنت كتبت إليه أيضًا أذكر له موتها فى كتاب جاء منه».

(٦) الرواية فى ك: «وفى هذا الشهر ماتت أم ولد المملوك وقطعت عليه كل طريق فى الصبر مسلوك».

(٧) كلمة: «فيا لله» ساقطة من: ك.

(٨) نكى ينكى نكاية، قال ابن الأثير، يقال: نكيت فى العدو وأنكى نكاية إذا كثرت فيهم الجراح والقتل، فوهنوا لذلك «لسان العرب» «نكى» ص ٤٥٤٥.

(٩) فى: ك «ولولا الحياء لهاجنى فيها استعبار» كلمة «فيها» هنا تخل بوزن البيت. وهذا صدر بيت من قصيدة لجرير بن عطية الخطفى (٣٠ - ١١٤ هـ) قالها فى رثاء زوجته أم حرة (خالدة بنت سعد بن أوس)، ورواية البيت فى ديوانه (تحقيق دكتور نعمان محمد أمين طه) ٢/ ٨٦٢:

لَوْلاَ الحياء لعادنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

وعلى رواية المخطوط، روى البيت فى الحماسة البصرية ١/ ٢٧٦ منسوبًا لجرير.

وعلى رواية الديوان، نسب البيت لجرير فى: طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام ١/ ٤٠٩، الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٤٩٨، الصناعتين ص ١٧، معجم البلدان ١/ ٤٩٤، لسان العرب (حيًا) ص ١٠٧٩

لن يلبثَ القرناءُ أن يتفرقُوا ليلٌ يكرُ عليهم ونهَار(١)

كانت والله قرينةً صالحة، صحبها المملوك * وصدغاه فى خدي غلام مراهق(٢) * وإلى أن شابت منه المفارق(٣)، فما رأى منها إلا الصحبة الصالحة، وإلا المحبة الناصحة(٤) وإلا الديانة الراجحة(٥)، وإلا حفظ الغيب، وإلا الإيمان ولا ريب، وإلا // السلامة ولا عيب، وإلاَّ صيانة الذيل والجيب(٦) [٧٥/ أ] ولولا أن(٧) * الموت أكرم نزال على الحرم(٨) * [ولا

---

(١) رواية البيت فى ك:

لا يعدم الرفقاء طارقة النوَى ليل يكر عليهم ونهـــار

البيت - أيضًا - لجرير بن عطية، من قصيدته المشار إليها، وروايته فى ديوانه، ٢/ ٨٦٤.

لا يلبث القرناء أن يتفرقـوا ليل يكر عليهم ونهار

وعلى روايته فى ديوانه روى فى: طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١/ ٤٠٩، عيون الأخبار لابن قتيبة ٢/٣٣٣، ٣٤٠ الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٤٩٨ وفيه «لا يلبث الأحباب» الحماسة البصرية ١/ ٢٧٦ وانظر صدراً يشبه صدر هذا البيت فى مجالس ثعلب ١/ ١٣، والحيوان للجاحظ ٧/ ١٥٨ وعيون الأخبار ٣/ ١١.

وانظر عجزاً يشبه صدره فى التبيان فى شرح الديوان للعكبرى ٢/ ٣٣٤ هامش ٨.

(٢) هذا عجز بيت للمتنبى، من قصيدة له فى مدح سيف الدولة، ونص البيت:

يحدث عما بين عاد وبينـــه وصدغاه فى خدى غلام مراهق [الطويل]

التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى ٢/ ٣١٩.

(٣) عبارة: «وإلى أن المفارق» روايتها فى: ك» وإلى أن سار الشيب إليه سيراً من جميع المفارق.

(٤) كلمة: «إلا» ساقطة من: ك وقوله «وإلا المحبة الناصحة سقط من: د.

(٥) الرواية فى: ك «والديانة التى بالجبال الشم راجحة» بدون «إلا».

(٦) عبارة: «وإلا حفظ الغيب والجيب» روايتها فى: ك» وحفظ الغيب، والإيمان القاطع لمادة كل ريب، والسلامة الدائمة من كل عيب، وصيانة الذيل كل الصيانة والجيب».

(٧) فى: ك «ولكن» مكان ولولا أن».

(٨) عجز بيت، وقبله أربعة أبيات، نسبت لمحمد بن يسير الرياشى فى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٨١ ونص البيت:

تهوَى بقائى وأهوى موتها شفقًا والموت أكرم نزال على الحرم [البسيط]

ونسب هذا البيت (تهوى...) وقبله أربعة أبيات، وبعده بيتان. لإسحق بن خلف فى الحماسة البصرية ١/ ٢٧٥، وفيها «تهوَى حياتى» وعلى رواية الحماسة - أيضًا - نسب وقبله ثلاثة أبيات، لابن خلف فى زهر الآداب ٢/ ٥٣٠، ولابن المعلى فى التبيان للعكبرى ٤/ ١٩٦، ولإسحاق بن خلف أو لابن المعلى فى لسان العرب (شفق) ص ٢٢٩٢ وعلى رواية الحماسة أيضًا روى بدون نسبة فى: عيون الأخبار ٣/ ١٠٧، شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١/ ٢٨٣، ديوان الأبيوردى ٢/ ١٢٩

تحول بينها وبينه خدور العز والشمم(١)]، ومن العجز * أن تبيت الرجال تبكى النساء(٢) *، [ولا يأخذوا فيهن بأطراف الصبر والإنساء(٣)]، لبكى المملوك وناح، وشكا وباح، وغدا فى الأسف وراح، إلا أنه يأوى إلى حيائه، ويرد الدمع إلى ورائه، فللناس بالناس أسى، وكما تبلى وجوه فى الثرى(٤)

[فكـــذا يبلـــى عليهـــن الحـــزن(٥)] [الرمل]

* وفى غير من قد وارت الأرض فاطمع(٦) * [الطويل]

(١) زيادة من: ك يتطلبها السياق.

(٢) الرواية فى: ك «أن تبكى الرجال والنساء».

وهذا عجز بيت من قصيدة للبحترى فى عزاء أبى نهشل محمد بن حميد، عن ابنته ونص البيت:

ولعمرى ما العجز عندى إلا / / أن تبيت الرجال تبكى النساء

ديوان البحترى، للصيرفى ١/ ٤١، العقد الفريد بتحقيق عبد الحميد الترحينى ٣/ ٢٣٧

(٣) زيادة من: ك يتطلبها السياق.

(٤) «لبكا» كذا فى النسخ وهو خطأ فى الرسم الإملائى، وعبارة: «لبكى المملوك. وجوه فى الثرى» روايتها فى: ك «ولولا ذلك بكا العبد وناح، وشكا ما عنده وباح وصار له غُدُوٌ فى ضروب الأسف ورَوَاحٌ إلا أنه يأوى إلا فضل حيائه، ويرد وارد الدمع إمامًا إلى ورائه وللناس تأس ببعضهم فيما جرى، ولا يبلى ذلك كما تبلى وجوه فى أطباق الثرَى».

(٥) زيادة من: س يتطلبها السياق والبيت ـ على هذه الرواية ـ لأبى العتاهية، ديوان أبى العتاهية، تحقيق شكرى فيصل ص ٦٦٤ البيان والتبيين للجاحظ ٣/ ١٩٧، عيون الأخبار ٣/ ٦ ١، وعلى هذه الرواية ـ أيضًا ـ وبدون نسبة فى: محاضرات الأدباء ٤/ ٥١ معاهد التنصيص ٢/ ٢٩٩

(٦) من قوله: «لبكى المملوك وناح» إلى قوله: «وارت الأرض فاطمع» ساقط من: ب وعبارة: «وفى غير من قد وارت الأرض فاطمع» عجز بيت، نسب لأرطأة بن زفر بن عبد الله، المعروف: بأرطأة بن سهيه، والمكنى بأبى الوليد، وقبله بيت، ونصهما:

وقفت على قبر ابن ليلة فلم يكـــن وقوفى عليه غير مبكـــى ومجـــزع [الطويل]

عن الدهر فاصفح أنه غـــير معتـــب وفى غير من قد وارت الأرض فاطمع

انظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزى ٢/ ١٨٣، وشرح الحماسة للمرزوقى ٢/ ٨٩٤، وروى البيت ـ وقبله بيتان ـ بدون نسبة فى عيون الأخبار ٤/ ١١٥، ونصه:

فدع عنك من قد وارت الأرض شخصه وفى غير من قد وارت الأرض فاطمع

وروى بيت لأشجع السلمى، عجزه يشبه عجز هذا البيت، ونصه:

تعزيـــك عنى بعـــد ذلك ســـلوة وأن ليس فيما وارت الأرض فاطمـــع

انظر: أخبار الشعراء المحدثين ص ١٤١ وفيه: «يعزيك فيمن وارت»، معاهد التنصيص ٢/ ٧٢.

فصل من كتاب آخر(١)

وصل(٢) من القاضى السعيد قصيدة من نظمه(٣)، وما أعرف كُفْئاً لها بفهمه(٤)، وحضر جماعةٌ [إنشادها(٥)] فرأى [كُلُ(٦)] منهم ما أغمه، وتحققوا أن(٧) البيان قد عصاهم وأطاعه، وزيادته فيه تُنبَه(٨) عن الشاعرين القاصرين عن أمده، ووددتُ لو سمعاها فعرف // كُلُ منهما(٩) أن يومه [٧٥/ ب] قد نُسخ بغده(١٠)

والذى ذُكر فى القافية وأنها مُباعدةٌ غير مُساعدة(١١)، وجامحة غير جانحة، وباردة غير واقدة، صحيح لا يعلمه إلاّ مَنْ ركبها فركلته، وطالبها فأجلته(١٢).

---

(١) هذا الفصل كله ساقط من: ب. وفى: س «وله كتاب آخر» بدلاً من: فصل من كتاب آخر» وفى: ك «فصل من كتاب له إلى والدى».

(٢) فى: ك «وقد وصل».

(٣) عبارة: «وصل . . من نظمه» روايتها فى: س» وصل كتاب من القاضى السعيد، وقصيدة من نظمه».

(٤) عبارة: «وما أعرف كفئًا لها بفهمه» روايتها فى: ك «وما أعرف لعقيلتها كفئًا فى فضيلة فهمه».

(٥) زيادة من: ك يتطلبها السياق.

(٦) زيادة من: س يتطلبها السياق.

(٧) كلمة: «أن» ساقطة من: س.

(٨) فى «د» تنبيه».

(٩) فى «س» كل منهم «والشاعران المشار إليهما: أبو نواس ومهيار الديلمى المذكوران فى ص: ٢٢٣ من هذا التحقيق.

(١٠) فى ص، س، د، أ، ز «بعده» والصواب ما أثبته من ك. وعبارة: «وحضر جماعة. نُسخ بغده» روايتها فى: ك «وحضر جماعة إنشادها، فتكدّر بعضهم مما استطابها الملوك واستجادها، وقال فى ذلك إشارة أن الشعراء قصروا عن أمده، ووددت لو سمعها مفلقهم حتى يعرف أن يومه دون أمسه، فضلاً عن غده».

(١١) عبارة: «والذى ذُكر مساعدة» روايتها فى: ك «وأبدَى فى القافية أنها مباعدة وليست بمساعدة».

(١٢) عبارة: «صحيح لا يعلمه. فأجلته» روايتها فى: ك «فقلت: لا يعرف أطوار الجياد إلا من امتطاها فامطته، أو طالبها بالقضاء فأجلته».

وبالجملة: إن محاسنه لا أقيس بها محاسن بليغ؛ لأن البليغَ رأيتُ له نادرةً، لا يلحقه لاحقٌ، كما لا يسبقه قط سابق، ومن السعادة أن المثنى عليه بالفضل صادقٌ[١].

قلتُ: هذه قصيدة نونية[٢] علمتها على وزن قصيدتي[٣] أبي نواس[٤] ومهيار[٥] فقصيدة[٦] أبي نواس التي[٧] أولها[٨].

عزمتم من[٩] الترحال أمراً فغمنا فلو[١٠] قد فعلتم صبح الموت بعضنا[١١] [الطويل]

وقصيدة مهيار هي[١٢] التي[١٣] أولها[١٤]:

---

(١) عبارة: «وبالجملة: إن محاسنه ... صادق» روايتها في: ك «ومحاسن مثله لا يقاس بها محاسن. ولا يعرف الطاعن عليها أنه إنما أوقف الناس منه على مطاعن. وأنه في الحلبة سابق وليس له لاحق. ومن سعادة المثنى أن يكون مصدقًا بعد وصفه بالصادق».

(٢) عبارة: «قلت: هذه قصيدة نونية» روايتها في ك «قلت: القصيدة المشار إليها هي نونيه.

(٣) في ك «نونيتي».

(٤) أبو نواس: الحسن بن هانئ، شاعر مفلق من شعراء العصر العباسي الأول، اختلف الرواة في تاريخ ولادته ووفاته، فقيل: وُلد سنة: ١٣٠هـ، ١٣٦، ١٤١، ١٤٥، ١٤٦ هـ. وقيل: توفي سنة ١٩٥هـ، ١٩٦، ١٩٨ هـ. انظر: الأعلام ٢/ ٢٤، ٢٤١، العصر العباسي الأول لشوقي ضيف، ص ٢٢ - ٢٣٧، وفيه ثبت لمصادر ترجمته.

(٥) ومهيار بن مرزويه الديلمي الفارسي، شاعر مشهور، كان مجوسيًا وأسلم سنة ٣٩٤هـ. توفي سنة ٤٢٨هـ. انظر: تاريخ بغداد ١٣/ ٢٧٦، المنتظم ٨/ ٩٤، وفيات الأعيان ٥/ ٣٥٩ ـ ٣٦٣، البداية والنهاية ١٢/ ٤١، الأعلام ٨/ ٢٦٤، الفن ومذاهبه في الشعر لشوقي ضيف، ص ٣٥٥ ـ ٣٧٥ تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ٣/ ٩٨ ـ ١

(٦) في: ك «وقصيدة».

(٧) كلمة: التي «ساقطة من: ك.

(٨) القصيدة في ديوان أبي نواس، بشرح علي فاعور ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧ ص: ٥٥٦.

(٩) في «د عزمتم على».

(١٠) في: ك «ولو».

(١١) ورواية البيت في ديوان أبي نواس، ص: ٥٥٦.

طرحتم من الترحال ذكـراً فغمنا فلو قد شخصتم صبح الموت بعضنا

(١٢) كلمة: «هي» ساقطة من «س.

(١٣) كلمة: «التي» ساقطة من: د.

(١٤) عبارة: «وقصيدة . . أولها» روايتها في: ك «وقصيدة التي عارضت مهيار أولها» وهذا الاضطراب إما لسهو النساخ، أو انتقال نظره، أو لوجودها هكذا في النسخة التي نقل عنها، والله أعلم.

// نميلُ من الدنيا(١) - وقد أورقت بنا   إلى دوحةٍ لا ظلَّ فيها ولا جَنى(٢) [٧٦/ أ]

وأما(٣) القصيدة التى عارضتهما بها، فأولها(٤):

١ أُحَدِّثُ عنكـــمْ أنْ بُعْدَكُـــمُ دَنَـــا   فلا أنتمُ إنْ صَحَّ هذا ولا أنا [الطويل]

٢ ولا صَحَّ هذا أو تَصِـــحُ(٥) من الضنَى   جفونٌ لكم من سحرها(٦) خُلِق الضنَى

٣ ولا يدْخـــلُ البيـــنُ المُشـــتُّ تَطَفُّلاً   فكم ليلة لم يَدخُـل الثَّوبُ(٧) بينـــنا

٤ إلى ثم أبعد يا ســـرورى تأســـفـــاً   عليهم ويا همِّى عليهـــم إلى هـــنا(٨)

٥ وفى مَنْ سرَى واستصحب الوصل(٩) والحشا   حبيبٌ نأى(١٠) شخصاً ووصلاً ومسكنا(١١)

---

(١) فى ر «نميل إلى الدنيا».

(٢) «جنا» هكذا فى النسخ، وهو خطأ فى الرسم الإملائى، والبيت من قصيدة لمهيار، يُعزَى أبا طالب بن أيوب فى وفاة أخيه المكنى بأبى نصر ورواية البيت فى ديوان مهيار ٤/ ٥٢:

نقيل مع الدنيا ـ وقد أورقت لنا ـ   إلى دوحةٍ لا ظِلَ فيها ولا جَنَى

(٣) فى: س «فأما».

(٤) عبارة: «وأما   فاولها» روايتها فى: ك وقصيدتى التى عارضت بها أولها» والقصيدة كاملة فى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٣٥٠ - ٣٥٣.

(٥) ديوان ابن سناء ٢/ ٣٥٠ «أو يصح».

(٦) فى ديوان ابن سناء ٢/ ٣٥٠ من أجلها.

(٧) الثوب يطلق على الصفة المحمودة والمذمومة. لسان العرب (ثوب) ص ٥٢٠.

(٨) رواية البيت فى: ك

إلى ثـــم ياســـرورُ ناسفـــا   عليهم وياهمًا يثـــور إلى هنـــا

وروايته فى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٣٥٠

إلى ثم أبعد يا سرورى صبـــابةً   إليهم ويا همى عليهم إلى هـــنا

(٩) فى «س» «واستصحب القلب».

(١٠) الرواية فى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٣٥٠ «حبيب سرى».

(١١) رواية البيت فى: ك.

«وفى مَنْ تناءوا بالقلوب وحَمَلُوا   حبيب نأى شخصًا ووصلاً ومسكنًا

وبعد البيت الخامس (وفى من سرى .) ثلاثة أبيات انظرها فى ديوانه ٢/ ٣٥٠

٦ وبادية للحسنِ أما عقيقهَا فخدٌّ وأما الصدغ منه فمنحنَى[١]

٧ وما أحسنَ الوردَ الذى فوقَ خدِّهَا! ولو أننى قبلته كان أحسنَا[٢]

(١) فى الديوان ٢/ ٣٥٠ «الصدغ فيه». وبعد البيت أربعة أبيات انظرها فى ديوانه ٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٢) رواية هذا البيت فى ك:

«أرَى حسنًا من خَدها فى احمراره ولو أننى قَبَّلْتُهُ كان أحسنا»

وبعد هذا البيت خمسة وثلاثون بيتًا، انظرها فى ديوان ابن سنا الملك: ٢/ ٣٥١ ـ ٣٥٣.

فصل من كتاب آخر بخط يده[١]

وأما اختيار القاضي السعيد من [كتاب[٢]] الحيوان للجاحظ فقد نفخ // من روحه في روح حيوان أبي عثمان[٣]، وأطلق كتابه [٧٦/ ب] من محاصرة الاطّراح وكان في مثل دار عثمان[٤] وذكر به بعدما كان نسياً منسياً[٥]، وأعاره شباباً وكان بلغ[٦] من الكبر عتياً[٧] ولا شك[٨] أن سيل اختياره قد ذهب فيه[٩] جفاء، وشمس أنواره قد ذرته هباء[١٠]، وحال الجاحظ مع من قبله فيما أخذ منهم، كحال الجاحظ مع[١١] من بعده فيما أخذوا منه[١٢]؛

---

(١) في: ك «فصل من كتاب له بخطه» وفي: أ« فصل من كتاب آخر إلى أبي بخط يده».
وهذا الفصل كله ساقط من: ب.

(٢) زيادة من: ك.

(٣) عبارة: فقد نفخ ... أبي عثمان» روايتها في: ك «فقد نفخ به روحًا في جسد أبي عثمان». وأبو عثمان هو عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ (ت ٢٥٥ هـ).

(٤) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية (٤٧ ق هـ - ٣٥ هـ) ثالث الخلفاء الراشدين، لُقب بذي النورين، وكان أحد العشرة الذين بشرهم الرسول ـ عليه السلام ـ بالجنة. انظر: الأعلام ٤/ ٣٧١ ـ ٣٧٢ وهنا إشارة إلى حادثة حصر عثمان في داره؛ فقد نقم عليه الناس اختصاصه أقاربه من بني أمية بالولايات والأعمال، فجاءته الوفود من الكوفة والبصرة ومصر، فطلبوا منه عزل أقاربه، فامتنع؛ فحصروه في داره يراودونه على أن يخلع نفسه، فلم يفعل، فحاصروه أربعين يومًا، وتسورَ عليه بعضهم الجدار فقتلوه صبيحة عيد الأضحى وهو يقرأ القرآن في بيته بالمدينة (الأعلام ٤/ ٣٧٢).

(٥) قوله: كان نسيًا منسيًا «اقتباس من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ مريم ١٩/ ٢٣

(٦) في: س «وكان قد بلغ».

(٧) اقتباس من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ سرة مريم ١٩/ ٨.

(٨) في: ك «بل لا شك» بدون الواو.

(٩) كلمة: «فيه» ساقطة من س.

(١٠) عبارة: «وشمس ... هباء» روايتها في: ك «وشمس أنواره قد تركته فيها حياء».

(١١) الرواية في: ك «كحاله مع من بعده» بدون كلمة: «الجاحظ» الثانية.

(١٢) تتحدث العبارة عن قضية التأثر والتأثير ـ فقد تأثر الجاحظ بمن قبله وأثر فيمن بعده.

فإنه تفسح فى أقوال أقوام لعل منهم من لم يبلغنا اسمهُ [فضلاً عمّن بلغنا[(١)]]، ولم تُدوَن لنا كتبه[(٢)]، مثل: سالم مولى هشام[(٣)]، وعبد الحميد[(٤)]، وخالد بن ربيعة[(٥)] وابن المقفع[(٦)]

---

(١) زيادة من: ك يقتضيها السياق.

(٢) الرواية فى: ك «ولم تُدَون له كتب».

(٣) اسمه: «سالم» وكنيته «أبو العلاء»، كاتب بليغ، تولى ديوان الرسائل لهشام بن عبد الملك بن مروان، وممن تتلمذ على يديه: عبد الحميد الكاتب.

انظر: الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٦٢، الفهرست لابن النديم، ص: ١٧١، ١٨١ إعتاب الكتاب ص: ٦٢، ٦٣، جمهرة رسائل العرب ٢/ ٣٦٩

(٤) عبد الحميد بن يحيى بن سعد، وقيل ابن سعيد، والعامرى المعروف بعبد الحميد الكاتب، من أصل فارسي، كاتب بليغ، وله طريقة فى الكتابة قيل فُتحت الرسائل بعبد الحميد وخُتمت بابن العميد توفى سنة ١٣٢ هـ. انظر: الوزراء والكتاب للجهشيارى ٧٢/ ٨٣، الفهرست ص ١٧، ١٨ وفيات الأعيان ٣/ ٢٢٨ ـ ٢٣٢، والأعلام ٤/ ٦٠ ـ٦١، جمهرة رسائل العرب ٢/ ٣٧٠ ـ ٣٧٥.

(٥) خالد بن ربيعة الإفريقى، أول من عرف من الأدباء الكتاب المترسلين فى أفريقيا، سافر إلى الشام فى خلافة هشام بن عبد الملك واتصل بعبد الحميد الكاتب ثم عاد إلى أفريقيا. توفى نحو ١٥هـ.

انظر: الأعلام ٢/ ٣٣٦

(٦) ابن المقفع كاتب من أئمة بلغاء عصره، ينحدر من أصل فارسى، ولد سنة ١٠٦ هـ وكان يُسمى قبل إسلامه «رُوزبه بن داذويه» وبعد إسلامه سُمى بعبد الله، وكُنى بأبى محمد، كتب لعمرو بن هبيرة ولسليمان بن على ولأخيه عيسى بن على الذى أسلم على يديه، توفى مقتولاً واختلف فى سنة قتله، فقيل سنة ١٤٢هـ، ١٤٣هـ، ١٤٥هـ، انظر: الحيوان للجاحظ ١/ ٢٢، ٧٦، ٣/ ١٣٢، ٦/ ٣٣٠، الوزراء والكُتاب للجهشيارى ص ١٠٣، ١١٠، الفهرست لابن النديم ص ١٧٢، ١٨٢، صبح الأعشى: ١/ ٦٩، ٧٣، ١٢٧، ٢٢٥، ٢/ ٣٢٧، ٣٥٣، ٤٤٦، ٤٧٥، ١٤/ ٢٢٩، ٣٨٢، كشف الظنون ٥/٤٣٨.

الأعلام ٤/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤، تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٣/ ٩٢ ـ ١٠٢، وكتب ابن المقفع المطبوعة.

وعمارة بن حمزة[١] ومسعدة بن خالد[٢] وعبد الجبار بن عدى[٣] ويحيى بن زياد[٤] ومحمد بن زياد[٥] وأبى عبد الله المورياني[٦] وجعفر بن يحيى البرمكى[٧] // وإسماعيل بن

(١) عمارة بن حمزة بن ميمون، كاتب بارع، وجواد كريم، حظى بمكانه سامية عند المنصور والمهدى، توفى سنة ١٩٩ هـ، انظر: المعارف لابن قتيبة ص٨ وفيه إنه توفى سنة ١٨٠هـ. الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٩٠، ٩٣، ١٠٩، ١١٠، ١٢٤، ١٣٣، ١٤٧، ١٤٩، الفهرست ص ١٧١، ١٨١، ١٨٢، تاريخ بغداد ١/ ٨٦ـ ٨٧، معجم الأدباء ١٥/ ٢٤٢، ٢٥٧، سير أعلام النبلاء ٩/ ٩١، كشف الظنون ٥/ ٧٧٩، الأعلام ٥/ ١٩٢ تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٢/ ١١٧، جمهرة خطب ٣/٢٦، جمهرة رسائل العرب ٣/ ٩١

(٢) مسعدة بن خالد، كتب للخليفة المنصور، ذكره ابن النديم فى بلغاء الناس العشرة الذين عدهم فى كتابه الفهرست ص ١٨١، ١٨٢

(٣) عبد الجبار بن عدى أحد كتاب المنصور البلغاء، وقد عده ابن النديم فى بلغاء الناس العشرة الذين ذكرهم فى كتابه».

انظر: الفهرست ص ١٨١، ١٨٢

(٤) «يحيى بن زياد بن عبد الله وقيل: عبيد الله، الحارثى، وكنيته أبو الفضل، شاعر مترسل بليغ من أهل الكوفة، كان ماجنًا واتهم بالزندقة، توفى حوالى سنة ١٦٠ هـ «تاريخ بغداد: ١٤/ ١٠٦ ـ ١٠٧ ترجمة ٧٤٤٧. وانظر: الفهرست ص ١٧١، ١٨١ الأعلام: ٩/ ١٧٨، جمهرة رسائل العرب ٣/ ٦١ ـ ٧٠.

(٥) «محمد بن زياد» ساقط من ك: وهو محمد بن زياد الحارثى أخو يحيى بن زياد، قال عنه ابن النديم فى الفهرست: «شاعر مترسل بليغ» انظر: الفهرست ص ١٧١، ١٨١، ١٨٢، الوافى بالوفيات ٣/٧٩ ترجمة رقم ٩٩٢، جمهرة رسائل العرب ٣/ ٧١

(٦) «وأبى عبد الله المورياني» كذا فى: ص، س، د، ك، أ، ر، ولعله أبو أيوب المورياني: سليمان بن مخلد، المكنى بأبى أيوب، والمنسوب إلى موريان من قرى الأهواز، كان وزيرًا للمنصور العباسى بعد خالد بن برمك، ثم نقم عليه وعذبه، توفى سنة ١٥٤ هـ، انظر: الحيوان للجاحظ ٢/ ٣٦١، مجالس ثعلب ٢/ ٤١٥، تاريخ الطبرى ٩/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥، الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٩٧ ـ ١٠٢، آداب الملوك للثعالبى ص ١١٩، معجم البلدان مادة (موريان)، وفيات الأعيان ١/ ٢١٥ ـ ٢١٦، البداية والنهاية ١٠/ ١٠٩ ـ ١١٠، الأعلام ٣/ ١٩٨٠

(٧) فى: ك «جعفر البرمكى» وهو جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى (١٥٠ ـ ١٨٧ هـ) كان وزيرًا لهارون الرشيد ولما نقم الرشيد على البرامكة قتل جعفر بن يحيى، وكان كاتبًا بليغًا الأعلام ٢/ ١٢٦، وانظر: البيان والتبيين للجاحظ/ هارون ١/ ١٠٥، ١٠٦، ١١١، ١١٥ ـ ٣/ ٣٥١ ـ ٣٥٦، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/ ٨١٨، ٨٨٦، ٨٨٧، الوزراء والكتاب للجهشيارى ١٧٧ - ٢٣٦، آداب الملوك للثعالبى ص ٦٧، ٧٤، ١٢٠، ١٢١، تاريخ بغداد ٧/ ١٥٢، معجم الأدباء ٧/ ١٠٨، ٢٥٤، ٢٩٠، وفيات الأعيان ١/ ١٠٥، البداية والنهاية ١/ ١٩٤، ١٩٧، جمهرة رسائل العرب ٣/ ١٦٤، الأدب فى موكب الحضارة للشكعة ٢/ ٢٣٨ ـ جمهرة خطب العرب ٣/ ٨٥ ـ ٨٨، أثر الفرس السياسى فى العصر العباسى الأول ص ٢٦٠ ـ ٢٦٥.

صبيح[١]، [٧٧/ أ] وأنس بن أبى شيخ[٢] ومحمد بن الليث[٣] وهذا الرجل كلامه[٤] لاحق بالطبقة العالية التى إسفافها[٥] تحليق أبى عثمان، وقمامه ابن زيد[٦]، والزبير بن صريح[٧]،

(١) إسماعيل بن صبيح كان كاتبًا لأبى عبيد الله بن زياد، ثم أصبح كاتبًا ليحيى بن خالد البرمكى، تقلد فى عهد الرشيد ديوانى: الخراج والرسائل.

انظر: رسائل الجاحظ / هارون ١/ ٣٤٩، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/ ٨١٧، العقد الفريد ٢/ ٤، الوزراء والكتاب للجهشيارى ص: ١٥٠، ١٦٨، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٩١، ٢٩٩، الفهرست ص ١٨٢، خاص الخاص للثعالبى ص ٧، إعتاب الكتاب ص ٢ ١، ١٠٤، الوافى بالوفيات ٩/ ١٢٣ ـ ١٢٤ ـ ترجمة رقم ٤٠٣٩.

(٢) فى: ص، د، ك، أ، ر «أنس بن أبى سنح» كلمة: «سنح» تصحيف. والصواب ما أثبته من: س، وأنس بن أبى شيخ أحد العشرة البلغاء الذين ذكرهم ابن النديم فى فهرسته، وكان كاتبًا لجعفر بن يحيى، وصديقًا له، وصفه الجاحظ بأنه نقى الألفاظ، جيد المعانى، حسن البلاغة، قتله الرشيد سنة ١٨٧ هـ لاتهامه بالزندقة، انظر: البخلاء للجاحظ / الحاجرى ص ٢٥٤، ٢٥٥، الحيوان للجاحظ / هارون ٦/ ٤٩٠، البيان والتبيين/ هارون ٢/ ٢٥٢، عيون الأخبار لابن قتيبة ٢م ١٤٤، المعارف لابن قتيبة ص ٣٨٢، الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٦ ٢، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، الفهرست ص ١٨٢، خاص الخاص للثعالبى ص ٨، الوافى بالوفيات ٩/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣، جمهرة رسائل العرب ٣/ ١٥٦

(٣) هو أبو الربيع محمد بن الليث، من موالى بنى أمية، كتب ليحيى بن خالد، وكان كاتبًا بليغًا مترسلاً، جمهرة رسائل العرب ٣/ ١٥٩ ـ ١٦٠، ٢١٧، ٢٧٤، وانظر أيضًا: الفهرست ص ١٧٥، ١٨٢، جمهرة خطب العرب ٣/ ٦٩، ٧٤.

(٤) كلمة: «كلامه» ساقطة من: ك.

(٥) أسَفَّ الطائر إذا دنا من الأرض فى طيرانه، وأسف الرجل إذا قاربه، لسان العرب (سفف) ص ٢٠٢٩، والمراد أن كلام هذا الأديب الذى يعد متدنيًا، يعد عاليًا بالنسبة لكلام أبى عثمان الجاحظ.

(٦) فى: ص، س، د، ك، أ، ر «ثمامة ابن زيد»، والتصحيح من الوزراء والكتاب، والفهرست، وقمامه بن زيد، وفى الوزراء والكتاب: قمامة بن أبى يزيد، كاتب بليغ كتب لعبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس، وكتب لأبيه صالح بن على، وكان يكتب للقاسم بن الرشيد، انظر: الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥، الفهرست ص ١٧٣، ١٨٢، جمهرة رسائل العرب ٣/ ٢٨٥.

(٧) فى: ص، س، أ، ر، ك «الزبير بن صريح» وفى: د «الزبير بن جريح» وفى الفهرست ص ١٧٣ «الهرير بن الصريح» وفى جمهرة رسائل العرب ٣/ ٢٨٦ «الهزَبْر بن صُبَيح» ولعله الصواب، كان كاتبًا لقمامة بن زيد، وكان فصيحًا مترسلاً، انظر: الفهرست ص ١٧٣، ١٨٢، جمهرة رسائل العرب ٣/ ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٤٢٤.

وعدى بن عبد الحميد[١] ومحمد بن حجر[٢] وبكر بن صُرَد[٣]، وحجر بن سليمان[٤]، ويونس بن فروة[٥]، وحامد بن موسى[٦].

ومن المتأخرين عن هذه الحلبة: عمرو بن مسعدة[٧]، وعلى بن عبيدة[٨] وأحمد بن يوسف[٩].

---

(١) لم أعثر فى مراجعى على ترجمة له وربما يكون غسان بن عبد الحميد بن سليمان انظر الفهرست ص ١٨٣، جمهرة رسائل العرب ٣/ ١ ١

(٢) محمد بن حجر بن سليمان، كاتب العباس بن محمد أخى المنصور، وهو كاتب بليغ مترسل، انظر: الفهرست ١٨١، ١٨٢، مهرة رسائل العرب ٣/ ١٤٧، ١٤٨

(٣) بكر بن صرد وفى الفهرست ص ١٨٣ بكر بن صود كان كاتبًا ليزيد بن مزيد.

(٤) حجر بن سليمان الحَرَّانى كاتب العباس بن محمد، وكان كاتبًا بليغًا، انظر: الفهرست ص ١٨١

(٥) يونس بن فروة، وقيل: ابن أبى فروة، وهو ابن محمد بن كيسان الملقب بأبى فروة، كتب لعيسى بن موسى بن أخى السفاح، وكان يونس متهمًا بالزندقة، توفى حوالى ١٥٠هـ، انظر: الحيوان للجاحظ: ٤/ ٤٤٦، ٤٤٨، عيون الأخبار لابن قتيبة: ١/ ٣٨٤، الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ١٢٥، ١٣، لسان الميزان: ٢/ ١٨٥، ٦/ ٣٣٥، الأعلام: ٩/ ٣٤٧.

(٦) لم أعثر له على ترجمة فى مصادرى.

(٧) عمرو بن مسعدة بن سعيد، المكنى بأبى الفضل، كاتب بليغ من أصحاب التوقيعات كتب للمأمون. وتوفى سنة ٢١٧ هـ. انظر: البيان والتبيين للجاحظ/ هارون: ١/ ١٠٦، المعارف لابن قتيبة ص ٨ وفيه أنه مات سنة ١٨٠ هـ، الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٢١٦، ٢٥٨، أدب الكتاب للصولى، أحمد حسن بسج ص ٦٢، الفهرست ص ٢٣٦، آداب الملوك للثعالبى ص ٣٩،/ ١٤٢، ١٤٣، زهر الآداب: ٣/ ٢٤٩، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٠٣، معجم الأدباء: ١٦/ ١٢٧، إعتاب الكتاب ص ١١٦، ١١٧، وفيات الأعيان ٣/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ١٨١ ـ ١٨٢، أمراء البيان ص ١٩١، جمهرة رسائل العرب: ٣/ ٤١٩، ٤٢٨، ٤٣٥، ٤/ ٣٩٧.

(٨) على بن عبيدة الريحانى، كان كاتبًا بليغًا وعلى صلة بالمأمون العباسى، له كتب فى الحكم والأمثال، وكان متهمًا بالزندقة، توفى سنة ٢١٩ هـ، انظر: تاريخ الطبرى ٨/ ٦٥٥، الفهرست ١٧٣، ٢٣٦، الأعلام: ٥/ ١٢٥، جمهرة رسائل العرب: ٣/ ٢ ٤.

(٩) أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح، المعروف بالكاتب، والمكنى بأبى جعفر، من أسرة عرفت بالأدب، فأبوه كتب لعبد الله بن على عم المنصور، تولى أحمد ديوان الرسائل زمن المأمون، وكان بليغًا فصيحًا، توفى سنة ٢١٣ هـ انظر: البيان والتبيين ١/ ٦٥، رسائل الجاحظ: ٢/ ٦٤، ٦٥، ١٩٠، ٤ ٢، الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٨٥، ٢/ ٧٩٧، ٨٥٨، عيون الأخبار: ١/ ١٥٧، ٢/ ١٧١، العقد الفريد ٢/ ١٧، الوزراء والكتاب ص ٣٠٤، أدب الكتاب / بسج ص ٦٣، أخبار الشعراء المحدثين من كتاب =

وسهل بن هارون(١)، ومن أراد أن يعرف مقداره فلينظر إلى ما تكلم(٢) [به(٣)] فى سيرة المأمون(٤)، فيراه منه جالساً(٥) على كرسى مملكة البلاغة السليمانية(٦)، ويشهد أن الله تعالى(٧) وهب له مُلْكاً لا ينبغى لأحد من بعده(٨)

وخطباء العرب(٩) جاهليُها وإسلاميُها، ومخضرمو(١٠) دولتها مّن قد(١١) دَلَ عليه كتاب

= الأوراق ص ١٤٣، ٢٣٥، ٢٣٦، الفهرست ص ١٨٢، ٢٣٦، آداب الملوك للثعالبى ص ٧٩، إعتاب الكتاب ص ١١٣ ١١٦، الوافى بالوفيات ٨/ ٢٧٩ ـ ٢٨٢، الأعلام ١/ ٢٥٧، جمهرة رسائل العرب ٣/ ٣١٦ ـ ٣٣٥، ٤/ ٣٩٥، ٣٩٧، ديوان دعبل بن على الخزاعى، عبد الكريم الأشتر، ص ٣٧٣.

(١) فى: ص، د، ك، أ، ر «سند» تحريف، وفى: س «شبل» تحريف، وهو سهل بن هارون بن راهبونى (وقيل: راهبون ورامنوى ـ راهوية) من أصل فارسى ـ لقبه معاصروه «بزر جمهر الإسلام» عرف بالحكمة والبلاغة، خدم هارون الرشيد، والمأمون الذى ولاه رئاسة خزانة بيت الحكمة، توفى سنة ٢١٥ هـ. انظر: الحيوان للجاحظ: ٢/ ٣٧٤، ٣/ ٦٦، ٤٦٦، ٥/ ٦٠٣، ٦/ ٣٨٨، ٧/ ١٨٢، البيان والتبيين: ١/ ٥٢، ٥٨، ٢/ ٣٩، ٣/ ٢٩، ٣٥٢، عيون الأخبار: ١/ ٣٦٤، ٢/ ٥٨، العقد الفريد العريان ٢/ ٣ ـ ١١ أدب الكتاب ص ٣٢، ٢٤٣، الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة ٢/ ٣٩٣، الفهرست حتى ١٧٤، ١٨٢، إعتاب الكتاب ص ٨٥ ـ ٩١، هدية العارفين ١/ ٤١١ وفيه أنه توفى سنة ٢٤٤ وهذا خطأ، الأعلام ٣/ ٢١١، جمهرة رسائل العرب ٣/ ٣٨٥ ـ ٣٩٦.

(٢) الرواية فى: ك «فلينظر إلى كلامه».

(٣) زيادة من: س يتطلبها السياق.

(٤) «سيرة المأمون» أحد مؤلفات سهل بن هارون، ذكر ذلك شوقى ضيف فى: العصر العباسى الأول، ص ٥٣٠، والمأمون. هو: عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدى (١٧٠ - ٢١٨ هـ)، انظر: الأعلام ٤/ ٢٨٧.

(٥) جملة: «فيراه منها جالسًا» روايتها فى: ك «فإنه يراه فيها بعينه الحقيقية جالسًا».

(٦) سليمان ـ عليه السلام ـ نبى وملك من ملوك بنى إسرائيل، وقد خلف أباه داود الذى أشركه معه منذ صغره فى الحكم والقضاء، وقد ظهرت مواهبه، ورجاحة عقله، ولما كبر أتاه الله النبوة وقد خصه بخصوصيات خارقة للعادة «معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص ٢٥١».

(٧) قوله: «ويشهد أن الله تعالى» روايته فى: ك «ويشهد له من غير دعوى فى خصائص مجده أن الله سبحانه».

(٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قال رب اغفر لى وهب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدى﴾ سورة ص ٣٨/ ٣٥.

(٩) كلمة: «العرب» ساقطة من: د.

(١٠) فى: ص، س، د، ك، أ، ر «مخضرمى» وهذا خطأ، لأنها معطوفة على مرفوع.

(١١) كلمة: «قد» ساقطة من: س.

// البيان[١]، وقروناً بين ذلك كثيراً وإذا[٢] رأيت أدبهم [٧٧/ ب] رأيت نعيماً وملكاً كبيراً[٣]، وإذا تأملت ما عملوا رأيت عقداً منظوماً، وإذا تأملت ما عمل الجاحظ رأيت هباء منثوراً[٤]، فكان حاله معهم كحالة[٥] الثلاثة الذين كانت الحضرة السعيدية تشهد لهم، فصارت تشهد عليهم[٦]، فقد صاروا[٧] عندها في حبس[٨] البلغاء، كالثلاثة الذين خُلِّفوا بعد السابقين، وزيفهم نقده، وقد كنا نعدهم من الصالحين[٩].

وبالجملة فإن كتاب الاختيار ما وصل وقد تسلفت المسرة به، واقتضاني غريمها الشوق إليه، فليته وصل ونحن في عكا فكان أنيساً في الغربة[١٠] وجليساً في الوحدة، ومذكراً ما لا ينسى من كاتبه، وضامناً لإقبال الطرب // إذا نأى وأعرض بجانبه[١١]، ولو اختار معه البيان والتبيين، [٧٨/ أ] وجمع في عقد واحد بين كريمتيه، بل لو اختار كلامه كله،

---

(١) عبارة: «وخطباء العرب ... البيان» روايتها في: ك» ثم إن خطباء الناس جاهلية وإسلاما ومخضرمين ممن سبق لكلٍّ في كتاب البيان حديث لفضل مبين»، انظر أسماء الخطباء في البيان والتبيين: ١/ ٣١٤ ـ ٣٦١

(٢) في: ك «إذا» بدون الواو.

(٣) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ سورة الإنسان ٧٦/ ٢٠

(٤) عبارة: «وإذا تأملت ما عملوا.. هباء منثوراً» روايتها في: ك «ويظهر لك عملهم عقداً منظومًا، وعلم الجاحظ هباء منثوراً».

وقوله: «هباء منثوراً» اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ سورة الفرقان ٢٥/ ٢٣

(٥) في: ك «كحال».

(٦) جملة: «فصارت تشهد عليهم» روايتها في: ك «ثم صارت تشهد عليهم، والناس يعدمون ذلك بين يديهم».

(٧) في: ك «وصاروا» بدون «فقد».

(٨) في: ك «في جنس» تصحيف.

(٩) قوله: «وقد كنا نعدهم من الصالحين» روايته في: ك «وكان لهم رواج في الفاضلين».

(١٠) عبارة: «وبالجملة ... في الغربة» روايتها في: ك «وبالجملة فإن كتاب الاختيار لما وصل إلى المملوك في عكا، وسبقه السرور به، واقتضى غريمه الشوق إلى الحضرة كان أنيسًا في الغربة».

(١١) في: س «إذا أعرض ونأى بجانبه» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ سورة الإسراء ١٧/ ٨٣ وفصلت ٤١/ ٥١.

ورسائله كلها، لكان يقر فى القبر عين الجاحظ الجاحظة، ويشكره فى القيامة(١) إذا استويا فى درجة البلاغة عناية مودته المحافظة(٢).

قلت: كنت قد(٣) اخترت كتاب الحيوان للجاحظ وأسميته بروح(٤) الحيوان، وكتبت إليه فى هذا المعنى بما نسخته(٥): وقد اختار المملوك كتاب الحيوان، وترجم المختار منه بروح الحيوان(٦) وكل كتاب بعده جماد، و [هو(٧)] كنز البلاغة الذى ما له من نفاد(٨)، والبحر(٩) الذى لا يُنْزف ولا يُنْزحُ، والأعجوبة التى لا(١٠) توصف، ولو أنها بلسان قائلها تُمدح(١١)، ولسان // المملوك [٧٨/ ب] انعقل عن أن يصفه ويطريه، ونهاه عن الحديث فيما لا يدريه(١٢)، فما وصفه مما تطيقه الألسنة(١٣) الفصيحة، ولا حُسْنُه مما تتسع له الأذهان الفسيحة، وبالجملة فإن ذلك الكتاب أذهل المملوك وأدهشه، وآنسه وأوحشه(١٤) وأفحمه

(١) فى: س «فى القيمة».

(٢) عبارة: «وجليسًا فى الوحدة ... مودته المحافظة» روايتها فى: ك «وصاحبا تتنوع به فوائد الصحبة، ومذكرًا ما لا يُنسى من مآثر كاتبه، وضامنًا لعود الطرب لو نأى بجانبه، ولو اختار المولى التبيين والبيان، وجمع بين كريمتى الجاحظ فى عقد ذلك الشأن، بل لو اختار جميع كتابات الجاحظ لكانت تقر فى رمسها عينه الجاحظة، ولشكر فضله فى المحشر إذا اختلفا فى درجة البلاغة وفضيلة الحافظة».

(٣) كلمة: «قد» ساقطة من: ك.

(٤) فى: ك «وسميته روح».

(٥) فى: س «ما نسخته»، وكلمة: «بما نسخته» ساقطة من: ك.

(٦) الرواية فى: ك «وترجم ذلك المختار بروح الحيوان».

(٧) زيادة من: ك يتطلبها السياق.

(٨) «الذى ماله من نفاد» روايته فى ك «الذى ليس له نفاد».

(٩) فى: ك «بل البحر».

(١٠) كلمة «لا» ساقطة من: س.

(١١) عبارة: «ولو أنها ... تُمدح» روايتها فى: ك «وإن كانت بلسان صاحبها تمدح».

(١٢) عبارة: «ولسان المملوك ... لا يدريه» روايتها فى: ك «ولسان العبد انعقل عن كونه يصفه ويطريه، ولقد وجد فيه ناهيًا عن الحديث فيما لا يدريه».

(١٣) فى: ك «الألسن».

(١٤) فى: ك «وآنسه كما أوحشه».

وأخرسه، وجننه ووسوسه(١)، ووجد منه الضّالة التى كان فى طلبها يعقد ويقوم، ومثلها يطلب ويروم، وعلى مثلها يحمحم ويحوم(٢).

وكاد سرورِى لا يفى بندامتِــى على تركهِ(٣) فى عُمْرى المُتقادم(٤) [الطويل]

وقد عزم المملوك على أن ينسخ الأصل بيده، ويُحفظه لولده، ويجعله جنّتَه(٥) التى يجنى أكلها كل حين(٦) ويجتلى أبكارها الحور، وعونها العين.

// إنْ كانَ لِي هذا وفيهِ ما أرَى فيه فمـــا أحـــتاجُ للبستَـــان(٧) [الرجز] [٧٩/ أ]

ولقد رأى المملوك(٨) فى النسخة التى استعارها، واختار منها جُزْءاً مُحشى بخط الجاحظ(٩) فرآه خطاً جاحظاً مضطرباً(١٠) متهافتاً، فازدراه عندما رآه، ثم نبل(١١) فى عينه، وحسن فى نفســه، وجـل فى قلبه(١٢) وامتلأ منه صدره هيبـة ورعباً، بعد أن امتلأ به شغفاً

(١) قوله: «وجننه ووسوسه» روايته فى: ك «وصيره بين الجنون والوسوسة».

(٢) عبارة: «ووجد منه الضالة. يحمحم ويحوم» روايتها فى: ك «وجد منه الضالة التى كان فى طلبها يعقد ويقوم، واللبيب لأمثالها أبدًا يجد ويروم، وعلى رسومها يحمحم ويحوم».

(٣) فى: ك «على فوته».

(٤) البيت للمتنبى من قصيدة له فى مدح الأمير أبى محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج، وكان صاحب الرملة من بلاد الشام، ومعنى البيت: لما اتصلت به عظم سرورى بهذا الاتصال؛ فعظمت من أجله ندامتى على حرمانى من الاتصال به فيما مضى من عمرى حتى كاد هذا السرور لا يفى بهذا الندم، ديوان المتنبى للبرقوقى: ٤/ ٢٤٣، التبيان للعكبرى: ٤/ ١١٧، وفيات الأعيان: ٥/ ٦٠، الوافى بالوفيات: ٣/ ١٧٢، وفيه: «كان سرورى».

(٥) عبارة: «ويحفظه جنته» روايتها فى: ك «ويحصل حفظه لولده حتى يجعله جنته».

(٦) متأثر بقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ سورة إبراهيم: ١٤/ ٢٥

(٧) ما أثبته رواية ك وعليها يصح وزن البيت، أما الرواية فى: ص، س، د، أ، ز:

وإذا كنت لى وفيك الذى فيك فمـــا حاجتى إلى البستـــان

ولم أعثر على البيت فى مصادرى.

(٨) فى: ك «العبد» مكان «المملوك».

(٩) فى: ك «جزءاً عليه حواشى بخط الجاحظ».

(١٠) فى: ك «فرآه خطًا جاحظًا أيضًا مضطربًا».

(١١) فى: ك «ثم عظم».

(١٢) فى: ك «وجل فى صدره».

وحبا[١]، وصار عنده أحسن من الخط المقلى[٢] ضلالاً أضله إيمانٌ بمعجزات ذلك الكلام الذى فاض نورُه على الخط فجلاه فى أحسن الصُور. وجعل تلك الأحرف المفردة فى الأعين آنق من عقود الزهر[٣].

ومن بركة هذا الكتاب على المملوك أنه أراحه من ثلاثة كانوا عنده آباء فى البراعة واللسن، وكان يُسبحُهُم // بُكْرة وعشيا[٤] فى السر والعلن[٥] [٧٩/ ب] أولهم أبو الفضل بن العميد[٦]،

---

(١) عبارة: «وامتلأ منه. وحبًا» روايتها فى: ك «وامتلأ منه هيبة ورعبًا، مثلما امتلأ به ابتهاجًا وحبًا».

(٢) المُقلى، أى المنسوب لابن مقله، وهو: محمد بن على بن الحسين بن مقله، يُكنى بأبى على، كان وزيرًا، شاعرًا، أديبًا، ضُرب بحسن خطه المثل، ولد سنة ٢٧٢ هـ وتوفى سنة ٣٢٨ هـ، انظر: وفيات الأعيان: ٥/ ١١٣ ـ ١١٨، عبر الذهبى: ٢/ ٢٩، الوافى بالوفيات: ٤/ ١٠٩ ـ ١١١ البداية والنهاية: ١١/ ١٩٥، شذرات الذهب: ٢/ ٣١ ـ ٣١٢، الأعلام: ٧/ ١٥٧ ـ ١٥٨، تاريخ الأدب العربى لبروكلمان: ٤/ ٣٣٠ ـ ٣٣١، جمهرة رسائل العرب: ٤/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥، جواهر الأدب ص ٤١٩، تحقيق النصوص لعبد السلام هارون ص ٢٧ هامش (١).

(٣) عبارة: «وصار عنده. . عقود الزهر» روايتها فى: ك «وصار عنده أحسن من خط ابن مقلة، ونسخ أضداد الحسن التى كانت بها حروفه مستقلة إيمانًا بمعجزات هذا الكلام الذى فاض نوره على الحروف فقامت من الحسن كل مقام حتى لقد انجلت به فى أحسن الصور، وعادت مفرداتها أبهج فى العين من عقود الدرر وشىء أنيق: حسن معجب، وتأنق فيه عمله بإتقان، ترتيب القاموس (آنق) ١/ ١٨٩

(٤) نظر فى هذا المعنى إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [سورة مريم ١٩/ ١١

(٥) عبارة: «ومن بركة. والعلن» روايتها فى: ك «ومن بركة هذا الكتاب أنه أراح المملوك من ثلاثة بلغوا عنده مكانًا قصيًا فى فضل البراعة واللسن، وكان يسبح بذكرهم بكرة وعشيًا فى مواضع السر والعلن.

(٦) أبو الفضل بن العميد: محمد بن الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد، كاتب بارع، كان يلقب بالجاحظ الثانى، قيل: «بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد»، وزر لركن الدولة الحسن بن بويه الديلمى، مات سنة ٣٦هـ: يتيمة الدهر: ٣/ ١٨٣ ـ ٢١٢، وفيات الأعيان: ٥/ ١٠٣ ـ ١١٣، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ١٣٧ ـ ١٣٨، العبر: ٢/ ١٠٧، الوافى بالوفيات: ٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٣، صبح الأعشى: ٦/ ١٨، ٢٦٤، شذرات الذهب: ٣/ ٣١ ـ ٣٤، هدية العارفين: ٢/ ٤٦، وفيه أنه توفى سنة ٣٥٩هـ، الأعلام: ٦/ ٣٢٨، تاريخ الأدب العربى لبروكلمان: ٢/ ١١٩

وثانيهم أبو حيان التوحيدى[(١)]، وثالثهم الوزير أبو القاسم المغربى[(٢)]، ولم يزل من الدعاة إليهم، ومن الغلاة فيهم[(٣)] إلى أن هتك الله أستارهم بهذا الكتاب، وعلم أنهم كانوا ذعاراً[(٤)] يشنون عليه[(٥)] الغارة، ولصوصاً قد ألحوا[(٦)] على تلك الحارة[(٧)] وشلوحاً[(٨)] على كتف كل واحد منهم كارة[(٩)]، فسبحان الله لقد كان لطريقته من المتكلمين، وبها من المكلفين، وعنها من المتأخرين، ونستحى منه أن نقول من المتخلفين، ولاسيما فى أدب الخواص، ولاسيما فى الجزء الأول منه[(١٠)] ولا عار على الفقيرة إذا استعارت حلى[(١١)] الغنية

---

(١) أبو حيان التوحيدى، على بن محمد بن العباس التوحيدى، المكنى بأبى حيان، أديب الفلاسفة، وفيلسوف الأدباء، كان فقيهًا ومعتزليًا، اتهم بالزندقة، له مؤلفات كثيرة. . توفى سنة ٤١٤ هـ، وقيل: حوالى سنة ٤٠٠هـ، وفيات الأعيان: ٥/ ١١٢ ـ ١١٣، هدية العارفين: ١/ ٦٨٤ ـ ٦٨٥، وفيه: «على بن محمد بن العباس الواسطى البغدادى». الأعلام: ٥/ ١٤٤ ـ ١٤٥ أبو حيان التوحيدى للحوفى، أبو حيان التوحيدى أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، لزكريا إبراهيم، تاريخ الأدب العربى لبروكلمان: ٤/ ٣٣٥ ـ ٣٣٨، مؤلفات أبى حيان التوحيدى (الهوامل والشوامل، الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية، الإمتاع والمؤانسة، البصائر والذخائر، مثالب الوزيرين، المقابسات).

(٢) فى: س «أبو القاسم بن المغربى»، وهو الوزير أبو القاسم المغربى: الحسين بن على بن الحسين بن على بن محمد بن يوسف بن بحر بن بهرام. . المكنى بأبى القاسم، والملقب بالمغربى أو ابن المغربى، ولد بمصر سنة ٣٧٠ هـ قال مؤلف البداية والنهاية أنه ولد سنة ٣٩٠ هـ وهذا خطأ، وكانت وفاته بميا فارقين سنة ٤١٨ هـ وقيل: سنة ٤٢٨ هـ، كان أديبًا بليغًا شاعرًا ناثرًا، له مؤلفات كثيرة. معجم الأدباء: ١٠/ ٧٩ ـ ٩٠، إعتاب الكتاب ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧، وفيات الأعيان: ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٧، جوهر الكنز ص ١٦٠، سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٣٩٤ - ٣٩٦، البداية والنهاية: ١٢/ ٢٣، شذرات الذهب: ٣/ ٢١٠، هدية العارفين: ١/ ٣٠٨ ـ الأعلام: ٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧، تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان: ٦/ ١٧٢ ـ ١٧٣، المنخل مختصر إصلاح المنطق للوزير أبى القاسم المغربى ـ تحقيق الدكتور جمال طلبه.

(٣) ما أثبته رواية: ك. وهى الصواب، وفى سائر النسخ: «ومن المغالاة فيهم» كلمة «المغالاة» تحريف.

(٤) الذعر: الخوف والفزع، ورجل ذاعر: ذو عيوب والجمع ذُعار، لسان العرب (ذعر) ص ١٥٠٢

(٥) كلمة: «عليه» ساقطة من: س.

(٦) كلمة: «قد ساقطة من: د. ألح فلان على الشىء: واظب عليه، المعجم الوسيط (لحح) ٢/ ٨١٧.

(٧) عبارة: «ولم يزل من الحارة» روايتها فى: ك «وكان العبد من الدعاة إليهم، والغلاة فيهم، إلى أن هتك الله أستارهم بهذا الكتاب، وكشف عنهم ذعاراً دون سائر الأصحاب، يشنون على ذوى الفضل الغارة، وينزلون على كل بيت لصوصًا من خلف الحارة».

(٨) شُلح فلان إذا خرج عليه قطاع الطريف فسلبوه ثيابه وعروه، لسان العرب (شلح) ص ٢٣١٥

(٩) الكارة: الحمل الذى يحمله الرجل على ظهره، اللسان (كور) ص ٣٩٥٤.

(١٠) عبارة: «وشلوحًا على كتف. الأول منه» ساقطة من: ك.

(١١) فى: ك «تجملت بحلى».

ولا عيب[١] على من التقط // جواهر كثرت حتى صارت فى الطريق [٨٠/ أ] مرمية[٢]، وما للمملوك فضل فى اختياره[٣] وما هو اختيار ولكنه[٤] اختصار[٥].

* وما محاســـنُ شىءٍ كلُّه أحســـن[٦] *

فسبحانَ[٧] من * يزيد فى الخلق ما يشاء[٨] *

ولمْ أرَ أمثالَ الرجـالِ تفاوتُـــوا إلى الفضلِ حتى عُدّ ألفٌ بواحدِ[٩] [الطويل]

(١) كلمة: «عيب» ساقطة من: س.

(٢) عبارة: «ولا عيب. مرمية» روايتها فى: ك «ولا عيب على من التقط نفاس كانت على الطرق مرمية». وكلمة: «نفاس» تحريف والصواب «نفائس» وقد تأثر الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن أبى حجلة، ت ٧٧٦ هـ بهذه العبارة فى مقامته الزعفرانية «لا عيب على الفقيرة إذا تجملت بحلى الغنية ولا عار على الجوهرى إذا نظم سلكًا كانت درره على الطريق مرميه» صبح الأعشى ١٤/ ٣١٩.

(٣) عبارة: «وما للمملوك فضل فى اختياره» روايتها فى: ك «وما للمملوك فضل فى اختياره بل يستقبل المتقدم عثرة الدخول على أبكاره».

(٤) فى: س «بل هو «مكان» ولكنه.

(٥) عبارة: «وما هو اختيار ولكنه اختصار» ساقطة من: ك.

(٦) شطر بيت، قيل فى آل مكيال، وأورده صاحب اليتيمة هكذا ودون نسب: يتيمة الدهر ٤/ ٤٠٧.

(٧) فى: ك «وسبحان».

(٨) اقتباس من قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة فاطر ٣٥/ ١ وهو عجز بيت - من مخلع البسيط - لأبى فراس الحمدانى، ورواية البيت فى ديوان أبى فراس، ص ١:

كذلك الله كل وقت يزيد فى الخلق ما يشاء

وفى يتيمة الدهر: (١/ ٧٨)، نسب البيت لأبى فراس، وروايته فى اليتيمة:

لا تعجبوا ربنا قديـر يزيد فى الخلق ما يشاء

(٩) فى: ك «لدى الفضل».

البيت للبحترى من قصيدة له فى مدح الفتح بن خاقان، وابنه أبى الفتح ورواية البيت فى ديوان البحترى، للصيرفى: ١/ ٦٢٥

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت إلى الفضل حتى عد ألف بواحد

وعلى هذه الرواية، نسب للبحترى فى: الوساطة ص ٣٧٠، وفى ديوان المتنبى، للبرقوقى: ٢/ ٧٢ هامش (٤)، ٢/ ١٠، هامش (١) نسب البيت للبحترى، وفيه: «لدى المجد» مكان لدى الفضل» وعلى هذه الرواية أيضًا فى التبيان فى شرح الديوان للعكبرى: ١/ ٣٥٠ هامش ٦، وفى: ١/ ٣٨١، هامش (٣) من المصدر نفسه، اختلفت رواية البيت، ونصه فيه:

ولم أر مثل الناس لما تفاوتـوا بخير إلى أن عُد ألف بواحـــد

ونُسب للبحترى فى الاقتضاب للبطليوسى ص ٦٢، وفيه: «تفاوتوا. . إلى المجد» وفى زهر الآداب ١/ ٦٣٨: «تفاوتوا. . لدى المجد» وفى زهر الآداب ٣/ ٦٣٨ «تفاوتوا. . لدى المجد».

فصل من كتاب له بخطه فى هذا المعنى(١)

وقد تشوّقتُ إلى كتاب القاضي السعيد؛ فإنه عند خواطرى(٢) الميتة كتاب الحيوان(٣)، وحديث القاضي عندى حديث سعد، أو حديث ابن بحر(٤) وإن جر كان وكان(٥)، وقد أذكرتني(٦) النون بنفسها؛ فوددت لو اختار كتاب البيان، فيجتمع فى بحر اختياره النونان(٧)، // فهما(٨) حمتاه(٩) وفى عسكر [٨٠/ ب] تصانيفه حاميتاه، بل(١٠) وددتُ لو اختار كل كلام الجاحظ؛ فمحاسنه كثيرة، ومنشآته والاختيار منها يتناول الكبيرة دون الصغيرة(١١)

---

(١) هذا الفصل كله ساقط من: ب، وفى: س «فصل من كتاب له بخط يده».

(٢) فى: ك «فإنه لخواطرى».

(٣) الحيوان: اسم يقع على كل شيء حي، وهي هنا الحياة، وفى القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أى: الحياة، انظر سورة العنكبوت ٢٩/ ٦٤

(٤) ابن بحر هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ صاحب كتاب الحيوان.

(٥) ما أثبته رواية: ك لصحتها ووضوحها، ورواية ص، س، د، أ، ز: «وحديث القاضي السعيد عندى حديث سعد وحديث ابن بحر عندى وإن جر كان وكان».

(٦) فى: ك «ذَكَّرَتْنِي».

(٧) جملة: «فيجتمع.. النونان» روايتها فى: ك «ليجتمع فى بحر أختاه نونان».

(٨) فى: ك «وهما».

(٩) الحُمَة: سم كل شيء يَلْدَغ أو يلسع، اللسان (حما) ص ١٥ ١، والمعنى أنهما - أى الحيوان والبيان والتبيين - خطا دفاعه الأول وحصناه الحصينان بما يزخران به من درر ثمينة، ولآلىء عظيمة.

(١) كلمة: «بل» ساقطة من: د.

(١١) عبارة: «فمحاسنه كثيرة.. الصغيرة» روايتها فى: ك «فمحاسنه كثيرة والاختيار منها يحصل على كل جوهرة كبيرة لا صغيرة».

فصل[١] إلى والدى - رحمه الله -[٢]

القاضى السعيد[٣] - أبقاه الله وأسعده، وأبعد زمانا أناه[٤] وأبعده - مخصوص بتحية حسنة، وهدية طيبة[٥] وكتابه ورد[٦] فى معنى الصليب[٧]، والخبر معروف، وهو[٨] فى أكثر التواريخ والأخبار عن الفُرس، ويشبه أن يكون من افتعالات[٩] ابن المقفع، وإلا فمن أين تلك الهدية والدنيا لا تشتمل على مثلها، وما مضى منها[١٠] شبيه بالحاضر، ولو فُتش على ذلك[١١] // المبلغ من [٨١/ أ] الذهب والفضة، وذلك[١٢] [العدد[١٣]] من الخيل والبغال.

لما وُجد[١٤] الوجود مشتملاً عليها، ولا تحيط الأقطار بها، وهل هذا الصليب هو المشار إليه فى الخبر؟ أو غيره؟ فإن صُلب الصلبوت كثيرة.

---

(١) هذا الفصل كله ساقط من: ب، وفى: ك «فصل من كتاب له».

(٢) جملة: «رحمه الله» ساقطة من: ك.

(٣) فى: ك «والقاضى السعيد».

(٤) فى: ك أقصاه «مكان» أناه والصواب أن تكتب بالهاء المربوطة وليس بالتاء المربوطة.

(٥) قوله: «وهدية طيبة» روايته فى: ك «وهدية ثناء مستحسنة».

(٦) فى: ك «وقد وصل كتابه».

(٧) يعنى صليب الصلبوت، وهو قطعة من الخشب يعتقد المسيحيون أن المسيح ـ عليه السلام ـ صُلب عليها، وتذكر المراجع أن هذا الصليب قد نُقل إلى جزيرة قبرص بعد جلاء الصليبيين عن الشام، ثم استولى المسلمون عليه عند فتحهم للجزيرة سنة ١٤٢٦ هـ (الفتح القسى، ص ٦٦)، «وقد جىء به إلى السلطان وهو مرصع بالجواهر واليواقيت فى غلاف من ذهب»، الوافى بالوفيات: ٦/ ١٨٣

(٨) كلمة: «وهو» ساقطة من: س، ك.

(٩) فى: ك «من اختراعات».

(١٠) قوله: «وما مضى منها» روايته فى: ك «وماضيها».

(١١) جملة: «ولو فتش على ذلك» روايتها فى: ك» ولو وقع التفتيش على ذلك».

(١٢) كلمة: «ذلك» مكانها بياض فى: ص، وساقطة من: ك.

(١٣) كلمة: «العدد» أضافها المحقق ليستقيم المعنى فى السياق.

(١٤) فى: س «لما وجدوا»، وفى: ك «لم يكن» مكان «لما وُجد».

وكل جنس من النصارى والفرنج يذكر[١] أنه إياه[٢]، وأنا شاهدت في القصر صليب الصلبوت[٣]، وكان مصوناً عندهم، ومن خواص ذخائرهم، وأخرج واستحلف ملك الفرنج عليه، وغاب[٤] عنى خبره، ولعل الحرمة من صليب الصلبوت لما هو مستقر في القدس[٥]، لا كانت ساعة قرب[٦] الأوطان منها، فعليها في كل دهر طلب لا يفتر، ودم لا يجف، وسيف لا يغمد[٧].

كانت الحضرة قد أنعمت // بكتابين أحدهما بخطها فيه الاختيار، [٨١/ ب] والآخر الاختيارات الجلية[٨]، وسلما مع فلان إلى أن أوصلهما إلى العسكر، وشاهدتهما واستحسنت[٩] ما اختار، وامترت مما امتار، ومن إشفاقي عليهما، واتهامي[١٠] الزمان ولتجدد خبر مزعج أوجب تخفيف ما في الخيام، وأذن بالرحيل بعد المقام، أعدتهما في درجهما، وأضفت إليهما جزءاً بخط أبي عبد الله ابن مقله من ملكه الذى لا ينبغي لأحد من بعده[١١]، ومن سحره الذى ما أنزل على الملكين: هاروت وماروت مثله[١٢]، وسلمتهما

---

(١) في: ك «يدعى»، وكلمة: «يذكر» ساقطة من: د.

(٢) في: ك «أنه أباه» تحريف.

(٣) في: س «صليب صلبوت».

(٤) في: ك «ثم غاب».

(٥) عبارة: «ولعل الحرمة … القدس» روايتها في: ك «ولعل الحرمة لصليب الصلبوت من حيث كان له استقرار في أرض القدس».

(٦) في: ك «لا كانت ساعة بعد»، إن المقصود بالأوطان هذه القوميات الصليبية فكلمة «قرب» هي المناسبة للسياق، وإن كان المقصود الأوطان العربية والإسلامية فكلمة «بعد» هي المناسبة للسياق ولعل الرواية الأولى هي المقصودة.

(٧) عبارة: «فعليها في كل … لا يغمد» روايتها في: ك «فإليها طلب لا يفتر، وعليها دم لا يجف. وسيف لا يغمد».

(٨) في: ص، د، أ «الحلبية» تحريف وفي: س «الجليسية» تحريف. والصواب ما أثبته من: ر.

(٩) كلمة: «استحسنت» ساقطة من: س.

(١٠) عبارة: «كانت الحضرة قد … واتهامي» ساقطة من: ك.

(١١) نظر في هذا إلى قوله تعالى: ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ سورة ص ٣٨/ ٣٥.

(١٢) نظر في هذا إلى قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ..﴾ [سورة البقرة: ٢/ ١٠٢] وهاروت وماروت: ملكان هبطا ببابل بصورة آدمية، وعلما =

إلى عمرو وأمكن الله منه زيداً[١] فلم يشبه آخرُ طريقه أولها فى حفظهما، بل فرّط فيهما إلى أن دخل البلل زهرة هذه الكتب، فليته أطفأها // ولكن أخفاها، وليته أغرقها ولكن أطبقها، فبعد أن كان الدرج [٨٢/ أ] كمشكاة فيها مصباح[٢] صار ظلمات بعضها فوق بعض[٣] فلا حول ولا قوة إلا بالله[٤].

وذكرت هذه الشكوى ليُدْرَج تحتها خبرُ وصوله إلىَّ، وحسوره عن هذه الحسرة[٥] التى أوقدت جمرتها بين جنبى، على أن أهل الجحيم فى شغل عن الترحيم، والمتوقع بغير الله لا يُدْفع، لا يجليها لوقتها إلا هو[٦]، ليس لها من دون الله كاشفة[٧]

قلتُ: هذا الفصل جواب عن كتاب كتبته إليه بعد فتح عكا، وأسر الفرنج أهلها، واشتراطهم أخذ صليب الصلبوت من السلطان[٨]، مضافاً إلى القطيعة عن الأسارى، ونسخة الفصل[٩] المشار إليه:

ولما جرى ما جرى من أهل عكا، وتم ما تم فيها من تقرير // القطيعة التى قطعت

= الناس السحر ابتلاء من الله وامتحانًا لهم، فمن تعلمه وعمل به كفر، ومن تعلمه وتوقَّى العمل به ثبت على الإيمان، وكانا يحذران الناس من العمل به، ويقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر «معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص ٤٩٤.

(١) من الأمثلة الشائعة فى كتب النحو العربى القديمة: «ضرب زيد عمرو».

(٢) اقتباس من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سورة النور: ٢٤/ ٣٥.

(٣) اقتباس من قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ سورة النور: ٢٤/ ٤٠.

(٤) عبارة: «الزمان فيهما. ولتجلد خبر.. ولا قوة إلا بالله» ساقطة من: ك.

(٥) فى: ص، د، أ، ر «وصول» و«حسور»، بحذف الضمير فيهما: تحريف وما أثبته رواية س.

(٦) اقتباس من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾ سورة الأعراف ٧/ ١٨٧

(٧) اقتباس من قوله عن الساعة: ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ سورة النجم ٥٣/ ٥٧ ـ ٨.

(٨) كلمة: «السلطان» ساقطة من: د.

(٩) فى: د «ونسخة الأصل».

على أهلها - أحسن الله خلاصهم، ويسر فكاكهم - [٨٢/ ب] كان[١] المملوك يشهد بشهادة الله؛ بسبب الصلبوت الذى هو إله لهم، وكان أسيراً لهم[٢]، وكيف قيَّض الله[٣] لهم أن يسترجعوه منها قهراً، وكيف قيض الله لنا أن نتركه إلى أن يرتهن منا عليه[٤] الأسرَى، وأى عذر لنا عند إلهنا[٥] وقد أقدرنا على إلههم إذا لم نصله النار [ونحله دار البوار[٦]]، ونقول لهم: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون[٧] وقد كان المملوك قال - لو قبل قوله - فى القصيدة النونية[٨]:

ظل معبودُهم لديكَ أسيــــراً   مستضاماً فاجعلْ النارَ لهُ سجنا[٩]

وفى أثناء هذه الأيام[١٠] السود طالع المملوك نسخة من سير الفرس استعارها من فلان، فوجد فيها حزم[١١] أبرويز فى أمره // وكونه لم [٨٣/ أ] يُجبْ ملك الروم إلى دفعه، مع أيادى قيصر عنده، وتمليكه إياه، وأخذه له بثأر أبيه.

وقد كتب المملوك كهيئته قبل: إن شيرويه بن أبرويز[١٢] لما قبض على أبيه أبرويز، وقبل

---

(١) فى: س «كاد» تحريف.

(٢) كلمة: «لهم» ساقطة من: س.

(٣) لفظ الجلالة «الله» ساقط من: س، والرواية فى: س «وكيف قُيض لهم».

(٤) فى: س «إلى أن ترتهن عليه».

(٥) من قوله: «وذكرت هذه الشكوَى..» إلى آخر الفصل: «بأوفاهم حجي ختموا» ساقط من: ك.

(٦) زيادة من: س، وقد نظر فى هذا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ سورة إبراهيم: ١٤/ ٢٨

(٧) اقتباس من سورة الأنبياء: ٢١/ ٩٨

(٨) القصيدة فى ديوان ابن سناء الملك: ٢/ ٣٤٠ - ٣٤٣.

(٩) البيت ـ بنصه ـ فى ديوان ابن سناء: ٢/ ٣٤٢.

(١٠) فى: س «هذه الليالى».

(١١) فى: س «وحَزم» تحريف.

(١٢) شيرويه بن أبرويز بن هرمز بن كسرى. احد ملوك الفرس، لما قُتل هرمز توجه أبرويز إلى ملك الروم» قيصر «فأعانه قيصر وأنكحه ابنته، وانجبت له شيرويه، تولى أبرويز الحكم بعد أبيه، وغزا الشام، وحاصر ملك الروم بقسطنطينية، وكان عاسفًا فخلعه الناس، وجعلوا مكانه ابنه شيرويه، فأمر بأبيه فسلمت عيناه، المعارف لابن قتيبة ٦٦٤ ـ ٦٦٥ عيون الأخبار: ١/ ٦٤، ٦٨

أن يقتله، نفذ إليه بعض وزرائه يوبخه على أفعال فعلها في أيام ملكه، منها أن قال له: فكفرت نعمة قيصر فيما كان من حقن دمك بأن رد تمليكه إليك، وتزويجه ابنته لك بأن رددته ومنعته طلب خشبة قاحلة ما ينتفع بها لصلب عيسى بزعمه عليها فأجابه عن هذا الفصل بكذا، فعجب المملوك من ذلك الحزم الذى حمله عليه العقل لا الشرع، ومن هذا التفريط الذى حظره علينا العقل والشرع.

ثم بعد هذا بلغ المملوك // - من الشائع الذائع - أن السلطان - [٨٣/ ب] أدام الله ملكه - لما[١] رجع عن القطيعة، وامتنع عن إعطاء الصليب، وهان[٢] عليه تلك الأسارى، إلى أن يفكهم الله - تبارك وتعالى - بسيوفه على جارى عاداته، وعلى مألوف سعاداته، وما ذلك على الله بعزيز[٣] وما كان الله[٤] ليهدى إلى ذلك[٥] أبرويز - وهو الكافر - ويحجبه عن مولانا ومليكنا - وهو الناصر - إن الملوك بأوفاهم حجى ختموا[٦]

---

(١) كلمة: «لما» ساقطة من «س».

(٢) كلمة: «هان» ساقطة من: د.

(٣) اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ سورة فاطر: ٣٥/ ١٧

(٤) كلمة: «الله» ساقطة من: د.

(٥) فى: س «ليهدى إلى ذلك الرأى».

(٦) هذا المعنى «إن الملوك ختموا» قريب من قول المتنبى فى مدح سيف الدولة.

لا تطلبن كريمًا بعد رؤيته ... إن الكرام بأسخاهم يد خُتموا [البسيط]

التبيان فى شرح الديوان للعكبرى: ٤/ ٢٦، والشطر الثانى من البيت فى جوهر الكنز ص ٥٧٥ بدون نسبة.

فصل من كتاب إلى أبي - رحمه الله - (١)

ووقفت(٢) على كتاب القاضي السعيد، وكل ما وقفتُ عليه منه(٣) يشهد(٤) بالإحسان، ويوجبُ على سامعه(٥) الاستحسان، ولولا(٦) أنني لا(٧) أوثر فوق ما أظهر من محبته، ما أضمر(٨) وحاله فيما أشار إليه مما لا يُعرج // عليه(٩) [٨٤/ أ].

وودت(١٠) لو كان معي في هذه السفرة مع(١١) شظفها وشعثها وشغبها وغلبها فكانت الأيام(١٢) الطويلة تقصر، والمسار الفائتة(١٣) بحضوره(١٤) تحضر، وبالله أقسم ما أقبل على مدة قلم، أو إعمال فكر، أو إرسال بديهة في كتاب(١٥) ولكني أحوجُ الناس إليه في هذا الوقت فكان يجبر عجزي، ويستر(١٦) انقطاعي، ويرفع بشباب خاطره شيخوخة خاطري(١٧).

---

(١) في: ك «فصل من كتاب له إلى أبي - رحمهما الله تعالى - «وفي: س» فصل من كتاب إلى أبي - رحمه الله - بخط يده».

(٢) في: د «وقفت».

(٣) في: ك «فيه» مكان «منه».

(٤) في: ك «فيشهد».

(٥) في: ك «على متأمله».

(٦) في: د «ولو» مكان «ولولا».

(٧) كلمة: «لا» ساقطة من: ب.

(٨) من قوله: «ولولا أنني «إلى: «ما أضمر» روايته في: ك «وإنني لا أظهر من الرغبة فيه غير ما أضمر، كما لا أخفي غير ما أظهر».

(٩) عبارة: «وحاله فيما أشار... عليه» ساقطة من: ك.

(١٠) في: ك «فلقد وددت».

(١١) في: ك «على» مكان مع.

(١٢) في: ك «فكانت به المسافة».

(١٣) في: ب، س، ك «الغائبة».

(١٤) كلمة: «بحضوره» ساقطة من: ك.

(١٥) عبارة: «وبالله أقسم ما أقبل ... في كتاب «ساقطة من: ك.

(١٦) في: س «ويجري ويستر»، وكلمة: «يجري» تحريف عجزي أو لعلها تحريف ويجبر وسقطت كلمة «عجزي».

(١٧) من قوله: «ولكنني أحوج الناس» إلى: «شيخوخة خاطري» روايته في: ك «وأقسم أنني هذا الوقت أحوج ما كان إليه، وأسَرُّ نظراً إلى ما يقع عليه؛ لأن فيه موضعًا لمآربي وسرائري، وتداركًا بصبا خاطره لشيخوخة خاطري».

قلتُ: هذا الفصل جواب عن[١] كتاب كنت قصرته على عتب عليه بأشياء بلغتنى عنه، ثم كشف عنها فلم يكن لها صحة[٢]

(١) كلمة: «عن» ساقطة من: ك.

(٢) من قوله: «كنت قصرته على» «إلى» فلم يكن لها صحة «روايته فى: ك» كنت حررته إليه فى عتاب على أمور بلغتنى عنه، ثم كشف عن كذبها وبطلانها».

فصل من كتاب إلى أبى[1] بخط يده

وأما شعر ابن رشيق[2] فما علىَّ[3] بما حصل من فوائد القاضى السعيد[4] فيه من البُطْء[5]، فقد * جرى الوادى[6] فطم على القرى[7] * // ورمت خواطرُه فأصابت[8] شاكلة الرمى[9] [٨٤/ ب]

وقد تقدم القول أنه أكتب من كل من يقرأ كتابه، وأشعر من كل من يختار شعره[10]

(١) فى: ب، س «إلى أبى - رحمه الله -».

(٢) الحسن بن على بن رشيق الأزدى القيروانى - كُنى بأبى على، وقيل: بأبى العباس، وُلد على الأرجح سنة ٣٩٠ هـ وقيل: سنة ٣٧٠ هـ، كان عالمًا بارزًا، وشاعرًا مجيدًا، له مؤلفات كثيرة، من أشهرها كتابه «العمدة» مات سنة ٤٥٦ هـ على الأرجح، وقيل: سنة ٤٦٣ هـ.

انظر: العمدة لابن رشيق، قراضة الذهب لابن رشيق، معجم الأدباء لياقوت ٨/ ١١٣ - ١٢١، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ٨٥ - ٨٩، ترجمة رقم ١٦٥، جوهر الكنز ص ٢٩٧، صبح الأعشى ١/ ٣٤٤، ٢/ ٢٧١، ٣٤٥، شذرات الذهب ٣/ ٢٩٧، هدية العارفين ١/ ٢٧٦، الأعلام ٢/ ٢٠٤ - ٢٠٥، معجم المؤلفين ٣/ ٢٢٥، تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٥/ ٣٤٣ - ٣٤٥.

(٣) فى: ب، س «فما غلا» تحريف، وكلمة: «فما على» ساقطة من: ك.

(٤) عبارة: «بما حصل ... السعيد» روايتها فى: ك «وما حصل فيه من كلام القاضى السعيد».

(٥) قوله: «فيه من البطء» ساقط من: ك.

(٦) فى: ص، د «جرّ رازية» تحريف، وفى: ب، س «جر واديه» تحريف، وفى: آ، ز «جرّ راذيه» تحريف والصواب ما أصبته من: ك.

(٧) عجز بيت من قصيدة لأبى تمام فى مدح الحسن بن وهب ونص البيت فى ديوان أبى تمام: ٣/ ٣٥٩:

وإن لهـم لإحسانًا ولكـن ... جرَى الوادى فطمَّ على القرى [الوافر]

ورُوى عجز هذا البيت فى مجمع الأمثال: ١/ ٢١١ بدون نسبة، وفيه: طم أى دفن، والقرى مجرى الماء فى الروضة، والجمع أقرية وقريان ويضرب به المثل عند تجاوز الشر حده.

(٨) فى: ك «فأصاب».

(٩) «شاكلة الرمى» جزء من عجز بيت لأبى تمام، من قصيدته التى مدح بها الحسن بن وهب، ونص البيت كما فى ديوانه: ٣/ ٣٥٥.

لقد جلَّى كتابك كل بثٍ ... خوٍ وأصابَ شاكلةَ الرمى [الوافر]

ونسب البيت لأبى تمام فى: أدب الكتَّاب، للصولى ص ٤٦، زهر الآداب: ٣/ ٨٩٢.

(١٠) عبارة: «وقد تقدم القول.. يختار شعره» ساقطة من: ك.

ولقد صادف منه[(١)] كتابُهُ خاطراً صدفياً فجوهره، ومورداً عافياً فأشهره[(٢)]، وأثر فيه كاقتداحك فى الزند[(٣)]، وذكرنى ما قد نسيت من العهد[(٤)]، وإنى قد سئمت من[(٥)] مآربى، وفررت من مطالبى[(٦)]، وصار الكلام عدو قلمى، وبعد متناوله من فوق يدى بعد ما كان تحت قدمى[(٧)] وإلا[(٨)] فلو حضرنى وصف لتقليت به وارد كتابه[(٩)]، ولو ساعدتنى خطابةٌ لاستسقيت بها من جدا سحابه[(١٠)].

قلت: كان اقترح علىَّ اختيار[(١١)] شعر ابن رشيق، فاخترتُه له، وسيرته إليه، وكتبت إليه كتاباً جاء من فصوله[(١٢)]:

// ما رأى الملوك أعجب من شعر[(١٣)] ابن رشيق[(١٤)]، [٨٥/ أ] ولا أطرف من

(١) كلمة: «منه» ساقطة من: ك.

(٢) قوله: «وموردًا عافيًا فأشهره» روايته فى: ك «وفكرًا عافيًا فروضه بما أمطره».

(٣) الرواية فى: ك «وأثر فيهما كالقدح فى الزند»، وهذا قريب من المثل العربى «وريت بك زنادى» انظره فى: الأمثال، لأبى فيد مؤرخ عمر السدوسى ص ٣٩، المستقصى ٢/ ١١٢، مجمع الأمثال للميدانى: ٢/ ٢١٦

(٤) عبارة: «وذكرنى ... العهد» روايتها فى: ك «وأذكر بطلوعه ما كان منسيًّا لك من العهد».

(٥) كلمة: «من» ساقطة من: ك.

(٦) فى: ك «واعرضت عن مطالبى».

(٧) قوله: «وبعد متناوله ... قدمى» روايته فى: ك «وبعد تناوله من يدى وكان تحت قدمى».

(٨) كلمة: «إلا» ساقطة من: ك.

(٩) فى: ب، س «لتلقيت به وافد كتابه».

(١٠) عبارة: «ولو ساعدتنى.. جدا سحابه» روايتها فى: ك «ولو ارتفعت لى سحابةُ فِكْرٍ استسقيتها قطر خطابه».

(١١) فى: ك «كان اقترح علىَّ أن أختار «وكلمة» اختيار ساقطة من: د.

(١٢) عبارة: «وكتبت إليه ... من فصوله» روايتها فى: ك «وحررت معه كتابًا من فصوله».

(١٣) كلمة: «شعر» ساقطة من: ب.

(١٤) عبارة: «ما رأى ... ابن رشيق» روايتها فى: ك «ما رأى الملوك مثل شعر ابن رشيق، ولا كخلطه فى ذلك التغريب والتشريق».

شعره[١] ولا أخلط منه بدُرَّه لبعره[٢]، ولو لم يخلق الله تعالى[٣] ابن المعتز والمتنبى لما كان[٤] ابن رشيق يعرفُ الشعر فضلاً عن أن ينظمه، ولا أن يعلمه، وهو ينهب أشعار هذين الرجلين نهباً قبيحاً ولاسيما ابن المعتز، فمن أنموذج نهبه من ابن المعتز، قال ابن المعتز[٥] [فى فرس][٦]

* يمضى بموجٍ ويجِى ببدرِ [٧] *

فقال ابن رشيق:

* يذهبُ موجاً ويجىءُ بدراً[٨] *

وقال ابن المعتز:

فافتضها ثم باتَ يرهزُهَا[٩] كأنَّهُ راتـــقٌ لما فتَقَـــا[١٠] [المنسرح]

---

(١) عبارة: «ولا أطرف من شعره» ساقطة من: ك.

(٢) فى: ب، س «بدره لبعره» وقوله: «ولا أخلط. لبعره» روايته فى: ك «لا يبالى أن يضم درَّه إلى بعره. ولا يستنكف أن يعارض كرام الخيل ببعض الكلاب النابحة فى الليل».

(٣) كلمة: «تعالى» ساقطة من: ب، س، ك.

(٤) فى: ك «ما كان».

(٥) قوله: «فضلاً عن أن. . قال ابن المعتز» روايته فى: ك «ولم يكن مستودعًا منه ذلك السر فضلاً عن نظمه. ودقائق علمه، وأنه ينهب شعر هذين الرجلين، ولا يبالى كيف ينهب وأين، ومن غارته عليهما، ونهبه منهما، قال ابن المعتز فى فرس».

(٦) زيادة من: ك يقتضيها السياق.

(٧) هذا بيت من بحر الرجز. رُوى فى ضمن مجموعة أبيات فى ديوان أشعار الأمير أبى العباس، عبد الله بن المعتز: ٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦١

١- وشَادية ضعيف عقْد الخَصْر

٢- يمضى بموجٍ ويجى ببدر

٣- يفعل بالليل فعال الفجر

٤- فى خده عقاربٌ لا تسرى

والبيتان الثانى والثالث فقط فى: أشعار أولاد الخلفاء، ص ١٩٢

(٨) بيت من بحر الرجز، نسبه ابن سناء الملك لابن رشيق ولم أعثر عليه فى ديوان ابن رشيق ولا فى مصادرى الأخرى.

(٩) الرهز: الحركة، لسان العرب «رهز» ص ١٧٥١

(١٠) الفتق: خلاف الرتق، فتقه يفتقه فتقًا: شقه، اللسان (فتق) ص ٣٣٤١ ولم أعثر على البيت فى ديوان ابن المعتز ولا فى مصادرى الأخرى.

فقال ابن رشيق:

وبتُّ طـولَ ليلَتِـي ألوطُـهُ[١] أفتقُـهُ كأنَّنِـي أخيطُـه[٢] [الرجز]

// وقال[٣] المتنبي: [٨٥/ ب]

يهزُّ الجيشُ حولَـكَ جانبِيـهِ كما نفضتْ جناحَيها العقـابُ[٤] [الوافر]

فقال[٥] ابن رشيق:

والجيشُ ينفضُ حوليـهِ أسنتَـهُ نفضَ العقابِ جناحيهَا من البلَلِ [البسيط]

وقال[٦] المتنبي:

سترتْكَ الحجالُ[٧] عنهَا ولكـنْ بِكَ منهَا من اللَّمَى[٨] تقبيلُ[٩] [الكامل]

(١) لاط فلان لواطًا: عمل عمل قوم لوط وهو نوع من الشذوذ الجنسي: المعجم الوسيط (لوط) ٢/ ٨٤٦.

(٢) البيت بنصه في ديوان ابن رشيق، ص: ١٠١، ونُسب لابن رشيق في الوافي بالوفيات: ٢/ ١١٨، ونصه فيه:

ولو تراني فوقه ألوطُـه أفتقُه كأنني أخيطُـه

(٣) في: ك «قال» بدون الواو.

(٤) البيت للمتنبي في مدح سيف الدولة: ديوان المتنبي للبرقوقي ١/ ٥ ٢، التبيان في شرح الديوان للعكبري: ١/ ٧٦، ٣/ ١٢١، والعقاب: طائر من الجوارح قوى المخالب، لسان العرب (عقب) ص: ٣٠٢٨.

(٥) في: ك «قال» بدون الفاء، والبيت في ديوان ابن رشيق، ص: ١٥٣، في ضمن خمسة أبيات، وفيه: «فالجيش. جناحيه» وعلى رواية الديوان نسب لابن رشيق في معجم الأدباء، لياقوت ٨/ ١١٤، وعلى رواية المخطوط نُسب لابن رشيق في وفيات الأعيان ٢/ ٨٧.

(٦) في ك: «قال».

(٧) الحجال جمع حَجلة وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور، لسان العرب (حجل) ص ٧٨٨

(٨) و«اللمى» سمرة في الشفة تضرب إلى الخضرة، اللسان (لما) ص: ٨١ ٤ ومعنى البيت: أنت محجوبة عن الشمس بالستور فلا يصيبك شعاعها إلا أن شفتيك سوادًا من قبيل السواد الذي تحدثه حتى لكأنها قبلت لهاك فأثرت في موضع التقبيل.

(٩) البيت في ضمن قصيدة للمتنبي في مدح سيف الدولة، انظر ديوان المتنبي للبرقوقي ٣/ ٢٧٠، والتبيان في شرح الديوان للعكبري ٣/ ١٥١

فقال(١) ابن رشيق:

وكأنَّهُ من حوةٍ(٢) ولِمَـــــى قد قبَّلتهُ الشمسُ فى فمِهِ(٣) [الكامل]

وجميع المنهاج من شعره فى هذا النمط(٤) سوى موضعينْ أو ثلاثة قد حيرت المملوك استحساناً لها، وتعجباً منها، وأتعبته تفتيشًا وتنقيباً عليها، ولم يعرف من أين // اختطفها، ولا من أى روضة(٥) اقتطفها. [٨٦/ أ]

وهنيئاً له إن كان(٦) خاطره افترعها(٧)، والبشرى له(٨) إن كان ذهنه اخترعها، فمنها قوله [الرجز]

١- كأنَّمَا الصبح الذى تفرا(٩)

٢- ضُمَّ إلى الشرقِ النجومُ الزهرا

٣- فاختلَطَتْ فيهِ فصارَ فجْرَا

(١) فى: ك «قال».

(٢) الحُوَة: حمرة فى الشفة تضرب إلى السواد، اللسان (حوا) ص: ٦١٠١

(٣) البيت بروايته فى ديوان ابن رشيق ص ١٧٩

(٤) فى ك: «وجميع أساليب شعره على هذا النمط «يعنى شعر ابن رشيق.

(٥) فى: «ولا من أى دوحة».

(٦) كلمة: «كان» ساقطة من د.

(٧) استفرع القوم الحديث وافترعوه إذا ابتدأوه، لسان العرب (فرع) ص: ٣٣٩٥.

(٨) كلمة: «له» ساقطة من ك.

(٩) الرجز فى ديوان ابن رشيق، ص: ٧٦، ٧٧، وفيه: «فصارت فجرا».

وبرواية المخطوط، فى تحرير التحبير ص: ٥١١.

و«نفرا» من افتر البرق بمعنى تلالأ. المعجم الوسيط (فر) ٢/ ٦٨٠

سر إعجاب ابن سناء بهذا الرجز ما فيه من صورة وفكرة جديدتان كوصف الصباح بأنه تجمع النجوم.

وقوله[١]:

ومـــا ثقُلَـتْ كبـراً وطأَتِــــى ولكن جررتُ ورائِــــى السنينَا[٢] [المتقارب]

وقوله فى الثريا:

كأنَّهَـــا كأسُ بلورٍ منبتــــــةٌ أو نَرْجِسٌ فى يدِ الندمَانِ قدْ ذبُلاَ[٣] [البسيط]

تنبيت الكأس ما سمعنا به.

وقوله:

١ سالتْ الأرضَ لِمَ كانتْ مصلَّى ولِمَ صارتْ[٤] لنَا طُهراً وطيبًا [الوافر]

٢ فقالتْ غيرَ ناطقــــةٍ لأنِّــــى حويتُ لكلِّ إنســـانٍ حبيبًا[٥]

---

(١) فى: ك «ومنها».

(٢) ديوان ابن رشيق، ص: ٢، وفيه «ولكن أجر ورائى..) وعلى هذه الرواية فى العمدة ١/١١، ووفيات الأعيان، ٢/ ٨٨.

وعلى رواية المخطوط نُسب البيت لابن رشيق فى تحرير التحبير، ص: ٥١٢، ومصدر إعجابه بهذا البيت ما به فكرة مبتكرة كتفسير سير العجوز بجر سنين العمر وراءه».

(٣) ديوان ابن رشيق، ص: ١٤٧

وقد أُعجب ابن سناء بالبيت لأن به صورة جديدة هى تنبيت الكأس تشبيهًا للثريا بها.

(٤) فى: س، ب «ولم جعلت». وفى ك: «ولم كانت».

(٥) ديوان ابن رشيق، ص: ٣٥، ورواية البيت الأول فيه: -

سالتُ الأرضَ لِمْ كانت مُصَلَّىَ ولِمْ كانت طُــهراً وطِيــــبًا

وهما له فى: معاهد التنصيص ١/ ٧١، وتحرير التحبير لابن أبى الإصبع، ص: ٣١٠.

وقد أعجب بالبيتين لما فيهما من فكرة جديدة فالأرض طاهرة لأنها تشتمل على حبيب لكل إنسان.

// فصل آخر بخط يده(١)   [٨٦/ ب]

وأنا متطلع إلى أخبار القاضى أبى الحسن ولد القاضى السعيد - أنماه الله - فأريد أن يُعرِّفنى(٢) ماذا يشتغل به، وما أسفر طبعه عنه(٣)، فلا عذر لابن السرى أن لا يُسرِّى(٤) ولمن وُلد بين مصحف وكتاب أن لا يَقْرأ أو يُقْرأ(٥) فأريد أن أرى خطه؛ لأعرف قدر اهتمام والده به(٦).

قلتُ: لما وصل هذا الفصل، أمليت على ولدى كتاباً كتبه إليه(٧) نسخته: المملوك يقبل الأرض(٨)، وينهى أنه مذ ورد إلى الوجود(٩) وخرج. ودب فى الدنيا ودرج، ونطق لسانه بالكلام، وميز بين أشخاص الأنام، لم تزل المماليك أبوه وجده وجد أبيه يلقنونه الدعاء

(١) فى: ك «فصل من كتاب له بخطه».

(٢) فى: ك «فيعرفنى» بدون «أريد أن».

(٣) عبارة: «ماذا يشتغل به.. عنه» روايتها فى: ك «بما يشتغل، وما هو الذى أطلعه طبعه الناضر الخضل».

(٤) قوله: «أن لا يُسرى» ساقط من: د.

(٥) عبارة: «ولمن ولد.. ويقرأ» روايتها فى: ك» ولمن ولد بين كتاب وكُتب أن يُقرى فضلاً عن كونه يقرأ».

(٦) عبارة: فأريد أن أرى   به» روايتها فى: ك «وأريد أن أرى خطه فى كتبه؛ لأعرف قدر اهتمام الوالد به». وهذا المعنى قريب من قول أفلاطون: الخط عقال العقل (أدب الكتاب، للصولى ص ٤٥). وقول العتابى: الأقلام مطايا الأذهان، أدب الكتاب ص ٦٨

(٧) فى: ك «كتابًا حرره إليه».

(٨) «المملوك يقبل الأرض»: جاء فى صبح الأعشى ٦/ ٣٢٦ - ٣٢٧: «والأصل فى ذلك أن تحية الملوك والرؤساء والأكابر فى الأمم الخالية كانت بالسجود، كما يحيى المسلمون بعضهم بعض بالسلام. وكان ذلك، أى السجود، مشروعًا فى الأمم الماضية. فلما وردت شريعة الإسلام ينسخ التحية بالسجود، وغلب العجم على الأقطار استصحبوا ما كان عليه الأمر فى الأمم الخالية، وعبروا عنه بتقبيل الأرض، واستعار الكتاب ذلك واستعملوه فى مكاتباتهم إلى الخلفاء والملوك وكل من له عظمة، ولا خفاء فيما فى هذه المكاتبة من الكراهة».

(٩) الرواية فى: ك «وينهى أنه منذ التحف الوجود».

لمولاه، ويعملون لسانه النطق // باسمه الكريم. [٨٧/ أ] ويفهمونه مقدار قدره العظيم، وإنعامه العميم[١] فإذا[٢] تجددت لهم نعمة قالوا له[٣] هذه نعمة[٤] من نحن وأنت له عبيد[٥] وإذا سكنوا فى ظل راحة قالوا: نحن وأنت فى كنف ظله المديد، وإذا[٦] دهمت ملمة قال كل من الوالد والولد نحن من جاهه[٧] بواقية الوليد[٨] فتربى المملوك[٩] على ذلك واغتذى. واقتفى آثار آبائه المماليك[١٠].

واحتذَى[١١]، ونشأ قلبه على تعظيم مولاه وحبه، وتقرب لسانه بالدعاء[١٢] إلى ربّه[١٣]

---

(١) عبارة: «لم تزل المماليك. وإنعامه العميم» روايتها فى: ك «لم يزل أبوه وجده يعلمانه الدعاء لمولاه، والنطق بشعار فضله وعلاه. ويجريان لسانه باسمه الكريم، ويدارسانه فيه أحاديث الإجلال والتعظيم، ويفهمانه قدر شأنه العالى، وما هو عليه من ذلك الفضل المتلألى».

(٢) فى: ك «وكلما» مكان «فإذا».

(٣) فى: ك «قالا له».

(٤) فى: ك «هذه أثر».

(٥) هذا المعنى قريب من قول البحترى فى مدح الفتح بن خاقان:

وما أنا إلا عبد نعمتك التى نُسبت إليها دون رهطى ومنصبى

ديوان البحترى، للصيرفى: ١/ ١٩٤، ديوان البحترى طبعة بيروت: ١/ ٩٠، التبيان فى شرح الديوان للعكبرى: ٤/ ٥٧ هامش ٣/ وفيه: «ومعشرى مكان منصبى».

(٦) من قوله: «وإذا اسكنوا فى ظل». إلى قوله: «ظله المديد وإذا» روايته فى ك: «ولو نزلوا فى ظلال راحة قالا هذا فضل كنفه البسيط المديد. ولو»

(٧) ما أثبته من ك وفى سائر النسخ: «قالوا كل من الوالد والولد موقى من جاهه..» ورواية ك أوضح وادل.

(٨) فى: ب، س «بوقاية الوليد» وهذا إشارة إلى الحديث: «واقية كواقية الوليد» يعنى الطفل فعيل بمعنى مفعول أى كلاءة وحفظًا كما يُكلأ الطفل، وقيل أراد بالوليد موسى - عليه السلام - لقوله تعالى ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ سورة الشعراء: ٢٦/ ١٨، أى كما وقيت موسى شر فرعون وهو فى حجره فقنى شر قومى وأنا بين اظهرهم «النهاية فى غريب الحديث»: ٤/ ٢٤٤، وانظر لسان العرب (ولد) ص ٤٩١٥.

(٩) فى: ك «فنشأ المملوك».

(١٠) كلمة: «المماليك» ساقطة من: د.

(١١) عبارة: «على ذلك واغتذى. واحتذى» روايتها فى: ك «على ذلك وسلك من أتباع سلفه تلك المسالك».

(١٢) كلمة: «بالدعاء» ساقطة من: د.

(١٣) عبارة: «ونشأ قلبه. إلى ربه» ساقطة من: ك.

ولما اشتد المملوك قليلاً، ورأى مولاه، رأت عينُه منه دنيا فانية، وآخرة باقية بل جنة عالية، ورأى من إحسانه إليه، وحنوّه عليه(١)، وبره به، وإكرامه له(٢) ما جعله(٣) في الأعين كهلاً وإن كان طفلاً(٤) وصيره في الأنفس(٥) كبيراً // وإن كان صغيراً(٦)، ولم يكتف المولى بذكره [٨٧/ ب] في الحضور، وإكرامه له في المقام المشهود المشهور إلى أن ذكره في كتابه(٧) الكريم، ودل على عظم حظه عنده وما يُلقاها(٨) إلا ذو حظ عظيم(٩).

ولما ورد هذا الإنعام خرج به المملوك من الطفولية، ووصل إلى درجة المكلفين، وكم أخلص في الدعاء ولم يكن فيه من المتكلفين(١٠) وبلغ أشده، وبلغ أباه وجدَه(١١)، وفاخر صغار الكواكب في أبراجها، وكبار الجواهر في أدراجها، وفخر على الخلائق ويحق له إذا فخرهم، وتقدم عليهم وحقيق له إذا أخرهم؛ لأنه ولد في أيام مولاه، وظهر في دولته، ورُبيّ في حجر نعمته، وولد ثلاثة(١٢) مماليك له كل منهم مُفتخرٌ بمملكته وملكته، ولم يظفر // بهذه السعادة واحد غير [٨٨/ أ] المملوك الصغير، ولا استعار هذه الفضيلة أحد

(١) عبارة: «ولما اشتد المملوك.. وحنوه عليه» روايتها في: ك «ولما اشتد قليلاً، ونول اكتحال عينه بأنوار مولاه تنويلاً، رأى من حضرته دنيا فانية وآخره باقية، ووجد من إحسانه إليه وحنوه عليه».

(٢) قوله: «وبره به وإكرامه له» ساقطة من: ك.

(٣) في: ك «ما صيره».

(٤) في: ك «وإن كان في سنه طفلاً».

(٥) في: ك «وجعله في النفوس».

(٦) في: ك «وإن كان شأنه صغيراً».

(٧) عبارة: «وإكرامه له.. في كتابه» روايتها في ك وإكرامه في مجلسه المشهور حتى ذكره في كتابه».

(٨) قوله: «ودل على.. وما يلقاها» روايته في: ك «وتلقاه من ذلك بحظوة لا يلقاها».

(٩) جملة: «وما يلقاها عظيم» اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٤١/ ٣٥].

(١٠) كلمة: «فيه» ساقطة من: ب، س وجملة: «ولم يكن فيه من المتكلفين» ساقطة من: ز.

(١١) عبارة: «ولما ورد.. وجده» روايتها في: ك «ولما بلغ هذا الإنعام خرج عن الطفولية إلى درجات المكلفين فأخلص في دعواته المستجابة ولم يكن فيها من المتكلفين. وبلغ أشده، بل لحق أباه وجده».

(١٢) في كل النسخ «ثلاثة» وهذا خطأ، لأن الأعداد من ثلاثة إلى تسعة تخالف المعدود تذكيراً وتأنيثاً.

فوجدها ميسرة[١] للمعير. مستهلة للمستعير، والله تعالى يتقبل أدعية المملوك، فإنها خرجت من لسان لم تسطر عليه خطيئة، وصدرت[٢] عن صدر سرائره نقية، ويعجل أوبة مولاه، ويسره بطلعته المضيئة، ويجعل نعمته عند المملوك مأمولة الدوام، موصولة الحبل[٣] ويتمها عليه كما أتمها[٤] على أبويه من قبل[٥] إن شاء الله[٦].

(١) في: ب، س «مُيسرة».

(٢) من قوله: «وفخر على الخلائق ويحق له..» إلى قوله: «عليه خطيئة وصدرت» روايته في: ك، وفخر على عالمه وحق له أن يفخر، وفضلهم في معنى يشرف فيه ويندر وهو مولده أيام مولاه، وتربيته في حجر نعمته وعلاه وكان ولد ثلاث قبله وكل لم يبلغ من هذا الشرف سؤله، ولم يظفر على هذا التقدير إلا ذلك المملوك الصغير، وكم استعار ذلك رجال فمنع المالك حتى تيسر لذلك المستعير والله يتقبل دعوات المملوك فإنها تصورت بلسان لم تُكتب عليه خطيئة وارتفعت».

(٣) قوله: «ويجعل نعمته.. الحبل» روايته في: ك «ويجعل نعمته ببقاء مولاه منتظمة الشمل. موصولة الحبل».

(٤) في: ك كإتمامها.

(٥) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ١٢/ ٦]

(٦) جملة: «إن شاء الله» ساقطة من: ب، وفي: س، ك، أ «إن شاء الله تعالى».

جواب إلى أبى - رحمه الله - عن هذا الكتاب(١)

ووقفت على كتاب القاضى الأعز(٢) - أعزه الله وأحياه، وحفظه وحياه - ولقد سررت بخطه، ورشفت مواقع أحرفه، ونقعت الغلة بمورده، وتوسمت السعادة // وفهمتها من موعده، وتنسمت النجابة على البعد في شمائله، [٨٨/ ب] واستزدت أباه فى العناية به إلى أن يكون فيها كجده؛ فهذا عين وقرتها، وريحانة لا عفت نضرتها، ومستقبل سعادة البيت لا حولت عنها قبلتها. وما خطه مم يسبل دونه القناع(٣).

ولا تتخفر(٤) اليد من إبرازه، ولا يتغير ذهبه عن جوازه(٥)، وهو قابل للزيادة(٦) طالب من الغاية خصيص أوطانه، والاستقلال من كتابته ظلم لا يليق بترقيه فى شأنه، والاعتذار عن تقصيره فى الكتب واقع فى غير مكانه، والسلام.

---

(١) فى: ب، س «جواب إلى أبى ـ رحمه الله ـ عن ذلك الكتاب بما نسخته» وفى: ك «الجواب منه إلى والدى عن هذا».

(٢) كلمة: «الأعز» ساقطة من: ك.

(٣) من قوله: «ولقد سررت بخطه «إلى قوله»: «يُسبل دونه القناع» روايته فى: ك «وسررت بذلك الخط وتجدده، ولثمت مواقع الحروف من يده ونقعت غلة القلب بمورده وتخيلت وفهمتها السعادة وفهمتها من محتده وتنسمت من شمائله النجابة، واستزدت له أباه فى العناية الآخذ فيها بأطراف الإصابة، فهذا هو العين وقرتها، وريحانة تدوم له نضرتها، ومستقبل سعادة البيت الذى لا حولت عنه قبلتها، وما خطه بذلك اليراع لا يسبل دونه قناع».

(٤) الخفر: شدة الحياء، لسان العرب (خفر) ص: ١٢٠٩، والمعنى أن اليد لا تستحى من إبرازه لأنه موصوف بالجمال.

(٥) فى ك: «ولا تتغير حقيقة ذهبه إلى مجازه».

والجوار مأخوذ لحين الجوز وهو ثمر يؤكل وخشبه موصوف بالصلابة والقوة والجودة. لسان العرب (جوز) ص: ٧٢٦.

والجوز ضرب من العنب ليس بكبير ولكنه يصفر جدًا إذا أينع. المعجم الوسيط (جوز) ١/ ١٤٧

(٦) فى ك: «وهو قابل للزيادة» مشيراً إليها بلوائح الهمة الوقادة».

ومعنى هذا أن الاستعداد الشخصى أحد أسس عملية التعلم بل أهمها.

(٤) ما أثبته رواية ك: «لأنه أوضح فى الدلالة على المعنى المراد من رواية سائر النسخ، وهى: «طالب للغاية. والاستقلال له ظلم لكيانه، والاعتذار فى التقصير فى الكتب به علر فى غير مكانه».

والمراد بقوله: «والاستقلال له ظلم لكيانه» أن قلة تدريبه على الكتابة، وإشباع رغبته، وإثراء عقله، وتنمية موهبته ظلم له، لأنه يملك زمام الموهبة المتوقدة، والرغبة الجامحة التى لا يكبح جماحها إلا هذا الظلم، وهذا ما يعبر عنه فى التربية بعملية الإثراء، والربط بين التحصيل النظرى والتدريب العملى.

فصل من كتاب آخر إلى أبي بخط يده[١]

ووصل ما تفضلت به الحضرة السعيدية[٢] - أسعدها الله - من منثور وموزون، ودُرٍ مخزون[٣] و [ما[٤]] جللت به من فخر يفيض // على العقب [٨٩/ أ] والعقب[٥] وأرسلت به من نخب[٦] يروض الأغراض واكفها السرب[٧]، وما بقيت محاسنها تحتاج إلى من يزكيها بل إلى من يزكّى باستحسانها، ويعرب عن فهم السابق، ومعرفة موضعها من الفضل ومكانها[٨].

وبالجملة فإنها مخرسة المادح فكيف بالعائب[٩] ومسترخصة[١٠] إذا استعيدت[١١] بطولة

(١) في: ك «فصل من كتاب له بخطه إلى أبي» وفي: ب، س «فصل من كتاب إلى أبي - رحمه الله - بخط يده».

(٢) الرواية في: ك، «وقد وصل ما تفضلت به حضرة القاضي السعيدية».

(٣) في: ك «ولؤلؤ مكنون» مكان: «ودر مخزون».

(٤) زيادة من: ك يقتضيها السياق.

(٥) عبارة: «وما جللت به. العقب» روايتها في: ك «وما خُصصت به من مفاخر تنسحب على السلف والعقب». وفي ب، س «وحللت في فجر» تحريف، وكلمة: «به» ساقطة من: ب، س. العقْب: الجرى يجيء بعد الأول - لسان العرب (عقب) ص ٢٣ ٣ والعقب والعقُب والعاقبة: ولد الرجل، وولده ولده الباقون بعده، لسان العرب (عقب) ص ٣٠٢٤ والمراد هنا بيان مكانتها السامية التي غطت على السابق واللاحق.

(٦) في: ك «وما سيرته من نخب» انتخب الشيء: اختاره. ونخبة القوم خيارهم. لسان العرب (نخب) ص: ٤٣٧٣.

(٧) جملة: «يروض. السرب» روايتها في: ك «يروض الأوعار غمامها وما انسكب» والأوعار مفردها وعر ووعير. والوعر: المكان الحزن ذو الوعورة. اللسان (وعر) ص: ٤٨٧٢، (سحابة وكوف: إذا كانت تسيل قليلاً قليلاً. اللسان (وكف) ص ٤٩٠٨ السرب: الماء السائل اللسان (سرب) ص ١٩٨٢، والمراد بهذا التعبير بيان قوة تأثيرها.

(٨) عبارة: «وما بقيت محاسنها. ومكانها» روايتها في: ك «ولم تكن لمحاسنه حاجة إلى من يزكيها وإنما للمزكي في استحسانها، وانضاح فضله بمعرفة موضعها من الفضل ومكانها».

(٩) في: ك «العائب» بدون الباء.

(١٠) الرَخْص: الشيء الناعم اللين. لسان العرب (رخص) ص ١٦١٦

(١١) ما أثبته من ب، س، وفي النسخ الأخرى «استفيدت» والمراد بهذا التعبير «ومسترخصة إذا استعيدت» .أنها لا تملّ لتجدُّد عطائها وجمالها، فكلما عاردتها استفدت جديدًا.

غيبة الغائب، وقد[١] جلت هذه البلاغة عن[٢] نفسها، وجليت هذه العروس فكل ساعة هم من همومى تطرد بيوم عرسها، وأقر الله به عين حاسده فكيف بعين والده[٣] وسارت والنجم وراءها أعمى يحتاج إلى[٤] عصا الجوزاء[٥] وقائده.

ولا أعرف الآن ولا يحضرنى، ولا إذا كنت فارغ الذرع[٦]، ولا واسع الربع[٧] قولاً أرتضيه[٨] للإبانة عن مسرتى بهذه النشأة الفاضلة، والحسنة [٨٩/ ب] التى أغنت فيها الحكومة العادلة عن الاستنجاد[٩] بخواطر المحبة المحامية المائلة[١٠].

وفى ذلك الكتاب[١١] كل إشارة[١٢] ظريفة[١٣]، وكل شارة نظيفة[١٤] وكل فقرة بلغاء الكتاب فقراؤها، ومهما كان[١٥] من هذا البديع البعيد شأوا على مباريه، ومن هذا الحسن[١٦]

---

(١) فى: ك «ولقد».

(٢) فى: ب «من» مكان «عن».

(٣) عبارة: «وجُليت هذه العروس.. بعين والده» روايتها فى: ك بل جلت العروس منها هموم أيام الغربة بليلة عرسها، وإذا قرت بها عين حاسده فكيف عين والده».

(٤) فى: ك «فقير إلى» مكانه «يحتاج إلى».

(٥) الجوزاء: نجم يقال له إنه يعترض فى جوز السماء والجوزاء من بروج السماء، لسان العرب (جوز) ص: ٧٢٦

(٦) كلمة: «كنت» ساقطة من (أ) الذرع: الطاقة. وضاق بالأمر ذرعه وذراعه، أى ضعفت طاقته. اللسان (ذرع) ص: ١٤٩٧

(٧) عبارة: «ولا إذا كنت.. الربع» روايتها فى: ك «ولو كنت فارغ البال مجرور الأذيال». والربع: إشالة الحجر ورفعه لإظهار القوة. اللسان (ربع) ص: ١٥٦٣

(٨) فى: ك «قولاً أرضاه».

(٩) فى: ك «عن الاستظهار». والحكومة من الحكم وهو القضاء. اللسان (حكم) ص: ٩٥٢

(١٠) فى: ب، س «النائلة» تحريف.

(١١) فى: ك «وفى هذا الكتاب».

(١٢) فى: ص، ر «إشارات».

(١٣) فى: ر «طريفة». وقوله: «كل إشارة ظريفة» وروايتها فى: كل إشارة لها بالفضل شارة».

(١٤) فى: أ «وكل شاردة نظيفة» وقول: «وكل شاردة نظيفة» ساقطة من: ك.

(١٥) عبارة: «وكل فقرة.. ومهما كان» روايتها فى: ك «وكل فقرة لها الأذكياء فقراء، ولا تستربح الأغنياء فى غيرها متجراً وما كان».

(١٦) فى: ك « ومن هذا الجنس».

المثاب قائله يسبح بحمد الله خالقه وباريه(١) فما أولاه أن يجلو به خاطراً لا ترفعه الصياقل، ويطلق أنفاساً جعلها التغرب فى مجابس النوب القواتل(٢) وله بعد فى القصيدة الأخرى النونية التى فى السلطان، وقد كثرت هذه النونات إلى أن صارت // أكثر ما فى البحر من النينان(٣). [٩٠/ أ]

كنت(٤) عند عودته - رحمه الله -(٥) إلى دمشق من الحجاز قد(٦) كتبتُ له(٧) قصيدة نونية(٨) هنأته فيها بتمام(٩) الحج، والسلامة فى الطريق(١٠)، أولها:

١ ما ثنايَـاكَ لؤلـــؤٌ مكنُـــون   مثلُهَا(١١) لم تقعْ عليهِ العيونُ [الخفيف]

٢ يا ضنينًا حبى عليه(١٢) كريمٌ   وخؤونًا قلبى عليهِ أميـــــنُ

(١) «لفظ الجلالة» (الله) «ساقط من: ب، س وجملة: «يسبح بحمد.. وباريه» روايتها فى: ك «إذ يسبح الله كل واقف على فضل الصنعة فيه».

(٢) ما أثبته من ك لوضوحه ودلالته على المعنى من الرواية فى سائر النسخ الأخرى. ونصها: «لما أولاه أن يجلو به خواطرى الصدية، ففيها ما لا ترحضه المفارس، وينجد بها أنفاسى المضنوكة لقد خيم عليها ما لا تدحضه المعاطس».

والصياقل جمع صيقل هو: شحاذ السيوف وجلاؤها. لسان العرب (صقل) ص ٢٤٧٣

(٣) عبارة: «وله بعد فى القصيدة.. من النينان» روايتها فى: ك «ثم قال فى القصيدة النونية وقد كثرت تلك النونيات فى هذا الزمان حتى صارت أكثر مما فى البحر من الحيتان» والنينان جمع نون وهو الحوت.

(٤) فى: ك «قلت: كنت».

(٥) جملة: «رحمه الله» ساقطة من: ك.

(٦) كلمة: «قد» ساقطة من: ك.

(٧) فى: ك «كتبت إليه».

(٨) القصيدة كاملة فى ديوان ابن سناء الملك: ٢/ ٣٣٢ _ ٣٣٥ قالها سنة ٥٧٥ هـ فى مدح القاضى الفاضل بعد عودته إلى دمشق من حجته الأولى.

(٩) كلمة: «تمام» ساقطة من: ك.

(١٠) فى: ك «والسلامة فى طريقه».

(١١) فى: س «حسنها» وفى: د «مثل ذا».

(١٢) فى: أ «حبى عليك» وفى: ك «شوقى إليه». ورواية الديوان: ٢/ ٣٣٢ «عليه حبى».

٣ خذْ حديثى فإنَّ أعظــمُ ما بِـــى شجنٌ منكَ(١) والحديثُ شجونُ(٢)
٤ بى مـسٌّ هجاؤُه فيــكَ فالمـــر شفُ ميمٌ وذلكَ الثغرُ صيـــــنُ
٥ عزَّمنى العزاءُ فيكَ(٣) فما أكـــذبُ مَنْ قال: كلُّ صعـــب يهــونُ(٤)
٦ غبتَ فاعتضتُ بالدمــوعِ وهلْ يُعـ ـتَاضُ بعد العزيزِ مـــاءُ مُهيــنُ
٧ رجحَ(٥) اليأسُ إنْ نأيتُـم فهـذا(٦) الـ شكُّ من عودكُم وذاكَ اليقينُ(٧)
٨ سافرَ القلبُ فالدُّمـــوعُ بحـــارٌ لتلقِّيكَ والضُّلـوعُ سفيـــــنُ(٨)
٩ // صحَّفُوا ذا الفتورِ فى كسرةِ الجفـ ـنِ فقالُوا الفتورَ(٩) وهو فُتُونُ(١٠) [٩٠/ ب]

---

(١) فى: ك «شجن فيك».

(٢) «الحديث شجون» مثل يضرب فى الحديث يُتذكر به غيره، قيل أول من قاله «ضبة بن أد بن طابخة» عندما قتل الحارث بن كعب الذى قتل ولده «سعيد». وقد رُوى المثل بهذا النص فى صبح الأعشى ١٤/ ١٦٢ وروايته منسوبًا لضبة: «الحديث ذو شجون» وفى أمثال الضبى ص ٧٦، العقد الفريد ٣/ ١٨، جمهرة الأمثال ١/ ٣٠٣، فصل المقال ص ٦٧ ـ ٦٨، مجمع الأمثال ١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩، لسان العرب (شجن) ص ٢٢٠٢، الوسائل لمعرفة الأوائل للسيوطى ص ١٣٧، جمهرة رسائل العرب ٢/ ٢٦، الأمثال العربية ومصادرها ص ١٨٢

(٣) فى: ك «عز عنى السلو عنك» وفى ب، س «عزَّ منى العزاء منك».

(٤) هذا التعبير «. كل صعب يهون» مقابل لقوة أبى حمزة بن إبراهيم البغدادى الصوفى، المتوفى سنة ٢٦٠هـ:

لك من قلب المكان المصون كلُّ صعب علىَّ فيك يهونُ

انظر: سير أعلام النبلاء: ١٣/ ١٦٦ ـ ١٦٧

(٥) «رجح» كذا فى كل النسخ، والرواية فى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٣٣٢، ٣٣٣ «رجع».

(٦) فى: ك «إذا نأيتم فأين».

(٧) فى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٣٣٢ «وذاك يقين».

(٨) بعد هذا البيت (سافر القلب. .) ستة أبيات فى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٣٣٢، ٣٣٣.

(٩) فى: ك «فاضحى الفتور».

(١٠) فى: ب، س «وهو الفتون» وفى ديوانه ٢/ ٣٣٣ «وهو الفنون». والوزن يستقيم على الروايتين وبعد هذا البيت (صحفوا. .) بيت فى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٣٣٣.

١٠ حين أبصرتُ معجز الحُسَن آمنْـ ـتُ فدينُ الغـرام لى فيك دينُ

١١ أيها العاذلون كُفُّوا عن العـذْ لِ فإنى بدينكم لا أديـنُ

١٢ خجلَ العاذلون فيـك كما يخـْ جلُ منْ بعـد(١) عُرسه العنّيـنُ(٢)

١٣ كذبُوا ما سلوتُ عَنْكَ وهل يسـ ـلوعن العامريـة(٣) المجنـونُ(٤)

١٤ يا غنيًا من مسجـد(٥) فوق خديـ ـه(٦) تصدّق فإننـى مسْكيـنُ

١٥ لستُ أدرى إذا سمحـتَ أخـدٌ هو أولى بقُبْلتـى أم جبيـنُ

١٦ عضةٌ لى من تحت نـون بصُدْغِ منكَ أضحـتْ كأنها تنْوينُ(٧)

١٧ كيفَ طافَ اللّحاظُ بستـانَ خدّ وعليه من صُدْغِه زُرفيـنُ(٨)

وأما القصيدة السلطانية(٩) فهى قصيدة هنيتُ بها الملك الناصر - رحمه الله -(١٠) بأسر

(١) فى: ك «كما يخجل فى قرب».

(٢) العنين: الذى لا يأتى النساء. ولا يريدهن. لسان العرب (عنن) ص ٣١٤٠.

(٣) العامرية: ليلى بنت مهدى بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. معشوقة قيس بن الملوح، توفيت نحو ٦٨هـ.

الأعلام: ٦/ ١١٧، ديوان مجنون ليلى، عبد الستار أحمد ـ ص ٨.

(٤) المجنون: قيس بن الملوح بن مُزاحم بن عُدس بن ربيعة بن جعد بن عامر بن صعصعة. كان شاعرًا غزلاً هام فى حُب ليلى؛ فلُقب بالمجنون. توفى نحو سنة ٦٨هـ، الأعلام ٦/ ٦٠، ديوان مجنون ليلى، عبد الستار أحمد.

(٥) فى: ك «يا غنيا بمسجد».

(٦) فى: س «فوق خديك».

(٧) هذا البيت «عضة لى» ساقط من: ك.

(٨) فى: ك «ظردفين» تحريف والزُرفين والزَرْفين: فارسى معرب، بمعنى حلقة الباب، وقد زرفن صدغيه: كلمة مولده. لسان العرب (زرفن) ص ١٨٢٧

«وقد جعل للخد بستانًا له باب وهو الصُدْغ، وعليه حلقة هى الزرفين» ابن سناء الملك حياته وشعره ١/ ١٣٤

(٩) القصيدة فى ديوان ابن سناء الملك: ٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٤

(١٠) عبارة: «وأما القصيدة.. هنيت» روايتها فى: ك «قلت: وكنت عملت نونية هنيت».

ابن بارزان(١) - لعنه الله -(٢) أولها(٣):

١ // أَبَى صدُها(٤) أن يجمعَ الحُسْنَ والحُسْنَى ووجدى بها أن أجمعَ الجفنَ والجفنَا(٥) [٩١/ أ]

٢ علت(٦) فحكَتْ بدرَ السمــــاءِ ملاحـــةً ونأيـا إلى أن صارَ أعلاهُمَا الأدنَى(٧)

(١) قوله: «الناصر ـ رحمه الله ـ» ساقط من: ك.

(٢) ابن بارزان: هو باليان ديبلان أمير الرملة، كان أسيراً لدى صلاح الدين الأيوبى، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص ١٩

(٣) فى: ك «له الله» تحريف.

(٤) فى: ك «وأولها».

(٥) فى ص، د، ك، أ، ر «خدُها» تحريف يخل بالمعنى، وما أثبته رواية: ب، س وديوان ابن سناء ٢/ ٣٢١ وعلى رواية الديوان رُوى البيت منسوبًا لابن سناء فى جوهر الكنز.

(٦) الحُسْن: الجمال، والحُسنى مؤنث الأحسن ومعناها العاقبة الحسنة. المعجم الوسيط (حسن) ١/ ١٧٤ الجفن غطاء العين من أعلاها وأسفلها، المعجم الوسيط (جفن) ١/ ١٢٧

(٧) فى ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٣٢١: بدتْ.

(٨) بعد هذا البيت (علت فحكت) واحد وخمسون بيتًا فى ديوان ابن سناء الملك: ٢/ ٣٢١ـ ٣٢٤.

فصل من كتاب آخر إلى أبي بخط يده(١)

ووردني(٢) كتاب من(٣) القاضي السعيد، وهو بالحقيقة(٤) يورد الظمآن، ويرشد الحيران(٥)، وينقع الغليل ويذهبه، ويحوك رداء الفضل(٦) ويذهبه. وهذا عطارد الأرض قد هبط من سمائه، ويكون حظُّه حظ المشترى(٧) إن صدق المنجمون فى ادِّعائه(٨) وما أحسن قوله(٩) مسترسلاً، وما أحسن لبسه متفضلاً(١٠)، وأطراحه للكلف(١١)، وإتيانه(١٢) بالتُّحف.

١ أوردَهَا سعدٌ(١٣) وسعدٌ مشتمـــلُ [الرجز]

٢ يا سعدُ لا تُروَى بذيـاك الإبلُ(١٤)

(١) فى: ك «فصل من كتاب له بخطه إلى أبى».

وفى: ب، س «فصل من كتاب له بخطه إلى أبى - رحمه الله»

(٢) فى: ب «وردنى» وفى: ك «وقد ورد ساحتى».

(٣) كلمة: «من» ساقطة من: ك.

(٤) فى: ك «وهو فى الحقيقة».

(٥) عبارة: «يورد.. الحيران» روايتها فى: ك «يورد للظمآن، ويرشد به الحيران».

(٦) فى: ك «رداء الفخر».

(٧) فى: د «حظ المشترى بمشيئة الله».

(٨) فى: ك «فى أنبائه» والمنجمون يدعون أن المشترى كوكب العظماء والملوك، وعطارد كوكب الكتَّاب والأدباء». ديوان أبى تمام ٢/ ٧٢

(٩) فى: ك «لقطه».

(١٠) جملة: «وما أحسن لبسه متفضلاً» روايتها فى: ك «وأبهى لبسه متفضلاً».

(١١) فى: ب، س «وإطراحه الكلف».

(١٢) فى: ك «وترداده».

(١٣) سعد بن زيد مناة أخو مالك بن زيد مناة الذى يقال له: آبل من مالك.

ومالك هذا هو سبط تميم بن مرة، وكان يتحمق إلا أنه كان آبل أهل زمانه، ثم إنه تزوج وبنَى بامرأته فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها، والرفق بها فقال مالك البيتين. والبيت الثانى مثل يضرب لمن قصر فى الأمر. مختارات مجمع الأمثال لمحمد على قاسم، ص: ١٦٥، ١٦٦

(١٤) رواية البيت فى: ك «ما هكذا يا سعد تورد الإبل» وفى: ب، س «يا سعد ما تُروى بذياك الإبل».

لا بد أن ينسخ لنا من رسائله، ويشركنا مع أصدقائه // في الاطلاع [٩١/ ب] على فضائله، ويقيمها لنا أمثلة تزيد على فضلاء(١) كل دهر وأماثله(٢)، والطريق التي هو فيها يسلكها ولا يتركها، ويمضي عليها ولا يرجع عنها(٣).

حسنُ التأني(٤) مفاتيحُ الغِنَى وعلى   قدرِ المطالبِ تلغَى شدةُ الطلبِ(٥) [البسيط]

قلتُ: هذا جواب عن أمر كنت شرعت فيه، واستأذنته فيه تلويحاً لا تصريحاً، فأجابني عنه بالفسحة فيه، والأمر به، وتمثل بالبيت وهو لابن نباته(٦) وفيه تصريح بسلوك الطريق ولكن بالتأني، وحسن التأنّي(٧)

= والبيتان: في الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة ١/ ٧٢ ورواية البيت الثاني فيه: «ما هكذا تورد يا سعد الإبل» وعلى رواية الدرة الفاخرة رُوى البيتان في ذيل الأمالي ص ٢٩، وفصل المقال: ص ٣٤٧ ورواية البيت الثاني فيه «يا سعد ما تُروى بهذاك الإبل» ويُروى أيضًا «ما هكذا تورد يا سعد الإبل» ومجمع الأمثال: ١/ ١٢٥ وفيه «ما هكذا تورد يا سعد الإبل» ٢/ ٤٢٩ وفيه: «ما هكذا يا سعد تورد الإبل»، والمستقصى ١/ ٣ ورُوى البيتان بدون نسبة في: العقد الفريد ٣/ ٤٢ وفيه «يا سعد لا تروى على ذاك الإبل». ورُوى البيت الأول بدون نسبة في صبح الأعشى ١٤/ ٢٩٨

(١) كلمة: «فضلاء» ساقطة من: ر.

(٢) عبارة: «ويقيمها لنا. وأماثله» روايتها في: ك «ويقيمها لنا أمثلة ونزيد بها فضلاء الأدب وأماثله».

(٣) عبارة: «والطريق التي عنها» روايتها في: ك «والطريق التي هو عليها لا يتركها، ولا يبرح يسلكها».

(٤) في: س «حسن التأني».

(٥) البيت لابن نُباته السعدي. وقبله بيت في يتمة الدهر: ٢/ ٤٦٥، ونص البيتين:

سعى رجالٌ فنالوا قدر سعيهم   ولم يأت رزق بلا سعي ولا طلب [البسيط]

حسن التأني مفاتيح الغنى وعلى   قدر المطالب تُلغى شدة التعب

وعلى هذه الرواية أيضًا نُسب البيتان لابن نباته السعدي: في الشوارد لعبد الله بن خميس ١/ ٦٨

(٦) ابن نباتة السعدي (٣٢٧ ـ ٤٠٥هـ): عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نُباتة التميمي السعدي. أبو نصر من شعراء سيف الدولة ابن حمدان. مدح الملوك واتصل بابن العميد ومدحه. «الأعلام: ٤/ ١٤٨ ـ ١٤٩» وانظر في ترجمته أيضًا: يتيمة الدهر: ٢/ ٤٦٥، وفيات الأعيان: ٣/ ١٩٠ ـ ١٩٣

(٧) في: ص، ب، د، أ، ر «وحسن التأني» وما أثبته من: س.

وعبارة: «قلت: هذا جواب. وحسن التأني» ساقطة من: ك.

فصل من كتاب له إلى أبى بخط يده[١]

وكان وصلنى[٢] من القاضى السعيد ما وصلنى به[٣]، وقد استوت محاسنه على سوقها، وراقت ثمرات أشجارها // بيسوقها ووسوقها[٤]، [٩٢/ أ] وافتضّت خواطره[٥] الأبكار من المعانى[٦] التى أفرج لها[٧] البلغاء مضطرين[٨] عن طريقها، وهذه الفضيلة لا بد أن تظهر الأيام وديعتها وتؤديها[٩] وهذه الوسيلة لا يبعد أن تقضى الأقدارُ حقوقها وتوفّيها[١٠]

فواللهِ ما أدرِى أَزِيدَتْ مَلاحــــةً على الناسِ أمْ عينُ المحبِّ فما أدرى؟[١١] [الطويل]

---

(١) «بخط يده» ساقطة من: ك. وفى: س «فصل من كتاب إلى أبى ـ بخط يده» وفى: ب «فصل من كتاب آخر إلى أبى ـ رحمه الله ـ بخط يده.

(٢) الصواب وصل إلىّ: إذ معنى وصلنى: أعطانى صلة، أى عطية.

(٣) عبارة «وكان وصلنى. . وصلنى به» روايتها فى: ك وصلنى من القاضى السعيد ما وصلنى به وتكيف للقلب بصورة مرقصة ومطربة».

(٤) عبارة: «وقد استوت. ووسوقها» روايتها فى: ك «وقد استوت غصون فضله على سوقها. . وبدت أشجار ظرفه فى بسوقها» وهذا المعنى مستوحى من قوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ سورة الفتح ٤٨/ ٢٩

وقوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ سورة ق: ٥٠/ ١٠

أوسقت النخلة: كثر حملها، اللسان (وسق).

(٥) فى: ص، ب، أ، ز: «اقتضت» تصحيف. وما أثبته من د. س. ك، وهو المناسب للمعنى.

(٦) فى: ك «أبكار المعانى».

(٧) فى: ك «وفرج البد» وفى: ص، د، أ، ر «أفرج له» وما أثبته من: ب، س وهو المناسب للمعنى. والمراد ـ هنا ـ أن البلغاء عجزوا عن اللحاق به فتركوا له الميدان.

(٨) كلمة: «مضطرين» ساقطة من: ك.

(٩) عبارة: «وهذه الفضيلة. وتؤديها» روايتها فى: ك» وهذه الفضيلة لا بد للأيام أن تظهر وديعتها، وتدفع فى سوق البضائع قيمتها».

(١٠) عبارة: «وهذه الوسيلة. . وتوفيها» ساقطة من: ك.

(١١) رواية الشطر الثانى فى ك: إلى الناس أم بالعين من راغب تُرى».

وروى هذا البيت بدون نسبة فى تتمة يتيمة الدهر، ص ٢٣٣، فى رسالة القاضى أبى أحمد منصور بن محمد الأزدى الهروى إلى صديق له ونص البيت فى الرسالة:

على أن عين الرضا لا منة لها عليه؛ لأنها لا تجد فيه عيباً فتستره[١]، ولا مُنقطعاً فتخفره[٢] وإنما عين الحقيقة تستحسنها بعد ما تمحنها، وشهود البصيرة تشكرها بعدما تذكرها، ويكفيها أننى لا يخطر بين قلمى ولسانى لفظة إلا الذى تذكره، ولما أؤديه من منة تشكره[٣]، والله يقر به عين[٤] والده وجده، وأعين[٥] معارفه وأهل وده.

= فوالله ما أدرى أريدت ملاحة على الأرض أم رأى المحب فلا أدرى

وفى الأغانى ٢/ ٢٩٣ بيتٌ للحكم بن قنبر الحضرى يتفق صدره مع صدر البيت المذكور، ونصه:

فوالله ما أدرى أريدت ملاحة وحُسْنًا على النسوان أم ليس لى عقل

وعلى رواية الأغانى نُسب البيت للحكم بن قنبر الحضرى فى الصناعتين، ص ١٤٧

وفى الشوارد: لعبد الله بن خميس ٢/ ٧٧٨ نُسب هذا البيت للمقرى.

(١) عبارة: «على أن عين. عيبًا فتستره» روايتها فى: ك «على أن عين الرضا لا منة لها عليه، بل المنة فيها إليه؛ إذ لا عيب فيه يحتاج إليها فى استتاره».

والمراد أن هذه المعانى لا تحتاج إلى عين الرضا إذ لا عيب فيها تستره.

وهذا المعنى يقابله قول عبد الله بن معاوية:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة وعين السخط تُبدِى المساويًا وفى قول ابن معاوية العيب موجود

ولكن عين الرضا تستره وعين السخط تُبدى المساويا

وهذا البيت (وعين الرضا) أول أربعة أبيات فى ديوان الشافعى بتحقيق الزغبى، ص ٩١ ولا أظنه له. بل هو لعبد الله بن معاوية، كما فى: الحيوان للجاحظ ٣/ ٤٨٨، الكامل للمبرد: ١/ ٢١٢، عيون الأخبار: ٣/ ٧٦، ثمار القلوب، ص ٢٦١، زهر الآداب: ١/ ٨٥، شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢/ ٥٥٥، وعزاه ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الحنبلى الدمشقى، ت ٧٥١هـ) وقبله بيت إلى جرير، ولم أجدهما فى ديوان جرير، ونص البيتين:

فلست براه عيب ذى الود كله ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيًا

فعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ ولكن عين السخط تُبدى المساويا

روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن قيم الجوزية، ص: ١٤١

(٢) قوله: «ولا منقطعًا فتخفره» روايته فى: ك «ولا منقطع له يطلب منها اتصاله بدياره» وفى س: فتحقره». تخفره: خفر به وعليه يخفر خفراً: أجاره ومنعه وأمنه. لسان العرب (خفر).

والمعنى جائز على الروايتين «فتحقره. فتخفره» فعلى الأولى: لا تجد انقطاعًا فى المعنى فتحقره. وعلى الثانية: لا تجد انقطاعًا فى المعنى فتأمنه وتخفيه وتلتمس له العذر.

(٣) عبارة: «وإنما عين الحقيقية. منة تشكره» ساقطة من: ك.

وفى: ب، س «منة شكره».

(٤) فى: ك «يقر به عينى».

(٥) فى: ك «وعيون».

القسم الثانى

من نص الكتاب المحقق

قسم فصول السلام فى أواخر كتبه

إلى والدى - رحمه الله -

فصل آخر بخط يده(١)

والمولى الوالد منّ الله عليه بصحته وبقيته(٢) // الصالحة ولا عدم [٩٢/ ب] أطيبيه فإنهما الخير والصلاح لا الأكل والنكاح مستهدى منه الدعاء ومهدى إليه الثناء وكذلك ولده - حفظه الله - الواسطة بينهما وأقر ببقائه عينهما والله الخليفة عليكم والمشكور إليكم(٣)

(١) هذه العبارة ساقطة من ص، د، أ، ر، ك، وهكذا يأتى هذا الفصل بدون عنوان فى هذه النسخ ولعله سهو من الناسخ، وما أثبته من ب، س.

(٢) عبارة: والمولىَ الوالد. وبقيته ساقطة من: ص، د، أ، ر، ك، وما أثبته من ب، س.

(٣) رواية هذا الفصل فى ك: وله لازالت نعمته مخلدة عليه ولا تبغض له الدهر فى سلب أطيبيه ويعجبنى تأويلهما بالصحة والصلاح دون الطعام والنكاح مستهديًا دعاءه بنجاح المنىَ مُهْديًا إليه كل لائق من تحف الثناء والله الخليفة عليه والمشكور فى ذلك إليه.

فصل آخر

وأمَّا[١] عافية المولَى والدها وولدها[٢] فلا[٣] تقل بشرى ولكن بشريان[٤] والحمد لله الذى صان قلبها ولم يمتحن صبرها وأسمع الخير منها وعنها[٥] وسلمها وإياه[٦] من طوفان الوباء[٧] الذى لا عاصم منه إلا من رحم[٨] وحمي دارها ودارنا من زيارة هذا العارض الذى قد قدم[٩].

---

(١) فى: د فأما.

(٢) عبارة: وأما عافية. وولدها روايتها فى: ك وأما معافاة الله إياهما فمن أعظم الإحسان وأقول للقلب.

(٣) فى: ك لا بدون الفاء.

(٤) صدر بيت لأبى مقاتل (نصر بن نصير الحلوانى).

من قصيدة يمدح بها الداعى (محمد بن زيد العلوى ت ٢٨٧ هـ) حاكم طبرستان بعد أخيه الحسن ابن زيد العلوى ت (٢٧٠ هـ)، ورواية البيت فى مروج الذهب للمسعودى ٤/ ٢٥١

لا تقل بشرى وقل لى بشريان غرة الداعى ويوم المهرجـــان [الرمل]

وفى الصناعتين ص ٤٩١: لا تقل بشرى ولكن بشريان.. وعلى رواية الصناعتين أيضًا - فى يتيمة الدهر: ١/ ١٨٣ الإبانة عن سرقات المتنبى ص ٢٤٩ - ٢٥٠

البداية والنهاية: ١١/ ٤٧، وفى رسائل البلغاء ص ٣٣٩: البيت لأبى مقاتل أنشده للداعى وروايته:

لا تقل بشرى ولكن بشريــان وجه من أهوَى ووجه المهرجان

وعلى رواية الصناعتين، روى البيت بدون نسبة فى شرح مقامات بديع الزمان ص ٣٩١.

(٥) قوله: صان قلبها.. وعنها ساقط من: ك.

(٦) كلمة: وإياه ساقطة من: ك.

(٧) فى: ك من طوفان ذلك الوباء.

(٨) نظر فى هذا المعنى إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾ [سورة هود: ١١/ ٤٣].

(٩) عبارة: وحمى دارها قد قدم روايتها فى: ك وحمى ديارهما من زيارة عارضة الذى كان قدم. وفى: ب هذا العارض الذى قد ألم وقدم.

فصل آخر

والمولیان[١] القاضیان - والدها وولدها - الوالد الكبير عمرا والولد الكبير قدرا[٢] عليهما سلام لا ينفد وإذا نفد // جدد[٣] ولا يقطع وإذا انقطع[٤] [٩٣/ أ] ردد[٥] لا يخلان[٦] بإعلامی أحوال [جدهما][٧] الكبير فی صحة جسمه وقوة عزمه[٨] فهو بقية[٩] الخير ومهما يحامی الدهر عليه[١٠] فلا ضير.

(١) كلمة: المولیان ساقطة من: ك.

(٢) قوله: والدها وولدها الوالد الكبير عمراً والولد الكبير قدراً ساقطة من: ك.

(٣) عبارة: عليهما سلام.. جدد روايتها فی: ك عليهما سلام لا ينفذ وكلما اخلولق يتجدد.

(٤) فی: ب د وإذا قطع.

(٥) عبارة: «ولا يقطع.. ردد» ساقطة من: ك.

(٦) فی: ص، ب، س، أ، ز لا تخل تحريف وما أثبته من: ك وهو المناسب للمعنى المراد وهو أنهما دائما الإعلام له.

(٧) زيادة من: ك يتطلبها السياق.

(٨) فی: ك فی قوة جسمه وبقاء عزمه.

(٩) فی: ك فإنه بقية.

(١٠) فی: ك ومهما يحامی الدهر عنه.

فصل آخر(١)

الحضرة تبلغ الحضرتين: الوالد والولد(٢) سؤالي الحفي وثنائي الجلي وودي الخفي وتسآل(٣)، المولى الكبير في دعائه(٤)، لا خلونا جميعاً من وظائفه(٥)، ولا عريت مناكبنا من(٦) مطارفه.

فصل آخر(٧)

المولیان، والدها وولدها(٨)، لا أقطع ذكرهما، ولا أمَلُّ شكرهما، وأتحقق النفع والجمال بما للأول من دعاء، وما للآخر من ثناء(٩)، والله يقر عيونهما ببقائها(١٠)، وعيني بلقائهما(١١).

(١) كلمة: آخر ساقطة من: ك.

(٢) عبارة: الحضرة. .والولد روايتها في: ك والمولى يبلغ عني.

(٣) في: ك ويسآل.

(٤) في: ك في دعواته الصالحة الباقية، وما يرفعه منها في السر والعلانية.

(٥) في: ك لا خلونا فيها من وظائفه.

(٦) في: ك ولا عريت مناكبنا عن.

(٧) كلمة: «فصل» ساقطة من: ب، س وكلمة «آخر» ساقطة من: ك.

(٨) قوله: «والدها وولدها» ساقطة من: ك.

(٩) عبارة: «وأتحقق النفع. . من ثناء» روايتها في: ك «والمحقق كوني منتفعًا بما للأول من ثناء وللآخر من دعاء».

(١٠) في: ك «والله يقر العيون الحضرة ببقائها».

(١١) ما أثبته من ك، وفي سائر النسخ «بلقائها» تحريف.

فصل آخر(١)

والله الخليفة عليها، وعلى القاضيين والدها وَوَلَدِه ولا برحت وهما مشمولين // بالصنع الجميل، متمتعين بالحياة متاعاً غير قليل، [٩٣/ ب] كتب فى صبيحة البراءة(٢) جعل الله لهم من النار براءة، ولا عدموا فى دجاها من الأعمال إضاءة(٣).

فصل آخر بخط ابن الحصين(٤)

الحضرة السعيدية - أسعدها الله(٥) وولدها(٦) - أمتعهما الله بحياتهما(٧) مخصوصان بالتحية الطيبة كأصلهما الكريم، كفعلهما، كمكانتهما من قلبى ومحلهما(٨).

(١) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك، وهذا الفصل كله ساقط من: ب، س.

(٢) البراءة الأولى بمعنى الخلق، برأ الله الخلق: خلقهم، والبراءة الثانية بمعنى العتق من النار، لسان العرب (برا) ص ٢٤٠

(٣) رواية هذا الفصل فى ك: «والله خليفتى على الحضرة وفرعها الجليل، ممتعين بالحياة متاعًا موصوفًا بالعريض الطويل».

(٤) هذا الفصل كله، ساقط من: ب، س، وقوله: «آخر بخط ابن الحصين» ساقط من: ك.

(٥) كلمة: «الله» ساقطة من: د، وجملة: «أسعدها الله» ساقطة من: ك.

(٦) فى: ك «وفرعها».

(٧) كلمة: «الله» ساقطة من: د، وجملة: «أمتعهما الله بحياتهما» روايتها فى: ك «أدام إمتاعنا بفضلهما».

(٨) عبارة: «مخصوصان بالتحية.. ومحلهما» روايتها فى: ك «مخصوصان بكل تحية طيبة كأصلهما، وثناء كريم بما انطوى عليه القلب من محلها.

فصل آخر[١]

وتبلغ الحضرة من سلامي[٢]، وافتقادي[٣] وسؤالي إلى[٤] القاضي السعيد[٥] ما تؤدي فيه[٦] رسالة قلبي، وما هو من مهم ما تشتمل عليه كتبي[٧]

فصل آخر[٨]

لا تقطع عني أخبار القاضي السعيد، ولا أخبار ولده، ولا تدخل طي خبرهما في غضبهما ما تدخل من ذكرهما // في دعوة كتبهما. [٩٤/ أ]

(١) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك.

(٢) في: ك «والحضرة تبلغ من سلامي وضروب تعظيمي وإكرامي».

(٣) كلمة: «وافتقادي» ساقطة من: ك.

(٤) كلمة: «إلى» ساقطة من: د.

(٥) قوله: «وسؤالي إلى القاضي السعيد» ساقطة من: ك.

(٦) في: ك «ما تؤدي به».

(٧) كلمة: «عليه» ساقطة من: د، وقوله: وما هو.. كتبي» روايته في: ك: «وما هو أهم مما تشتمل عليه كتبي».

(٨) هذا الفصل كله ساقط من: ب، س، ك.

فصل آخر بخط يده(١)

والحضرة فى ضمان الله وأمانة الواقعين فى السر والعلن، وفرعه القاضى وحفيده القاضى أبو الحسن، وما أعرف من أوصافه فأجمع بذكره شملها، وإن لم أشك فى كونه فى كل فضيلة أحقَّ بها وأهْلاً لها، متعنى الله يا مولاى منه، بما خصك وكملك، وحفظ علينا وجود صفاته قرة عين لى ولك(٢).

(١) قوله: «آخر بخط يده» ساقط من ك، وهذا الفصل كله ساقط من ب، س.

(٢) عبارة: «والحضرة فى ضمان الله..» إلى آخر الفصل أثبتها من ك وهى: أوضح وأوْفى من عبارة سائر النسخ الأخرى ونصها: «والحضرة فى ضمان الله وأمانه، ووالدها القاضى السعيد وولده القاضى أبو الحسن، وما عرفت نعته.

والله يجمع شملها، ويَسُرُّ ببقائها أهلها، ويمتعنا جميعنا بالقاضى السعيد، فإنه قرة عين لى ولك وللدهر، صرف الله عنه عينه». وقوله: قرة عين لى ولك «نظر فى هذا المعنى والعبارة عنه إلى قول امرأة فرعون عن موسى لما التقطه آل فرعون من اليم: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [سورة القصص: ٢٨/ ٩].

فصل آخر بخط يده(١)

حضرة القاضيين وما أولى الفضائل بهذين الوالد السعيد وولده الذى انتشر به جماله وسؤدده، أراه الله فيه ما رآه من السرور فى أبيه، ولا أزال فى الذكر أقدم كونهما، فإنهما نعمتان من الشكر أردده بينهما(٢).

فصل آخر بخط يده(٣)

القاضى السعيد وولده فى ضمان الله وذمامه // وفى(٤) عقد لطفه [٩٤/ ب] الذى لا يخشى من انفصامه، عليهما منى سلام لا أقنع به(٥) بل بتحية الله وسلامه.

(١) قوله: «آخر بخط يده» ساقط من ك، وهذا الفصل كله ساقط من ب، س.

(٢) عبارة: «حضرة القاضيين وما أولى الفضائل. » إلى آخر الفصل أثبتها من ك، وهى أوضح وأوفى من عبارة النسخ الأخرى، ونصها: «القاضيان الوالد السعيد والولد أبو الحسن على ـ أعلاه الله وأراها فيه ما رأت فى أبيه ـ ولا أؤخر ذكرهما إلا لأنهما نعمتان فأقرن بينهما وبين الحمد له، مخصوصان بالتحية العذبة الصادرة عن الكبد الحرى ذكرهما الرطبة».

(٣) قوله: «آخر بخط يده» ساقط من: ك، وهذا الفصل كله ساقط من: ب، س.

(٤) الحرف «فى» ساقط من: ك.

(٥) عبارة: «وعليهما منى به» روايتها فى: «وعليهما سلام لا أقنع به منى».

فصل آخر[١]

والقاضى السعيد - وفقه الله وأسعده، وأعلى جده وأزكاه [٢]وأصعده - عليه تحية من عند الله[٣] أهديها على لسان القلم نيابة عن لسانى، وسلام طيب[٤] يتارج[٥] منه[٦] مكانه كما يتأرج بذكره مكانى[٧]

---

(١) كلمة: «فصل» ساقطة من: ب، س، «وكلمة آخر» ساقطة من: ك.

(٢) ما أثبته من ك، لإفادته المعنى المقصود فى المقام، وفى: ص، د، أ، ر «ولباه» تحريف يخل بالمعنى المقصود هنا.

(٣) قوله: «من عند الله» ساقط من: ك، وكلمة: «عند» ساقطة من: س.

(٤) فى: ك «وثناء يفوح طيبه بما خص وعم» مكان: «وسلام طيب».

(٥) فى: ص، ب، س، د، أ، ر «يتابع» تحريف، وما أثبته من: ك.

(٦) فى: ك «به» وكلمة: «منه» ساقطة من: د.

(٧) جملة: «كما يتأرجح. مكانى» روايتها فى: ك «كما تارج بى مكانى» وفى ك، ب، س» كما يتارجح منه مكانى».

فصل آخر بخط يده(١)

المذكور [الذى(٢)] لا يسأم(٣) [ذكره(٤)] والمؤخر الذى يجب تقديمه(٥)، القاضى السعيد وولده(٦)، فحياهما الله بالسلام تحية(٧) طيبة، و[عليهما(٨)] سلام زاكٍ يصدر عن قلب إليهما متشوق، ولفراقهما شاكٍ، والله تعالى لا يبدد لبيتهما شملاً، ولا يفرق له أهلاً(٩).

(١) كلمة: «فصل» ساقطة من: ب، س. و «آخر بخط يده» ساقطة من: ك.

(٢) زيادة من: ب، س يقتضيها السياق.

(٣) جملة: «المذكور. لا يسأم» روايتها فى: ك «الحديث المرغوب فيه لا يسأم».

(٤) زيادة من: ب، س.

(٥) جملة: «والمؤخر تقديمه» روايتها فى ك «ولو زاحمه غيره فهو الذى ينبغى أن يتقدم وهذا حديث».

(٦) فى: ك «وولده المجيد».

(٧) فى: ب، س «تحية أظهر وأكثر فى هذه السنة من صوب الغمام».

(٨) زيادة من: ب، س يقتضيها السياق.

(٩) عبارة: «فحياهما الله.. أهلاً» روايتها فى: ك «حياهما الله بكل سلام زكى كما صدر عن قلب إليهما شيق، ومن بعدهما يشتكى، والله لا يبدد لبيتهما شملاً ولا يسلبه من سكانه أهلاً».

فصل آخر[١]

والخير يكون - إن شاء الله - لها ولأهلها ولقرة عينها[٢] القاضى // السعيد - وفقه الله -[٣] الذى جمع شمل الفضل فلازلنا نرى [٩٥/ أ] فضل جامعه، ووصل به حبلنا وأعاذنا من اعتراض قاطعه[٤].

فصل آخر[٥]

القاضى[٦] السعيد وولده، سلامى عليهما يتردد، وذكرى لهما يتجدد[٧] وما هو إلا تجدد بعد تجدد، وتردد بعد تردد[٨]، ولا أنتظر وصول كتابها بذكرهما، ولا أن يكون رد التحية منها[٩]، رحم الله الجد، وأبقى الأب[١٠]، وجمع الشمل، وسر به الأحبة والأهل[١١].

(١) كلمة: «أخر» ساقطة من: ك.

(٢) عبارة: «والخير يكون.. عينها» ساقطة من: ك.

(٣) جملة: «وفقه الله» ساقطة من: ك.

(٤) عبارة: «الذى جمع شمل.. قاطعه» روايتها فى: ص، ب، س، د، أ، ر «ولولده جمع الله شمل الجماعة به وجامعه، ووصل حبلهم به وأعاذ من اعتراض قاطعه»، وما أثبته من: ك لأنه أصوب.

(٥) كلمة: «أخر» ساقطة من: ك.

(٦) فى: ب، س، «المولى القاضى».

(٧) عبارة: «سلامى.. يتجدد» روايتها فى: ك «سلام عليهما يتردد.. وتذكار لهما يتجدد».

(٨) عبارة: «وما هو إلا.. بعد تردد» ساقطة من: ك.

(٩) فى: ب، س «ولا أن يكون ردًا للتحية منها» وعبارة: «ولا أنتظر.. منها» روايتها فى ك «ولا أنتظر ورود كتابه فى ذكرهما حتى يكون ذلك ردًا للتحية الخاطرة بحديثى على سرهما».

(١٠) فى: س «وأبقى الابن».

(١١) عبارة: «رحم الله الجد.. والأهل» ساقطة من: ك.

فصل آخر[١]

القاضيان الأجلان: الوالد[٢] وولده، أدام الله إمتاعه ببقائهما، أوثر من تفضلها أن تلى ما تصدر به كتبها[٣] من ذكر ولدى جبره الله بذكرهما فى السلامة لا زالت شعاراً لهما، وفى السلام لا زال مسموعاً منهما ومردداً[٤] لطيبه عليهما.

(١) كلمة: «فصل» ساقطة من: ب، س، وهذا الفصل كله ساقط من: ك.

(٢) فى: ص، س، ب، ر «الولد» تحريف، وما أثبته من: د، أ وهو الصواب.

(٣) جملة: «أن تلى.. كتبها» روايتها فى: س «أن يلى ما يصدر به من كتبها».

(٤) فى: د «ومردوداً»، تحريف.

فصل آخر(١)

وكمل(٢) تسطير هذا الكتاب في(٣) عاشر رجب(٤) أحسن الله [٩٥/ ب] خاتمته عليها، وعلى القاضيين الأجلين ولديها، وأقر بهما العين، وطوى بيني(٥) وبينها(٦) شقة البين، وصرف عن فضلهما العين وإلى يديهما العين(٧).

فصل آخر(٨)

أخرت(٩) ذكر القاضي السعيد وولده(١٠) والسلام عليهما إلى أن يكون الحمد لله من بعده، لأنهما موهبتان يستحقان الحمد(١١)، ويستوجبان الشكر(١٢).

---

(١) كلمة: «فصل» ساقطة من: ب، س، وكلمة: «آخر» ساقطة من: ك.

(٢) في: ك «وكان».

(٣) الحرف: «في» ساقط من: ك.

(٤) في: ك «عاشر رجب الأصب».

(٥) في: ب، س «وطوى بيننا» والمراد بالعين هنا عضو الإبصار.

(٦) في: د «وبينه».

(٧) عبارة: «أحسن الله خاتمته. يديهما العين» روايتها في: ك «وبلغت حسنها خاتمته التي يقف عندها الطلب بحديث القاضيين السعيدين دامت بهما مسرة القلب وقرة العين وطويت بيني وبينهما شقة البين» وكلمة «العين» الأولى يراد بها عين الحاسد وكلمة «العين» الثانية يراد بها النفيس من كل شيء.

(٨) كلمة «آخر» ساقطة من: ك.

(٩) في: ك «وقد أخرت».

(١٠) كلمة: «وولده» ساقطة من: ك.

(١١) عبارة: «ذكر القاضي. يستحقان الحمد» روايتها في: ك «ذكر القاضي السعيد في فضله ومجده نظرًا إلى ما جعله الله سبحانه في بعض المواضع لحمده».

(١٢) جملة: «ويستوجبان الشكر» ساقطة من: ك وفي نهاية هذا الفصل. رؤي في: ك «والله يحفظ العقد وواسطته ويواصل برحمته فارطته» وهذا جزء من الرسالة التالية.

فصل آخر(١)

والله الخليفة عليها وعلى ولديها، وهو تعالى(٢) يحفظ العقد وواسطته، ويرحم فارطته(٣).

فصل آخر(٤)

وعلى القاضى السعيد - أحياه الله وحياه - وولده - أبقاه الله وأنشاه - تحية مشفوعة(٥) بدعوات صالحة، وبذكرى تقرب(٦) بها الديار وإن كانت نازحة.

فصل آخر (٧)

// والمولى القاضى السعيد(٨) فى دعة الله وسعته، وأمانه [٩٦/ أ] وضمانه، وكنفه الوسيع، وجواره المنيع.

فصل آخر(٩)

والله الخليفة عليها وعلى القاضيين الأجلين والدها وولده، أدام الله لهما ظل بقائها، ولا أخلاهُمَا وإياى من بركة رؤيتها ورأيها.

(١) كلمة: «فصل» ساقطة من: ب، س.
(٢) عبارة: «والله الخليفة . . تعالى» ساقطة من: ك.
(٣) جملة: «ويرحم فارطته» روايتها فى: ك» ويواصل برحمته فارطته».
(٤) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك.
(٥) عبارة: «وعلى القاضى السعيد. مشفوعة» روايتها فى: ك «وعلى القاضى السعيد وولده تحية زكية سائرة عطرة مصحوبة».
(٦) فى: د «يقرب».
(٧) هذا الفصل كله ساقط من: ك.
(٨) فى: ب، س «والمولى القاضى السعيد وولده».
(٩) هذا الفصل كله ساقط من: ك.

فصل آخر بخطه[١]

وأنا أستودع الله القاضي السعيد وولده[٢]، وأستصفى لهما منهل العيش ومورده، وأقصد الله تعالى[٣] فى حراسة حوزتها، ويأبى كرم الله[٤] أن يخيب من قصده.

فصل آخر[٥]

القاضي السعيد وولده - أسعدهما الله - لا أؤخر ذكرهما، والسلام عليهما إلا إلى آخر الكتاب حين يكون الخاطر قد تروح مما يثقله، وألقى ما على ظهره من الكتاب وخف[٦] مما يحمله، فذكرهما // الله ذكرى تسعدهما [٩٦/ ب] فى الدارين: العاجلة والأجلة، ويسبغ عليهما النعمتين الظاهرة والباطنة[٧].

(١) كلمة: «فصل» ساقطة من ب، س، و«آخر بخطه» ساقطة من: ك.

(٢) ما أثبته عبارة ك. وفى سائر النسخ الأخرى: «وأنا أستودع الله نفسها وولدها وولده» وعبارة ك أوضح وأنسب لما بعدها من ضمير المثنى فى قوله: «وأستصفى لهما».

(٣) كلمة: «تعالى» ساقطة من ب، س، ك.

(٤) كلمة: «الله» ساقطة من: د، وفى: ك «ويأبى كرمه» بدون كلمة «الله».

(٥) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك، وهذا الفصل كله ساقط من: ب، س.

(٦) كلمة: «خف» ساقطة من: د.

(٧) عبارة: «أسعدهما الله. الظاهرة والباطنة» روايتها فى: ك «دامت سعادتهما، وتوفرت من الله عنايتهما، إن وصفت ذكرهما بالتأخير، وصار له فى الكتاب الموضع الأخير فلأجل أن يكون الخاطر تروح مما يثقله، وخف عن ظهره من الكتابة ما يحمله، ذكرهما الله ذكرى يسعدان بها فى الدارين: المنتظرة والراهنة، ويتأهلان لسبوغ النعمتين الظاهرة والباطنة».

فصل آخر[١]

والقاضيان الأجلان: السعيد وولده في ضمان الله وذمته ونعمته بطول بقاء لا خلو من نعمته، والسلام مني موصول بسمعهما ما اتصلت نفس بنفس، وضوء بقبس[٢] والله تعالى[٣] يحوط شملهما[٤] مما يفرقه، ويحرس طرفهما مما يؤرقه[٥].

فصل آخر[٦]

الأجلان الوالدان أقرأ عليهما سلام قلب[٧] أرسلت به كلما، وجعلت السلام إلى ما أوثر من ذكرهما سُلَّما[٨] وما أهْوَنَ كُلَّ مفقودٍ[٩] إذا بَقِيَا وَسَلِمَا. !

---

(١) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك، وهذا الفصل كله ساقط من: ب، س.

(٢) عبارة: «والقاضيان الأجلان. وضوء بقبسٍ روايتها في: ك «القاضي السعيد وولده متصلة بسامهما تحياتي. باقية بوجودهما مسراتي ما اتصلت نفس بنفس وتعلق ضوء بقبس».

(٣) كلمة: «تعالى» ساقطة من: ك.

(٤) في: ص، د، أ، ر «شملهم» وما أثبته من: ك وهو المناسب للسياق.

(٥) عبارة: «ويحرس. يؤرقه» روايتها في ص، د، أ، ر «ويحرس خاطر منهم مما يفرقه» وما أثبته من: ك لمناسبته للمعنى.

(٦) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك.

(٧) في: ب، س «السلام من قلب».

(٨) عبارة: «الأجلان الوالدان. من ذكرهما سلما» روايتها في: ك «القاضي السعيد وولده عليهما سلام قلب تصور فيه كلما، وجعل السلام لما يؤثره من تذكارهما سلما».

(٩) في: ك «وما أهون كل عظيم فات».

فصل آخر(١)

وعلى القاضيين الوالدين(٢) سلام لا يزال بسمعهما موصولاً، ولا تزال المحبة تفيض عليهما(٣) بشراً وقبولا(٤).

// فصل آخر(٥)

ووصل(٦) من سلام القاضيين الوالدين(٧) ما طاب نشره(٨) وفغم عطره(٩) وتعين شكره(١٠)، والله تعالى(١١) يحسن عنى جزاء هذه الذرية المباركة التى لشاكرها مجال(١٢) ولقائل(١٣) الحس فيها مقال، ومالى إلا شكر واحد وما يفى بشكر(١٤)، بيت نفعنى الله منه بأربعة أجيال، وما يطلق على هذه المعرفة صداقة بل تسمى بنسبة وعلاقة(١٥).

---

(١) كلمة: «فصل» ساقطة من: ب، س وكلمة «آخر» ساقطة من: ك.

(٢) كلمة «الوالدين» ساقطة من: ك.

(٣) كلمة «عليهما» ساقطة من: ب، س.

(٤) عبارة: «لا يزال بسمعهما. وقبولاً» روايتها في: ك «لا يزال بسمعهما موصولاً والعناية بهما مستفيضة بشراً وقبولاً».

(٥) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك، وهذا الفصل كله ساقط من: ب، س.

(٦) في: ك «وقد وصل».

(٧) في: ك «القاضيين العظيمين» بدون كلمة: «الوالدين».

(٨) في: ك «ما طاب نشره وارتفع به من شأن المحبة ذكره».

(٩) جملة: «وفغم عطره» ساقطة من: ك، وفغم بمعنى ملأ، لسان العرب (فغم) ص ٣٤٣٩ - ٣٤٤

(١٠) في: «وتعين على المخصوص بذلك حمده وشكره».

(١١) كلمة: «تعالى» ساقطة من: ك.

(١٢) في: ك «التى للشكر على فضلها مجال».

(١٣) في: ك «والحائر» تحريف.

(١٤) عبارة: «ومالى إلا بشكر» روايتها في: ك «وما يفى شكر واحد بنعم بيت».

(١٥) عبارة: «وما يطلق على هذه. وعلاقة» ساقطة من: ك.

فصل آخر[١]

القاضى السعيد وولده - أحياهما الله -[٢] لا يخلو منهما الذكر، والكتب السعيدية لا تخلو من السحر، وعليهما السلام الأطيب، والتحية التى عليها ركب العنبر الأشهب[٣].

(١) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك، وهذا الفصل كله ساقط من: ب، س.

(٢) جملة: «أحياهما الله» ساقطة من: ك.

(٣) عبارة: «لا يخلو منهما الذكر. الأشهب» روايتها فى: ك «لا خلا منهما السر والذكر، ولا تخلو كلماتها المحررة عن نوافث السحر، وعليهما السلام الأطيب، والتحية التى يركب منها العنبر الأشهب»، والشهب والشهبة: لون بياض يصدعه سواد فى خلاله، والعنبر الجيد لونه أشهب، لسان العرب (شهب) ص: ٢٣٤٦

فصل آخر(١)

القاضى السعيد - أبقاه الله وأسعده، وأبعد زماناً أنآه [٩٧/ ب] وأبعده -(٢) مخصوص(٣) بتحية من الله مباركة(٤) طيبة غدقة صيبة يتهلل بشرها، ويتأرج نشرها(٥)

فصل آخر(٦)

والله سبحانه الخليفة عليها وعلى القاضيين(٧): والدها وولدها، والمسؤول فى حراسة جملتها فى مغيبها ومشهدها، ويومها وغدها، وألا يعطل يدى من كتبها، ولا ظمئى(٨) من موردها(٩).

(١) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك، وهذا الفصل كله ساقط من: ب، س.

(٢) عبارة: «القاضى السعيد.. وأبعده» روايتها فى: ك «والقاضى السعيد لا زال متاعه بحظوظه دامت عليه بها نعمة ملحوظة».

(٣) فى: ك «أخصه».

(٤) قوله: «من الله مباركة» ساقطة من: ك.

(٥) جملة: «ويتأرج نشرها» روايتها فى: ك «ويطوى الأقطار نشرها».

(٦) كلمة: «فصل» ساقطة من: ب، س وكلمة: «آخر» ساقطة من: ك.

(٧) فى: ب، س «وعلى الموليين».

(٨) قوله: «من كتبها ولا ظمئى» ساقط من: د.

(٩) رواية هذا الفصل فى: ك «والحضرة السعيدة الله سبحانه وتعالى خليفتى عليها، وعلى كل ملحوظ إليها، وهو تعالى مسئول فى توفير نصيبها من الحفظ فى مطلعه ومغيبه، ومرور يومه وغده، وألا تزال مواهب الخير على يده، وألا تعطل أقلامى من التحرير إليه، ولا ظمئى من مورده إن شاء الله تعالى من عبرها دام ترميه ولا استرجعت الأيام مواهبها فيه».

فصل آخر(١)

المولى القاضى الأجل سناء الملك والدها - أدام الله بركة بقائه، ونعمة حياته - مخصوص بتقبيل اليد الطاهرة، وسؤال الدعوة الصالحة، وكذلك القاضى السعيد ولدها أمتع الله به، ولا أسترجع النعمة الموهوبة منه.

فصل آخر(٢)

الحضرة الرشيدية ووالدها // وولدها - أبقاهم الله - فى دعة من الله [٩٨/ أ] وضمان، وحياطة وكلاءة، وكفاية وأمان.

فصل آخر بخطه(٣)

المولى القاضى الوالد الأجل، لا استرجع الله منه وديعة الخير والبركة - والقاضى الأجل ولدها الذى فضيلته بينى وبينها مشتركة، لا يخرج ذكرهما من لسانى، ولا شخصهما من عيانى، ولا يبعد مكانهما منى وإن بعد مكانى، وعليهما السلام المتردد العذب المورد الموصول اليوم بالغد(٤)

---

(١) هذا الفصل كله ساقط من: ك.

(٢) هذا الفصل كله ساقط من: ب، س، ك.

(٣) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك.

(٤) رواية هذا الفصل فى ك: «القاضى السعيد وولده الذى فاضت به البركة، وجعل الله فضيلته بينى وبين والده مشتركة، لا خلا من ذكرهما لسانى، ولا من شخصهما عيانى، ولا بعد منى مكانهما ولا منهما مكانى، وعليهما السلام المتردد الخصيص بعذوبة المورد، العابق تجدده، الموصول بيومه غده».

فصل آخر بخطه[١]

والله[٢] الخليفة عليها وعلى القاضيين[٣]: والدها وولدها، والمسؤول بأحفى المسائل ألا ينقص من عددها، ولا يشجيها[٤] شفّى ذخيرة يومها وغدها[٥].

فصل آخر[٦]

والله يكلؤها ولا يكلها، ويسلمها ولا // يسلمها، ويفعل ذلك [٩٨/ ب] بها وبالقاضيين[٧]: والدها وولدها، ولا يخلى يومها أن يكون مشفوعاً فيهما بسعادة أمسها وذخيرة غدها.

(١) كلمتا: «آخر بخطه» ساقطتان من: ك، وكلمتا: «فصل، بخطه» ساقطتان من: ب.

(٢) كلمة: «والله» ساقطة من: د.

(٣) في: ب، س «وعلى المولبين».

(٤) في: د «وأن لا يشجيها».

(٥) رواية هذا الفصل في ك: «وأرفع إلى الله في الحضرة السعيدة أكف السائل المتمسك بأطراف الوسائل أن لا ينقص من عددها، ولا يشجيها في ذخيرة يومها وغدها، وأن لا يغير ما بهما من نعمة، ولا يروع فيها أوداءها بملمة».

(٦) كلمة: «فصل» ساقطة من: ب، س وهذا الفصل كله ساقط من: ك.

(٧) في: ب، س «بها وبالمولبين».

فصل آخر(١)

وعرفت سلامة الحضرتين: الوالد والولد وسلامهما، واستطبته وكنت استبطأته(٢) فعليهما أفضل سلام وأصفاه وأوفاه وأنوره وأعظمه، والله الخليفة عليها وعليهما، والمسؤول أن لا يغير ما بكم من نعمة، ويديم لكم نعيم العيش، ولا يروعكم من الدهر بملمة.

فصل آخر(٣)

الحضرة والقاضيان ولداها جعلهما الله الخلف(٤) الباقي، ووقاهما بلطفه الواقي(٥)، في ضمان الله وأمانه، وكنف فضله(٦) وإحسانه، ولا غير الله ما بكم من نعمة // ولا روع الأوداء فيكم بملمة(٧). [٩٩/ أ]

---

(١) هذا الفصل كله ساقط من: ب، س، ك.

(٢) عبارة: «واستطبته وكنت استبطأته» ساقطة من: أ.

(٣) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك.

(٤) في: ك «الحضرة السعيدية وَوَلَدَاهَا جعل الله فيهما الخلف»، وفي: ب، س «الحضرة والموليان والدها وولداها جعلهما الله الخلف».

(٥) جملة: «ووقاهما... الواقي» روايتها في: ك «ولا أنهى لهما في خيره المراقي».

(٦) في: ك «وكنف حفظه».

(٧) عبارة: «ولا غير الله... بملمة» ساقطة من: ك.

فصل آخر(١)

وكان يجب تقديم السلام على القاضي السعيد وولده فأخرته لأنهما نعمةٌ يجاورهما حمد الله والصلاة على نبيه، فلا تخل كتابها من ذكر صحتهما مقترنة بصحة الوالد فما هو عندي بأكبر منهما، ولا تخل سمعهما من إهداء السلام إليهما(٢)

فصل آخر(٣)

القاضيان: الوالد والولد - أبقاهما الله - عليهما مني سلام(٤) إن حرمته باللسان مخاطباً فما أقطعه بالعلم مكاتباً(٥)، عين الله عليهما، ومعقباته تحفظهما من خلفهما ومن بين أيديهما(٦).

فصل آخر(٧)

والقاضي السعيد وولده مقبلا الأعين، مدعو لهما بلسان القلب وهو أبلغ الألسن // والله تعالى يمتع بهما، ويدفع عنهما. [٩٩/ ب]

(١) هذا الفصل كله ساقط من: ك.

(٢) في: ب، س «من إهداء السلام عليهما».

(٣) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك وهذا الفصل كله ساقط من: ب، س.

(٤) عبارة: «القاضيان. . مني سلام» روايتها في: ك «الحضرة وولدها عليهما سلام».

(٥) عبارة: «فما أقطعه. . مكاتبا» روايتها في: ك «فلا أحرمه - إن شاء الله - بالقلم كاتبًا».

(٦) عبارة: «ومعقباته. . أيديهما» روايتها في: ك «ومعقباته أبدًا من خلفهما ومن بين أيديهما»، وهذا المعنى مقتبس من قوله تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ...﴾ سورة الرعد: ١٣/ ١١

(٧) هذا الفصل كله ساقط من: ب، س، ك.

فصل آخر(١)

والقاضى السعيد وولده - أقرّ الله العيون بهما(٢)، وأحسن الكفاية فيهما، وأعان على الشوق الحافز(٣) إليهما، وسهل مؤونة اللقاء المطموع به(٤) منهما - ولا أؤخر ذكرهما مع النية لتقديمه، إلا ليكون ذكرهما(٥) متبوعاً بحمد الله، فالحمد يتبع النعمة فيحرسها من العين، ويصفيها من الكدر، وهما نعمتان من الله، أدام الله بهما الإمتاع، وأحسن عنهما الدفاع(٦)، ونقلهما إلى العيون عن الأسماع، وعليهما سلامى يتجدد، وسؤالى يتردد(٧)، وهما قريبان وإن بعدا(٨) وأى حبيب يبعد [وله من القلب مكان(٩)]؟ وأرجو من الزمان جمع الشمل بهما(١٠) فقد يورق اليابس، ويتفجر [بالماء(١١)] الجلمد(١٢).

---

(١) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك، وهذا الفصل كله ساقط من: ب، س.

(٢) جملة: «أقر الله العيون بهما» روايتها فى: ك «خلد الله السرور بهما».

(٣) فى: ك «الشوق المستفز».

(٤) فى: ك «بتسهيل أسباب القرب المطموع فيه».

(٥) عبارة: «مع النية لتقديمه.. ذكرهما» ساقطة من: د.

(٦) عبارة: «ولا أؤخر ذكرهما.. عنهما الدفاع» روايتها فى: ك «ولا أؤخر ذكرهما بعد نية تقديمه، والمضى بحديثه على سنن قديمة إلا ليكون متبوعًا بحمد الله فى إيراده حيث كان المولى وولده من نعم الله علىّ وعلى عباده. فالحمد لله على النعمة يحرسها ويدفع وحشتها بما يؤنسها، أدام الله بهما الإمتاع، وأحسن عن حوزتهما الدفاع».

(٧) فى: ك «وإليهما سؤالى يتردد».

(٨) جملة: «وهما قريبان وإن بعدا» روايتها فى: ك «وهما على البعد قريبان».

(٩) زيادة من: ك يتطلبها السياق.

(١٠) جملة: «وأرجو.. بهما» روايتها فى: ك «وأرجو انتظام الشمل الذى تبدد».

(١١) زيادة من: ك يتطلبها السياق.

(١٢) فى: د، ر «الجمد» «مكان الجلمد»، وهو تحريف.

فصل آخر(١)

الحضرة السعيدية // وولدها - أبقاهما(٢) الله - سلامى [١٠/ أ] عليهما ورحمة الله وبركاته وشوقى إليهما لا تخمد مشكاته، وتطلعى إلى المحاسن السعيدية لا تطرق لحظاته.

فصل آخر(٣)

والحضرة وولدها - حفظهما الله - فى كنف الله وستره، وكلكم لا يخلو القلب من ذكره والذكر سلام القلب، وختام مسك الكتب، لا خلت مما يخلى سرها، ولا عدمت ما يوجب برها(٤).

---

(١) هذا الفصل كله ساقط من: ك.

(٢) فى ص، د، أ، ز: «ابقاه» وما أثبته رواية ب، س وهى الأنسب للسياق.

(٣) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك.

(٤) رواية هذا الفصل فى ك: «والحضرة وولدها فى كنف الله وستره وكلهم لا يخلو ذلك القلب من تصوره وذكره، والذكر سلام القلوب، ومسكه ختام الرقيم المكتوب، وعليهما ثناء يطوى ضروب الطيب نشره ويبتسم فى ليالى حروفه فجره.

فصل آخر بخطه(١)

والحضرة وولدها - أبقاهم الله - بعين الله مكلوؤون محظوظون، وبأسنى السلام مخدومون محظوظون، أدام الله لحياتهما الإمتاع، ولجنابهما عن الدهر الامتناع. ووصل بهما الشمل البديد، وقرب إليهما // الأمل البعيد. [١٠/ ب]

فصل آخر(٢)

والله الخليفة عليها وعلى القاضيين الأجلين، عليهما سلام يتأرج نشره، ويبسم من ليل الطروس فجره.

(١) هذا الفصل ساقط من: ب، س، ك.

(٢) هذا الفصل كله ساقط من: ب، س، ك.

فصل آخر بخطه[١]

القاضي السعيد وولده - أبقاهما الله -[٢] يبلغهما من سلامي أحفاه[٣] وأطيبه، وألزمه لي وأوجبه، فقلبي ينافس في أدائه لساني، ويود لو انتقل شخصه من تمثله إلى عياني[٤]

فصل آخر[٥]

[الحضرة[٦]] وولداها القاضيان - حفظهما الله، ولا فرق لهما شملاً، ولا حسر لها[٧] عنهم ظلاً - عليهما تحية من عند الله مباركة طيبة، تحيي وجوههما، وتسر قلوبهما، وتملأ أيديهما، وتصلح شأنهما، وترجح ميزانهما، وترغد زمانيهما[٨]

(١) كلمتا: «آخر بخطه» ساقطتان من: ك، وفي: ب، س «فصل آخر بخط يده».

(٢) جملة: «أبقاهما الله» ساقطة من: ك.

(٣) «يبلغهما» كذا في ك وهو الصواب، وفي سائر النسخ الأخرى «تبلغهما» تصحيف، وفي د: «من سلامي أصفاه» والمعنى يصح على الروايتين (أصفاه ـ أحفاه) فمعنى يبلغهما من سلامي أحفاه أي أكرمه.

(٤) عبارة: «تبلغهما من سلامي . . إلى عياني» روايتها في: ك «يبلغهما من سلامي أطيبه، ومن ثنائي أشمله وأوجبه، وقلبي ينافس في أداء ذلك لساني، وأود لو انتقل شخصهما من تمثله إلى عياني».

(٥) كلمة: «آخر» ساقطة من: ك.

(٦) إضافة من المحقق يقتضيها السياق.

(٧) كلمة: «لها» ساقطة من: د.

(٨) عبارة: «وولداها القاضيان. وترغد زمانيهما» روايتها في: ك «دوحة كل فصل ومنقبه، عليهما تحية من عند الله مباركة طيبة تحيي تلك الوجوه، ويبلغ بها القلب ما يسره ويرجوه».

فصل بخط ابن // الحصين [1] [١٠١/ أ]

سطرته وقت الظهر من يوم النصف من شهر رمضان[2]، عرفها الله بركة[3] أمثاله وبركة لياليه الأفراد والأزواج، وجعلها فيه أول ناجٍ، وله أكرم مناج[4]، أعانها على الخير الذى هى من أهله، وبارك فى أهله وزادهم[5] ببقائها من فضله.

والقاضى السعيد وولده الأعز[6] مهنآن بالعيد المقبل[7]، فلا[8] عدما منه زائراً يتكرر، وطالعاً فى كل يوم[9] عليهما لا يتأخر، حتى تكون أيامهما كلها أعياداً، ولياليهما كلها أفراداً[10] وجعلهما الله ممن يقوم لله مثنى وفرادى[11].

---

(١) فى: ب، س «آخر بخط ابن الحصين» وبخط ابن الحصين «ساقط من: ك.

(٢) عبارة: «سطرته.. رمضان» روايتها فى ك «سطرته إلى الحضرة المغمورة بكل نضرة منتصف شهر رمضان المبسوطة به ظلال العفو والغفران».

(٣) قوله: «أمثاله وبركة» ساقط من: ب، س.

(٤) عبارة: «عرفها الله. أكرم مناج» روايتها فى: ك «خلد الله عليها بأمثاله عوائد الابتهاج، وعطرها بطيب لياليه الأفراد والأزواج، وجعلها فيه من عقابه أول ناج، وبكلامه القديم أصدق مناج».

(٥) فى: ب، س «وزاد».

(٦) كلمة: «الأعز» ساقطة من: ك.

(٧) فى: ك «مهنآن بعيده المقبل، رافلان فى أنوار وجهه المتهلل».

(٨) فى: ك «لا» بدون الفاء.

(٩) فى: ك «فى كل عام» وما أثبته هو المناسب للسياق.

(١٠) فى: ب، س «حتى تكون أيامها كلها أعياداً ولياليها أفراداً» وفى: ك «ولياليه جميعها أفراداً».

(١١) عبارة: «وجعلها الله.. فرادى» روايتها فى: ب، س «وجعلها ممن يقوم لله مثنى وفرادى» وفى: ك «ولا برحا ممن يقوم فيه لله مثنى وفرادى».

فصل آخر[١]

والله الخليفة على الحضرة وولديها السيدين الأجلين، والسلام عليهما ورحمة الله التى تكتلف // بكم معقباتها، وتتوالى لديكم تحياتها. [١ /١ ب]

فصل آخر[٢]

الحضرتان القاضيان: والدها وولدها، مخدومان بالتحية الطيبة، والسحابة الصيبة، والمحامد المستعذبة، والله لا يعدمها من الأول البركة الواقية، ومن الآخر النعمة النامية.

(١) كلمة: «فصل» ساقطة من: ب، س وهذا الفصل كله ساقط من: ك.

(٢) كلمة: «فصل» ساقطة من: ب، س، وهذا الفصل كله ساقط من: ك.

فصل آخر[١]

القاضيان[٢]: الوالد والولد أدام الله عافيتهما، وأتم موهبة كفايتهما، ووصلت منهما التحية الحالية الأريجية[٣] وشكرت ما جريا فيه على السجية السخية، والله يجمع شملها ولا يخرمه، ويباعد بين مسافة عمرهما وبين ما يختمه[٤].

(١) كلمة: «فصل» ساقطة من: ب، س، وكلمة: «آخر» ساقطة من: ك.

(٢) في: ب، س «المولیان القاضيان».

(٣) عبارة: «القاضيان.. الأريجية» روايتها في: ك «حضرة القاضيين السعيدين خلد الله عافيتهما وبذل من خيره كفايتهما وقد وصلت منهما التحية الأريجية».

(٤) عبارة: «ويباعد.. يختمه» روايتها في: ك «ويباعد بين ما ابتدأ به مدة العمر وما يختمه».

فصل آخر بخطه(١)

وعلى الولدين - أبقاهما الله -(٢) سلام يتكرر تكرر أيادى والدهما عندى، وعنهما منى // سؤال لسانى فيه عن قلبى يؤدى(٣). أطاب الله أخبارهما [٢ ١/ أ]، وجعل العافية شعارها(٤)، وسرها الله وسرهما ببقائها وبقائهما، ولا بد من شركتى بالدعاء سرنى الله بلقائها ولقائهما(٥)، والعين والله إلى ورود ماء وجهها المصون ظامئة، ونيران أشواق القلب حامية، فأطفأها الله تعالى بقرب تلقى بعده العصا، وتصاب به مقاتل النوى(٦).

فى دعة الله وفى ستـــرِه   من ليس يخلُو القلبُ من ذكرِه(٧) [السريع]

---

(١) كلمة: «فصل» ساقطة من: ب، س وعبارة «فصل آخر بخطه» ساقطة من: ك وهكذا يأتى هذا الفصل بدون عنوان فى هذه النسخة ولعله سهو من الناسخ.

(٢) قوله: «وعلى الولدين ـ أبقاهما الله ـ» ساقط من: ك.

(٣) فى سائر النسخ عدا «ك»: «وعنها» تحريف والصواب ما أثبته لعودة الضمير على «الولدين» فى أول الفصل، وعبارة: «سلام يتكرر. . يؤدى» روايتها فى: ك وعليهما سلام يتكرر تكرراً أياديهما عندى. وإليهما سؤال لسانى فيه عن قلبى يعيد ويبدى».

(٤) فى: ب، س «أطاب الله أخبارهما، وجعل العافية شعارهما».

(٥) عبارة: «أطاب الله. . ولقائهما» ساقطة من: ك.

(٦) عبارة: «فأطفأها الله. . مقاتل النوى» ساقطة من: ب، س وعبارة «والعين والله. مقاتل النوى» روايتها فى: ك «والعين إلى ورودها ماء تلك الوجوه ظامئة. ونار الشوق بذلك القلب حامية، أطفأها الله بلقاء يكون فيه للقلب ارتواء، ويلقى به الغائب عصاه، وتصاب مقاتل النوى» وهذا المعنى قريب من قول مضرس الأسدى:

فألقتْ عصاهَا واستقرت بها النوى   كما قرَّ عينــا بالإياب المسافــر [الطويل]

البيان والتبيين بتحقيق عبد السلام هارون: ٣/ ٤٠ وفى: الاشتقاق، لابن دريد ٢/ ٤٨١، والبداية والنهاية ١٠/ ٩٤، البيت لمعقر بن أوس البارقى ونسبه المدائنى فى شرح شواهد المغنى للسيوطى: ٣١٨/١، لراشد ابن عبد ربه السلمى.

(٧) الرواية فى: ك «فى كنف الله وفى حفظه. من لا تغب فى القلب ذكراه» وأضفت كلمة «فى» قبل «القلب» ليستقيم الوزن ولم أعثر على البيت فى مصادرى. [السريع].

فصل آخر بخط يده[(١)]

القاضى السعيد وولده - أبقاهما الله -[(٢)] عليهما تحية راتبة يكررها الصباح والمساء وتاتى[(٣)] بالسكون الذى يأتى به الغسق، وبالأنس // الذى [٢ ١/ ب] يأتى به الضياء والله تعالى يسلمها من الغير، ويسمع عنها أطيب الخبر[(٤)]

فصل آخر[(٥)]

القاضيان: والدها وولدها مخدومان بسلام اجتهد القلب فيه وإن قصر اللسان عنه.

---

(١) «فصل آخر بخط يده» ساقطة من: ك وهكذا يأتى هذا الفصل بدون عنوان فى هذه النسخة، وفى: ب، س «آخر بخطه» بدون كلمة فصل ويده».

(٢) عبارة: «القاضى. . الله» ساقطة من: ك.

(٣) فى: ص، د، أ، ر «ويأتى» وما أثبته من: ب، س وهو المناسب للمعنى.

(٤) عبارة: «عليهما تحية. . أطيب الخبر» روايتها فى: ك «عليه تحية راتبة على الصباح ومسائه حتى يكون القلب فى تلهبه سالكًا طريق انطفائه والله يحفظ عينه فى الأثر ويمتع الأسماع عنه باطيب الخبر».

(٥) هذا الفصل كله ساقط من: ب، س، ك.

فصل آخر[١]

القاضيان: الوالد والولد، لا عدمت بقاءهما، ولا سلبا ببقائهما نعمتها المرغوب إليها[٢]، أن لا تخلى كتابها من ذكر عافيتهما، فإنها من المهمات التى أسأل عنها الركبان وأطمح إليها من الكتاب قبل العنوان[٣]، والله يؤويهما فى كنف السعادة وظلها ولا يبعدهما عن موطن الكفاية ومحلها[٤].

(١) عبارة: «فصل آخر» ساقطة من: ك «وهكذا يأتى هذا الفصل بدون عنوان فى هذه النسخة ولعله سهو من الناسخ» وهذا الفصل كله ساقط من ب، س.

(٢) عبارة: «القاضيان. . المرغوب إليها» ساقطة من: ك.

(٣) عبارة: «أن لا تخلى. العنوان» روايتها فى: ك «وأرجو ألا يخلو كتاب له من أخبار شؤونه وما هو عليه فى حركته وسكونه وطالب إياها بالعين قبل الكتاب من العنوان».

(٤) عبارة: «والله يؤويهما. . ومحلها» ساقطة من: ك.

فصل آخر بخط يده(١)

والحضرة السامية وولداها(٢) محروسون بالعين التى // لا تنام فى [١٠٣/ أ] حراستها ومكلوؤون بالألطاف التى لا خلوا من عادتها(٣) فى كف حوادث الأيام وعاديتها(٤) والله تعالى يجعلهم في كنف السلامة(٥) وحيزها، ومن دائرة السعادة بمكان مركزها(٦)

هذا آخر(٧) ما أخرجته من الصحف المكرمة المرفوعة(٨) وأبحتها للمجتنين لأنها من ثمار الجنة فيجب أن تكون لا مقطوعة ولا ممنوعة(٩)

---

(١) جملة: «فصل آخر بخط يده» ساقطة من: ك، وهكذا يأتى هذا الفصل بدون عنوان فى هذه النسخة.

(٢) قوله: «والحضرة السامية وولداها» ساقط من: ك.

(٣) عبارة: «محروسون بالعين. . عادتها» روايتها فى: ك «وأرجو الله حراسته بالعين التى لا تنام فى حراستها، وكلأته بالألطاف التى لا خلا عبده من عادتها».

(٤) قوله: «فى كف. . وعاديتها» ساقط من: ك.

(٥) فى: د، ك «كنف السعادة»

(٦) عبارة: «والله تعالى. . مركزها» روايتها فى: ك «وأن يجعله فى كنف السعادة وحيزها. . ومن دائرة السلامة بمركزها». وعبارة: «فصل آخر بخط يده. . بمكان مركزها» ساقطة من: ب، س.

(٧) فى: ك «قلت: هذا آخر» وكلمة: «آخر» ساقطة من: د.

(٨) هذا التعبير منظور فيه إلى قوله تعالى ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ [سورة عبس: ٨٠/ ١٣، ١٤].

(٩) عبارة: «وأبحتها للمجتنين. . ولا ممنوعة» روايتها فى: ك «وأبحته للمجتنين حيث كانت كأثمار الجنة ليست بمقطوعة ولا ممنوعة»، وقد نظر فى هذا المعنى إلى قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [سورة الواقعة: ٥٦/ ٣٣]، وقد ورد هذا المعنى فى قول القاضى الفاضل: «إنى رغبت إلى مولانا لا زالت الرغبات إليه مرفوعة وثمراتها كثمرات الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة» انظر مطلع الفوائد ص ٤٢.

رحمة الله وبركاته على من أنشأها ووشاها[١]، وأفرغنى قللها، ووطأ لى[٢] سبلها، وألبسني حليها وحللها[٣]، وله الحمد[٤] وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله وصحبه وسلامه[٥]

تم الكتاب بعون الله تعالى[٦]

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلاته على محمد نبيه وآله وصحبه[٧].

(١) فى: ك «أنشأها وبفضائله وشاها».

(٢) فى: ك «ووطأنى».

(٣) جملة: «وألبسني حليها وحللها» روايتها فى: ك «وأفاض عَلَىَّ حلالها وحللها».

(٤) فى: ك «ولله الحمد من قبل ومن بعد» وجملة: «وله الحمد» ساقطة من: ب، س. وكلمة: «له» ساقطة من: د.

(٥) كلمة: «سيدنا» ساقطة من: ب، س وكلمة: «وصحبه» ساقطة من: د.

وعبارة: «وصلواته على وسلامه» روايتها فى: أ «وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله وصحبه وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين».

وفى: ز «وسلامه» آمين. وفى: ك «وصلاة الله الموصولة بضروب الإكرام على رسوله المطاع وعلى آله وصحبه والسلام، غفر الله لمن استفاد منه، ودعا لكاتبه وجامعه بالمغفرة آمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، عفا الله عن كاتبه وغفر له آمين رب العالمين آمين آمين».

وجاء فى آخر قول الناسخ. فى النسخة ك: «وجدت فى النسخة التى كتبت منها هذه النسخة: انتهى على يد كاتبه الفقير، وتم على ما فى الأصل من تحريف وخرم واستظهار تكميل للكلام بما يبتعد عن درجة أصله ولو قام ونسبة ذلك لأيام تعرف سيئاتها وما آفة الأخبار إلا رواتها، وهذا عجز بيت للشريف الرضى. ورواية البيت كما فى ديوانه: ١/ ٢١٢.

شعرهم نقلوا عنى الذى لم أقل به// وما آفة الأخبار إلا رواته]الطويل]

(٦) جملة: «تم الكتاب بعون الله تعالى» ساقطة من: ب، س، ك.

وروايتها: فى: أ «تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كثيراً دائمًا أبدًا إلى يوم الدين آمين».

(٧) عبارة: «والحمد لله.. وصحبه» ساقطة من: ب، س، د، ك، أ، ز وما أثبته من ص.

فصول وردت في (ب، س) فقط

فصل من كتاب

المولیان القاضیان الوالد والولد لا فرق الله لكم شملاً، ولا قضب لكم حبلاً، ولا قيض لكم عن ولاية العز عزلاً، لا أؤخر ذكرهما إلا لأجاور به الحمد له، ولا ينكر كونهما من نعمة الله المستدامة بأبلغ المسألة ومكانهما من قلبي مكان البسملة.

فصل آخر

وعلى المولى ولدها سلام مودع لا مودع، وله مني سؤال قلب لا سؤال لسان، أمتعها الله ببقائه، ولا سلبها المسره بنشأته وإنشائه.

فصل آخر

المولى مخصوص بسلام مختوم به المسك الأذفر معذور به إذ فر[١].

(١) المسك الأذفر: الجيد الرائحة، المعجم الوسيط (ذفر) ١/ ٣١٢.

وعبارة: «معذور به إذ فر» لا معنى لها في هذا المقام ويبدو أنها محرفة عن عبارة لم أهتد إليها.

فصل آخر

المولیان: والدها وولدها محییان بأعذب التحية وأطيبها، وأحبها إلى قلب المكارم وأعجبها، وهذه أشهر شريفة فيذكرني[١] القاضي الكبير عند غير الرب الذي سأل يوسف - عليه السلام - صاحبه أن يذكره عنده[٢]

فصل آخر

والله الخليفة عليها وعلى المولیین: والدها وولدها لا عدمت بقاء أحدهما الذي هو نهار كالنهار[٣]، ودعاء الآخر الذي هو ليل كالأنوار.

فصل آخر

المولیان: والدها وولدها جعلهما الله في كنف الكفاية وحيزها، ولا زالت الوقاية مشتملة عليهما اشتمال الدائرة بمركزها، مخصوصان بأعذب تحية، وأصدرها عن صدر أريحية.

---

(١) كذا في باب، س واغلب ظني أن صوابها «فليذكرني».

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ سورة يوسف ١٢/ ٤٢ والمراد بصاحبه: صاحب يوسف في السجن وهو الساقي، حين قال له يوسف: اذكرني عند سيدك وأخبره عن أمري لعله يخلصني مما ظلمت به، صفوة التفاسير، لمحمد على الصابوني ٦/ ١٨، والمراد بغير الرب: الله سبحانه وتعالى.

(٣) نهارٌ من معانيها: السعة والضياء والنهار ضد الليل وهو ضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، لسان العرب (نهر) ص ٤٥٥٦، ٤٥٥٧.

ومعنى هذا التشبيه: أنه يدعو للمولى بطول البقاءليأنس بضيائه المتدفق تدفق ضوء النهار عطاءً وجمالاً

التحقيـــق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الدراسة

الحمد لله الذى منح فأجملَ، وأعطَى فأجزلَ من نعمه السابغة، وآلائه المتتابعة، التى لا يوازيها شكرٌ، ولا يُدرِكُ كُنْهَهَا ذكرٌ. فله الحمد فى الأولى والآخرة، وله الحكم، وهو أعدل الحاكمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة هو بها لنفسه الشهيد، وأن محمدا رسولُ الله، أعطاه الله جوامع الكلم، فكان أفصح الخلق لساناً، وأعذبهم بياناً، وأكثرهم شكراً، وأقواهم إيماناً.

وبعد...

فقد وفقنى الله إلى تحقيق «كتاب فصوص الفصول وعقود العقول» لابن سناء الملك، وتبين لى من خلال معايشتى لنصوص الكتاب أنه جدير بالدراسة، فرغبت فى دراسته لجملة أسباب.

أولاً-: متعة التحقيق- رغم ما فيه من مخاطر وصعوبات ومعاناة- جذبتنى إلى دراسة النص المحقق؛ لأغنم بالفائدتين معاً: التحقيق والدراسة.

ثانياً-: كشفت نصوص الكتاب المحقق كثيراً من سمات الشخصية المصرية التى انسابت فى نفوس أبنائها انسياب النيل فى أرضها، مثل: البساطة والسهولة، والتدين، وحب الوطن وقادته، ورقة المشاعر، والروابط الأسرية الطيبة، وحب العلم. وحمايته.

ثالثاً-: تبين من خلال النصوص دور مصر القيادى فى المنطقة، وتحملها مسؤولية الدفاع عن العقيدة والقومية العربية، وما أحوجنا لمعرفة تاريخ وطننا العظيم.

رابعاً-: التشابه الكبير بين ما تواجهه الأمة العربية الإسلامية- الآن- من عنصرية إسرائيلية شرسة، تدعمها القوى الاستعمارية الكبرى، وما واجهته فى القرن السادس الهجرى من حملات صليبية شرسة استهدفت الأماكن المقدسة، والبلاد العربية، وكان لابد من قيام وحدة عربية بين جبهتىْ: مصر والشام، وهذا ما فعله صلاح الدين وبفضله حقق النصر فى حطين. إذاً لابد من دراسة ماضينا للاستفادة منه فى حاضرنا. ألم تعمل

المجتمعات الآن على اكتشاف الموهوبين من أبنائها ووضع البرامج لتنميتهم وإثرائهم؟ أليس هذا ما كان يفعله القاضى الفاضل فى زمانه؟

خامساً-: حاجة المكتبة العربية إلى مثل هذه الدراسة؛ فقد قُدُمت دراستان عن شعر الأديبين الكبيرين، إحداهما: «القاضى الفاضل شاعرا»لرشدى الأشهب والأخرى «مقاومة الغزو الصليبى فى شعر ابن سناء» لإبراهيم نمر. وبالرغم من مكانتهما السامية فى فن الكتابة ومالهما من إنتاج وفير فيه، خلا الميدان - حسب معرفتى- من دراسة متكاملة فى هذا الشأن. ووجدت أن تحقيق «كتاب فصوص الفصول» ودراسته يُشكل لبنة فى هذا البناء فأحببت أن أسهم فيه بعمل متواضع من جهد المقل. هو تحقيق هذا الكتاب ودراسته.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن تُقَسَّم خطة دراستة إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة تلاها ثبت لمصادر ومراجع البحث، وفهارسه الفنية.

* **المقدمه**: وتتناول الموضوع وأهميته، وأسباب دراسته، وخطة الدراسة والصعوبات التى واجهت الباحث وكيف تغلب عليها.

* **التمهيد**: ويتناول إشارات موجزة عن الحياة السياسية، والاقتصادية، والعلمية والادبية ذات الصلة. بموضوع البحث.

*** الباب الأول وعنوانه: ابن سناء الملك والقاضى الفاضل؛ ويضم خمسة فصول:**

- **الفصل الأول**: ابن سناء الملك

اسمه وكنيتة ولقبه ونسبه.

أسرته التى نشأ فيها: (جده - أبوه - أمه - اخوته).

أسرته الخاصة : (زوجته - أولاده).

أين ولد؟ ومتى

خلائقه وصفاته ومذهبه الدينى: (التواضع- تقدير أساتذته وتلاميذه- الكرم - الأمانة العلمية - الشجاعة - الاعتزاز بالنفس وبالنسب - حب الوطن - أهو سنى أم شيعى)

- الفصل الثانى: ثقافته ومؤلفاته. ويضم

العوامل التى هيأت له ثقافته.

روافد ثقافته.

مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والمفقودة.

- الفصل الثالث: مذهبه الفنى ووفاته

- الفصل الرابع: القاضى الفاضل: ويضم

اسمه ونسبه　　كنيته ولقبه　　مولده ونشأته

صفاته وأخلاقه　　رعايته للموهوبين

- الفصل الخامس: ثقافته ومؤلفاته ووفاته. ويضم:-

روافد ثقافته وأنواعها.

أثر ثقافته فى أسلوبه

مؤلفاته: المحققة - المخطوطة

وفاته.

* **الباب الثانى: دراسة موضوعية لرسائل الكتاب؛ ويضم ثلاثة فصول:**

- **الفصل الأول:** تعريف بالكتاب

اسم الكتاب　　متى جمع؟

خطة التأليف ومنهجه　　مكانة الكتاب بين مؤلفات ابن سناء وما يؤخذ عليه

- **الفصل الثانى:** دراسة موضوعية لأغراض رسائل الكتاب: المدح - الهجاء - الوصف - الرثاء - الغزل - الاعتذار

- **الفصل الثالث:** مساجلات نقدية بين القاضى الفاضل وابن سناء

* **الباب الثالث: السمات الفنية العامة فى رسائل الكتاب ويضم هذا الباب:**

- **الفصل الأول:** البناء الفنى والخصائص الأسلوبية:

افتتاحيات رسائل الكتاب وخواتيمها.

القرآن الكريم فى رسائل الكتاب.

الأحاديث الشريفة والأمثال فى رسائل الكتاب.

توظيف الشعر فى رسائل الكتاب

أسلوب الكاتب مرآة ثقافته

ـ الفصل الثانى: صور البيان والبديع وظواهر اللغة فى أسلوب الرسائل. فمن صور البيان: (الاستعارة والتشبيه والكناية). ومن فنون البديع: (السجع والجناس وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتورية والطباق والإيداع وتجاهل العارف). ومن الظواهر اللغوية فى أسلوب الكتاب: (سهولة الألفاظ وجزالتها واستخدام الجمل القصيرة غالباً واستخدام الجمل الاعتراضية والنفى والاستثناء واستخدام الجمل الشرطية وكثرة استخدام حروف العطف.

ثم كانت الخاتمة التى جمعت النتائج والتوصيات التى أفرزتها مادة البحث.

ومن المعلوم أن العمل فى حقل التحقيق والدراسة تواجهه صعوبات فأما صعوبات التحقيق فقد ذكرت فى مكانها من مقدمة التحقيق. وأما صعوبات الدراسة فقد تطلبت مادة البحث العودة إلى كثير من المصادر والمراجع، منها ما هو مخطوط، ومنها ما هو مطبوع، ولا يخفى ما فى ذلك من مشقة، ثم كانت غزارة المادة العلمية التى تم جمعها واحتاجت إلى جهد ووقت لفرزها وتصنيفها ودراستها وكتابتها. وقد يسَّر الله وأعان على تذليل هذه الصعوبات بما منحنى من صبر وجلد وفهم وتصميم على تحقيق الهدف.

فإذا غامرتَ فى شرفٍ مرومٍ فلا تقنَعْ بما دونَ النجـــومِ

وإذا كان هذا مقام الاعتراف بالفضل لأصحابه، فإن الباحث والبحث مدينان بالفضل للعالم الجليل، والمحقق الثبت القدير، والأديب الذوَّاقة، والناقد العلامة الأستاذ الدكتور صلاح الدين الهادى فكم له من نعم جليلة، وتوجيهات سديدة، ولمسات فنية فريدة، وصبر وسعة صدر، فقد أشرف على الطالب والبحث، وقرأه حرفًا حرفًا، ووجه وتابع، متحملا مشقة ذلك، مقدمًا كل عون حتى انتهى البحث وتم طبعه.

والشكر الجزيل للعالم الجليل الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الحميد سالم - رئيس قسم اللغة العربية بكلية الألسن جامعة عين شمس - على قبوله الاشتراك فى مناقشة هذا العمل المتواضع، وتحملة مشقة قراءته ومناقشته.

والله ولى التوفيق

تمهيد

المؤثرات في رسائل الكتاب

١ـ المؤثرات السياسية

٢ـ الحالة الاقتصادية

٣ـ الحياة العلمية والأدبية

من الحقائق المستقرة فى الدراسات الأدبية أن الأديب ابن بيئته، يتأثر بها ويؤثر فيها، فالبيئة هى مسرح الأديب الذى يستقى منه آيات فنه، لا كما هى عليه فى الواقع بل كما رآها بوجدانه وفكره وعايشها وتفاعل معها، وعبر عنها بصدق فى ثوب موشى بالألفاظ والتراكيب والصور المتآلفة المتناسقة المعبرة المؤثرة فى النفوس، مظهراً معانى جديدة فى أشياء يراها كل الناس.

وقد مثل الدارسون لتأثير البيئة على الأديب بواقعة مشهورة تناولتها كتب الأدب العربى - قديمها وحديثها - «يقول محيى الدين بن عربى» فى «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» : حكى لنا بعض الأدباء عن على بن الجهم وكان بدويا جافيا لما قدم على المتوكل وأنشده يمدحه بقصيدته التى يقول فيها:

أنتَ كالكلبِ فى حفاظِكَ للودِّ ... وكالتيسِ فى قراعِ الخطـــوبِ

أنتَ كالدلوِ لا عدِمنَاكَ دلــواً ... من كبارِ الدِّلا كثيرُ الذنـــوبِ

فعرف المتوكل قوته ورقة مقصده وخشونة لفظه، وعرف أنه ما رأى سوى ما شبهه به لعدم المخالطة وملازمة البادية، فأمر له بدار حسنة على شاطئ دجلة فيها بستان حسن يتخلله نسيم لطيف يغذى الأرواح، والجسر قريب منه وأمر بالغداء اللطيف أن يتعاهد به. وكان يركب فى أكثر الأوقات فيخرج إلى محلات بغداد فيرى حركة الناس ولطافة الحضر ويرجع إلى بيته، فأقام على ذلك ستة أشهر والأدباء والفضلاء يتعاهدون مجالسته ومحاضرته، فاستدعاه الخليفة بعد مدة فأنشده:

عيونُ المهَــا بين الرُّصافــة والجِســرِ ... جَلَبْنَ الهوَى من حيثُ أدرِى ولا أدرِى

أعَدْنَ لِىَ الشـوقَ القديـم ولــم أكــنْ ... سلوتُ ولكن زِدْنَ جمرًا على جمـــرِ

سَلِمْنَ وأسلمـــنَ القلــوبَ كأنَّمَــا ... تُشَكُّ بأطـــرافِ المثقَّفـــة السُّمْـــرِ

وقلْـــنَ لنا: نحـــنُ الأهلَّـــةُ إنَّمـــا ... نضىءُ لمنْ يسرِى بليـــلٍ ولا نَقْـــرِى

فقال المتوكل: «لقد خشيت عليه أن يذوب رقة ولطافة» [1].

(١) ديوان على بن الجهم، تحقيق خليل مردم، ص ١٤٣ ط٣ - بيروت - ١٩٥٩م.

ولئن كان هذا يمثل تأثير البيئة الطبيعية على الأديب، فإن تأثير البيئة السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية والدينية لا يقل أثرا عن تأثير البيئة الطبيعية. وقد اقتضت طبيعة هذا البحث بيان هذه المؤثرات فى إيجاز غير مُخلّ. ومن يرد المزيد فليعد إلى المصادر والمراجع التى رصدت أحداث هذه الفترة، وهى كثيرة ومعلومة لدى الدارسين.

أولاً - الحياة السياسية:

ولد ابن سناء الملك فى منتصف القرن السادس الهجرى قبيل نهاية العصر الفاطمى الثانى، وكانت الدولة الفاطمية قد وهن عظمها «وعملت فيها عوامل الفساد، فكان خلفاؤها يتولون الخلافة صغار السن لا يملكون من أمرهم شيئاً، فكان المتصرف فى دولتهم الوزراء، والقواد، وسيدات القصر، والخدم»[١] وعاصر ابن سناء الملك من خلفاء الفاطميين الفائز بن الظافر (٥٤٩ - ٥٥٥هـ) ووزيره الملك الصالح طلائع بن رُزّيك، والعاضد الفاطمى ووزر له: رزيك بن طلائع وشاور بن مجير، وضرغام بن عامر، وأسد الدين شيركوه، ثم صلاح الدين يوسف بن أيوب ابتداء من سنة ٥٦٤هـ. ومهما قيل فى سبب اختيارالأخير لمنصب الوزارة فقد تفرغ لمواجهة مسئولياته الداخلية والخارجية معالجاً المشكلات التى واجهته. بحكمة فى هدوء وتدرج، فأبطل شعار العلويين فى الأذان: (حى على خير العمل. .) ورفع الضرائب التى فُرضت على أهل مصر، وأمر بذكر الخلفاء الراشدين فى الخطبة، وأسند إلى قضاة الشافعية مهمة القضاء بعد أن عزل قضاة الشيعة، وأنشأ مدارس لخدمة الدراسات السنية مثل المدرسة الشافعية ثم أمر الخطباء فى كل أنحاء مصر بالخطبة للعباسيين. وبهذا الحدث زالت الدولة الفاطمية الشيعية وقامت الدولة الأيوبية السنية فى مصر سنة ٥٦٧هـ.

مما سبق يمكن القول بأن ابن سناء الملك شهد ثلاثة أحداث سياسية كبرى: الغزو الصليبى، وسقوط الدولة الفاطمية الشيعية، وقيام الدولة الأيوبية السنية فى مصر وما ترتب عليه من «سيادة الفكر السنى وثورته المتمثلة فى إحياء التراث العربى الإسلامى والدفاع عن ذخائره، والحرص على الذود عن هذا التراث ضد تيارات الفكر الفارسى واليونانى . . .»[٢].

---

(١) الأدب فى العصر الأيوبى ـ د. محمد زغلول سلام ـ ص ٢١

(٢) تاريخ النقد العربى من القرن الخامس إلى العاشر، ص ١٦

«وكان لهذه الأحداث آثار بالغة الأهمية فى الأدب ونقده ذلك أن الأحداث العنيفة من شأنها أن تثير العواطف، وتبعث الانفعالات، وتدفع إلى القول. وقد رأينا أن القرن شهد دولاً تسقط وتنهض على أثرها أخرى، وملكا يزول عن قوم ليحل فى آخرين، وعقائد دينية تسيطر ثم ينهار سلطانها لعقائد أخرى تأخذ مكانها. وفى قلب بلاد الإسلام يسكن عدو لا يفتأ يغير عليها ويتربص الدوائر بها ناشرا الفزع والرعب فى نفوس أهلها. .»[1].

وقد هزت هذه الأحداث مشاعر الأدباء - كتاباً وشعراء - وأمدتهم بزاد وفير، فتباروا فى التعبير عنها على قدر مواهبهم. ولم يكن ابن سناء الملك بعيداً عن هذه الأحداث، فقد انفعل بها، وصورها تصويراً رائعاً بقلم راصدٍ يكشف عن وجدان ملتهب وفكر ثاقب ومحصول ثقافى وفير. يقول ابن سناء:

وِلِىَ قلمٌ فى أنملى لو هززتُـــهُ ... فمَا ضرَّنِــى ألاَّ أهــزُ المهنَــدَا

إذا جَالَ فوقَ الطِرسِ وقعُ صريرِهِ ... فإنَّ صليـــلَ المشرَفِىَّ لهُ صـــدَا

«وملأ صلاح الدين قلب ابن سناء الملك حباً وإعجاباً وتقديراً، فتغنى الشاعر بمجده، ومضى يسجل وقائعه وانتصاراته، ويشيد بهذه الوحدة بين مصر والشام. .»[2] «ويهنىء السلطان صلاح الدين بهذا الفتح ويعلن عن فرحته بالوحدة التى تحققت مرة ثانية بضم حلب ويؤكد عليها ويوضح أنه لا فرق بين حلب ومصر فقد أصبحتا فى بوتقة واحدة تحت حاكم واحد، يشير إلى ذلك فيقول[3]:

بدولـــةِ التُّرك عـــزَّت مِلَّةُ العـــربِ ... وبابنِ أيـــوبَ ذلَّـتْ شيعةُ الصُّلُـــبِ

وفى زمانِ ابنِ أيـــوبَ غَدتْ حلـــبٌ ... من أرضِ مصر وعادتْ مصرُ من حلبِ

ولابنِ أيـــوبَ دانَـــتْ كُـــلُّ مملكـــةٍ ... بالصَّفْحِ والصُّلْـــحِ أو بالحرْبِ والحَرَبِ

وتهز ابنَ سناء الملك «نشوةُ النصر على الأعداء حين فتح صلاح الدين بيت المقدس

(١) النقد الأدبى فى القرن السادس الهجرى، ص ١٤

(٢) الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، ص ١٩٨

(٣) شعر الجهاد فى عصر الحروب الصليبية فى مصر (٤٩٠ ـ ٦٩٠ هـ)، ص ١٤٥ وقد تم فتح حلب فى سنة ٥٧٩ هـ. انظر: ديوان ابن سناء (٢/ ١ ـ ٤).

فأنشأ القصائد - سجل فيها انتصارات صلاح الدين ويهنئه بهذا الفتح المبين وما خاض إليه من دماء الصليبيين وما سحق من ملوكهم، ومن تلك القصائد قصيدة يقول فيها[١]

لستُ أدرى بــأىِّ فتــحٍ تُهَنَّا ... يا منيلَ الإســلام ما قـد تمنَّى

كلُّ فتــحٍ يقــولُ إنِّى أولَــى ... وهو أولَى لأنَّه كــان أهنَــا

ويحث ابن سناء صلاح الدين ويغريه بإحراق صليب الصلبوت الذى يزعم الصليبيون أن المسيح صُلب عليه. يقول:

ظلَّ معبودُهم لديكَ أسيــــراً ... مُسْتَضَامًا فاجعل له النارَ سِجنًـا[٢]

وهزته نشوة النصر، وغمرته الفرحة عندما رأى ملوك الصليبيين الطغاة أسرى أذلاء لدى صلاح الدين الأيوبى، يقول ابن سناء:

وحوى الأسرُ كلَّ مَلْك يظن الدَّ ... هر يفنَى وملكـــه ليس يفنَــى

والمليــكُ العظيمُ فيهم أسيــرٌ ... يتثَنَّى فى أدهـــمٍ يتثنَّــى

واللعينُ الإبْرَنْس أصبح مذبُــو ... حًا تمنَّى لم يَعْــدِم اليومَ يُمــنَا[٣]

ولما استرد صلاح الدين عسقلان من أيدى الصليبيين سنة ٥٨٣هـ تأثر ابن سناء الملك بهذا الحدث الجلل وكتب مهنئا المسلمين به. يقول:

ولقد أعـــدتَ لعسقــلانَ رُوحَــهُ ... ورفعتَ شاهقَـــهُ وكــان مُدَمَّراً

وأدمـــتَ راحتَــهُ فدمــتَ مُخَلَّدا ... وعمَّـــرتَ ساحَتَهُ فعشْتَ مُعمَّراً[٤]

وكما هزته نشوة النصر على الصليبيين زلزلته الآلام عندما استرد الصليبيون بعض المدن من أيدى المسلمين عنوة سنة ٥٨٧هـ كعكا كتب فى ذلك معزيا: «وينهى أن الداهية التى أعْمَت وعمَّت، وأصْمَتْ وأصمَّت، ودهت الإسلام ودهمته، وثغرت ثغرة وهتمته. .»[٥]

---

(١) النقد الأدبى فى القرن السادس الهجرى، ص ١٥ انظر ديوان ابن سناء (٢/ ٣٤٠).

(٢) ديوان ابن سناء الملك: ٢/ ٣٤٢.

(٣) السابق: ٢/ ٣٤٢، ٣٤٣.

(٤) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٤٩

(٥) انظر: نص الرسالة فى فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٦٠ ـ ١٦٤

مما سبق يتضح أن ابن سناء الملك عايش أحداث عصره، وانفعل بها، وعبر عنها فى شعره ونثره تعبيراً صادقاً «فقد سجل معارك صلاح الدين وخلفائه من الأيوبيين وقواده المختلفين وانتصاراتهم على الصليبيين وما أنزلوه بهم من هزائم لا تبقى ولا تذر. وإذا كان المتنبى سجل فى أشعار له معارك سيف الدولة مع البيزنطيين فى قصائد بديعة سميت بالسيفيات فإن ابن سناء الملك بدوره سجَّل فى أشعاره معارك الأيوبيين مع الصليبيين وأمجادهم الحربية فيها، بحيث يحق لتلك الأشعار أن تُسمَّى بالأيوبيات».[1]

وحين نستبطن أدب ابن سناء الملك، ونسبر غوره، سوف نرى أن ابن سناء الملك كان يصدر عن روح مصرية أصيلة تجلت فيها سمات الشخصية المصرية فى أبهى معانيها: تدين وسهولة وحب للوطن وارتباط بتراثه وتمجيد لقادته وإشادة بانتصاراتهم ووصف معاركهم، ليلهب النفوس ضد الصليبيين فيهبَّ الجميع صفا واحدا لمقاومتهم وطردهم. وبتسخيره مشاعره وقلمه لهذه المهمة الجليلة يكون قد أدى رسالته الوطنية والقومية تجاه العروبة والإسلام.

(١) فصول فى الشعر ونقده، ١٧٤

ثانياً - الحالة الاقتصادية:

كانت مصر في العصر الأيوبي غنية، يأتيها المال من موارد عدة، فقد كانت تمتلك ما ورثته عن الفاطميين من كنوز، وكانت تصلها الجزية من كثير من الإمارات كما كانت تجبى من الشعب الضرائب المعتادة، يضاف إلى كل هذا ما اغتنمته الدولة في حروبها من أسلاب المدن المحتلة وفدية الأسرى»[١].

و«لما اعتلى صلاح الدين كرسي السلطنة، قلل من النظام الإقطاعي الذي ساد طريقة امتلاك الأراضي في العهد الفاطمي، وحطم بذلك استغلال أمراء الإقطاعات وقوى الحكومة المركزية، وكان لهذا أكبر الأثر في نشاط الحالة الاقتصادية في البلاد . .»[٢].

وعلى الرغم من هذا، كانت تحدث هزات اقتصادية عنيفة قد تودي بالكثيرين، وتؤدي إلى المجاعات وانتشار الكساد. .[٣] فالعصر عصر حروب صليبية شرسة، وهذا يتطلب توجيه جزء كبير من إيرادات الدولة لتجهيز الجيوش وبناء القلاع والأسوار ف «في سنة ٥٧٢هـ أمر صلاح الدين ببناء السور الكبير المحيط بمصر والقاهرة في البرّ. وطوله تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاث مائة ذراع بالقاسمي. فلم يزل العمل فيه إلى أن مات صلاح الدين. وأنفق عليه أموالاً لا تُحصَى. وأمر أيضاً بإنشاء قلعة الجبل. .[٤].

وكانت ظواهر الطبيعة «تحمل إلى الناس في بعض السنين آلاما وأزمات قاسية، فقد كان النيل يتوقف عن الزيادة في بعض السنين. .»[٥] مما يترتب عليه «انخفاض النيل في مصر وعدم سيطرة الحكومة على تصريفه، لانعدام الوسائل والمعرفة العلمية بأصول الري في بلد جل اعتماده على الزراعة. .»[٦] كما حدث في سنة ٥٩٦هـ «فقد اشتد الغلاء، وعدمت الأقوات، وشرع الوباء، وعظم الخطب. . .»[٧].

---

(١) مصر في العصور الوسطى لعلي إبراهيم حسن، ص٤٩٠.

(٢) السابق، ص ٤٩٠

(٣) الأدب في العصر الأيوبي، ص ٩٥.

(٤) العبر في خبر من غبر، للذهبي: ٣/ ٦١

(٥) شعر الحماسة ودوره في الحروب الصليبية لمحمد عرفة حامد، ص: ٢٨

(٦) الأدب في العصر الأيوبي، ص ٩٥

(٧) العبر في خبر من غبر ٣/ ١١٤

وعن نقص النيل والغلاء قال ابن سناء الملك فى رسالة وقصيدة بعث بهما إلى القاضى الفاضل عند وصوله إلى القدس متوجهاً إلى مصر يهنئه بالقدوم.: «وكان النيل قبل قدومه قد نقص نقصاً كثيراً، فنزع السعر إلى الغلاء، وغلت الغلة، فلما توجه إلى الديار المصرية عائداً، زاد النيل ورخص السعر. وقال:

بكتْ مصرُ بالنيل لمّا طغَــى ... قديماً وغرَّقَ أعلى الكُتُــب
وتفنى الدموعُ لطول البكــا ... ءِ فالنيلُ فى عامنا قد نَضَب
وأصبحتْ الأرضُ مُحمــرَّةً ... وعن مائها بُدِّلت باللَّهَــب
وقد قُتِل الخصبُ فى تُربها ... فمحمرةٌ بالدماءِ اختَضَــب
وخافَ البريةُ موتَ الصَّدَى ... وألا يقيموا بموتِ السَّغَــب
فمذ عــادَ وأروَى البــلادَ ... وأعتَب بالرِّى من قد عتَب
فأنقذنَــا اللهُ بعــدَ الـردَى ... وسلمنّا اللهُ بعدَ العطــب[1]

وأشار القاضى الفاضل إلى الغلاء وقسوته فى قوله: «... ثم دُفِعتُ إلى ما كنت أنسيتُه من الأشغال المستوعبة للّيالى الطوال، وأيامه التى هى قصيرة مع مقاساة الغلاء، وتحمُّل الأثقال، ومع تكاليف يضيق بها صدر المسؤول ولا تتسع لها بيوت الأموال. .»[2].

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٨٩. وانظر: ديوان ابن سناء ٢/ ٤٤.
(٢) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

ثالثاً – الحياة العلمية والأدبية:

ازدهرت الحياة العلمية والأدبية فى مصر الفاطمية، وقد ساعد على ذلك عدة أسباب، منها: أن الخلفاء الفاطميين احتضنوا العلماء والأدباء والكتّاب وشجعوهم وأغدقوا عليهم العطايا ليكونوا عونا لهم فى نشر مذهبهم الشيعى فى مصر، وجعْل مصر حاضرة ثقافية عظمى تنافس «بغداد» حاضرة العباسيين، ولهذا سعوا لجلب الكتب من كل مكان، وبنوا دار الحكمة والمكتبة الكبرى بالقصر «وكانت من عجائب الدنيا لأنه لم يكن فى جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من الدار التى بالقاهرة فى القصر. ومن عجائبها أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبرى، ويقال إنها كانت تحتوى على ألفىْ ألف وستمائة ألف كتاب. وحصل للقاضى الفاضل قدر كبير منها حيث شغف بحبها. .»[1].

ومنها: كثرة علماء مصر من أبنَائها ومن الوافدين عليها وتلاقُح أفكارهم فى مناخ ينعم بالرخاء والأمان والتشجيع، فأنجبت كثيراً من المؤلفات فى كل علم وفن.

ومنها: عناية الفاطميين بديوان الإنشاء فقد كان الوزراء فى العصر الأول من الحكم الفاطمى يختارون من رؤساء ديوان الإنشاء.

ومن تلك الأسباب «الأعياد التى كان يعنى بها الفاطميون سواء منها الأعياد الإسلامية والأعياد المسيحية. وقد زادت هذه الأعياد فى مباهج الشعب المصرى وأشعرته بكرم الخلافة الفاطمية.»[2].

فى ظل هذه الحياة العلمية والأدبية نبتت الجذور الثقافية ـ السنية ـ للأديبين الكبيرين: القاضى الفاضل وابن سناء الملك، ثم نمت وآتت ثمارها فى العصر الأيوبى الذى ازدهرت فيه الحياة العلمية والأدبية بمصر لجملة أسباب منها: أن سلاطين الأيوبيين اهتموا بالعلم والتعليم حيث «لا نصادف ملكاً من ملوك هذه الدولة الأيوبية أو أميرا من أمرائها قليل العناية بالعلم والاحتفاء بالأدب. بل أوشك أن يكون كل واحد من هؤلاء إما شاعراً، أو فقيها، أو محدثاً، أو نحوياً، أورجلاً ذا تصانيف علمية أدبية. لا نكاد نستثنى من ملوك الأيوبيين غير الملك الصالح نجم الدين أيوب الذى وصفه المؤرخون بأنه كان ذا طبيعة

(١) كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين، لأبى شامة المقدسى، ١/ ٥٠٧.

(٢) الأدب المصرى من قيام الدولة الأيوبية إلى مجىء الحملة الفرنسية، ص ٥٧.

عسكرية لم تساعده كثيراً على أن يكون ذا ميل إلى العلم أو الأدب. ومع هذا وذاك فإن هذا الرجل لم تمنعه طبيعته هذه من بناء المدارس. فبنى المدرسة الصالحية عام ٦٣٩هـ أما السلطان صلاح الدين مؤسس الدولة الأيوبية، والذى أفنى حياته فى محاربة الصليبيين فلم تمنعه هذه الشواغل الكثيرة عن العناية بعلوم الدين. والسعى لتحصيلها بنفسه. فكان يذهب لسماع الدروس الدينية من الأئمة المشهورين كالحافظ السلفى والشيخ أبى طاهر بن عوف. . ، وكان يستحسن الأشعار الجيدة، ويكثر من ترديدها فى مجالسه. ، بل إن صلاح الدين كان له فوق حبه للشعر ورغبته في حفظه قدرة كذلك على تذوقه ونقده. قيل إن العماد الأصفهانى عرض عليه يوماً ما بضع أبيات فى وصف المشمش منها قوله:

بدَتْ بينَ أوراقِ الغصونِ كأنَّهَا كراتُ نضارٍ فى لجينٍ مطــرَّقِ

فقال له السلطان: تشبيه الورق باللجين غير موفق؛ لأن الورق نفسه أخضر. قال العماد: كرات نضار بالزمرد محدق. فقال: لا بأس»[1].

ومما يحمد لصلاح الدين فى هذا الميدان أنه أنشأ مدارس في مصر لإزالة الدولة الفاطمية والقضاء على مذهبها الشيعى الإسماعيلى، ونشر المذهب السنى، وتعبئة وإعداد العقول والمشاعر لتكون جيشاً قوياً فى مواجهة الحروب الصليبية سيفه قلمه ولسانه. وهذه المدارس هى: المدرسة الناصرية (شافعية) والمدرسة القمحية (مالكية) والمدرسة الصلاحية (شافعية) والمدرسة العادلية (مالكية) والمدرسة السيوفية (حنفية). وأسهم كبار رجال الدولة الأيوبية فى هذا الميدان فأنشأ القاضى الفاضل المدرسة الفاضلية (شافعية مالكية).

ومن الأسباب التى أدت إلى ازدهار الحياة العلمية والأدبية فى ظل الدولة الأيوبية أن رجال الفكر والأدب لقوا «فى رحاب ملكهم كل تقدير وإجلال، وقُدِّموا على غيرهم فى المجالس، واتُّخِذَ منهم الوزراء والمستشارون والأمناء كالقاضى الفاضل والعماد الأصفهانى والقاضى ابن شداد وغيرهم. ولقى الشعراء فى ظلهم تشجيعاً كبيراً، ووجدوا فى حروبهم وانتصاراتهم مجالاً واسعاً للمديح والثناء، ووصف المعارك والتحدث عن البطولات»[2].

(١) انظر: الأدب المصرى من قيام الدولة الأيوبية إلى مجىء الحملة الفرنسية، ص ٢٩، ٣٠، ٥٨، ٥٩ (بتصرف).

(٢) الحافظ أبو طاهر السلفى، ص ٧٦.

وكان من ثمار هذه النهضة العلمية والأدبية نبوغُ عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء، منهم: القاضي الفاضل وابن سناء الملك، وابن برى[١]، والعماد الأصفهاني، والأسعد بن حماتى، الشاعر العالم، وابن النبيه المصرى، وعلى بن ظافر الأزدى، وعمر بن الفارض.. إلخ، وظهور المؤلفات الدينية فى الفقه والحديث وتفسير القرآن الكريم، والمؤلفات الأدبية العظيمة فى ثوبها الموشى بالمحسنات البديعية الرائعة التى تُعدُّ سمة بارزة من سمات أسلوب العصر الأيوبى.

ومن خلال ما سبق يتبين أن «هذا النشاط العلمى يدين بوجوده لعوامل ثلاثة متعاونة، أولها: كثرة المدارس وتنوعها، وثانيها: الهيئة الحاكمة من سلاطين وأمراء وأتباع للأمراء أو السلاطين..، وثالثها: جماعة العلماء»[٢].

* * *

(١) تأتى ترجمته عند الحديث عن شيوخ ابن سناء.

(٢) الحياة العلمية فى مصر الشام، د. محمد حلمى محمد ـ طبعة ١٩٧٥، ص ٥.

الباب الأول

ابن سناء الملك

والقاضي الفاضل

الفصل الأول

ابن سناء الملك

أسرته ومولده

* اسمه وكنيته ولقبه ونسبه
* أسرته التي نشأ فيها (جده ـ ابوه ـ أمه ـ أخوته)
* أسرته الخاصة (زوجته ـ أولاده)
* أين ولد؟ ومتى؟

اسمه: هبة الله

اعتمد الباحث فى تحديد اسمه على مصدرين: الأول الكتاب المحقَق. والثانى المصادر الأصيلة التى ترجمت له.

جاء فى صنحيفة عنوان الكتاب المحقق: كتاب فصوص الفصول وعقود العقول، مصنف هذا الكتاب القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله. .» ولم أعثر على نص آخر لابن سناء الملك يذكر فيه اسمه؛ لأنه عُرِف بكنيته واشتهر بها فغلبت على اسمه.

واتفقت المصادر الأصيلة[١] التى ترجمت له ـ ووفقنى الله لقراءتها ـ على أن اسمه: هبة الله.

لقبه:

ثبت من عنوان الكتاب المحقق ونصوصه وإجماع المترجمين الذين ترجموا لابن سناء أنه لُقِّب بالقاضى السعيد» ومما يؤيد ذلك من نصوص الكتاب ـ وهى كثيرة ـ :

من رسالة للقاضى الفاضل إلى ولده القاضى الأشرف: «تعرف القاضى السعيد وصول كتابه المعطوف على الفائية الوفائية. .»[٢].

---

(١) انظر: خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر)، للعماد ١/ ٦٤، معجم الأدباء لياقوت ٥/ ٥٨١، التكملة لوفيات النقلة، للمنذرى ٢/ ٢٣١، وفيات الأعيان، لابن خلكان ٦/ ٦١، سير أعلام النبلاء، للذهبى ٢١/ ٤٨٠، مرآة الجنان، لليافعى ٤/ ١٧، النجوم الزاهرة، لابن تغرى بردى ٦/ ٢٠٤، حسن المحاضرة، للسيوطى ١/ ٥٦٥، شذرات الذهب ٥/ ٣٥، إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون، ص ١٩٢، هدية العارفين ٦/ ٥٠٦.

(٢) فصوص الفصول، ص ٥٥.

ومن رسالة أخرى إلى القاضى الأشرف: «وأما اعتذارك عن معلمك القاضى السعيد..»[١]. ومن رسالة أخرى إلى القاضى الرشيد «وأما كتاب القاضى السعيد فقد وقفت عليه قبل كل كتاب وصل فى هذه النوبة»[٢].

وانفردت صحيفة عنوان مصورة الأسكوريال - التى رمز لها الباحث بالرمز (س) - بذكر لقب ثان له هو «عز الدين» ونص ما جاء فى هذه الصحيفة «كتاب فصوص الفصول وعقود العقول من كلام الفاضل جمع القاضى الأجل العالم الأوحد السعيد عز الدين».

وذكر ابن سناء الملك لقبه فى بيت له من قصيدة يذكر فيها الخلع السلطانية عليه، قال:

كنتُ أُسمَّى السعيد قدمًا محالاً ومن اليومِ صحَّ أنِّى السعيدُ[٣]

ولقب «القاضى السعيد» من نتاج بيئته التى نشأ فيها فمن المحتمل أنه اكتسبه من جده وأبيه فكلاهما لقب بالقاضى، أو أنه مُنحَهُ لأنه كاتب مبرز فى ديوان الإنشاء. أما «السعيد» فلأنه نشأ فى أسرة ثرية مترفة وحظى بعناية القاضى الفاضل ورضى الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى عنه.

كنيته:

كنى «بأبى القاسم» ومن عادة العرب حب الكُنَى وربما يكنى شخص بما ليس له؛ لذا قال القائل: «لها كنية عمرو وليس لها عمرو».

وقد جرت عادة العرب فى الكنية أن يكنَى الإنسان باسم ابنه الأكبر ويبدو أن ابن سناء اكتسب كنيته هذه من هذه الناحية وإن لم يعرف بطريق اليقين أسماء أولاده؛ لأن المصادر التى ترجمت له لم تتعرض لهذه الناحية.

وقد ذكر ابن سناء كنيته فى بيت له، فقال:

أنا أُكنَى بقاسمٍ ولهـذَا صرتُ أولَى بهِ لأنِّى أبوهُ[٤]

ويُكنى - أيضاً - «بابن سناء الملك» نسبة إلى جده، وهى التى اشتهر بها، وغلبت على اسمه. فُهِمَ هذا من تعليق ابن سناء الملك على رسالة من القاضى الفاضل، منها: «وتضمن

(١) السابق، ص ٦٧

(٢) السابق، ص ٩٨.

(٣) ديوان ابن سناء ٢/ ٨٣.

(٤) السابق ٢/ ٤٨٦.

الكتاب السعيدى موشحا فارسيةٌ خَرجَتُه، عربية لهجته، واضحة فى تعجيز السابقين حجته، وقد صح بهذه الموشحة أنه شيخ الطريقة والسنائى على الحقيقة..»(١) وعلق عليها بقوله: «وورى بقوله: السنائى على الحقيقة بنسبى إلى جدى سناء الملك ـ رحمه الله ـ وهذا من معجز الاتفاق..»(٢).

نسبه :

هو هبة الله بن القاضى الرشيد أبى الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك أبى عبد الله محمد بن هبة الله بن محمد السعدى المصرى.

أسرته التي نشأ فيها: (جده ـ أبوه ـ أمه ـ أخوته)

«كانت الأسرة ولاتزال أقوى سلاح يستخدمه المجتمع فى عملية التطبيع الاجتماعى ونقل التراث الاجتماعى من جيل إلى جيل. وقد أجمعت تجارب الناس ودلت تجارب العلماء على ما للتربية فى الأسرة من أثر عميق خطير يتضاءل دونه أثر أية منظمة اجتماعية أخرى فى تعيين الشخصيات وتشكيلها. .»(٣)، «ومهما تكن حالتها ومستواها فوظيفة الأسرة هى طبع الطفل بالطابع الثقافى العام للمجتمع فى حدود ثقافتها الخاصة، ووسطها الاجتماعى الخاص. وظيفتها توجيه نمو الطفل فى اتجاهات خاصة داخل إطار عام من القيم والأفكار والمعتقدات والمعايير الخلقية والروحية الشائعة بين السواد الأعظم من أفراد المجتمع»(٤).

نشأ ابن سناء الملك فى أسرة محافظة على عقيدتها، ثرية بالمال والعلم والأخلاق، وكان لهذه الأسرة مكانة سامية يدل على ذلك لفظ القاضى الذى لقب به جده ووالده، اللذان كانا يعملان فى ديوان الإنشاء أيام الفاطميين وفى ظل الأيوبيين، وحظى بمكانة عالية لدى القاضى الفاضل فكان ينيبه عنه أثناء سفره مع السلطان صلاح الدين الأيوبى. كما نالت هذه الأسرة حظاً وافراً من الثراء يدل على ذلك قول ابن سناء الملك فى وصف بستان أهداه له والده شبهه بالجنة ولو ملكه آدم بعد خروجه منها، لم يحزن ولم يصبه كمد: بل لو طمع الكافر أن ينال مثله يوم القيامة لآمن بالله.

(١) فصوص الفصول، ص ٩٥

(٢) السابق، ص ٩٥

(٣) أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ٥١٧، ٥١٨.

(٤) السابق، ص ٥٢١.

جنـــةُ ملــكٍ حيـنَ ملكتُـــهَا شككتُ فى أنِّــى لــمْ أخلــدِ
لو حلَّهَـــا آدمُ مــن بعــدِ مــا أخرجَ لـم يحـــزنْ ولم يكمدِ
أو طمَـعَ الكافـــرُ فى مثلِهَـــا فى الحشرِ لمْ يكفرْ ولمْ يجحدِ[1]

وقوله يشكر والده على الفندق الذى وهبه له[1]:

أنَى لِى النقـــصُ إنَّ مجـــدَ أبِى ســـامٍ كمـــا أنَّ قـــدْرَه سامِـــقْ
هــو الرشيـــدُ الذى رئاستُــــهُ سارتْ بلا زاجــرٍ ولا سائــــقْ
يكنى أبا الفضلِ فهو يعشقُ شخـ ــصَ الفضلِ والمرءُ لابنِه عاشِقْ

وقال[٣]:

يا مَســنْ بإنعامِــــه ونائلِـــــــه أنقضَ ظهرِى وأثقلَ العاتِــــقْ
أقطعتَنِى وســـطَ بلدتِى بلـــدًا سُـــر بـــه كـــلٌ رامِــقٌ وامِـــقْ

ولم يشغله هذا النعيم ولا ذاك الثراء عن الآخرة. قال فى منظرته المطلة على النيل:

انظر إلى المنظرة الناضرة تزهو مثل الزهرة الزاهرة
أحسنُ ما فى حُسنِهَا أنَّها الدنيــ ـــا وما الهَـــتْ عن الآخِـــرَةِ[٣]

أما الناحية العلمية فيدل عليها عمل جده ووالده فى ديوان الإنشاء، وثناء القاضى الفاضل عليه وتكليفه بتعليم وتدريب ولده القاضى الأشرف، ويفهم كذلك من نص رسالة للقاضى الفاضل بعث بها إلى ابن سناء الملك يستطلع أخبار ولده القاضى أبى الحسن. يقول القاضى الفاضل: «وأنا متطلع إلى أخبار القاضى أبى الحسن ولد القاضى السعيد - أنماه الله - فأريد أن يعرفنى ماذا يشتغل به وما أسفر طبعه عنه فلا عذر لابن السرى الا يسرى، ولمن ولد بين مصحف وكتاب ألا يَقرَى أو يُقرَى فأريد أن أرى خطه؛ لأعرف قدر اهتمام والده به»[٥].

---

(١) ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٧١.

(٢) ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٢١٠

(٣) السابق، ص ٢/ ٢١١

(٤) السابق، ص ٢/ ٥٨٦.

(٥) فصوص الفصول، ص ٢٤١

هذه الأسرة التى عرفت طريقها إلى المجد لم تنل حظها من الدراسة فى المصادر الأدبية والتاريخية قديمها وحديثها، ربما لأن شهرة نجلها وشاعريته جذبت الأنظار إليه، ولأن المترجمين والمؤرخين كانوا يركزون على المترجم له، ولذا اعتمد الباحث فى حديثه عن هذه الأسرة على ما ذكره ابن سناء عنها، وعلى النتف التى ذكرت فى بعض المصادر عن أحد أفرادها.

لقد حدد ابن سناء الملك أفراد أسرته التى نشأ فيها فى بيت له من قصيدة فى رثاء جماعة من أهله، قال:

دفنتُ أهلِى كلهمُ برغمِى ... اخِى وأختِى وأبِى وأمِّى
وكم دفنتُ غير ما أُسمِى ... من رفقةٍ مثلَ بدورِ التِّمِ[١]

أما أخوه وأخته فقد استشار الباحث المصادر المثبته فى ثبت المراجع فلم تخبره بشىء عنهما سوَى ما ذكره ابن سناء فى رثاء أخيه. قال يرثى جماعة من أهله:

وفيهمُ أخٌ لِى كان رُوحِى وراحَتِى ... كما أنَّهُ قدْ كانَ رَوْحِى ورَيْحانِى
برغمِى أودعتُ الثرَى منهُ مهجةً ... معظمةَ المقدارِ عاليةَ الشانِ
شقيقِى ولكنِّى شققْتُ لهُ الثرَى ... ووسدتُهُ ما بينَ صبرِى وسلوانِى[٢]

وأما جده «محمد بن هبة الله» المعروف ب«سناء الملك» فقد كان «ذا مكانة فى الدولة الفاطمية وقد لقبه بذلك اللقب حسين بن بدر الجمالى»[٣] وقد تحدث ابن سناء الملك عن جده فى موضعين:

الأول «وقوله[٤] رحمه الله - هو شيخ الطريقة، والسنائى على الحقيقة إشارة إلى السنائى الشاعر الفارسى. . .وورى بقوله: السنائى على الحقيقة ينسبى إلى جدى سناء الملك. .»[٥].

ويفهم من هذه التورية أن جده كان أديباً بليغاً يؤيد ذلك عمله فى ديوان الإنشاء.

(١) ديوان ابن سناء ٢/ ٥٢٠.

(٢) السابق، ٢/ ٥٢٣.

(٣) شعر الحماسة ودوره فى الحروب الصليبية، محمد عرفه، ص ٢١٢

(٤) الضمير فى: «قوله» يعود على القاضى الفاضل.

(٥) فصوص الفصول، ص ٩٥

الثانى: من رسالة لابن سناء الملك إلى القاضى الفاضل: «قلت: كان جدى ـ رحمه الله ـ قد توفى وأنا مريض فى شهر رمضان سنة ثمانين وخمسمائة وعمره ست وتسعون سنة فشيعت جنازته متحاملا وعدت منها محمولاً ..»(١).

وقد حدد النص وفاة جده وعمره وبناء على ذلك يكون مولده فى سنة ٤٨٤ هـ تقريباً.

ومن دراسة مرثية ابن سناء فى جده يمكن تحديد بعض ملامح شخصيته فهو مؤمن تقى ورع، يصل رحمه، كريم، حسن السيرة.

يقول ابن سناء:

لم تنسَ فى جنةِ الفردوسِ ذكرهُمُ ... وأنتَ مازلتَ لا تنسى ذوى الرَحمِ
وقد حفظتَ عليهِم عـادةً لهُـم ... حاشَا لمثلكَ ينسى عـادةَ الكـرمِ
لقيـتَ ربكَ مشغـولاً برؤيتـهِ ... فما التفـتَّ إلى حورٍ ولا خـدمِ
خمسًا وتسعينَ تسعَى فى عبادتـه ... لم تشكُ من ملـلٍ فيهَا ولا سَـأمِ
قد انحنَى الظهرُ وانهـدَّتْ قوائمُهُ ... مـن الركُـوعِ إليهِ لا من الهِـرَمِ

إلى أن يقول:

يا راحـلاً وجميـلُ الذكرِ يخلُفُـهُ ... بقاءُ ذكـركَ مَسْلاةٌ عن العـدمِ(٢)

كما كان جده زاهدا حكيماً. يقول ابن سناء:

كمْ قامَ غيرُك للدنيَا وقـد قعـدتْ ... عنهُ وقامَتْ لكَ الدنَيا فلـمْ تقُـمِ
زُهدًا دعتْكَ إليهِ حكمـةٌ شهـدَتْ ... بأنَّ طبعكَ مفطـورٌ على الحِكَـمِ(٣)

ولابد أن يكون ابن سناء الملك قد تأثر بكل هذه الخصال الحميدة التى نشأ فى أحضانها وقد أعلن ذلك فى قوله:

خلفتُ أحدوثـةً حسـناء طيبـة ... وتلـك إرثٌ ولكـن غـير مقتَسـمِ
بلَـى لقدْ ورثْنَا المجـدَ أجمعَـهُ ... صنائعٌ لكَ عند العـربِ والعجـمِ(٤)

(١) السابق، ص ٢١١

(٢) ديوان ابن سناء ٢/ ٥١٨.

(٣) السابق، ٢/ ٥١٩.

(٤) السابق ٢/ ٥١٨.

والده:

حدد ابن سناء في شعره اسم والده ولقبه وكنيته.

فاسمه: «جعفر» كما في قوله:

إنْ تَسَلْ عنهُ أو تسلـهُ إذا جئْـــــ ـــــتَ فهو الرشيـدُ وجعفـــرُ[1]

وحدد لقبه وكنيته، فقال:

هو الرشيــدُ الـذى رئاستُـــــهُ سارتْ بـلا زاجـرٍ ولا سائـــــقْ

يكنَى أبا الفضلِ فهو يعشقُ شخـ ـــصَ الفضلِ والمرءُ لابنهِ عاشـــقْ[2]

جاء في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك: «قال القاضي الفاضل فيه: ونعم الصاحب الذي لا تخلفه الأيام، ولا يعرف له نظير من الأقوام، أمانة سمينة، وعقيدة متينة، ومحاسن ليست بواحدة، ومساع في نفع المعارف جاهدة، وكان حافظاً لكتاب الله، مشتغلاً بالعلوم الأدبية، كثير الصدقات - نفعه الله - والأعمال الصالحات عرفه الله بركاتها»[3].

ويصور هذا النص القاضي الرشيد راهباً في محراب العلم، سباقاً إلى المحاسن، أديباً بليغاً، وفوق كل ذلك حافظاً لكتاب الله وهو كنز البلاغة الذي لا ينفد.

ويصور ابن سناء والده أديباً مبدعاً، فيقول:-

إنْ امتطَى القلـمَ العالِي أناملُـــهُ أبدَى الجواهرَ من مكنونِ حكمتِهِ

وينْبُتُ الطرسُ روضًا من أناملِــهِ يكادُ يبدو جنَــاهُ قبــلَ منبتِـــهِ

ما أظهرَ اللهُ هذا الفضلَ في بشرٍ إلا وأودعَ ســراً في سريرتِـــــهِ[4]

وهو قاضٍ، سباق إلى المعالي، كريم:

---

(١) السابق، ٢/ ١٤٧

(٢) ديوان ابن سناء ٢/ ٢١٠

(٣) السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي ١/ ١٣٩

(٤) ديوان ابن سناء ٢/ ٥٠.

يسبقُ الخلقَ في طريقِ المعالي وجرَى كلٌّ من جرَى فتعثَّرُ
هو قاضٍ وما سمعنَا بقاضٍ حولَهُ من نداهُ جندٌ وعسكرُ
وإذا بارزَتْ أياديهِ قرنَ الـ ـفقرِ فَهُوَ المهزومُ وهي المظفرُ(١)

وهو تقي ورع مخلص في عبادته لله:

ولئنْ أشبَهَ الكرامَ قديماً فهْو أتقَى منهمُ وأنقَى وأطهَرُ
ورعٌ إنْ تقلْ لهُ النفسُ خذْ هـ ـذا - وحاشَاهُ منهُ - قال لهَا ذرْ
وصيامٌ في كلِّ يومٍ هجيرٍ يترِكُ الماءَ جمرةً تتسعرُ
ونعيمُ الدنيا إنْ لمْ تصلْهُ بنعيمِ الأخرَى نعيمٌ مكدَّرُ(٢)

وهو صبار لكل عظيمة، حازم عند كل ملمة. يقول ابن سناء:

وقد كنتَ صباراً لكلِّ عظيمةٍ إذا قيلَ فيها ليسَ للدهرِ صبَّارُ
وقد كنتَ عند النفعِ والضرِّ حازماً فللخلِّ نفَّاعُ وللضدِّ ضرَّارُ(٣)

لقد تأثر ابن سناء الملك بوالده وأفاد منه الكثير فهو معلمه الأول الذى رباه وحرص على تعلمه منذ صغره، وهيأ له حياة سعيدة، وقد أشار ابن سناء إلى هذا فى قوله:

بكَ أصبحتُ أنعمَ الناسِ بالاً زمنى أبيضُ وعيشى أخضرُ
وإذا أظمَأ الزمانُ شفاهِى كنت بحراً تفيضُ دراً وجوهرُ(٤)

كما «سعى به والده عند القاضى الفاضل ليوليه بعض المناصب. ويدفع به مدارج الرقى، ويظهر أن هذا الأمر كان مادة يصوغ منها حساد ابن سناء الملك أهاجيهم فيه كما يبين فى شكواه إياهم للقاضى الفاضل»(٥). فمن قصيدة له فى مدح القاضى الفاضل:

(١) السابق ٢/ ١٤٦
(٢) السابق ٢/ ١٤٧، ١٤٨
(٣) ديوان ابن سناء ٢/ ٥١١.
(٤) السابق ٢/ ١٤٨
(٥) ملامح الشخصية المصرية فى الدراسات البيانية فى القرن السابع الهجرى، ص ٣٥٠.

تقولُ أعــادِى لولاَ أبــوكَ ... لما كنتَ تدخلُ ذاكَ الحــرمِ
وكنتَ القصيَ وكنتَ البعيدَ ... وكنتَ من العالمِ المهتضــمِ[١]

قال ابن خلكان فى وفياته: «رأيت بخط بعض أصحابنا ممن له عناية بهذا الفن أنه توفى يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين ومولده منتصف شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائه، والله أعلم»[٢].

والدته:

من خلال ما كتبه ابن سناء الملك فى والدته يمكن تحديد بعض ملامح شخصيتها فهى قوية الإيمان حسنة السيرة، كثيرة الصدقات، ذكية عفيفة.

قال ابن سناء فى رثائها:

هى مَنْ قدَّمتْ لها حسنــاتٍ ... تقتضى غرسها رجاء الحبــاء
أتعبتْ كاتبَ اليمينِ فكم أغـ ... ـفل إثباتَهَــا مــن الإعيــاء
تنفقُ العمرَ فى اكتسابِ ثـوابٍ ... لمآب لا لاقتنـــاءِ ثنـــاء
وترى مشترِى العلاءِ رخيصًــا ... ولو انَّ العلاَ بأغلَــى الغــلاء
ولقد خلَّفتْ أحاديثَ تغنى الـ ... أنفَ عن نشرِ روضـــةٍ غنَّــاء
خضــرٌ مع ديانـــةٍ وذكــاءٍ ... فى زكــاةٍ وعفـــةٍ مع سخاء[٣]

كان ابن سناء الملك نبتاً لهذه الأسرة التى أوتيت مع قوة العقيدة، واستقامة الخلق، وحب العلم، وسمو المكانة، وثراء المادة «حكمة التوجيه، وفطنة الرعاية، وحسن إدراك حاجات الطفل. . .»[٤] وهذا كما يقول علماء النفس «وسط مشبع منبه مستجيب، يشبع حاجاته على تنوعها، وينبه قدراته على كمونها، ويستجيب لأفعاله على غناها. فالوسط المثرى نفسيا للطفل شرط صحة النمو بل هو حق كمال النمو عند الطفل»[٥].

---

(١) ديوان ابن سناء ٢/ ٣١٩.
(٢) وفيات الأعيان، لابن خلكان ٦/ ٦٦
(٣) ديوان ابن سناء ٢/ ٤٩٢
(٤) الإثراء النفسى د. سعيد أحمد عثمان، ص ٥.
(٥) السابق، ص ٧.

أسرته الخاصة: زوجته وأولاده

لم تذكر كتب التراجم التى كتبت عن ابن سناء شيئا عن أسرته الخاصة؛ لأن الحديث عن المترجم كان المحور الأول للمترجم وباستشارة كتاب «فصوص الفصول وعقود العقول» أخبرنى بمعلومات عن هذه الأسرة. فهى مكونة من أب وأم وثلاثة أولاد وبنت. لم يُذكر واحد باسمه إلا ولده. «أبو الحسن» ويفهم من كنية ابن سناء «بأبى القاسم» أنه ولده الأكبر أما الثالث فلم يذكر عنه شيء.

وقد صرح ابن سناء بعدد أولاده الذكور فى قوله:

«وولد ثلاثة مماليك له كل منهم مفتخر بمملكته وملكته. ولم يظفر بهذه السعادة واحد غير المملوك الصغير. .»[1]. ويشير هذا النص إلى أنهم من أصحاب المواهب العالية بدليل افتخارهم بها.

والمملوك الصغير هو ولده «أبو الحسن». ومن خلال الرسائل المتبادلة بين القاضى الفاضل وابن سناء الملك يمكن تحديد بعض ملامح شخصية أبى الحسن.

فمن رسالة للقاضى الفاضل: «وأنا متطلع إلى أخبار القاضى أبى الحسن ولد القاضى السعيد ـ أنماه الله ـ فأريد أن يعرفنى ماذا يشتغل به، وماذا أسفر طبعه عنه. .»[2] وقد أملى ابن سناء الملك ولده كتاباً[3] كتبه إلى القاضى الفاضل، ثم أرسل القاضى رداً على هذه الرسالة، منه: «ووقفت على كتاب القاضى الأعز ـ أعزه الله وأحياه وحفظه وحياه ـ ولقد سررت بخطه، ورشفت مواقع أحرفه، ونقعت الغلة. بمورده، وتوسمت السعادة وفهمتها من موعده، وتنسمت النجابة على البعد فى شمائله، واستزدت أباه فى العناية به إلى أن يكون فيها كجده. .»[4]

ومن رسالة للقاضى الفاضل يعزّى فيها القاضى السعيد فى وفاة زوجته: «وضاعف

(١) فصوص الفصول، ص ٢٤٣

(٢) فصوص الفصول، ص ٢٤١

(٣) انظر: هذا الكتاب، ص ٢٤١ ـ ٢٤٤

(٤) فصوص الفصول، ص ٢٤٥

كمدى وفاة أم ولد القاضى السعيد، وعز على عدم أبى الحسن ـ أبقاه الله ـ إياها، وتجرعه الحرقة عليها. . .»[١].

وتكشف هذه النصوص عن ملامح شخصية «أبى الحسن» فهو ذكى موهوب منذ صغره، جياش العاطفة، محب لوالديه.

وأما ابنته فقد عرف أمرها من قول ابن سناء: «قلت: كانت قد توفيت لى كريمة ـ رحمها الله ـ وبلغه خبر وفاتها، فكتب الفصل معزياً ومسلياً، وكتبت إليه جوابه، وهو موجود فيما دونته من كتبى إليه ـ رحمه الله. .»[٢].

زوجته:

ذكر ابن سناء الملك صفاتها فى رسالة بعثها إلى القاضى الفاضل يعلمه بوفاة زوجته، منها «كانت والله قرينة صالحة، صحبها المملوك، (وصدغاه فى خدى غلام مراهق) وإلى أن شابت منه المفارق، فما رأى منها إلا الصحبة الصالحة، وإلا المحبة الناصحة، وإلا الديانة الراجحة، وإلا حفظ الغيب، وإلا الإيمان ولا ريب وإلا السلامة ولا عيب، وإلا صيانة الذيل والجيب. . .»[٣].

إنها زوجة تقيةٌ صالحة، محبة لزوجها وأسرتها، أمينة على بيتها، لذا فالفاجعة على موتها كبيرة والحزن عميق.

ويتضح من خلال الحديث عن أسرته الخاصة أن الرجل كان مستقراً سعيداً فى حياته الأسريه، وقد انعكس هذا الأثر على أسرته فعاشت فى دوحة الحب والوفاء والإخلاص والإيمان مما هيأ لأبنائها النبوغ المبكر الذى عرفناه عند ولده «أبى الحسن».

---

(١) السابق، ص ٢٠٨.

(٢) السابق، ١٨٠ـ ١٨٢

(٣) فصوص الفصول، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠

مولده:

أين ولد؟

في مدينة القاهرة التي «أعطت الدنيا ما لم تعطه غيرها من المدن الإسلامية الأخرى حضارة وعلما وفناً وفكراً»[(١)] ولد ابن مصر والعروبة الأديب المبدع صاحب الأيوبيات الرائعة، والرسائل الناصعة الجامعة ابن سناء الملك.

متى ولد؟

استشرت المصادر التي احتضنت تراجم لابن سناء الملك فوجدت أن بعضها لم يحدد تاريخ مولده[(٢)] وأن بعضها ذكر أنه ولد سنة ٥٤٥هـ[(٣)] وذكر بعضها أنه ولد سنة ٥٥٠هـ،[(٤)] وهذا الأخير هو الرأي الراجح، ويؤيده دليلان:

الأول ـ قول العماد الأصفهاني في الخريدة: «كنت عند القاضي الفاضل في خيمته بمرج الدلهمية ثامن عشر ذي القعدة سنة سبعين[(٥)]، فأطلعني على قصيدة له[(٦)] كتبها إليه من مصر، وذكر أن سنه لم تبلغ إلى عشرين سنة، فأعجبت بنظمه»[(٧)].

الثاني ـ ذكر محمد إبراهيم نصر محقق ديوان ابن سناء الملك أن ابن سناء عرض في إحدى قصائده سنة ٥٧٣هـ بمن مدحهم من الشخصيات البارزة في المجتمع ولم يلتفتوا إليه، فقال[(٨)]:

---

(١) تراث القاهرة العلمي والفني في العصر الإسلامي، د. عبد الرحمن زكي.

(٢) معجم الأدباء لياقوت ٥/ ٥٨١، العبر للذهبي ٣/ ١٤٩ ـ ١٥٠، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٨٠، مرآة الجنان لليافعي ٤/ ١٧ ـ ١٨، شذرات الذهب لابن العماد ٥/ ٣٥.

(٣) التكملة لوفيات النقلة للمنذري ٢/ ٢٣١، الأعلام للزركلي ٩/ ٥٧.

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ٦/ ٦١، حسن المحاضرة ١/ ٥٦٥، هدية العارفين ٦/ ٥٠٦، معجم المؤلفين لعمر رضا ١٣/ ١٣٥

(٥) يعني: سنة سبعين وخمسمائة هجرية.

(٦) الضمير في «له» يعود على ابن سناء الملك، والقصيدة المشار إليها مطلعها:

فراق قضَى للهَمّ والقلبِ بالجمـع ... وهجرٌ تولَّى صلحُ عيني مع دمعي

(٧) خريدة القصر وجريدة العصر ديوان ابن سناء ٢/ ١٩٠ (قسم شعراء مصر) ١/ ٦٤ ـ ٦٥

(٨) ديوان ابن سناء ٢/ ٤٧٤.

تكمل فضلِى قبلَ عشرينَ حجةً فكيفَ وقدْ جاوزتُهَـــا بثـلاثِ

وانفقتُ عمرِى فى مدائحِ معشرٍ كموتَى ولو أنصفنَ كـــنَّ مرائى

فبذلك يكون قد حدد عمره وتاريخ مولده وأنه ولد فى سنة ٥٥٠هـ[1].

* * *

(١) ابن سناء الملك حياته وشعره محمد إبراهيم نصر ١/ ٤٣ (بتصرف).

خلائقه

١ـ التواضع وتقدير أساتذته وتلاميذه

٢ـ الكرم

٣ـ الأمانة العلمية

٤ـ الشجاعة

٥ـ اعتزازه بنفسه وبنسبه

٦ـ حب الوطن والتعلق به

تمهيد :

يرى فريق من علماء النفس «أن الشخصية مركبة من سمات مزاجية انفعالية، وأخرى اجتماعية وخلقية. والسمات المزاجية تتوقف فى المقام الأول على الوراثة. فى حين أن السمات الخلقية والاجتماعية لابد أن يكتسبها الفرد»[١]

ويرى ـ أيضا ـ أن «الخلق جانب من الشخصية وليس الشخصية كلها»[٢] وبما أن الشخصية بناء متكامل إذن فجانب الخلق لا يمكن عزله عنه. بل هو عنصر متفاعل مع عناصر هذا البناء ومن ثم لا يمكن إغفاله عند دراسة مكونات الشخصية الأدبية، لأنه يضيىء بعض جوانبها، ويجلو بعض نزعاتها، ويبين مدى اتصالها ببيئتها وعصرها.

ويعتمد البحث فى هذا الجانب ـ غالباً ـ على مصدرين:

الأول ـ ما ذكرته التراجم والمصادر القديمة عن الشخصية محل البحث.

والثانى ـ ما أُثِرَ عن هذه الشخصية من تراث.

ورغم أن «ابن سناء الملك أحد أركان النهضة الأدبية فى عصره. .»[٣] فقد ضنَّت كتب الأدب والتراجم ـ التى عاصرته أو جاءت بعده ـ بالحديث عن كثير من جوانب شخصيته اللهم إلا بالقليل النادر أو الإشارة العابرة ومن هنا كانت صعوبة الاعتماد على هذا الجانب.

(١) أصول علم النفس ـ د. احمد عزت راجح ص ٥٣٤ (بتصرف).

(٢) السابق ص ٤٦٠.

(٣) الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، د. أحمد بدوى ص ٢٠٣

ونلتقط ما قاله العماد الأصبهانى فى خريدته عن ذكاء ابن سناء قال: «ثم وصل إلى الشام فى شهر رمضان سنة إحدى وسبعين فى الخدمة الفاضلية فوجدته فى الذكاء آية، أحرز فى صناعة النثر والنظم غاية. . »(١).

وما قاله ابن خلكان فى وفياته: «أحد الفضلاء الرؤساء النبلاء»(٢)، وجاء فى مرآة الجنان أنه «حميم الشيم»(٣)

لقد نشأ ابن سناء الملك فى بيئة القاهرة العلمية الحضارية، وتربَّى فى أسرة ثرية بأخلاقها وعلمها ومالها ومكانتها، وحفظ القرآن الكريم، ودرس الحديث الشريف وعلومه، وبرع فى الأدب وفنونه، وعمل فى ديوان الإنشاء، وكان على صلة قوية بكبار رجال عصره قادة وعلماء وأدباء، وعايش الأحداث منفعلاً بها ومعبراً عنها وكان لكل هذا أثره فى بناء شخصيته ورسم ملامح أخلاقه.

وباستشارة ما تبقَّى من تراث ابن سناء استطاع الباحث أن يستنبط شيئًا من بعض خلائقه، من ذلك:

١ـ التواضع وتقدير أساتذته وتلاميذه:

كان ابن سناء الملك معتزا بنفسه وبنسبه مفتخراً بشجاعته ومع ذلك كان متواضعاً مقدراً أساتذته وتلاميذه متغنياً بفضلهم يظهر ذلك من ثنائه على أستاذيه: القاضى الفاضل والحافظ السلفى وكذلك على تلميذه القاضى الأشرف ولد القاضى الفاضل.

قال ابن سناء فى مقدمة كتابه «فصوص الفصول» ما يعبر عن تواضعه «وهذا كتاب لا ناقة لى فيه ولا جمل، ولا إعمال ولا عمل، ولا شكر ولا حمد، وإن كان كله شكرى وحمدى، وما فيه شىء من عندى وإن كان سببه كله من عندى. . »(٤).

ثم يقول مثنيًا على أستاذه القاضى الفاضل: «وكيف يحابينى أو يحاشينى وهو المخدوم وأنا الخادم، وهو المتبوع وأنا التابع، وهو الغنى وأنا المحتاج إليه، وهو المعطى وأنا الآخذ منه، وهو الأستاذ وأنا التلميذ له والمتعلم منه»(٥).

(١) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ٦٧

(٢) وفيات الأعيان ٦/ ٦١

(٣) مرآة الجنان ٤/ ١٧

(٤) فصوص الفصول، ص ٤٨.

(٥) السابق، ص ٥٢.

ثم يقول معترفاً بفضل أستاذه عليه «وربما أتبعت هذه الفصول نكتا من رسائلى.. ليعلم أنه ـ رحمه الله ـ كثَّر قليلى، وسمن هزيلى، وفخَّم ضئيلى، وأعطانى من المدح مالا أستحقه، ومنحنى من الوصف ما لا أستوجبه، ورفع أقوالى فوق قدرها، ودفع لعقائلى فوق مهرها فضلاً منه ومنا، وإحساناً وحُسنَى»[1] «وهو قول فيه من الاعتراف بالجميل ما فيه من التواضع ولين الجانب أمام أستاذه الكبير»[2]

وقال يمدح القاضى الفاضل ويهنئه بعيد الفطر:

وتهنَّ عيــداً أقبلـت أيامُــهُ	تعدو إليـك بأجرِهَـا وثوابِهَـا
ولتهننِى منـكَ الكرامــة إنَّنِى	أخطُو وأخطر منكَ فى جلبابِهَا
أكرمتَنِــى وعممتَنِــى بفوائـدَ	كادتْ تغـرِّق ساحتِى بعبابِهَـا
وكسوتَنِى خلعاً عـذرتُ معاطِفى	لما ازدهَاهَا التيهُ مـن إعجابِهَـا
ورأيتُ قدرى فى البـريـة خاملاً	فجعلت قدرى فى البرية نابَهَـا
فليشكرنَّك مقولِـى عـن مهجةٍ	نادَتْ فكان نداكَ رجـعُ جوابِهَا
شكرتْك نفسٌ أنتَ أصلُ حياتِهَا	وبقائِهَــا وطعامِهَـا وشرابِهَـــا[3]

وقال:

وفيكَ تعلمــتُ صـدقَ المقـالِ	ومنكَ تعلمــتُ حســنَ الأدبِ
وفيـكَ تملكـــتُ درَّ الكـــلامِ	وأبقيـتُ للعالَـــمِ المخشْلَـبِ
ومنـــكَ اجتنيتُ ومنك اقتنيتُ	فأحقـرُ شيءٍ لـدىَّ الذهــبِ
وإنـــك أهلتَنِــى للعُـــلاَ	وكــم لِى إلى نيْلِهَا من سبــبِ[4]

---

(١) فصوص الفصول ص ٥٤.

(٢) شعر الحماسة ودوره فى الحروب الصليبية، محمد عرفه ص ٢١٣

(٣) ديوان ابن سناء ٢/ ٢٥.

(٤) السـابق ص ٢/ ٤٣.

وقال:

رفعتَ عمادي في بلادي وغيرِهَا ... فقد صارَ لي صيتٌ وقد صارَ ليَ ذكرُ
فأدنيتَ آمالي على أنَّهَا عُلا ... وأكمدتَ أعدائي على أنَّهم كثرُ
فدامتْ لكَ النعمَى وذلتْ لك العِدَا ... ودانَتْ لك الدنيا وطالَ لكَ العمرُ(١)

أما تواضعه وتقديره لشيخه الجليل الحافظ السلفى ففى قوله:

فجئت إلى الإسكندرية قاصداً ... إلى كعبةِ الإسلامِ أو عَلَمِ العلمِ
إلى خيرِ دين عنده خيرُ مُرْشِدِ ... وخيرِ إمامٍ عنده خيرُ مؤتَمِ
إلى أحمد المحيى شريعةَ أحمدَ ... فلا عَدِمَتْ منه أبا أمةُ الأمى(٢)

ومنها:

تكاد لديهِ العربُ والفخرُ فخرُهَا ... تُقِرُّ بِهِ أنَّ المفاخرَ في العُجْمِ
أبُو الدهرِ عمراً واعتزامًا ومنصبًا ... فلا ذاقَ منه دهرُه فجعة اليُتْمِ
أتيتُ لهُ مستشفعًا بدعائِهِ ... يُقبل به جُرْمي ويشفعُ في إثمِى(٣)

أما ثناؤه وتقديره لتلميذه القاضى الأشرف فقد صرح به فى قوله:

أُثني عليكَ ثناءَ مَنْ لا يبتغِى ... إلا المثوبةَ بالودادِ فحسبُهَا(٤)

ويعتز ابن سناء بثنائه ومدحه لتلميذه، فيقول:

تشرَّفتُ لما كنتُ أولَ قاصِدِ ... إليهِ أتاهُ بالمديحِ وقصَّداً
سأمدحُهُ كهلاً وشيخاً وطالما ... مدحتُ أبَاهُ قبلَ ذلكَ أمرداً(٥)

(١) ديوان ابن سناء الملك ص ٢/ ١٥٢
(٢) السابق ص ٢/ ٢٧٩
(٣) الساق ٢/ ٢٨٠.
(٤) السابق ٢/ ٣٧.
(٥) السابق ٢/ ٩٠.

ولِمَ لا يثنى عليه وهو تلميذ مهذب نجيب، يقول ابن سناء عنه:

«فوجدته مهذبا من غير تهذيب، مؤدبا من غير تأديب، متوقد الخاطر الخطار الذى يكاد زيته يضىء ولو لم تمسسه نار. . »[1].

وفى هذا المعنى قال ابن سناء نظماً:

فبشراكَ يامولَى الأنامِ بقــادمٍ إلى قمةِ العلياءِ تُطْوَى مَرَاحلهُ[2]

٢ـ الكرم:

نشأ ابن سناء الملك فى أسرة عُرفت بالكرم، ويبدو أنه ورث هذه الخليقة عن أسرته فكان كريماً بدليل أن القاضى الفاضل كان يرسل إليه ضيوفه. قال عبد اللطيف البغدادى: «فلما دخلت القاهرة جاءنى وكيله وهو ابن سناء الملك، وكان شيخاً جليل القدر، نافذ الأمر. فأنزلنى داراً قد أُزيحت عللها، وجاءنى بدنانير وغلّة، ثم مضى إلى أرباب الدولة وقال: هذا ضيف القاضى الفاضل. فدرّت الهدايا والصلات من كل جانب»[3].

٣ـ الأمانة العلمية:

أشار ابن سناء الملك إلى هذه الخليقة فى مقدمة كتابه «فصوص الفصول وعقود العقود» بقوله: «وما انتزعت تلك الفصول المسطرة فى هذا الكتاب إلا من كتبه التى بخط يده، وبخط الحكام والقضاة العدول المعروفين بخدمته والموسومين بكتابته. . »[4].

ويأمره القاضى الفاضل بجمع مختارات من شعر ابن الرومى فيجيبه ابن سناء بقوله: «فأما ما أمر به المولى فى شعر ابن الرومى فما المملوك من أهل اختياره، ولا من الغواصين الذين يستخرجون الدر من بحاره؛ لأن بحاره زخّاره وأسوده زآرة. . »[5]

ومن الأمانة العلمية ـ أيضاً ـ قوله: «هذا الموشح الذى أشار إليه موشح عملته على وزن

(١) فصوص الفصول، ص١١٨

(٢) ديوان ابن سناء ٢/ ٢٦٨

(٣) انظر الأدب فى العصر الأيوبى، ص٢٩٨

(٤) فصوص الفصول، ص ٥٢.

(٥) السابق، ص ١١٣ ـ ١١٤

موشح «عبادة» الذى مدح به المعتصم بن صمادح» وأوله: (يالائمى قصرا)، وزدت فى قفله فقرتين، وموشح عبادة، أقرع، وهكذا هذا الموشح الذى عملته، وهو:

دَانَتْ لِي الدنيا ... وواصلُ الوصلاَ(١)

ومما يدل على أمانته قوله: «ولهذه القصيدة قصص وقصص وجاءت عنها منه ـ رحمه الله ـ أجوبة ستجيء فيما بعد. وعند مجيئها أذكر باقى المختار من غزلها، ومن مدحها. »(٢)

وقوله ـ أيضاً ـ فى حديثه عن البائية «وأنا أذكر أنه كتب فصلا آخر جوابا عن هذه القصيدة إلا أننى وقت هذا التدوين ما وجدته ومتى وجدته أضفته. .»(٣).

٤ـ الشجاعة:

وتظهر هذه الخليقة فى قول ابن سناء:

سواى يخافُ الدهرَ أو يَرهبُ الردَى ... وغيرى يَهوَى أن يكونَ مخلَّدا
ولكنَّنى لا أرهبُ الدهرَ إنْ سطَا ... ولا أحذرُ الموتَ الزؤامَ إذا عدَا
ولو مدَّ نحوِى حادث الدهر طرفه ... لحدثتُ نفسِى أنْ أمدَّ لهُ يدَا
تَوقُّدُ عزمِى يتركُ الماءَ جمرةً ... وحليةُ حلمِى تتركُ السيفَ مبرداً(٤)

٥ـ اعتزازه بنفسه وبنسبه:

وتفهم خليقته هذه من قوله:

ولو علمَتْ زهرُ النجومِ مكانتِى ... لخرَّتْ جميعاً نحو وجهِى سُجَّدَا
أرى الخلقَ دونِى إذ أرَانى فوقَهمُ ... ذكاءً وعلمًا واعتلاءً وسؤدداً(٥)

---

(١) فصوص الفصول، ص ١٢
(٢) فصوص الفصول، ص ٦٦
(٣) السابق، ص٧٦
(٤) ديوان ابن سناء ٢/ ٥٥٩ .
(٥) السابق، ٢/ ٥٥٩ .

وقوله:

قولِــــى يصــــوغُ الفكـرَ عسجـده والنقــدُ فيـهِ يصوغُـــهُ المعـــد[١]

وقوله فى مقدمة «فصوص الفصول»:

«وهذا كتاب لاناقة لى فيه ولا جمل، ولا إعمال ولا عمل، ولا شكر ولا حمد وإن كان كله شكرى وحمدى وما فيه شىء من عندى وإن كان سببه كلمة من عندى، لأنه فصوص فصول وعقود عقول وفِقَر فكر، وغرر درر. مقصورة على ذكرى وشكرى، ومدحى وحمدى، ووصفى وتعظيمى، وتقريظى وتفخيمى، والإشارة إلىّ والنص علىَّ...)[٢].

أما اعتزازه بنسبه فيفهم من قوله: «وورَّى بقوله: السنائى على الحقيقة بنسبى إلى جدى سناء الملك ـ رحمه الله ـ . »[٣].

وشعره فى مدح أبيه، ورثاء جده ووالدته يفيض بهذا الاعتزاز.

قال فى مدح أبيه:

يا سائلاً عن معاليـهِ ليشهرَهَـــا البدرُ فى الأفقِ يستغنى بشهرتِـهِ
ذاك الذى يبسمُ الدهرُ العبوسُ بهِ تيهـًا وتبتهـجُ الدنيا ببهجتِـهِ
هو العظيـمُ وفيهِ مـع تعاظمِـهِ تواضـعٌ قـد تولَّى رفـعُ رفعتِـهِ

إلى أن قال:

آباؤُه الغـــرُّ لما كـان منتقـلاً فيهـم رأوا عـزةَ الدنيـا بعزتِـهِ[٤]

وقال معتزا بأبيه:

بك أصبحتُ أنعـمَ الناسِ بالاً زمنِى أبيضُ وعيشى أخضـرُ
وإذا أظمـأ الزمـانُ شفاهِـى كنتَ بحراً تفيضُ دراً وجوهـر

(١) ديوان ابن سناء، ٢/ ٤٧٨.
(٢) فصوص الفصول، ص٤٨.
(٣) السابق، ٩٥
(٤) ديون ابن سناء، ٢/ ٤٩ ـ ٥٠.

تَه على الدهرِ وطـــاول بنيـــه وعلى الخلقِ كلهمُ بى فافخـــرِ

أنت منجبٌ وشانـُـك عـــــالٍ بنجيـــبٍ منى وشانيـــكَ أبتـــرِ(١)

لقد كان ابن سناء الملك طموحاً، ساعياً إلى تحقيق العلا، ممتطيا الصعاب حتى يحقق هدفه، فمن قصيدة له عند مسيره إلى الشام يمدح أباه ويودعه:

ومَنْ كان مثلى سعَى فى البلادِ فيكسى مـن العـزّ أو يكسـرُ

ومـا مطلبِى غير نيـلِ العُــلاَ ومثلِـى علـى مثلِهَـا يُعــذَرُ(٢)

ومن قصيدة له وهو بحماة المحروسة:

تأتِى حمـــاةَ وتشتكِى كــدراً أو ما علمــتَ بأنّهــا كَــدرُ

وبقيــتَ لا أهــلٌ ولا ولــدٌ فيهـــا ولا وطـنٌ ولا وطـرُ

صـه يا زمـــانُ فإنّنِى رجــلٌ ليســتْ تغيـرُ صبرَه الغِيَــرُ

مـاءُ البشاشـةِ مـلءُ صفحتِهِ والقلـــبُ فيه النـارُ تستـــعرُ(٣)

إلى أن يقول:

ولأركبنّ الصعـــــبَ غُرتُـــهُ غَرَر وخَطرَةٌ عِطفِــهِ خطَـــرُ(٤)

٦ـ حب الوطن والتعلق به:

حب الوطن غريزة فطرية تجرى فى عروق كل كائن حى. وأدبنا العربى ـ من العصر الجاهلى وحتى اليوم ـ حافل بنماذج كثيرة رائعة تعبر عن الحنين والشوق للأوطان «كل ذلك مألوف ومعروف ولكن الشيء اللافت عند ابن سناء الملك أنه كان يكتب بين يدى القاضى الفاضل الذى كان يمضى أكثر أوقاته فى الشام مع صلاح الدين، فكان من الضرورى أن يرافقه ابنه الروحى كما قدمنا، ولكننا نعجب، إذ نراه لا يرافقه، وإن اضطر إلى مرافقته أو المثول بين يديه غادره سريعاً، وكأنما أصابه مس، فهو لا يشفيه إلا عقاقير أرضه. ونعجب

(١) ديوان ابن سناء، ٢/ ١٤٨

(٢) السابق، ٢/ ١٤١

(٣) السابق، ٢/ ٥٧٨.

(٤) السابق، ٢/ ٥٧٩.

أن ينزل ديار الشام وينقل النظر فى طبيعتها الفاتنة، وهو شاعر دقيق الحس، ولا تملأ كيانه ومشاعره، وكل أسباب الراحة والمتعة موفورة له وهو مع ذلك يحس شيئا من المرارة لأنه ليس فى وطنه الذى يؤثره على كل وطن سواه مهما كان فيه من السحر والجمال»[١]

ويبدو أن حبه لوطنه وحنينه المتدفق إليه هو الذى دفعه إلى التعلل لأستاذه القاضى الفاضل ـ وهو مريض ـ ليسمح له بالعودة إلى مصر فسمح له ـ عن نفس غير راضية ـ لأنه يعلم شدة حبه لوطنه. يقول ابن سناء:

«قلت: كنت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة قد مضيت إلى زيارة القدس، ثم سرت منه إلى زيارته ـ رحمه الله ـ بدمشق فوجدته مريضاً مدنفاً فى خطة صعبة، وفى حالة مخطرة، فخشيت أن أقيم فيجرى من المحتوم عليه ما لا طاقة لى بمشاهدته، فأقمت عنده أياماً قلائل، واعتذرت إليه بأننى وردنى عن أبى ـ رحمه الله ـ خبر مزعج، وحديث مقلق فأعطانى دستوراً بالعود عن نفس غير راضية، وعلى كراهية غير خافية .»[٢].

وقال ـ أيضاً ـ يتشوق إلى أهله وأوطانه عند وصوله إلى بصرى:

أيا بَصرى لا تنظرنَّ إلى بُصـــرَى ... فإنِّى أرى الأحبابَ فى بلدةٍ أخرَى

وما بلـدةٌ لـم يسكنُوهـَـا ببلـــدةٍ ... ولو أنَّهـــا بين السمَّاكينَ والشعرَى

وما القفـــرُ بالبيـــداء قفـــراً وإنما ... أرَى كلَّ دارٍ لـم يكونـُوا بها قفـــراَ

إلى أن يقول:

أأهبطُ من مــصر وقديمًا قد اشتَهى ... على الله أقـوامٌ فقال اهبطُوا مصراَ

فكم لى بها دينـــارُ وجـــهٍ تركتُــه ... ورائى فعينِى بعــدَهُ تشتكِى الفقـراَ

فوالله ما أشـــرِى الشآمَ وملكَـــهُ ... وغوطَتَهُ الخضـــراَ بشبرين من شبراَ[٣]

(١) فصول فى الشعر نقده د. شوقى ضيف ص ١٨٩

(٢) فصوص الفصول، ص ٧٠ ـ ٧١

(٣) ديوان ابن سناء، ٢/ ٥٨١ .

وقال:

وفارقـــتُ عــزاً بالشآم لالتقِـــى ... بمصرَ الذى من حسنه فضلُّوا مصراً[١]

وقال أيضاً من قصيدة عملها بدمشق يذكر فيها أهله وأوطانه ويذم دمشق:

كـــم أعْدَمتْنى مشبهًا أو نظيــــره ... وأتعبــتْ لى ضامراً مع ضميـــرِ

يا ليــت شعـرِى والمنَى ضلَّـــةٌ ... هل أرضُ مـصــرَ لى إليهَا مصيراً[٢]

وحبه لوطنه دفعه إلى مدح وتعظيم قياداته فمدح القاضى الفاضل وصلاح الدين الأيوبى والوزير صفى الدين بن شكر - رغم خلافه مع القاضى الفاضل - والملك العادل والملك المظفر والملك الأفضل. كذلك دفعه هذا الحب إلى ذم وتحقير أعداء وطنه من الصليبين وغيرهم من أبناء الوطن الذين تقاعسوا عن الجهاد والدفاع عن وطنهم. لقد سخر ابن سناء الملك قلمه وفنه «فى تعبئة الشعور الدينى والقومى فى الحروب الصليبية. فقد كانت الدعاية وراء إثارة الهمم، وتعبئة الشعور للحرب بما فى ذلك مخاطبة العواطف كعاطفة الشجاعة وإثارة عاطفة الخوف من العدو بتضخيم ما يرتكبه من فظائع وإثارة الحقد عليه حتى يهب الشعب للدفاع عن نفسه وعن بلده بعزيمة»[٣]

ويتضح مما سبق أن ابن سناء الملك كان يدرك دور الإعلام الهادف، ويعرف تأثير الكلمة فى النفوس، لهذا لا نعجب من قوله:

ولِىَ قلـــمٌ فى أنملى إن هززْتُــــهُ ... فمـــا ضرنِّــى ألاَّ أهــزَّ المهنـــدَا

إذا صالَ فوقَ الطِرسِ وقعَ صريرُه ... فإن صليـلَ المشرفِــى له صـــدَى[٤]

وقوله:

وكلُّ كتـــابٍ لِى يفـضُّ كتيبــةً ... ويهزمُهَا من قبـــلِ فـضٌ لعنوانِ[٥]

(١) ديوان ابن سناء، ٢/ ٥٨٢.

(٢) السابق، ٢/ ٥٨٣.

(٣) الإعلام والدعاية نظريات وتجارب د. محمد عبد القادر حاتم، ص٧٤.

(٤) ديوان ابن سناء، ٢/ ٥٦٠.

(٥) ديوان ابن سناء، ٢/ ٥٢٥.

وقال في هذا المعنى يمدح القاضي الفاضل:

أغنَى الملوكِ بكتبٍ عن كتائبِهِم ... فما برَى قلماً إلا غزا بلدا

بخطه عادَ رمحُ الخطِّ مضطرباً ... كما تراه وسيفُ الهندِ مرتعدا

انظرْ إلى الكتبِ تلقَ اللفظَ مطرِداً ... ثم انظرْ الجيشَ تلقَ الجيش مضطردا(١)

* * *

(١) ديوان ابن سناء، ٢/ ٩٣، ٩٤.

مذهبه الدينى

حكم الفاطميون مصر من سنة ٣٥٨ هـ وحتى سنة ٥٦٧ هـ، وكانوا من أنصار المذهب الشيعى الإسماعيلى فعملوا على نشره فى مصر عن طريق الدعوة والترغيب، فـ «استجاب لهذا المذهب كثير من المصريين، وتظاهر بالاستجابة من رأى له مصلحة فى ذلك، كما أعرض عنه الكثيرون الذين احتفظوا بسنيتهم فى الخفاء»(١).

ورغم أن هذه الدولة كانت قوية فى عصرها الأول إلا أنها أصيبت بالضعف فى عصرها الثانى «وفقدت هيبتها واختلت أحوال مصر الداخلية»(٢) مما هيأ الفرصة أمام الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى لإعلان قيام الدولة الأيوبية فى مصر سنة ٥٦٧هـ والقضاء على المذهب الشيعى وإعلان المذهب السنى مذهباً رسمياً للبلاد.

ولما كان من الثابت أن ابن سناء الملك ولد سنة ٥٥٠هـ وتوفى سنة ٦٠٨هـ حق القول بأنه من مخضرمى الدولتين الفاطمية والأيوبية؛ فقد قضى ما يقرب من ثلث عمره فى ظل الخلافة الفاطمية الشيعية وقضى بقيته فى ظل الدولة الأيوبية السنية. وتوطدت العلاقة بين ابن سناء والقاضى الفاضل الذى غمره برعايته وتوجيهه وثنائه فألهب حقد الحاسدين عليه فعملوا على التفريق بينهما فأشاعوا أن ابن سناء شيعى. فهل كان شيعياً أم كان سنياً؟

فى صدر الإجابة يجب توضيح معنى: شيعى، ومتشيع، وسنى. جاء فى لسان العرب: الشيعة الفرقة من الناس. وقد غلب هذا الاسم على من يتوالى عليا وأهل بيته، رضوان الله عليهم أجمعين.

وتشيَّع فى الشىء: استهلك فى هواه.(٣)

ونقل اللسان عن التهذيب: السُّنة الطريقة المحمودة المستقيمة ولذلك قيل: فلان من أهل

(١) الحافظ أبو طاهر السلفى، ص٧٣.

(٢) مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك، سعيد عبد الفتاح عاشور ص١٣

(٣) اللسان، مادة (شيع) ص ٢٣٧٧، ٢٣٧٨

السنة معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة[١] «والسنية نسبة إلى السنة وأهل السنة هم القائلون بخلافة أبى بكر وعمر عن استحقاق»[٢].

ومن رسالة لابن سناء الملك إلى القاضى الفاضل، قال: «كنت قد سقطت من على ظهر دابة بطريق مصر، وقد وُثِت رجلى فكتبت إليه بما نسخته: المملوك ينهى أنه سقط من على الدابة سقطة كاد يسقط فيها بالوفاة...»[٣].

وربما تكون هذه الدابة هى الجمل الذى وصفه فى قصيدة له فى مدح الصاحب بن شكر، فقال:

يمرُّ كالريحِ فى رفقٍ وفى دِعـةٍ ويسبقُ البرقَ مشكولاً على مهلِ
وياؤُه حُذِفَتْ من اسمهِ غلطـًا فهو الجميلُ وإنْ سمُّوه بالجـملِ[٤]

وقد استغل ابن الساعاتى هذه الحادثة «فزعم أنه إنما سقط عنه لبغضه أم المؤمنين السيدة عائشة وأباها الصديق، يقول:

أبغضتَ بالطبعِ أمَّ المؤمنين فلـم تحببْ أباهَا فجاءَتْ وقعةُ الجملِ

وهو هجاء لابن الساعاتى جره إليه أن اسم الجواد الجمل»[٥].

وما زعمه ابن الساعاتى من كره ابن سناء للسيدة عائشة وأبيها أبى بكر تشيعا لعلى زعم باطل لم أجد ما يبرره إلا الحقد والكيد للنَّيل من مكانة شاعر مصر العظيم عن طريق الهجاء حيث «خصه بتسع مقطوعات صغيرة تظهر الخلاف بين الشاعرين، وتشير إلى أن المنافسة الأدبية كانت على أشدها فيما بينهما»[٦].

كذلك «زعم ابن سعيد فى كتابه المغرب أنه كان غالياً فى التشيع»[٧].

(١) اللسان، مادة (سنن) ص ٢١٢٥.
(٢) المعجم الوسيط، مادة (سنن) ١/ ٤٥٦.
(٣) فصوص الفصول، ص١٨١
(٤) ديوان ابن سناء، ٢/ ٢٦٦.
(٥) عصر الدول والإمارات (مصر)، د. شوقى ضيف ص ٢٠٥.
(٦) الأدب فى بلاد الشام، د. عمرو موسى باشا، ص ٣٢٢
(٧) عصر الدول والإمارات (مصر)، د. شوقى ضيف ص ٢٠٥.

وقد استغل هؤلاء الزاعمون بعض الأشياء ووظفوها لترويج شائعتهم، ومنها:

١- «كان أبوه وجده من كتاب الإنشاء فى الدولة الفاطمية كما يدل على ذلك تلقيبهما بلقب القاضى الذى كان يمنح لكبار الكتاب»[١].

وربما كان فى تقدم أبيه وجده فى دواوين الفاطميين ما يشير إلى أن التشيع فى أسرته قديم»[٢].

٢ـ نظم ابن سناء الملك قصيدة فى يوم عاشوراء وجهها إلى القاضى الفاضل بعد سنة ٥٩٢هـ يمدحه فيها ويشكو من إهماله له بعد وفاة والده الرشيد وقد ذكر فيها مقتل الحسين، ومنها:

ونظمتُهَـــا فى يـــوم عـــــا　　شوراءَ مـــن همِّـى وحزنِـــى
يـــومٌ يناسِـبُ غـبنَ مَـــــنْ　　قتلُـــوهُ ظلمًـــا مثـــلَ ظلمِـــى
يــــومٌ يســـاءُ بـــهِ وفيـــ　　ــهِ كـــلُّ شيعِـــى وسنِـــى[٣]

٣ـ استخدام ابن سناء الملك لبعض التعبيرات التى تستخدمها الشيعة، يتضح ذلك من النصوص الآتية :ـ

من قصيدة لابن سناء الملك فى مدح الملك الناصر صلاح الدين:

أعدْتَ إلى مصر سياسةَ يوسُـفَ　　وجددتَ فيهـا من سميكِ موسمـًا
وأحييتَ فيهَـا الدينَ بعــدَ مماتِـــهِ　　فأنتَ ابنُ يعقوبَ وأنتَ ابنُ مريمَا[٤]

ومنها:

نُصرتَ بأفــلاكِ السماءِ فشُهْبُهَـــا　　خميسٌ به تُردِى الخميسَ العَرَمْرمَا[٥]

---

(١) عصر الدول والإمارات (مصر)، ص ٢٠٣
(٢) فصول فى الشعر ونقده، ص ١٨٢
(٣) ديوان ابن سناء الملك، ٢/ ٣٤٨.
(٤) السابق، ٢/ ٢٧٣
(٥) السابق، ٢/ ٢٧١

ومن قصيدة له فى مدح الملك الأفضل نور الدين على بن الملك الناصر صلاح الدين:

مولَى الأنامِ عليٌّ هكذا نَقَلَت لنا الرواة، حديثًا غير مُخْتَلَق[١]

ومن قصيدة له فى مدح القاضى الفاضل وتهنئته بعيد النحر:

يا كعبةً طـافَ الملوكُ بهَـا بلْ قبلةً حـجَّ الأنـامُ لهـا[٢]

وفي سياق حديث الدكتور محمد إبراهيم نصر عن الأبيات السابقة قال: إن ابن سناء الملك مدح الملك الناصر صلاح الدين «بأنه كيوسف الصديق بل وزاد فى ذلك وبالغ فجعله ابن يعقوب حقيقة أو هو عيسى بن مريم، لأنه أحيا الدين بعد مماته، وهذا لا يجوز إلا على العقيدة الفاطمية التى تؤول الآيات القرآنية التى وردت فى المسيح بأن إحياء الموتى هو نشر الدين، وإحياء النفوس حياة صحيحة بالعبادة العلمية أو كما قال الفاطميون بالدور وانتقال النبوة والأئمة بالتسلسل والتعاقب وأن الخلف يرث دور السلف تماما. .»[٣]

وفى قوله: «نصرت بأفلاك السماء. .» يمدح ابن سناء الملك الناصر بعلو مكانته، ويهنئه بالنصر العظيم مستخدماً تعبيراً شيعيا هو أفلاك السماء. «وأفلاك السماء فى التأويل الفاطمى تعنى الملائكة وهى العقول فى الاصطلاحات الفلسفية والإسماعيلية أيضاً، وقد بالغ الشاعر وغلا حتى جعل صلاح الدين فى مرتبة ليس فوقها مرتبة، وهذا المعنى كثير جدا فى الشعر الفاطمى لأن الإمام مثل المبدع الأول الذى ليست فوقه مرتبة، وفيه يجعل القدر مؤتمراً بأمر الخليفة فلا ينقض له أمراً»[٤]

وفى مدحه الملك الأفضل نور الدين على بن الملك الناصر صلاح الدين يسلك مسلك الفاطميين فى مدح أئمتهم بأنهم موالى الأنام، مشيراً إلى الحديث النبوى (من كنت مولاه فعلى مولاه).

وعندما مدح القاضى الفاضل جعله كالكعبة فى القداسة، وكالقبلة التى يتوجه إليه الحجيج. ولفظ الحج عند الشيعة مؤول بزيارة الإمام على ـ كرم الله وجه ـ.

(١) ديوان ابن سناء، ٢/ ٢٠٤

(٢) السابق، ٢/ ٢٤٩

(٣) ابن سناء الملك حياته وشعره، ١/ ٢٦.

(٤) السابق، ١/ ٢٦.

حقاً لقد استخدم ابن سناء الملك ألفاظاً وتعبيرات استخدمها الشيعيون وأوّلوها لخدمة مذهبهم إلا أنه استطاع بقدرته اللغوية وثقافته القوية أن يوظفها لخدمة العقيدة السُّنية وشتان ما بين اليزيديين فى الندى.

إن ابن سناء الملك عندما ذكر يوم عاشوراء ومقتل الحسين الشهيد ذكرهما فى سياق الحديث عن موعد نظم القصيدة التى عبر فيها عن همه وحزنه لإهمال القاضى الفاضل له بعد وفاة والده الرشيد فالتقى الهمان: همه وهم مقتل الحسين الذى يحزن السنى والشيعى معاً وكأنه أراد أن يعبر عن وحدة العقيدة ووحدة المشاعر رغم اختلاف المذاهب والرُّؤى. «فإن المصريين جميعاً يحبون آل البيت ويزورون مشهد الحسن ومشاهدهم فى القاهرة من قديم، وذلك لا يعنى أنهم شيعة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، إنما هم سنيون يشغفون بآل الرسول - عليه السلام - حباً. وعلى شاكلتهم كان ابن سناء الملك فهو محب لآل البيت وليس فى ذلك ما يعارض سنيته أو ينفيها، وهو نفسه ما كان يحسه فى رأينا القاضى الفاضل...»[1]

وفى قوله: «أعدت إلى مصر سياسة يوسف» إشارة إلى ما كانت تعانى منه مصر من فتن وصراعات حزبية ومذهبية واعتداءات صليبية فلما مكن الله الملك الناصر حكم مصر استطاع بحكمته أن ينتصر على تلك المحن ويعيد إلى مصر الأمن والعدل والرخاء ويحيى المذهب السنى للمحافظة على وحدة العقيدة بما يتفق مع كتاب الله وسنة رسوله ولهذا شبه الملك الناصر بيوسف الصديق فى سياسته الحكيمة، وعيسى ابن مريم فى معجزة الإحياء وليس فى ذلك ما يخالف عقيدته السنية بدليل عدم اعتراض الملك الناصر والقاضى الفاضل على هذين البيتين.

وفى قوله: «نصرت بأفلاك السماء. . .» ما يدل على سنيته لأنه استوحى المعنى من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[2] أى أنه نصر بتأييد الله وقدرته، وليس ذلك بعزيز على طلاقة القدرة الإلهية التى أحرقت فيل أبرهة بطير أبابيل.

وفى مدحه على بن الملك الناصر استخدم الجملة الاسمية وقدم الخبر «مولى» على المبتدأ

---

(١) فصول فى الشعر ونقده، ص١٨٢

(٢) سورة الفتح، ٤٨/ ٤.

«على» لإفادة معنى القصر وأكد الشطر الأول بالشطر الثانى فاستخدم «حديثاً غير مختلق» لا بالمعنى الذى تريده الشيعة بل بمعنى التوكيد.

وعندما مدح القاضى الفاضل خلع عليه صفة القداسة فجعله كالكعبة والطائفون هم الملوك. بل كالقبلة التى حج الأنام لها. وكلمة «حج» هنا وظفها الشاعر فى معناها الشائع لا فى معناها التأويلى كما يظنه الشيعة.

وخلاصة القول أن التشيع بمعنى حب آل البيت سمة من سمات الشخصية المصرية، «فالمصريون يحبون آل البيت حباً للرسول ـ عليه السلام ـ الذى تربطهم به صلة نسب تمتد جذورها إلى هاجر ومارية القبطية. وقد عبرت الشاعرة «علية الجعار» عن هذا الحب فى قولها:

فمصرُ الحبُ لا تخفِى هواهَا ... لآلِ البيـــتِ ضمـهمُ جميعـــاً

وأن ابن سناء الملك وإن كان متشيعاً بمعنى محبًا لآل البيت فقد كان سنيا، وقد حسم هذا الأمر فى قوله مادحا القاضى الفاضل:

وغدوتُ من حبى له متشيعاً ... يا مَــنْ رأى متشيعــاً متسننًا[(١)]

وفى قوله:

تشيَّع الخلقُ مثلِى فى محبتـهِ ... إذ كانَ قائمُ جودٍ غيرَ منتظـرِ
ومدَّ سوراً عليهم من عنايتـهِ ... فكم تلوا لمديحٍ فيهِ مـن سورِ[(٢)]

وهذا اعتراف صريح والاعتراف سيد الأدلة.

ابن سناء الملك إذن سنى لأنه نتاج من نتاج بيئته التى نشأ فيها، ف «مصر ـ من قديم ـ بلد دين، تعيش به وتعيش له»[(٣)] وهى: «بلد معتدل المزاج لا يتطرف يمينا ولا يساراً»[(٤)] ومنذ أن فتحها المسلمون وهى تدين بالإسلام وتأخذ بمذهب أهل السنة.

(١) ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٣٣١.
(٢) السابق، ٢/ ١٥٥ والقائم الذى تنتظره الإمامية هو المهدى المنتظر.
(٣) عصر الدول والإمارات (مصر)، ص ٦٠
(٤) السابق، ص ٥٩.

ومما يؤكد القول بسنيته:-

١- بعد أن حفظ ابن سناء الملك القرآن الكريم أرسله والده إلى الإسكندرية ليتلقى الحديث وعلومه على يد الحافظ أبى طاهر السلفى وكان السلفى سنياً شافعياً أحبه ابن سناء حبا جما ومدحه بأنه خير مرشد لشريعة النبى - عليه السلام - وأنه إمام الإسلام والشيعى يكره ذلك إلا «العلى». يقول:

فجئتُ إلى الإسكندرية قاصداً ... إلى كعبةِ الإسلامِ أو عَلَمِ العلمِ
إلى خيرِ دينٍ عندَهُ خيرُ مرشدِ ... وخيرُ إمامٍ عندَهُ خيرُ مؤتمِ
إلى أحمدِ المحيىٌّ شريعةَ أحمدَ ... فلا عَدِمتْ منهُ أبًا أمةُ الأمِّى[1]

٢- جاء فى مقدمة ابن سناء لكتابه «فصوص الفصول» بعد حمد الله: «وصلى الله وسلم على السيد الأجل، النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته، ويخرج المؤمنين من ظلل الكفر وظلماته محمد وآله وأصحابه الذين هاجروا وهجروا وآووا ونصروا. .»[2] وجاء فى خاتمته: « . وله الحمد، وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله وأصحابه وسلامه.»[3].

ويلاحظ أن ابن سناء لم يذكر اسم «على» - كرم الله وجهه -

٣- كان ابن سناء الملك - كما كان جده ووالده - على علاقة قوية بالقاضى الفاضل وصلاح الدين الأيوبى، تكشف عنها قصائده فى مدحهما وخلع الشرف التى نالها من صلاح الدين الأيوبى، ويؤكدها ثناء القاضى الفاضل المتدفق عليه، وليس من المعقول أن ينال ابن سناء هذا الثناء وهو شيعى والقاضى الفاضل سنى.

٤- مدح ابن سناء الملك الملك المظفر تقى الدين عمر صاحب حماه بقصيدة بائية، منها:

وسَيْرُكَ فينا سِيرةٌ عمريةٌ ... فَرَوَّحْتَ من قَلْبٍ وَفَرَّجْتَ من كَرْبِ
وردُّك فينا من سميكَ سنةٌ ... فأظهرتَ ذاك الفرضَ من ذلك الندبِ[4]

(١) ديوان ابن سناء، ٢/ ٢٧٩

(٢) فصوص الفصول، ص ٤٧

(٣) السابق، ٢٩٣.

(٤) ديوان ابن سناء، ٢/ ١١ .الفرض يقصد بها العطاء والندب يقصد بها السريع فى قضاء الحوائج.

وهو فى هذين البيتين يقرر أن الملك المظفر تقى الدين عمر ينهج نهج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى سياسته التى تقوم على العدل والمساواة والشيعة لا يحبون عمر لأنهم يدّعون أنه اغتصب الخلافة من على.

٥ـ وقال يهجو ابن عثمان فى مقطعة من بيتين:

عليٌّ وعثمانٌ أبُوهُ وجدُّهُ ... على قولِه ـ حاشا عليًّا وعثمانا
فإن سرقوا أسماءَ الكرامِ فربما ... رأينَا يهودياً يُسمَّى سليمانا[1]

وقد علق الدكتور محمد إبراهيم نصر على هذين البيتين بقوله:

«ويستخدم حسن التعليل الذى يجيد استخدامه فى النَّيل من ابن عثمان الذى كان جده كذلك يسمى علياً، فيرى أن تسميته بأسماء الخلفاء الراشدين لا يحميه، فقد سرق أسماء الكرام، وكثير من اليهود يسمون باسم سليمان، ولا ينجيهم ذلك من الإثم، ولا يرفع قدرهم عنِ الذم»[2].

٦ـ أسند القاضى الفاضل إلى ابن سناء الملك تعليم ولده القاضى الأشرف أحمد وتأديبه وتدريبه ولا يعقل أن يسند هذا إلى شيعى قال ابن سناء: «قلت: كان رحمه الله ـ قد شرفنى بخدمة الأشرف ولده، ورسم لى أن ألازمه وأذاكره، وأوضح له الطريق التى يسلكها فى المكاتبات. .»[3].

٧ـ لم يشر أحد من المؤرخين المنصفين الذين عاصروا ابن سناء، أو أتوا بعد عصره إلى قضية تشيعه. ومن هؤلاء:

العماد الأصفهانى (ت٥٩٧ هـ) وياقوت الحموى (ت٦٢٦ هـ)

والمنذرى (ت٦٥٨ هـ) وابن خلكان (ت٦٨١ هـ) والذهبى (ت٧٤٨ هـ)

واليافعى (ت٧٦٨ هـ) والقلقشندى (ت٨٢١ هـ) وابن تغرى بردى (ت٨٧٤ هـ) والسيوطى (ت٩١١ هـ).

* * *

(١) ديوان ابن سناء، ٢/ ٤٨٦.

(٢) ابن سناء الملك؛ حياته وشعره، ١/ ١٠٢

(٣) فصوص الفصول، ص ١١٨

الفصل الثانى

ثقافته ومؤلفاته

تمهيد

أولاً : العوامل التى هيأت له ثقافته

- موهبته واستعداده الفطرى
- البيئة التى نشأ فيها
- المجالس الأدبية
- شيوخه
- رحلاته
- وظيفته
- صلته بالقاضى الفاضل

ثانيًا : روافد ثقافته

- ثقافته العربية الإسلامية
- ثقافته الأجنبية

ثالثًا : مؤلفاته

- المطبوعة
- المخطوطة
- المفقودة

تمهيد:

« لا مجتمع بدون ثقافة كما أنه لا ثقافة بدون مجتمع»[(١)] و«الإنسان هو صانع الثقافة في مجتمعه، وهو من ناحية أخرى المرآة التي تنعكس عليها ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، ولا يعني هذا أنه مجرد حامل سلبي لثقافة المجتمع، وإنما هو أيضا مخترع لعناصر ثقافية جديدة»[(٢)].

ومعنى هذا أن «للمجتمع والثقافة المميزة له صلة وثيقة بشخصيات من يحتضنهم من أفراد. . غير أن هذا لا يعني أن أفراد المجتمع تتشابه شخصياتهم كما تتشابه نسخ الكتاب المطبوع فحتى لو نشأنا في رحم ثقافي واحد أو متقارب الظلال كمصر مثلا لاختلفت شخصياتنا في نواح هامة منها اختلافا قد يكون كبيراً»[(٣)]. فهذا شاعر وذاك ناثر وآخر ناقد أو طبيب أو فنان. إلخ.

ويرجع هذا الاختلاف إلى وجود فروق فردية بين الناس في التكوين العقلي والنفسي، وفي المواهب والقدرات، والميول والاتجاهات. كما يرجع - أيضاً - إلى اختلاف البيئات والحالة العلمية والاجتماعية والاقتصادية للأسرة ودور مؤسسات الدولة في اكتشاف الموهوبين واحتضانهم ورعايتهم وإثرائهم.

وليس ثمة شك في أن الثقافة هي كنز الأديب «فهي التي تنمي مداركه، وتوسع من افقه، وتمده. بمختلف الأغراض والأفكار، كما تمده بذخيرة لغوية ينتقي منها ألفاظه»[(٤)] التي تشكل لغته، واللغة، كما يقال - هي الوعاء الحافظ للجماعة، وهو أهم موروث للبشرية قاطبة.

وأديب كابن سناء الملك لم يكن لينال إعجاب القاضي الفاضل وثناءه عليه، وخلع

(١) محاضرات في الأصول الثقافية والاجتماعية للتربية، مصطفى أحمد، تربية الفيوم، ص ٨٩.

(٢) الثقافة والشخصية، عاطف وصفي ص ١١

(٣) أصول علم النفس، أحمد عزت راجح ص ٥١٢، ٥١٣ (بتصرف).

(٤) معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول، محمد نبيه حجاب ص ٤٦.

السلطان صلاح الدين، وشهادة العماد الأصفهانى الكاتب بأنه «فى الذكاء آية»[١] ما لم يكن على درجة عالية من الثقافة الشاملة. فما العوامل التى هيأت له الثقافة؟ وما روافد ثقافته؟.

أولاً ـ العوامل التى هيأت له ثقافته:

١ـ موهبته واستعداده الفطرى:

ابن سناء الملك أديب مبدع، تفتحت موهبته وظهر نبوغه فى سن مبكرة من عمره، فكان مبدعا فى النظم والنثر. وقد شهد له أستاذه القاضى الفاضل بهذا، فقال: «وما رأيت أحسن من نظمه إلا نثره، ومن نثره إلا شعره.»[٢] وقال: «وما يرينا من آية إلا هى أكبر من أختها، وما يجلو علينا عروساً إلا وقد جمع بين حسنها وبختها»[٣] وقال: «فأما كراريس المجموع الذى تفضلت الحضرة السعيدية بإنفاذها فإن هذا المجموع اغتبط فى سن العشرين من كراريسه»[٤] وقال فى سياق حديثه عن القصيدة السينية التى كتبها ابن سناء الملك فى مدح الملك الناصر: «وقرنتها بفصل إلى المقام الناصرى نبهت فيه على أنها من القول الفصل، وأقمت الشهادة فى بابه وإن كان صغيراً فإنه كبير أهل الفضل الذى علمهم الفضل»[٥].

وقال العماد الأصفهانى فى خريدته: «كنت عند القاضى الفاضل فى خيمته بمرج الدلهمية ثامن عشر ذى القعدة سنة سبعين، فأطلعنى على قصيدة له كتبها إليه من مصر، وذكر أن سنه لم تبلغ إلى عشرين سنة، فأعجبت بنظمه. والقصيدة هذه نسختها من خطه:

فراقٌ قضَى للهمِّ والقلبِ بالجمعِ وهجرٌ تولَى صلحَ عينِى مع الدمعِ[٦]

«ثم وصل إلى الشام فى شهر رمضان سنة إحدى وسبعين فى الخدمة الفاضلية فوجدته فى الذكاء آية، أحرز فى صناعة النثر والنظم غاية. .»[٧].

(١) خريدة القصر وجريدة العصر للعماد ١/ ٦٤

(٢) فصوص الفصول، ص٩٨.

(٣) السابق، ص٥٥.

(٤) السابق، ص ٨٧.

(٥) السابق، ص ٥٩.

(٦) خريدة القصر (قسم شعراء مصر)، ١/ ٦٤، ٦٥

(٧) السابق، ١ ٦٧

وهذه النصوص بالإضافة إلى نتاجه الأدبى تؤكد استعداده الفطرى، ونبوغه، وتفجر ينابيع موهبته فى سن مبكرة من عمره وقد افتخر ابن سناء بهذا، فمن قصيدة له فى مدح الملك العادل، وذم قوم من الشعراء، قال:

أتانى درُّ الشعرِ عفــواً مطفــلاً ... علىَّ وهم يجرُّون خلــفَ المحابرِ

وقد كسَّروا أسنانَهم حين مضغُوا ... حصاةً ونبعُ الطبعِ صعبُ المكاسرِ

ويأتُونَ بالأشعارِ يبهــرُ حسنهَــا ... ولكنها موجـــودةٌ فى الدفاتـــرِ[1]

٢ـ البيئة التى نشأ فيها:

نشأ ابن سناء الملك فى البيئة القاهرية العلمية، وكانت القاهرة حاضرة ثقافية مزدهرة يأتيها العلماء والأدباء والقادة والساسة من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم «وكان عصر الأيوبيين عصر إحياء للفكر والثقافة الإسلامية والعربية، كما كان عصر إحياء سياسى تمثل هذا الإحياء فى بعث العلوم الشرعية والاهتمام بالقرآن والحديث اهتماماً بالغاً»[2].

كذلك تعهدته أسرته منذ نعومة أظفاره بالرعاية والإثراء فبعد أن تعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب دفعت به إلى «الشريف الخطيب» ليحفظ القرآن بين يديه، ثم دفعت به إلى «الحافظ أبى طاهر السلفى» ليتلقى الحديث الشريف وعلومه، ثم إلى «ابن برى» ليأخذ عنه علوم العربية.. وكان الطالب فى كل هذا نهما لا يشبع وقد نهل من كل ينابيع ثقافات عصره وقرأ بوعى كل ما استطاع أن يصل إليه وهضمه وفاح شذاه فى أدبه.

٣ـ المجالس الأدبية:

كان ابن سناء الملك محباً للعلم والأدب، نهما فى تحصيلهما، حريصاً على حضور الجلسات وسماع المناظرات والمحاورات، والإسهام فيها بما تجود به قريحته من منظوم ومنثور. ولا شك فى أنه حضر مجالس أبيه وشيوخه واستفاد منها.

وحضر مجالس بعض الشعراء المجيدين فى عصره. قال ابن خلكان: «واتفق فى عصره بمصر جماعة من الشعراء المجيدين، وكان لهم مجالس يجرى بينهم فيها مفاكهات

(١) ديوان ابن سناء، ٢/ ١٢٢.

(٢) الأدب فى العصر الأيوبى، ص ٨٥.

ومحاورات يروق سماعها، ودخل فى ذلك الوقت إلى مصر شرف الدين بن عُنَيْن. فاحتفلوا به وعملوا له دعوات. وكانوا يجتمعون على أرغد عيش وكانوا يقولون: هذا شاعر الشام وجرت لهم محافل سطرت عنهم»(١)

«وكان ابن سناء الملك ومن معه من الأدباء يعرضون الشعر وينقدونه»(٢). قال على بن ظافر الأزوى فى بدائع البدائه: «وأخبرنا القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله ابن سناء الملك ـ رحمه الله ـ بما هذا معناه، قال: تذاكرنا فى بعض الأيام بديوان الإنشاء فأفضى بنا الحديث إلى ذكر الناشىء الأصغر، وقوله فى وردة:

ووردةٍ فى بنانِ معطَـــارِ   حَيَا بها فى خفِى أســرارِ
كأنها وجنةُ الحبيبِ وقــد   نقطَهَا عاشــقٌ بدينـــارِ

فقلت: تشبيه الصفرة بالدينار فيه بعض تقصير، وعليه نقد خفى لا يدركه إلا الناقد البصير: وهو كون الصفرة فى رأى العين أصغر من الدينار، ولو قال:

كمثلِ وجنـــةِ خـــودِ   قـــد نُقِطَـــتْ بربـــاعِ

لكان أخصر وأحسن، فاستحسنته الجماعة»(٣).

وحكى على بن ظافر قصة مجلس أدبى آخر، فقال:

«اتفق أن خرجنا للقاء القاضى الفاضل، فرأيت فى الموكب رجلاً أسود اللون، وعليه جبة حمراء، فأنكرته ولم أعرفه. ولقيت القاضى الأسعد أبا المكارم أسعد بن الخطير(٤) فقلت له: من هذا الأسود الذى كأنه فحمة فى دم حجامة؟. فقال لى:

(١) وفيات الأعيان، ٦/ ٦٢ وابن عُنَيْن هو: محمد بن نصر بن الحسين المشهور باسم ابن عنين، ولد فى دمشق سنة ٥٤٩ هـ، وتُوفى سنة ٦٣٠ هـ عن ٨١ عامًا، [عصر الدول والإمارات (الشام) ص ٢٣٤ ـ ٢٣٦] (بتصرف) وانظر فيه: شذرات الذهب ٥/ ١٤ ـ ١٤٣

(٢) الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، ص ٢٠٣

(٣) بدائع البدائه، ص ٥٨.

(٤) الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير بن مهذب بن زكريا بن قمّاتى أحد الكتاب فى الديوان الفاضلى، ذو الفضل الجلىّ الشعر العلىّ والنظم السوىّ، والخاطر القوىّ (خريدة القصر ـ قسم شعراء مصر، ١/ ١٠)، تُوفى سنة ٦٠٦ هـ عن اثنين وستين سنة وكانت وفاته بحلب (انظر: ترجمته فى شذرات الذهب، ٥/ ٢).

* كأنه ناظــــر طَــــرف أرْمَدِ *

فقلت له: يصلح أن يكون قبله «وأسودٍ فى ثوبه المورَّدِ» وبعده:

* أو مثل خالٍ فوق خدٍّ أمْرَدِ *

ثم لقيت بعد ذلك القاضى السعيد بن سناء الملك ـ رحمه الله تعالى ـ فأنشدته إياهما، وكتمته الأول وقلت له: قد صنعت لهما أولاً فاصنع أنت أيضاً. وقصدت بذلك اختبار القافية وتمكنها إذ كل خاطر إنما يبادر إليها، فقال:

* واســــودَ فى مَلْبسٍ مـوردَّ *

فعجبت من توارد الخاطرين لما كانت القافية غير مستدعاةٍ ولا مجتلبة، إلا أن قوله: «فى ملبس» أحسن من قولى: فى ثوبه»[١].

وفى كتاب فصوص الفصول حديث عن مجلس مناظرة حضرها ابن سناء وأعلم القاضى الفاضل بها. قال ابن سناء: «قلت: علم الكلام الذى أشار إليه هو فصل فى كتاب كتبته إليه وشرحت له فيه مجلس مناظرة جرت بين الشريف أبى القاسم الحلبى ـ رحمه الله ـ وبين الرئيس أبى عمران موسى اليهودى، وهو مجلس طويل لا يتسع ذكره فى هذا الكتاب»[٢].

«وكانت دار ابن سناء إحدى هذه المنتديات التى كان يلتقى فيها الشعراء والنقاد يناقشون مسائل الأدب»[٣]، وقد وصفها ابن سناء وصفاً يكشف عن إحساس مرهب، وذوق رفيع، وشعور عميق بالجمال، فهى تطل على النيل فى مدينة القاهرة ومنه اكتسبت عبقرية المكان والجمال والسحر. قال فى منظرته المطلة على النيل:

انظرْ إلى المنظــــرةِ الناضِــــرةِ	تزهَو مثل الزهــــرةِ الزاهــــرَةَ
أحسنُ ما فى حسنِهَا أنَّهَا الدنـ	يَا وما ألْهَــتْ عن الآخــــرَةَ[٤]

---

(١) بدائع البدائه، ص ٦٨، الأدب فى العصر الأيوبى، ٤٦٣، ٤٦٤، ملامح الشخصية المصرية فى الدراسات البيانية فى القرن السابع الهجرى، ص ٣٥٦.

(٢) فصوص الفصول، ص ١٩٨

(٣) النقد الأدبى فى القرن السادس الهجرى، ص ٤٢.

(٤) ديوان ابن سناء، ٢/ ٥٨٦.

وقال في داره:

نعـــم هـذه دارُ النعيـــمِ المعجـلِ تذكرنـــي دارَ النعيـــمِ المؤجـــلِ

ومنها:

لقد قصرَتْ عن شأوِها كلُّ روضـةٍ وقصَّر عــن أملاكِهـــا كــلُّ أفْضلَ
وأنسى بها بين الورَى ذكرَ جعفرِ الر شيـــدِ فأنَّـــى جعفـــرُ المتوكـــلِ
يُرى الضَيفُ فيها وهو ضيفٌ لحاتـمٍ كما الجارُ فيَّها وهو جارُ السمـــؤَلِ
سماءٌ نضارٌ تحتهَـــا أرضُ فضـــةٍ يفرغُ مـــاءُ الـــوردِ فيها بجـــدولِ

ومنها:

وكمْ طائـــرٍ من رأسِـــه الماءُ طائـرُ على أنَّـــهُ في وكـــرِه كالمكبَّـــلِ
وكم أسـدٍ والماءُ مـن فيهِ وائـــبٌ وإنْ كان لم ينهـضِ ولمْ يتحلحـــلِ(١)

إن ملوك الأرض لو أعيدوا ورأوها لبهتوا فأين منها إيوان كسرى وقصر قيصر، يقول ابن سناء:

أُعِيدَ ملوكُ الأرضِ فيها ليعلمُـــوا بأنَّ الذى شـادُوُه غيـــرُ مُكَمَّـــلِ
يقابلُ كسرَى قيصـــرًا وكلاهُمَـــا يقلبُ طـرفَ الباهـــتِ المتأمـــلِ
فكسرى يـرى الإيوان كِسْرًا وقيصرٌ يرى القصـر خُـصَّ الناسكِ المتبتلِ
وَصُوَرٌ فى أرجائِهَـا كُـلُّ عاشـــقٍ يرى العشقَ فرضًا فى الكتابِ المنزَّلِ(٢)

وفى هذه المجالس يتعارف الميدعون، وتتلاقح أفكارهم، وتُثرى معارفُهم، وتتوهج قرائحهم، وتولد بنيات أفكارهم وعواطفهم من منظوم ومنثور ثم تنقح وتجود «وكان ذلك ولا ريب عاملا من عوامل تجويده للشعر حتى لا يكون، ومكانته الاجتماعية سامية، أقل منهم جودة وإتقانا»(٣).

(١) ديوان ابن سناء، ٢/ ٥٧١.
(٢) السابق، ص٢/ ٥٧٢.
(٣) الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، ص ٢٠٢

٤ـ شيوخه:

«يلعب الأستاذ دورا كبيراً فى حياة الطالب توجيها نحو منهج محدد، وترغيباً فى مادة معينة، وإيثار السلوك خاص، وذلك حين يملك الأستاذ وسائل التأثير من العلم والاستقامة وحب الطلاب، يكون أهلا للاحتذاء به»[١].

أما طالب العلم فلابد أن يكون موهوباً ذكيا راغباً فى التعلم، محباً لأساتذته، متواضعاً لهم، معترفاً بفضلهم. وهذا لا يعنى أن تكون تبعية الطالب لأستاذه تبعية تقليدية بل ينبغى أن تكون تبعية إيجابية لا تلغى شخصيته، فقد يختلف الاثنان فى الرأى حول قضية ما ـ وقد كان للقاضى الفاضل رأى فى شعر ابن رشيق يخالف رأى ابن سناء فيه ـ ولكن هذا الاختلاف لم يفسد ود القضية، بل زاد إعجاب القاضى الفاضل به فظل يوجهه ويتابعه ويثنى عليه فى موضع الثناء، وهذه سمة المعلم الناجح.

اختارت له أسرته شيوخاً أجلاء؛ ليأخذ العلم عنهم، وهم:

١ـ الشريف الخطيب:

«أبو الفتوح ناصر بن الحسن الحسينى المصرى، شيخ الإقراء. قرأ على أبى الحسن الحصينى وأبى الحسين الخشاب، وتصدر للإقراء، وحدَّث عن محمد بن عبد الله بن أبى داود الفارسى، توفى سنة ٥٦٣هـ وله إحدى وثمانون سنة»[٢].

بعد أن تعلَّم ابن سناء الملك القراءة والكتابة وشيئاً من الحساب ـ فى سن مبكرة من عمره ـ أرسله والده إلى الخطيب الشريف، ليحفظ القرآن الكريم على يديه[٣]؛ لأن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشدُّ استحكاما وأقوى رسوخاً. .»[٤]، ثم إن القرآن الكريم «معدن الفصاحة والبلاغة» والكاتب «إذا عرف مواقع البلاغة وأسرار الفصاحة المودعة فى تأليف القرآن اتخذه بحراً يستخرج منه الدرر والجواهر ويودعها مطاوى كلامه»[٥]

---

(١) دراسات أندلسية، د. الطاهر أحمد مكى، ص٢٨٧

(٢) العبر ٣/ ٤١. انظر فى شذرات الذهب ٤/ ٣١٠.

(٣) انظر: التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٢٣١، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٨٠، شذرات الذهب ٥/ ٣٥.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ص٥٤١

(٥) المثل السائر ١/ ٤٧.

٢ـ الحافظ أبو طاهر السِّلفى:

«الحافظ أبو طاهر أحمد بن حمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفه الأصبهانى. ولد سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة تقريباً بأصبهان وتوفى فى شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بالإسكندرية»(١).

والسلفى ـ رحمه الله ـ «بالإضافة إلى قصده فى ميدان علم الحديث كان عالماً بالقراءات وحروفها، وفقيها شافعياً مارس التدريس والإفتاء، وشاعراً ينظم الشعر ويتذوقه وينقده، ومؤلفاً ناقداً له مؤلفاته وأسلوبه فى النقد، ورحالة جغرافيا أطلعنا على أشياء وأماكن كثيرة من البلاد وآثارها»(٢).

لقد اعتنى القاضى الرشيد بولده هبة الله، ومن المؤكد أنه كان يعده لأن يكون كاتباً مجيداً فعمل على تمكينه وتدريبه على آلات الكتابة ـ منذ صغره ـ فاختار له شيوخاً أكفاء فبعد أن أرسله إلى الشريف الخطيب ليحفظ القرآن على يديه أرسله إلى الإسكندرية ليأخذ الحديث عن الحافظ أبى طاهر السلفى(٣)، وكانت الإسكندرية «مدينة سنية يغلب على أهلها التسنن، ومعظم علمائها ـ إن لم يكن كلهم ـ من علماء السنة»(٤)

وقد ذكر ذلك ابن سناء فى قصيدة له فى مدح الحافظ أبى طاهر السلفة، فقال:

فجئتُ إلى الإسكندريـة قاصـداً ... إلى كعبةِ الإسلامِ أو عَلَم العلـمِ
إلى خيـرِ ديـنٍ عنده خيرُ مرشـدٍ ... وخيرُ إمـامٍ عنـده خيـرُ مؤتـمٌ
إلى أحمـدَ المحيىٌ شريعـة أحمـدَ ... فلا عَدِمـتْ منه أبًا أُمَّـةُ الأمـىٌ
حمَى بدعــاءِ أوهمَــى بفوائــدَ ... فبوركَ مَنْ مازال يحمِى كما يهمِى
تقوَّس تقويــسَ الهـلالِ تهجـداً ... وذاك هلالٌ يفضحُ البدرَ فى التـمِّ(٥)

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ١٠٥ ـ ١٠٧، وله ترجمة فى الوافى بالوفيات ٧/ ٣٥١ ـ ٣٥٦، طبقات الشافعية للأسنوى ٢/ ٥٨، البداية النهاية لابن كثير ١٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨

(٢) الحافظ أبو طاهر السلفى، ص ١٤١

(٣) انظر: معجم الأدباء ٥/ ٥٨١، التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٢٣١، وفيات الأعيان ٦/ ٦١، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٨١، مرآة الجنان ٤/ ١٧، حسن المحاضرة ١/ ٥٦٥، شذرات الذهب ٥/ ٣٥.

(٤) أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى، ص ١٣١

(٥) ديوان ابن سناء الملك، ٢/ ٢٧٩

٣ـ ابن برى:

أبو محمد، عبد الله بن برى بن عبد الجبار المقدسى الأصل، المصرى المولد والدار والوفاة. كان شافعياً إماما فى النحو واللغة، ولد بمصر لخمس بقين من رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائة، وتوفى بها يوم الأحد التاسع والعشرين من شوال سنة ثنتين وثمانين وخمسمائة[١].

أرسل القاضى الرشيد إليه ولده هبة الله ليتعلم اللغة بين يديه[٢]، لأن اللغة هى رأس مال الكاتب، وأس كلامه، وكنز إنفاقه[٣]، وأن الكاتب «إذا مهر فيها، وعرف طرقها، أتى فى كلامه بالسحر الحلال، وصاغ من ألفاظه ومعانيه ما يقضى له بالفصاحة التامة، والبلاغة الكاملة من وجوه تحقيق الكلام، وتحسينه، وتدبيجه وتنميقه»[٤].

٤ـ القاضى الفاضل:

عبد الرحيم بن على بن الحسن المعروف بالقاضى الفاضل «رب القلم والبيان، واللسن واللسان، والقريحة الوقادة، والبصيرة النفاذة، والبديهة المعجزة والبديعة المطرَّزة»[٥]

تعلم ابن سناء الملك فنون الأدب على يدى أستاذه القاضى الفاضل الذى احتضنه، ونمى مواهبه، وأثرى مداركه، موجها ومشجعاً وناقداً. وقد اعترف ابن سناء الملك بفضله عليه، يظهر ذلك فى قوله: «ليعلم أنه ـ رحمه الله ـ كثر قليلى، وسمن هزيلى، وفخم ضئيلى، وأعطانى من المدح مالا أستحقه، ومنحنى من الوصف ما لا أستوجبه، ورفع أقوالى فوق قدرها، ودفع لعقائلى فوق مهرها .»[٦]

ويقول فى موضع آخر من المقدمة: «وكيف يحابينى أو يحاشينى وهو المخدوم وأنا

---

(١) طبقات الشافعية للأسنوى (بتصرف)، ١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨، وبه ثبت لمصادر ترجمته.

(٢) انظر: التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٢٣١، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٨٠، حسن المحاضرة ١/ ٥٦٥، شذرات الذهب ٥/ ٣٥.

(٣) صبح الأعشى ١/ ١٨٥

(٤) السابق ١/ ٢٢٤

(٥) خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر)، ١/ ٣٥.

(٦) فصوص الفصول، ص ٥٤.

الخادم، وهو المتبوع وأنا التابع، وهو الغنى وأنا المحتاج إليه، وهو المعطى وأنا الآخذ منه، وهو الأستاذ وأنا التلميذ له والمتعلم منه»[١].

ومن قصيدة له فى مدح القاضى الأشرف بن القاضى الفاضل:

بأبيهِ عَلا مكانى فأضحـــــى ... شاسعاً والهلالُ أصبحَ شسعِـــى
بأبيهِ نُبِّهْــتُ بعـــد خمـــولٍ ... وبـهِ قد رُفِعتُ من بعدِ وضعِـــى
وتعلمتُ منْه مـــا قلـــتُ فيـــهِ ... من مديحِى له بنظمِى وسجعِى[٢]

ومن قصيدة له فى مدح القاضى الفاضل:

أكرمتَنِى وعمَّمْتَنِـــــى بفوائـــدَ ... كادتْ تُغْــرِقُ ساحتــى بعبابِهَـــا
وكسوتَنِى خِلَعاً عُذِرَت معاطفِى ... لما ازدهَاهَا التيــهُ مـــن إعجابِهَـــا
ورأيتَ قدرِى فى البريـــةِ خاملاً ... فجعلتَ قدرِى فى البريـــةِ نابهًا[٣]

وتقتضى طبيعة البحث أن أترجم للقاضى الفاضل - لأنه قسيم فى رسائل الديوان. ترجمة موجزة تبرز أهم معالم حياته، وأن أشير إلى المصادر التى ترجمت له.

٥- رحلاته: [الداخلية والخارجية]

رحل إلى الإسكندرية فى صدر شبابه؛ ليأخذ علوم الحديث عن المحدث الكبير الشيخ الجليل الحافظ أبى طاهر السلفى.

يقول ابن سناء الملك:

فجئتُ إلى الإسكندرية قاصــــداً ... إلى كعبة الإسلامِ أو علمَ العلـمِ
إلى خيرِ دين عندهُ خيرُ مرشـــــدٍ ... وخيرُ إمامٍ عنـدَه خيـــرُ مؤتَـــمٍّ
إلى أحمدَ المحيىُ شريعةَ أحمـــدَ ... فلا عَدِمتْ منهُ أبًا أمـــةُ الأمّى[٤]

(١) فصوص الفصول، ص ٥٢.
(٢) ديوان ابن سناء الملك، ٢/ ١٩٣
(٣) السابق، ٢/ ٢٥
(٤) ديوان ابن سناء الملك، ٢/ ٢٧٩

أما عن رحلاته الخارجية فإن ابن سناء الملك كان محبا لوطنه مصر، متعلقاً به، مؤثراً للإقامة فيه؛ لذا وجدناه قليل الترحل عنه.

سافر إلى الشام فى الخدمة الفاضلية سنة ٥٧١هـ. قال العماد الأصفهانى فى خريدته: «ثم وصل إلى الشام فى شهر رمضان سنة إحدى وسبعين فى الخدمة الفاضلية، فوجدته فى الذكاء آية. . .»[١].

وفى سنة ٥٨٣هـ زار القدس، ثم توجه إلى دمشق لزيارة القاضى الفاضل ويبدو أنه زار بصرى وحماه أثناء هذه الرحلة ولكنه لم يمكث طويلا وعاد إلى مصر. يقول ابن سناء: «قلت: كنت فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة قد مضيت إلى زيارة القدس، ثم سرت منه إلى زيارته ـ رحمه الله ـ بدمشق فوجدته مريضاً مدنفاً فى خطة صعبة، وفى حالة مخطرة فخشيت أن أقيم فيجرى من المحتوم عليه ما لا طاقة لى بمشاهدته، فأقمت عنده أياماً قلائل واعتذرت إليه بأننى وردنى عن أبى ـ رحمه الله ـ خبر مزعج وحديث مقلق فأعطانى دستوراً بالعود .»[٢].

وقد أفاد ابن سناء الملك من هذه الرحلات حيث زار بعض مواقع الأحداث على الطبيعة كالقدس، وجنى علماً، ووقف على بعض مشاهد الطبيعة الجميلة ـ كما فى حماه ـ ولم يشغله هذا كله عن حبه لمصر وحنينه إليها، فتدفقت عاطفته الصادقة ومشاعره الملتهبة متغنية بهذا الحب والحنين الذى أنساه ما سواه يقول ابن سناء:

ظبىٌ بمصـــرَ نسيـــتُ منـــــ ـــــهُ عنـــاقَ غـــزلانِ العـــراقِ[٣]

وقال:

أيا بصرِى لا تنظرنَّ إلى بصـــرَى فإنِّى أرَى الأحبابَ فى بلدةٍ أخرَى

إلى قوله:

فو اللهِ مـا أشرِى الشامَ ومُلْكَــه وغوطَتَهُ الخضرَا بشبرين من شُبْرَا[٤]

(١) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ٦٧

(٢) فصوص الفصول: ٧٠ـ ٧١

(٣) ديوان ابن سناء الملك، ٢/ ٤٢٠.

(٤) السابق، ص ٢/ ٥٨١.

وهكذا نرى أن «حب مصر وأرضها يجرى فى عروقه مجرى الدم، فهو لا يكاد يخرج من مصر ويغترب مع القاضى عبد الرحيم والسلطان فى الشام زمنا حتى يحن لمصر، وطنه فيبدو هذا الحنين فى منظوماته، ليقول:

لقد أضرنى البينُ المشتُّ وضرَّنــى فيالك بيْنًا ما أضر وما أضـــرَى

أاهبطُ من مصر وقديمًا قد اشتَهَى على اللهِ أقوامٌ فقالَ اهبطوا مصر[١]

٦ـ وظيفته:

حظى ابن سناء الملك بالعمل فى دواوين الدولة مع القاضى الفاضل حتى توفى صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ، فاعتزل الفاضل السياسة واستعفى العزيز بن صلاح الدين من تولى الوزارة فأعفاه، غير أن ابن سناء الملك لم يعتزل عمله، فقد ظل يعمل مع العزيز، ثم مع أخيه نور الدين الملقب بالأفضل، وكان قريباً من نفسه. ولما استخلص السلطان العادل مصر من ابن أخيه الأفضل عمل معه ومع ابن السلطان الكامل[٢].

«وكان الملك الكامل ـ أدام الله ملكه ـ قد ولاه ديوان الجيش ولم تكن له عادة بالخدمة فيه ولا الاستقلال به فكتب إليه بهذه الثلاثة الأبيات يستقيله من الخدمة ويستعفيه وهى آخر ما قال من الشعر:

قد عجزَ المملوكُ عن خدمةٍ ثباتُه فى مثلِهَـــا طيـــشُ

للجيشِ ديوانٌ ومالِى بـــهِ أنسٌ ولا عـندى لـه عيـشُ

وصرتُ مهزوماً فلا تعجبُوا من واحدٍ يهزمُهُ الجيـــشُ[٣]

وكان لعمل ابن سناء الملك فى ديوان الإنشاء أثر كبير فى ثقافته لأن «كاتب الإنشاء فى الحقيقة لا يستغنى عن علم ولا يسعه الوقوف عند فن»[٤] ولهذا قيل: «شيئان لا نهاية لهما: البيان والجمال»[٥]

(١) ديوان ابن سناء، ٢/ ٥٨١.

(٢) فصول فى الشعر ونقده، ١٧٣ ـ ١٧٤

(٣) ديوان ابن سناء الملك، ٢/ ١٨٥

(٤) صبح الأعشى، ١/ ١٨١

(٥) المثل السائر، ١/ ٢٨.

٧ـ صلته بالقاضي الفاضل:

توثقت عُرَى المحبة بين ابن سناء والقاضي الفاضل، وقد أعجب الفاضل بموهبته ونبوغه فاتخذه ابنا روحياً له يوجهه ويدربه على فنون الكتابة ويشجعه ويثني عليه وينقده أحيانا.

ومن يستقرىء نتاج ابن سناء الملك يجد شواهد كثيرة على هذه العلاقة الوطيدة.

يقول ابن سناء في مقدمة كتابه فصوص الفصول: «وهو الغني وأنا المحتاج إليه، وهو المعطي وأنا الآخذ منه، وهو الأستاذ وأنا التلميذ له والمتعلم منه»(١) ويقول إنه: «كثر قليلي، وسمن هزيلي، وفخم ضئيلي، وأعطاني من المدح ما لا استحق، ومنحني من الوصف ما لا أستوجبه، ورفع أقوالي فوق قدرها، ودفع لعقائلي فوق مهرها. .»(٢).

ويثني القاضي الفاضل على إنتاج ابن سناء، فيقول: «وما يرينا من آية إلا هي أكبر من أختها. .»(٣)، ويقول: «وداوت جراح خاطري ما فيه من الغرائب التي أنشأهنَّ إنشاء فجعلهن أبكاراً .»(٤)، ويقول: «وما رأيت أحسن من نظمه إلا نثره، ومن نثره إلا نظمه»(٥)، ويقول: «ورد من القاضي السعيد كتاب فوجدته طوفان بلاغة»(٦).

وقد أفاد ابن سناء الملك من اتصاله بالقاضي الفاضل فوائد جمة، فقد تدرب على فنون الكتابة، وحظي بمكانة سامية، وحصل على وظيفة مرموقة في ديوان الإنشاء، واتصل بكبار رجال الدولة، ونال خلعاً من السلطان صلاح الدين، مما هيأ له حياة مترفة أعانته على القراءة والتحصيل، وانعكست على أدبه فرأينا التأنق اللفظي والزخرف البديعي.

---

(١) فصوص الفصول، ص ٥٢.

(٢) السابق، ص ٥٤.

(٣) السابق، ص ٥٥.

(٤) السابق، ص ٧٧

(٥) السابق، ٩٨

(٦) السابق، ص ١١٦

ثانياً ـ روافد ثقافته:

لثقافة ابن سناء الملك رافدان: رافد عربى إسلامى ورافد أجنبى.

ثقافته الإسلامية:

نبعت ثقافته الإسلامية من حفظه للقرآن الكريم وهو كنز البلاغة ومفتاح المعارف. ومن دراسته للحديث الشريف، وقراءته الثاقبة فى مصادر التراث الإسلامى. وقد تركت هذه الثقافة آثارها البارزة على أدبه شعره ونثره فجاء محلى بآى من القرآن الكريم، مرصعاً بالحديث الشريف، مصبوغاً بالمعانى الدينية.

وبرهان ذلك قول ابن سناء يعزى القاضى الفاضل فى «عكا» لما أخذها الفرنج: «. وإنا لا نقنط من رحمة الله، وهل يقنط من رحمة الله إلا عدو كافر؟ ولا نخاف أن يخفى ديننا وقد ضمن الله أنه الظاهر، ولا نخشَى أن يخذل وكيف وربنا الناصر لسلطانا الناصر، ولا نيأس من روح الله وكيف ونحن المؤمنون، ولا نرهب أعداء الله ونحن حزب الله وحزب الله هم الغالبون، وما كان الله ليضيع إيمانكم، ولا ليهزم أبدا أعوانكم، وعسى ربكم أن يرحمكم، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً، وعد الله لا يخلف الله وعده وكان وعد الله مفعولاً . .»[١].

ثقافته الأدبية:

أسس ابن سناء الملك بناءه الثقافى على قاعدة راسخة تمثلت فى حفظه للقرآن الكريم والحديث الشريف، وقرأ كل ما استطاع أن يصل إليه من الأدب العربى قديمه ومعاصره، وعكف على دراسته وحفظ جيده «والحفظ فى ذلك ملاك الأمر فإنه يؤهل ويدرب ويسهل ويقرب»[٢] قرأ شعر امرئ القيس وابن الرومى وأبى نواس ومهيار الديلمى والبحترى وأبى تمام والمتنبى وعبد الله ابن المعتز وابن رشيق ممن ذكرهم فى كتابه فصوص الفصول ـ وغيرهم كثير ـ كذلك قرأ كتب الجاحظ واختصر كتابه الحيوان وأسماه روح الحيوان وقرأ أدب ابن العميد والوزير المغربى وأبى حيان التوحيدى وغيرهم من أعلام النثر الذين تقدموه أو عاصروه.

---

(١) فصوص الفصول، ص ١٦١

(٢) معالم الكتابة ومغانم الإصابة، عبد الرحيم بن على بن شيش القرشى ص ٤٠ .

ودليل ذلك قول ابن سناء الملك في رسالته إلى القاضي الفاضل: «وقد اختار المملوك كتاب الحيوان وترجم المختار منه بروح الحيوان. إلى قوله: ومن بركة هذا الكتاب على المملوك أنه أراحه من ثلاثة كانوا عنده آباء في البراعة واللّسن، وكان يسبحهم بكرة وعشيا في السر والعلن، أولهم: أبو الفضل بن العميد وثانيهم أبو حيان التوحيدي وثالثهم الوزير أبو القاسم المغربي . . .»(١).

لقد قرأ ابن سناء الملك تراث أمته قراءة واعية - وكان لابد من أن يقرأه - وجنى من أزاهيره ما فاح عبيره في أدبه شعره ونثره: في الألفاظ والتراكيب والمعاني والصور الخيالية والموسيقى. وسيتضح هذا خلال الدراسة الفنية.

ولم يكن التأثر بالموروث وقفاً على ابن سناء وحده بل إن «التأثر ومحاولة الإفادة من الآثار الممتازة ظاهرة طبيعية في كل زمان وفي كل مكان»(٢)، وقد أشار القاضي الفاضل إلى هذا حين قال: «وحال الجاحظ مع من قبله فيما أخذ منهم، كحال الجاحظ مع من بعده فيما «أخذوا منه»(٣)، وقال ابن سناء: «ولا عار على الفقيرة إذا استعارت حلى الغنية، ولا عيب على من التقط جواهر كثرت حتى صارت في الطريق مرمية»(٤).

وقديمًا اتهم ابنُ جبارة على بن إسماعيل [٥٥٤ - ٦٣٢هـ] ابنَ سناء الملك بالسطو على التراث والسرقة منه وألف في ذلك كتابا أسماه: «نظم الدر في نقد الشعر» جعله لبيان مساوئ شعر ابن سناء - من وجهة نظره - وتَجنًّى عليه كثيراً. والكتاب مفقود «ولكن الصفدي احتفظ بنماذج منه في شرحه على لامية العجم. . .»(٥).

وكرر هذه التهمة في العصر الحديث الدكتور عبد العزيز الأهواني فهو يرى أننا إذا فتّشنَا «عن الأصول الثقافية التي استخرج منها ابن سناء الملك مادته، والمناهل التي استقى منها اختراعه وابتكاره، ونحن واجدون ذلك في التراث الشعري العربي الذي عكف ابن سناء

(١) فصوص الفصول، ٢٢٥ - ٢٢٦

(٢) السرقات الأدبية، بدوي طبانة، ص ١٣٩

(٣) فصوص الفصول، ص ٢١٥ - ٢١٦.

(٤) السابق، ص ٢٢٦

(٥) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، ص ٥٨٦. ،انظر: نماذج من هذا النقد في الغيث ١/ ٢٠٩، ٢١٠، ٣٧٠، ٤٠١ - ٢/ ٦٨، ٣٠٩.

الملك على مطالعته وحفظه عكوفاً طويلاً جعله لا يفارق خياله وهو ينظم، فقد كان يقتبس من ذلك التراث فيسطو عليه ثم يتحداه فى الوقت نفسه وينافس أصحابه»[١].

حقًا لقد عكف ابن سناء الملك على تراث أمته ـ عن قصد ودرسه دراسة واعية، وحفظ ما استطاع حفظه من جيده، ولا تثريب عليه فى ذلك لأن «القديم الذى يمثل تراث أمة فى الأخلاق والتقاليد وألوان الثقافة وفنون الحضارة، هو ماضى تلك الأمة، وهو فى الوقت نفسه جزء كبير من كيانها، ومقوم من أعظم مقوماتها التى تكون بها شخصيتها بين الأمم، فتبنى لنفسها من ذلك الماضى كيانا تضيف إليه ما تستطيع من مقتضيات التجدد والسير فى ركب الحياة. وبهذا الهيكل الذى تراصت لبناته على مر الزمان تكون الأمة ذات لون متميز بين أمم الأرض»[٢]

إن عكوف ابن سناء على تراث أمته وإحيائه له وربطه بمعطيات عصره لدليل على حب المصريين لتراثهم القديم فـ«مصر بطبيعتها أمة معتدلة. تسعى دائماً إلى الاتصال بماضيها غير منقطعة عنه. فإذا رأينا ابن سناء الملك وأضرابه من الشعراء المصريين فى عصره وبعد عصره يتأثرون بالتراث الشعرى القديم تأثراً قوياً وجب ألا نغض منهم لأنهم صدروا فى ذلك عن خاصة من خصائص روحنا المصرية، خاصة الاعتدال والاتصال بالقديم..»[٣].

لقد لعبت الأحداث الكبرى التى عاصرها ابن سناء دوراً لا يغفل فى إحياء التراث العربى الإسلامى، فقد شهد ثورة الفكر السنى وتحطيمه للفكر الشيعى، وشهد كذلك الحروب الصليبية وكان للغزو الصليبى للأرض العربية والمقدسات الإسلامية أثره فى العودة «إلى التراث للبحث عن هوية أسبق فى التاريخ من هوية العدو. ، وعن سبل لقتال العدو بالفعل وبالكلمة»[٤]، «ومن هنا مضوا يضمون الأسلاف إلى صدورهم لا تقديسا للقديم من أجل قدمه كما قد يتبادر إلى من لا يتعمقون درس الأمة العربية وتاريخها الأدبى

(١) ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار فى الشعر، ص ٩، ١٠
(٢) السرقات الأدبية، د. بدوى طبانة، ص ٢٢٧
(٣) فصول فى الشعر ونقده، ص ١٨٠، ١٨١ (بتصرف).
(٤) الشاعر والتراث، ص ٩٥

وشخصيتها التاريخية، وإنما صدروا عن شعور عميق بوجوب استمرار العروبة وروحها العظيمة، وهو بذلك استمرار حى لا يعنى بحال التحجر والجمود، وإنما يعنى الخصب والنماء»(١).

ثم إن ابن سناء الملك رأى أن التراث العربى القديم تعرض لقضية خطيرة هى قضية «الغمر» نتيجة عوامل سياسية مذهبية وقد دفع هذا الأمر القاضى الفاضل إلى توجيه الأدباء وتكليفهم بعمل مختارات من التراث القديم وقد فهم ذلك من رسالة للقاضى الفاضل تدور حول توجيه ابن سناء إلى عمل مختارات من شعر ابن الرومى. قال القاضى الفاضل: «وكان القاضى السعيد لما وصل إلى دمشق عائداً جعلت قراءة شعر ابن الرومى واختياره وكدى، واخترت أنا وهو حرف الألف وتوجه قبل تمام الاختيار ووعد بأنه يكمله، فلم لا أنجز ميعاده، ولم لا أجعل مرادى مراده فكان يبرز من الشعر محاسنه المغمورة، ويلفظ أبياته الخراب ويبقى أبياته المعمورة وكان ابن الرومى يشكره فى لحده، ويستعير ألسنة الأحياء فى حمده»(٢).

ومن رسالة أخرى للقاضى الفاضل «وأما اختيار القاضى السعيد من كتاب الحيوان للجاحظ فقد نفخ من روحه فى روح حيوان أبى عثمان، وأطلق كتابه من محاصرة الأطراح وكان فى مثل دار عثمان، وذكر به بعدما كان نسيا منسيا، وأعاره شباباً وكان بلغ من الكبر عتيا»(٣) إلى أن قال: «ولو اختار معه البيان والتبيين وجمع فى عقد واحد بين كريمتيه، بل لو اختار كلامه كله، ورسائله كلها، لكان يقر فى القبر عين الجاحظ الجاحظة ويشكره فى القيامة إذا استويا فى درجة البلاغة عناية مودته المحافظة»(٤)

ثقافته التاريخية:

يقول القلقشندى فى صبح الأعشى: «أعلم أن الكاتب يحتاج إلى معرفة وقائع التاريخ، وتفاصيلها، ولا يكاد يستغنى عن العلم بشىء منها. .»(٥).

(١) فصول فى الشعر ونقده، ص ١٨٠

(٢) فصول الفصول، ص ١١٣ ـ ١١٤

(٣) السابق، ص ٢١٥

(٤) السابق، ٢٢٥

(٥) صبح الأعشى، ١/ ٤٦٩.

ومن يقرأ كتاب فصوص الفصول لابن سناء الملك يجد إشارات تاريخية تدل على أنه كان على درجة عالية من الثقافة التاريخية فقد أشار إلى المهلب بن أبى صفرة، وإشعب بن جبير، وداود عليه السلام، وموسى، وليلى العامرية والمجنون. وغير ذلك من الإشارات المتناثرة فى الكتاب.

قال ابن سناء:

فلا يذكرنَّ آلَ المهلـــبِ ذاكـــرٌ فقد جاءَ من ينسيهِــم المهلبـــا(١)

وقال:

ولِي طمعٌ فى حسنِ رأيكَ صادقٌ وما طمعِى فى حسنِ رأيكَ أشعبًا(٢)

وقال:

تزاحمـــتْ الأبطــالُ فيه فخرَّقتْ ثيابٌ لها من عهــدِ داودَ تُلْبَـسُ(٣)

وقال:

وقد آنسُوا نارَ موسى من بديهتِـة فما يجيئُون إلا يقبسُونَ هـــدًى(٤)

وقال:

كذبوا ما سلوتُ عنكَ وهلْ يســـ ـلُوعـــن العامريـــةِ المجنـــونُ(٥)

ومما يدل - أيضاً - على ثقافته التاريخية أن القاضى الفاضل كلفه بمراجعة وتهذيب التاريخ المأمونى. قال القاضى الفاضل: «والتاريخ المأمونى يوسع فيه ويحشد ويكثر ويصيره مصنفاً قائماً وتاريخاً مستقلاً ويسدد القاضى السعيد مرائين بتهذيباته واقتراحاته وقت راحاته. .»(٦).

(١) فصوص الفصول، ص ٧٤.
(٢) السابق، ص ٧٥.
(٣) السابق، ص ١٠٤
(٤) السابق، ص١٣٤
(٥) السابق، ص ٢٥٠
(٦) السابق، ص ٢٠٣

ثقافته الفلكية:

كان ابن سناء الملك على علم بالفلك وفى تراثه إشارات تدل على ذلك منها:

قوله: «وأما القصيدة السينية المشار إليها فكنت قد مدحت بها الملك الناصر قبل هذه الفائية. إلى قوله: وكتبت إليه هذه الفائية أشرت فى كتابى إلى السينية وتأخرهما بأن قلت: إن تلك القصيدة صادفها زحل فى الطريق...»(١)

ومن قصيدة له فى مدح الملك المظفر تقى الدين صاحب حماه عندما عزم على فتح بلاد المغرب:

ويُسعده البر جيش فى السلمِ مثلمَا ... يساعدُ المرِّيخ فى حومـــةِ الحـــربِ
وينحسُ كَيْـــوَانَ بـــلاد عـــدوِّهِ ... ويُعْجِلُه بالسَّـــلِّ منها وبالسَّلْـــبِ
ويفتـــح ديوان السمـــاء عُطـــارد ... لإنشاء أخبـــار البشَائـــرِ والكُتْـــبِ
وما الزهـــرةُ الزهـــراءُ إلا مَلِيَّـــةٌ ... ببعثِ سرورِ النصرِ للنفسِ والقلبِ(٢)

ومن قصيدة له فى مدح الملك الناصر:

وجاريةٌ تخفِى الجوارِى بحسنِهَـــا ... ألمْ تعلمُـــوا أنَّ الجـــوارِى كُنَّـــس(٣)

ومن قصيدة يعتذر فيها للقاضى الفاضل:

ويا ليتَ شعرِى مَنْ لمنْ أشتكِى لهَا ... أخاطبُ ثوراً أمْ أعاتـــبُ عقربـــاً(٤)

هذه جولة سريعة حول ثقافته الإسلامية والعربية روافدها وأنواعها. وإذا كان المثل يقول: كل إناء بما فيه ينضح. فقد نضحت هذه الثقافة على أدبه فلا نكاد نقرأ له شيئًا ـ لا سيما رسائله النثرية ـ إلا ونجد عبيراً من القرآن أو شذى من السنة أو بيتاً من الشعر المأثور أو حكمة أو مثلاً أو مصطلحاً فقهياً أو إشارة إلى شخصية أو حادث تاريخى هذا بالإضافة إلى ألوان البيان والبديع التى زين بها أدبه.

(١) فصوص الفصول، ص ٦٣
(٢) ديوان ابن سناء، ٢/ ٩، ١٠
(٣) السابق ٢. ١٧٣
(٤) السابق ٢/ ٥٣٩.

ثقافته الأجنبية:

نظراً لأهمية ديوان الإنشاء فقد تطلبت طبيعة عمل الكاتب فيه التعددية الثقافية. بمعنى أن يكون الكاتب ملماً بقدر كبير من ثقافات عصره وبيئته، وأن يكون على معرفة بلغة أجنبية وكانت الفارسية فى القرن السادس الهجرى أكثر اللغات ذيوعاً وانتشاراً بين المثقفين العرب؛ لوجود صلات قديمة بين العرب والفرس، أدت إلى اعتناق كثير منهم للدين الإسلامى وأنصارهم فى العربية.

وكان ابن سناء الملك يجيد اللغة الفارسية؛ فقرأ فى مصادرها التاريخية، وقد فهم هذا من رسالة بعث بها ابن سناء إلى القاضى الفاضل يعزيه فى عكا حين استولى عليها الصليبيون. يقول: «وفى أثناء هذه الأيام السود طالع المملوك نسخة من سير الفرس استعارها من فلان فوجد فيها حزم أبرويز فى أمره وكونه لم يجب ملك الروم إلى دفعه، مع أيادى قيصر عنده، وتمليكه إياه، وأخذه له بثأر أبيه»[1].

وقرأ الأدب الفارسى وألم به، وقد فهم هذا من حديثه عن الشاعر الفارسى «السنائى الغزنوى». يقول: «. وله أشعار فارسية بديعة، وهو فى ذلك الشعر بذلك اللسان شاعر مفلق وطبقته عليا، ويكاد يكون فى العجم كامرئ القيس فى العرب. »[2]

واستطاع أن ينظم بالفارسية كما نظم بالعربية ويفهم هذا من قوله: «فلما اتفق لى أن تعلمت اللغة الفارسية عملت هذا الموشح وغيره وجعلت خرجته فارسية بدلاً من الخرجة البربرية. . »[3]

والموشح المشار إليه، هو:

فى خديْك من صيْر اللا ذَ ثيــابَ الياسمِيــــن

---

(١) فصوص الفصول، ص ٢٣١

(٢) السابق، ص ٩٥

(٣) السابق، ص ٩٥، ٩٦، ٩٧

«ويلاحظ. أن الأمر قد اشتبه على صاحبنا، فأعجمية المغاربة بالفعل هى البربرية، لكن أعجمية الأندلسيين - وهم الذين قصدهم بكلمة مغاربة، وأتى بنماذج عديدة من موشحاتهم - كانت الرومانثية الإسبانية التى لم تتوفر لديه بيانات كافية عنها» (شفرات النص د. صلاح فضل، ص ١١٤، ١١٥).

ومنه:

وخــود كما شئــت طفلة ... كغصـــــن مايـــــس

أرادت أن تكــون خلَّـــة ... لظبـــــى كانـــــس

فلمـا جئـــت منـــه قُبلة ... شـــدت بالفارســـى

وأنتى كــى بوســه بمن داذ ... دهـــا إنكستريـــن

أو أزكواى دسـت من باش ... ببوستـــه شبيـــن[1]

«والخرجة الفارسية بمعنى: هل تعرف متى قبلنى؛ إن فمها كان شاهدى على هذه القبلة التى منحتنى إياها»[2].

ولعل تميزه الثقافى هذا، فى إلمامه بلغة أجنبية، كان محركاً لغيرة بعض الناس منه[3] يقول ابن سناء:

وعزٌ على العــربِ أنِّى حفـــظْ ... ـتُ برغمى بعضَ لغاتِ العجَـــمِ[4]

(١) فصوص الفصول، ص ٩٧

(٢) دراسات فى الشعر فى العصر الأيوبى، د. محمد كامل حسين.

(٣) ملامح الشخصية المصرية فى الدراسات البيانية فى القرن السابع الهجرى، ص ٣٥٠

(٤) ديوان ابن سناء الملك، ٢/ ٣١٦.

ثالثًا : مؤلفاته

مؤلفات الأديب أو العالم ثمرة موهبته وثقافته، ومرآة تعكس ملامح شخصيته وعلاقته بمجتمعه، وتفاعله مع أحداث عصره. ومن ناحية أخرى هى شاهدة على عصرها؛ فالأمة التى تملك قاعدة معلومات قوية أمة متحضرة تهابها الأمم. وقد أدرك أسلافنا هذه الحقيقة فاهتموا بالعلوم والآداب والفنون وشجعوا على التأليف فكان الكتاب أغلى ما يهدى وأعز ما يقتنى، ولذا كان من الضرورى عند دراسة الشخصية أن تذكر مؤلفاتها من خلال ما ذكره المؤلف وما ذكرته كتب التراجم ـ قديمها وحديثها ـ عند الحديث عنه.

كان ابن سناء الملك حصيلة مكونات عصره فهو شاعر مفلق، وناثر مبدع. ودليل ذلك قوله فى مدح الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين:

أنا الذى أهـواكَ لا للجَـدا ... لكنْ هوًى فى فضلِكَ الباهِـر
ولِى لسانٌ فى فمِى لم يـزَلْ ... مثل حسامٍ فى يـدِى شاهِـر
وكـمْ لَهُ من خبرٍ شائـعٍ ... وكـمْ لَهُ من مثـلٍ سائِـر
إن شئتَ جاءَ النظمُ من ناظمٍ ... أو شئتَ جاءَ النثرُ من ناثِـر(١)

ومن قصيدة له فى مدح الحافظ أبى طاهر السلفى:

سأحبُوكُم رقَّ القوافِى فإنَّنِـى ... بغيرِ اختلاقٍ مالكُ النثرِ والنَظمِ(٢)

ومن رسالة للقاضى الفاضل إلى القاضى الرشيد والد ابن سناء:

«وما رأيت أحسن من نظمه إلا نثره، ومن نثره إلا نظمه»(٣)

وقال عنه العماد فى خريدته: «ثم وصل إلى الشام فى شهر رمضان سنة إحدى وسبعين فى الخدمة الفاضلية فوجدته فى الذكاء آية، أحرز فى صناعة النثر والنظم غاية...»(٤).

(١) ديوان ابن سناء الملك، ٢/ ١٢٥
(٢) السابق، ٢/ ٢٨٠
(٣) فصوص الفصول، ص ٩٨.
(٤) خريدة القصر (قسم شعراء مصر)، ١/ ٦٧

وتشير النصوص السابقة إلى أن ابن سناء الملك كانت له مؤلفات فى النظم والنثر، ذكرها فى كتابه «نصوص الفصول وعقود العقول»، وأثبت ياقوت فى معجمه وابن خلكان فى وفياته بعضها. وقد حقق بعضها وطبع، وبعضها لم يزل مخطوطاً، وبعضها مفقود.

أولاً ـ مؤلفاته المطبوعة:

مؤلفاته التى حققت وطبعت هى المتصلة بنظمه؛ لأن شهرته فى النظم فاقت شهرته فى النثر.

١ ـ ديوان شعره[١]

أ ـ حققه العالم الهندى الدكتور محمد عبد الحق، وطبع بحيدر أباد الدكن بالهند سنة ١٩٥٨

ب ـ ونظراً لوجود أخطاء فى التحقيق السابق أعاد الباحث محمد إبراهيم نصر تحقيق ديوان ابن سناء الملك لنيل درجة الماجستير من كلية دار العلوم، وجعله فى جزئين: الأول ـ خصصه لدراسة حياة الشاعر وشعره. والثانى ـ الديوان المحقق. وأصدرته وزارة الثقافة المصرية سنة ١٩٦٨

يقول محمد إبراهيم نصر: «ومن تتبعنا لديوان ابن سناء، نرى أن ما اشتمل عليه من شعر يقرب من ثمانية آلاف بيت، خص المديح منها ما يقرب من خمسة آلاف بيت وهو ما يزيد على نصف الديوان، ثم تلاه ما يقرب من ألف بيت فى الغزل والمجون، وهذان هما الغرضان الرئيسان فى الديوان. وقد ظهر إلى جانبهما أنواع أخرى من شعره كالرثاء، والهجاء، والفخر، والحكمة، والوصف، والزهد، والاعتذار، والشكوى»[٢]

٢ ـ دار الطراز فى فن الموشحات[٣] ذكر ابن سناء الملك كتابه هذا فى قصيدة مدح بها القاضى الفاضل، قال:

---

(١) ذكره ياقوت فى معجم الأدباء ٥/ ٥٨٢، وابن خلكان فى الوفيات ٦/ ٦١، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٨٠، واليافعى فى مرآة الجنان ٤/ ١٧، والسيوطى فى حسن المحاضرة ١/ ٥٦٥، وابن العماد فى شذرات الذهب ٥/ ٣٥.

(٢) ابن سناء الملك حياته وشعره ١/ ٥٧.

(٣) معجم الأدباء ٥/ ٥٨٢، وفيات الأعيان ٦/ ٦٢، مرآة الجنان ٤/ ١٧، حسن المحاضرة ١/ ٥٦٥، هدية العارفين ٦/ ٥٠٦.

وعمرتْ دارَ طــرا رِى منكَ بالمرقُــومِ
كذا موشحاتِى صر نَ منــكَ الطمِيــمِ[١]

وأودع ابن سناء الملك كتابه «نصوص الفصول» ثلاث موشحات فى مدح القاضى الفاضل.

وجعل ابن سناء «دار الطراز» فى مقدمة وقسمين. تناول فى المقدمة «الحديث عن هذا الفن الجديد وأصوله وقواعده وخصائصه»[٢]، أما القسم الأول فقد أثبت فيه أربعاً وثلاثين موشحة أندلسية وأما القسم الثانى فقد أثبت فيه خمساً وثلاثين موشحة من تأليفه فى أغراض متنوعة مثل: الغزل ووصف الخمر والمدح والرثاء.

وقد حقق هذا الكتاب الدكتور جودت الركابى وطبعته دار الفكر بدمشق للمرة الثانية سنة ١٩٨٠.

ثانياً ـ مؤلفاته المخطوطة المعروفة:

«فصوص الفصول وعقود العقول»[٣]، وهو ما قمت ـ بعون الله ـ بتحقيقه ودراسة أهم قضاياه. يقول ابن سناء فى مقدمة هذا الكتاب: «. وكل ما وسمه ـ رحمه الله ـ باسمى، وأجزل من مفاخره قسمى ينقسم قسمين: قسم كتبه إلىَّ وقسم كتبه فىَّ. فأما ما كتبه إلىَّ فهى كتب كاملة ابتداءات وأجوبة قد جعلتها فى غير هذا الجزء منفردة. وأما ما كتبه فىَّ فهى فصول تضمنتها كتبه الكريمة إلى المجلس العالى الأشرفى البهائى ولده ـ أبقاه الله ـ وإلى أبى ـ رحمه الله ـ وهى التى انتزعتها من كتبه إلى هاتين الجهتين وأودعتها هذا الكتاب»[٤].

وينبىء هذا النص أن ابن سناء الملك جعل هذا الكتاب فى قسمين:

---

(١) ديوان ابن سناء ٢/ ٣٠٨.

(٢) الموشحات فى العصر الأيوبى، ماجده جمال، ص ٨٦.

(٣) انظر: وفيات الأعيان ٦/ ٦٢، مرآة الجنان ٤/ ١٧، شذرات الذهب ٥/ ٣٥، إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون، ص ١٩٢، هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ٦/ ٥٠٦، معجم الأدباء، لياقوت ٥/ ٥٨٢.

(٤) فصوص الفصول، ص ٥٢ - ٥٣ بتصرف.

القسم الأول ـ الرسائل الدائرة بينه وبين القاضي الفاضل والتي عبر عنها بقوله «ابتداءات وأجوبة» لم أعثر عليه.

القسم الثاني ـ ويشتمل على الرسائل المرسلة من القاضي الفاضل إلى ولده الأشرف وإلى القاضي الرشيد رداً على رسائل ابن سناء الملك وتعد هذه الرسائل وثائق هامة لدراسة بعض جوانب شخصية الأديبين الكبيرين، وظروف عصرهما، بالإضافة إلى ما فيها من فكر نقدي وتربوي.

وهذا القسم توجد منه سبع نسخ خطية تحدثت عنها بالتفصيل عند وصف النسخ الخطية للكتاب.

ثالثاً ـ مؤلفاته المخطوطة المفقودة:

١ ـ مصايد الشوارد:

ذكره ابن سناء الملك في كتابه «فصوص الفصول» خلال رسالة الرمد التي أرسلها إلى القاضي الفاضل. قال «وكنت كتبت إليه أشرح أمر رمدة عظيمة هائلة كدت أفلس فيها من العين، ثم مَنَّ الله ـ عز وجل ـ بالسلامة، والكتاب طويل عريض. وهو موجود في كتاب «مصايد الشوارد»[١].

ويبدو أن الكتاب كان يجمع مختارات من الشعر والنثر. يقول الدكتور أحمد بدوي: «ومضى بعض رجال هذا العصر يجمع مختارات من الشعر والنثر معاً، تضم إلى الحكمة والمثل بيت الشعر والمقطوعة والقصة النادرة، كما فعل القاضي السعيد في كتابه» مصائد الشوارد» الذي قال فيه ابن الساعاتي:

تأملتُ تصنيفَ هذا السعيدِ ... وإنِّي لأمثالِـهِ ناقــدُ
فكم ضمَّ بينَ نُهى سائـراً ... وصيدَ بهِ مثـلُ شـاردُ[٢]

٢ ـ مختارات من شعر ابن الرومي:

وجه القاضي الفاضل ابن سناء وحثه على جمع مختارات من شعر ابن الرومي، وبدأ

(١) فصوص الفصول، ص ١٢٥

(٢) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية، ص ٤١، ٤٢.

الاختيار من حرف الألف ويبدو أن ابن سناء لم ينجز ما كلف به متعللا بقوله: «فأما ما أمر به المولى فى شعر ابن الرومى فما المملوك من أهل اختياره، ولا من الغواصين الذين يستخرجون الدر من بحاره؛ لأن بحاره زخارة، وأسوده زآرة. إلى قوله: «والمملوك بمشيئة الله ـ يكمل بقية قراءة حروفه ولكن بين يدى من قرأ بين يديه حرف الألف»[1].

٣ـ مجموع أمره القاضى الفاضل بجمعه:

فجمعه وسيره إليه، وقد فهم هذا من قول ابن سناء «هذه الكراريس التى أشار إليها مجموع أمرنى بجمعه وتسييره إليه، وكتبت كتاباً عليه جاء فى ذكر هذه الكراريس منه ما هذه نسخته، وقد جمعه المملوك فما أتى فيه بغريب. .»[2].

٤ـ مختارات من شعر ابن رشيق:

جمع ابن سناء الملك مختارات من شعر ابن رشيق وقدمها إلى القاضى الفاضل بناء على توجيهه وطلبه. وقد فهم هذا من قول ابن سناء: «قلت: كان اقترح على اختيار شعر ابن رشيق فاخترته له، وسيرته إليه، وكتبت إليه كتاباً جاء من فصوله: ما رأى المملوك أعجب من شعر ابن رشيق. . ولا أن يعلمه»[3].

٥ـ روح الحيوان[4] :

اختصر ابن سناء الملك كتاب الحيوان للجاحظ وأسمى المختصر بروح الحيوان، وأهداه إلى أستاذه القاضى الفاضل، فسر به، وتمنى لو فعل ذلك مع البيان والتبيين بل مع كل تراث الجاحظ. وقد فهم هذا الاختيار من قول ابن سناء «وقد اختار المملوك كتاب الحيوان وترجم المختار منه بروح الحيوان، وكل كتاب بعده جماد وهو كنز البلاغة الذى ماله من نفاد، والبحر الذى لا ينزف ولا ينزح، والأعجوبة التى لا توصف، ولو أنها بلسان قائلها تمدح. .»[5].

* * *

(١) فصوص الفصول، ص ١١٤

(٢) السابق، ص ١٨٨ ـ ١٨٩

(٣) فصوص الفصول، ص٢٣٦ ـ ٢٣٧

(٤) ذكره ياقوت فى معجمه ٥/ ٥٨٢، ابن خلكان فى الوفيات ٦/ ٦٢، واليافعى فى مرآة الجنان ٤/ ١٧، والسيوطى فى حسن المحاضرة ١/ ٥٦٥، شذرات الذهب ٥/ ٣٥، وهدية العارفين ٦/ ٥٠٦.

(٥) فصوص الفصول، ص ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤

الفصل الثالث

مذهبه الفني ووفاته

مذهبه الفنى:

ينسب دارسو الأدب العربى ونقاده الأدباء الذين تتشابه الخصائص الفنية العامة لآدابهم إلى مذهب أدبى له خصائصه التى تحدد معالمه بين المذاهب الأخرى. فهؤلاء ـ مثلاً ـ ينتمون إلى مذهب القدماء، وآخرون ينتمون إلى مذهب المجددين، وفريق ثالث يجمع بين المذهبين وهكذا.

ومن المعلوم أن هذه المذاهب الأدبية لم تولد فجأة بل هى حصيلة موروث تطور بتطور البيئة والزمن والثقافة وشخصيات المبدعين الفنية والمتلقين لآدابهم. «ومن المعروف أن عصور الانتقال لا تتكامل فيها الظواهر الجديدة فى الفن ولا تبرز فى حالة تامة مستوية الجوانب واضحة المعالم، بل توجد المقدمات موزعة بين آخر العصر الذى سبقها وأوائل العصر الذى حدثت فيه، وهذا هو معنى قول العلماء: إن العصور الأدبية ليست بينها حواجز قوية بل يتداخل بعضها فى بعض وهذا أمر متعالم مشهور. »[1].

ومما «يثير انتباه دارس الشعر المصرى فى تلكم المرحلة[2]، تجاور مدرستين متباينتين أخذت كل منهما بطرفى نقيض من الأخرى ومع ذلك فقد تجاورتا فى بيئة واحدة وكلتاهما نتاج شرعى لمؤثرات عصر ومكان واحد فبينما تجنح الأولى إلى التأنق والتكلف تميل الثانية إلى البساطة والخفة»[3].

ولقد اختلف الدارسون فى تسمية هاتين المدرستين: فمنهم من سمى إحداهما بمدرسة الرقة والأخرى بمدرسة الكتاب، ومنهم من سمى واحدة مدرسة الطبع والثانية مدرسة البديع، ومنهم من سمى واحدة مدرسة البديع والأخرى مدرسة المعانى، ومنهم من سمى واحدة مدرسة الصنعة والأخرى مدرسة الرقة[4].

ويلاحظ الدارس لأدب ابن سناء الملك وجود إشارات لبعض العقائد الفاطمية[5]، إلا أن

---

(١) الصبغ البديعى فى اللغة العربية - د. أحمد إبراهيم موسى، ص ٦٣

(٢) يقصد بالمرحلة: العصرين الفاطمى والأيوبى.

(٣) الشخصية المصرية فى الأدبين الفاطمى والأيوبى - د. أحمد سيد أحمد، ص ٢٥٣

(٤) السابق، ص ٢٥٣.

(٥) انظر: الجزء الخاص بمذهبه الدينى من هذه الدراسة، ص ٤٥.

هذه الإشارات لا ترشح أدبه لمدرسة العقائديين التى سادت فى العصر الفاطمى وانقضت بانقضائه؛ لأنه كان سنياً.

ويلاحظ - أيضاً - أن المدح يحتل المركز الأول فى أدبه وهو يحتاج إلى ألفاظ قوية وأسلوب رصين وثقافة عميقة وطبع متوهج فلا غرابة أن يتجه إلى الموروث الدينى ينهل من فيض عطائه العذب، «لا سيما فى الوقت الذى استثيرت فيه العواطف الدينية بفعل الأحداث الخارجية والظروف الداخلية. .»[1]، وأن يتجه إلى الموروث الأدبى يقتطف من «أزاهيره الجميلة، ويضيف إلى كل هذا فيض إلهامه وإبداعه ويصنعه فى بوتقة عاطفته ويخرجه إخراجاً جديداً قال عنه القاضى الفاضل:

«ووقفت على الكتاب السعيدى - أسعده الله، وزاده اقتداراً - وداوت جراح خاطرى ما فيه من الغرائب التى أنشأهن إنشاء فجعلهن أبكاراً، وعرف بهن وكان العرف منهن إنكارا، وصافح الأسماع منها مالم يخطر على الأزهار، وحسر قلمه عن ساعد البيان فجاء بالنجم مصفوداً من الأفق، وجاء الناس بالقول من كَتَب»[2].

وقال أيضاً:

«وورد من القاضى السعيد كتاب فوجدته طوفان بلاغة، وما قرأت سطراً منه إلا قرأت: يا سماء اقلعى ويا أرض ابلعى والتقى الماء على أمر قد قدر»[3].

ويتبين مما سبق أن أدبه قريب الصلة بأدب مدرسة الكتاب التى حمل لواءها فى العصر الأيوبى لفيف من الأدباء من أبرزهم: القاضى الفاضل وابن سناء الملك والعماد الأصفهانى.

ويرى بعض الباحثين أن أصحاب هذه المدرسة خضعوا لتأثير الاتجاهات الفنية التى شغف بها كتاب الدواوين فى العصر الفاطمى وملأوا بها كتاباتهم وأشعارهم وكان منها ما يقوم على الموسيقى اللفظية قبل كل شىء واختيار الألفاظ الفخمة الجزلة ذات الوقع الضخم والجرس الموسيقى الذى يؤثر فى السمع مع حلاوة الإيقاع. وكانوا يتلاعبون بهذه الألفاظ

(١) الشخصية المصرية فى الأدبين الفاطمى والأيوبى، ص ٢٥٦

(٢) فصوص الفصول، ص ٧٧ - ٧٨.

(٣) السابق، ص ١١٦

تلاعباً يظهر فيه أثر الصناعة وأثر التكلف وأسرفوا فى صناعتهم وتكلفهم إسرافاً يدل على طول باعهم فى هذا الفن «وكانوا يحلون فنهم بالزينة البَديعية من جناس وطباق وتورية ومراعاة النظير إلى غير ذلك من ألوان البديع والبيان حتى بهروا البلاغيين بمقدرتهم على استعمال هذه المحسنات اللفظية. . »(١).

ويبدو من هذا العرض أن أدب مدرسة الكتاب ينهض على دعامتين كلتاهما على صلة وثيقة بالشخصية المصرية إحداهما: الاعتزاز بالموروث العربى ومحاكاة نماذجه العليا محاكاة واعية. والأخرى: الصنعة البديعية والبيانية التى جملوا بها أدبهم.

وقد تأثر ابن سناء الملك بهاتين الدعامتين، ودليل ذلك:

١ـ ما قاله القاضى الفاضل فى معرض حديثه عن القصيدة الفائية التى أرسلها ابن سناء الملك إليه تهنئة للملك الناصر بالعافية من مرضه: «وقد علقت العرب أدون منها فلا غرو أن هذه بالقلوب تعلق، وبالضلوع تعنق فالمعلقات بعدها زادت على عدتها وفضلتها هذه بجودتها وجدتها. . . »(٢).

وهذه العبارة تشير إلى تأثر ابن سناء الملك بالنماذج العليا فى الموروث الأدبى ولذا جعل القاضى الفاضل هذه القصيدة فى منزلة المعلقات بل تفوقها بجودتها وجدتها. ولهذا يرى أصحاب هذه المدرسة أن مفهوم الشعر «اختراع المعنى الجديد والإتيان بما هو مبتكر لم يسبق إليه»(٣).

٢ـ أرسل ابن سناء الملك إلى القاضى الفاضل قصيدة بائية، مطلعها:

تذكرتُ أيامَ الصبابةِ والصبَا ... وعيشًا مليحًا بالمليحةِ معجبًا

ويبدو أنه كان يعارض بها بائية البحترى التى مطلعها:

أجدكَ ما ينفكُ يسرِى لزينبًا ... خيالٌ إذا آبَ الظلامُ تأوبَا

(١) الشخصيةالمصرية فى الأدبين الفاطمى والأيوبى، ص٢٥٤.
(٢) فصوص الفصول، ص ٥٦.
(٣) الشخصية المصرية فى الأدبين الفاطمى والأيوبى، ص ٢٥٥

فقرظها القاضى الفاضل قائلا: «وودت لو كان البحترى حيا فكنا نلسعه من تلك القصيدة بحية، وكانت بائيتُهُ تغض من بأوها وعجبها. .»[١].

كذلك عارض ابن سناء الملك نونيتى أبى نواس ومهيار بقصيدته النونية التى مطلعها[٢]

أحدثُ عنكُم أنَّ بعدكُم دنَـا فلا أنتُم إنْ صحَّ هذا ولا أنَا

وكان ابن سناء الملك معجبا بعبد الله بن المعتز أمير شعراء التشبيه فى العصر العباسى، يفهم هذا من قوله: «والمولى يعلم أن المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويتعثر، ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر، وما آمن المملوك به سدًى، ولا آنس ناره إلا لما وجد عندها هدى، ولا مال المملوك إلا إلى طريق من ميله إليه طبعه، ولا سار قلبه إلا إلى من دله عليه سمعه. .»[٣].

وكان ابن سناء الملك شديد الإعجاب بالجاحظ ومؤلفاته؛ لما فيها من علم دقيق، وحكمة صائبة، ومعرفة واعية بالطباع والأخلاق، وبلاغة تكشف عن ذوق رفيع وعقل خلاق مما دفعه إلى اختصار كتاب الحيوان للجاحظ وأسمى المختصر بروح الحيوان.

يتضح مما سبق أن ابن سناء الملك كان حصيلة مكونات عصره، وقد انعكس ذلك على أسلوبه ـ ولا تثريب عليه إذا ظهرت آثار قراءاته على ما يبدعه ـ فأتى فخما جزلاً فى سياق الحماسة والمدح. وكان ـ أحياناً ـ يوظف بعض الكلمات الشعبية؛ ليثير الموروث الشعبى فى نفوس الشعب، يظهر هذا فى موشحته فى مدح القاضى الفاضل، ومنها:

سكنـتَ بجنبِ جـارةْ هربتْ مـن أهـلِ الحارَةْ

خلصـتْ منهم يديهَـا وتقـول إنْ جُوا إليهَـا

وايش يريدوا بِى هـؤلاَء إن جـارِى بِى أولَى[٤]

وإلى جوار هذا امتاز أسلوبه بالسهولة والرقة. يقول الأستاذ الدكتور شوقى ضيف: «اتجه

(١) انظر: فصوص الفصول، ص ٦٩ ـ ٧٠.
(٢) السابق، ص ٢١٣.
(٣) السابق، ص ١
(٤) السابق، ص ١٨٧

ابن سناء بأسلوبه إلى العامة يصطنع بعض ألفاظها، حتى يجعل شعره أدنى إلى نفوسها، وأكثر التصاقاً بلسانها، كما اتجه إلى الرقة حتى لكأنما بعض أبياته تطير عن الأفواه طيرانا لخفتها ورشاقتها وما يشيع فيها من عذوبة»(١).

وتظهر الرقة والعذوبة في غزله لا سيما مقطعاته الثلاثة التي تغزل فيها بعمياء. وهي:ـ

فَتَنَتْنِي مكفوفةُ ناظرَاهَا كتبًا لِي من الجِراحِ أمانًا(٢)

ومقطعته:

إنَّ الكمالَ أصابَ من محبوبتِي لما أصابَ بعينِه عينيهَا(٣)

ومقطعته:

شمسٌ بغيرِ الليلِ لمْ تحجبْ وفي سوَى العينينِ لمْ تُكسَفْ(٤)

وقد قرظ القاضي الفاضل هذه المقطعات قائلاً: «وكتاب القاضي السعيد وصل وطيه المقاطيع التي ما سميت بهذا الاسم إلا لانقطاع الخواطر عن مجاراتها، والأبيات التي هي أحسن مما استقرت عليه أبيات سلمى وجاراتها، وقرئت إلى أن حفظت، وأوثرت إلى أن أثرت، وعوذت ذلك الخاطر الخطار المستولي على أمد الخطّار...»(٥)

وخلاصة القول أن ابن سناء الملك استفاد من المذاهب الأدبية السابقة والمعاصرة، والموروث العلمي والأدبي، وكون لنفسه مذاقاً خاصاً جعله أهم أركان النهضة الأدبية في عصره، وسيتضح هذا المذهب أكثر في دراستنا الفنية لرسائله.

(١) فصول في الشعر ونقده، ص ١٨٦

(٢) انظر: المقطعة في ديوان ابن سناء ٢/ ٤٥٦.

(٣) السابق، ٢/ ٤٦٨.

(٤) السابق ٢/ ٤١٧.

(٥) فصوص الفصول، ص ١٧٦

وفاته

اتفق المؤرخون ـ ما عدا السيوطى إن صح ما نسب إليه ـ على أن ابن سناء الملك توفى سنة ٦٠٨هـ واختلفوا فى تحديد اليوم والشهر الذى توفى فيه.

فياقوت يذكر فى معجمه أنه: «مات يوم الأربعاء رابع شهر رمضان سنة ثمان وستمائة بالقاهرة»[١].

وفى التكملة لوفيات النقلة أنه: «فى العشر الأول من شهر رمضان سنة ثمان وستمائة توفى القاضى الأجل السعيد هبة الله..»[٢] وأخذ بهذا الرأى ابن خلكان فى وفياته[٣] وعبد الحى بن العماد الحنبلى فى شذراته[٤].

وذكر الذهبى أنه «توفى فى رمضان سنة ثمان وستمائة»[٥]

وفى مرآة الجنان[٦] وإيضاح المكنون[٧] وهدية العارفين[٨] أنه توفى سنة ٦٠٨هـ

أما السيوطى فى حسن المحاضرة فقال إنه: «مات سنة ٦٥٨هـ»[٩] وهذا خطأ ربما يكون سهوا من الناسخ أو لخطأ فى الطباعة.

وأخذ الدكتور محمد إبراهيم نصر ـ محقق ديوان ابن سناء الملك ـ بما جاء فى التكملة لوفيات النقلة بشأن وفاة ابن سناء ونقل رواية ـ ولم يحدد مصدرها ـ وهى: «وذكر صاحب الكمال فى عقود الجمان أنه توفى يوم الأربعاء رابع شهر رمضان سنة ٦٠٨هـ، وذكر العماد

---

(١) معجم الأدباء، لياقوت: ٥/ ٥٨٢.

(٢) التكملة لوفيات النقلة: ٢/٢٣١

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان: ٦/ ٦٥

(٤) شذرات الذهب، لابن العماد: ٥/ ٣٦.

(٥) سير أعلام النبلاء، للذهبى: ٢١/ ٤٨١.

(٦) مرآة الجنان: ٤/١٧

(٧) إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون ١٩٢

(٨) هدية العارفين: ٦/ ٥٠٦.

(٩) حسن المحاضرة: ١/ ٥٦٥.

الكاتب في الخريدة ما يأتي قال: توفي والده جعفر في منتصف شهر رمضان سنة ٥٨٠هـ، وقرر أنه رأى بخط بعض أصحابه أن الشاعر قد توفى يوم الثلاثاء ٥ من ذى الحجة سنة ٥٩٢هـ، وكان مولده منتصف شوال سنة ٥٢٥هـ والله أعلم.

وعلق الدكتور محمد إبراهيم نصر على هذه الرواية بقوله: «ويظهر أن هذا التاريخ الذى عرضه العماد الكاتب إنما هو لمولد والده ووفاته. وأن سنة ٥٨٠هـ هى السنة التى مات فيها جده، وقد أشار إلى تلك التواريخ الشاعر نفسه فى القصائد التى رثى بها والده وجده.»[1].

وبمراجعة الرواية ـ المذكورة ـ على مصدرها تبين أنها لم تنقل بدقة، فأدى ذلك إلى خطأين:

الأول ـ قوله: «وذكر صاحب الكمال فى عقود الجمان» فمن صاحب الكمال الذى يعنيه؟ وهل هو مؤلف عقود الجمان؟

الثابت أن كتاب: «عقود الجمان في شعراء الزمان لأبى البركات مبارك بن أبى بكر بن الشعار الموصلى، المتوفى سنة ٦٥٤هـ»[2].

الثانى ـ أنه نسب إلى العماد ما لم يقله فى خريدته، فقال: «وذكر العماد الكاتب فى الخريدة: «وتوفى والده جعفر. والله أعلم»

ولو أن العبارة نقلت من مصدرها بدقة لامتنع الغموض والخطأ. ونص العبارة كما فى وفيات الأعيان: «ونوادر القاضى السعيد كثيرة، وتوفى فى العشر الأول من شهر رمضان، سنة ثمان وستمائة بالقاهرة، وذكر صاحبنا الكمال بن الشعار فى «عقود الجمان» أنه توفى يوم الأربعاء، رابع الشهر المذكور، رحمه الله تعالى.

وذكره العماد الكاتب فى كتاب الخريدة، فقال: «كنت عند القاضى الفاضل فى خيمته بمرج الدلهمية، ثامن عشر ذى القعدة سنة سبعين يعنى وخمسمائة، فأطلعنى على قصيدة له كتبها إليه من مصر وذكر أن سنه لم يبلغ إلى عشرين سنة فأعجبت بنظمه.

(١) ابن سناء الملك، حياته وشعره ـ لمحمد إبراهيم نصر، ١/ ٥٥.

(٢) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، ٢/ ١١٥٤

ويتابع ابن خلكان الحديث فيقول: «وتوفى والده جعفر فى منتصف شهر رمضان سنة ثمانين وخمسمائة، ثم رأيت بخط بعض أصحابنا ممن له عناية بهذا الفن أنه توفى يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين ومولده منتصف شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة والله أعلم»[1].

* * *

(١) وفيات الأعيان ٦/ ٦٥ ـ ٦٦

الفصل الرابع

القاضي الفاضل

القاضى الفاضل*

حظيت شخصية القاضى الفاضل بنصيب وافر من الترجمة لها فى المصادر الأدبية والتاريخية قديمها وحديثها؛ لمكانته السياسية المرموقة، ولأنه كان «أستاذ الكتّاب والبلغاء فى عصره...»[1] وبعد عصره. ورغم ذلك فإن نصيبه من الدراسة المستقلة فى العصر الحديث يعد قليلا إذا قورن بإنتاجه الغزير، الذى يقول عنه ابن خلكان «سودات رسائله فى المجلدات والتعليقات فى الأوراق إذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد، وهو مجيد فى أكثرها»[2].

ومن الدراسات التى خُصِّصت للقاضى الفاضل وتراثه فى العصر الحديث:

١ـ «القاضى الفاضل دراسة ونماذج» للدكتور أحمد أحمد بدوى

٢ـ «ديوان القاضى الفاضل» تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوى

٣ـ «الدر النظيم من ترسل عبد الرحيم» اختيار محيى الدين بن عبد الظاهر، تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوى.

٤ـ «رسائل عن الحرب والسلام من ترسل القاضى الفاضل» اختيار موفق الدين بن الديباجى تحقيق الدكتور محمد نغش.

٥ـ «القاضى الفاضل حياته وشعره» رسالة ماجستير بكلية دار العلوم تحت رقم ٨٩ لسنة ١٩٦٦ إعداد رشدى الأشهب.

٦ـ «إنشاءات القاضى الفاضل» دراسة وتحقيق وتعليق دكتورة فتحية النبراوى سنة ١٩٨٠ وقد ذكر هذا الدكتور عبد المنعم ماجد فى كتابه «الدولة الأيوبية فى تاريخ مصر الإسلامية» ولم أتمكن من العثور عليها.

---

* له ترجمة فى مصادر كثيرة، منها: خريدة القصر [قسم شعراء مصر] ١/٣٥-٥٤، التكملة لوفيات النقلة ١/٣٥١-٣٥٢، وفيات الأعيان ٣/١٥٨-١٦٢، سير أعلام النبلاء ٢١/٣٣٨-٣٣٩، مرآة الجنان ٣/٤٨٥، طبقات الشافعية الكبرى ٧/١٦٦-١٦٨، طبقات الشافعية للأسنوى ٢/٢٨٢-٢٨٤ البداية والنهاية ٨/٥٢٧-٥٢٩، العقد الثمين للفاسى ٥/٤٢٢، ثمرات الأوراق ٣٤٢-٣٥٥ حسن المحاضرة ١/٤٦٤، شذرات الذهب ٤/٣٢٤-٣٢٧.

(١) الأدب فى العصر الأيوبى، ص٢٢٤.

(٢) وفيات الأعيان ٣/١٥٨-١٥٩

بقى أن أشير إلى أن الكثير من ذخائر تراث القاضى الفاضل لم يزل مخطوطاً يحتاج إلى من يكشف نقابه، ويجلو عقائله، ويجمع شتاته، وينظم دره، ويحققه ويدرسه وفى هذا ثراء للمكتبة العربية.

أولاً: اسمه ونسبه:

هو: «عبد الرحيم ابن القاضى الأشرف بهاء الدين أبى المجد على ابن القاضى السعيد أبى محمد الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفَرَج بن أحمد اللخمى العسقلانى المولد المصرى الدار..»[(١)].

وهو عربى الأصل تنتمى أصوله إلى قبيلة لخم العربية؛ ولذا نُسِب إليها، فقيل: اللخمى.

ثانيًا: كنيته ولقبه:

اتفق المؤرخون الذين أرَّخوا له على أنه يكُنى «بأبى على» ويلقب بالقاضى الفاضل[(٢)] وهو لقبه الذى اشتهر به حتى غلب على اسمه ومن ألقابه التى ذكرها المؤرخون أيضاً: محيى الدين ومجير الدين، والأجل، والمولى، وانفرد العماد بتلقيبه «بالأسعد» حين قال: «المولى الأجل القاضى الفاضل الأسعد. .»[(٣)].

وذكره ابن سناء الملك فى كتابه فصوص الفصول باسمه وكنيته ولقبه، قال «. القاضى الأجل الفاضل أبى على عبد الرحيم بن على البيسانى»[(٤)]، ونسبته إلى «بيسان» نسبة انتقال لا نسبة مولد؛ فقد اختارها جده وهو طفل للإقامة بها، وعمَّر بها أملاكاً[(٥)].

ولم تكن وظيفة القاضى الفاضل القضاء بل كان وزيراً لصلاح الدين الأيوبى وكان أديباً شاعراً كاتباً ناقدا عالماً. وقد لقب بالقاضى الفاضل جرياً على عادة عصره فقد «كان

(١) انظر: وفيات الأعيان ٣/ ١٥٨

(٢) انظر: خريدة القصر [قسم شعراء مصر] ١/ ٣٥، التكملة لوفيات النقلة: ١/ ٣٥١ وفيات الأعيان ٣/ ١٥٨، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٣٨، مرآة الجنان ٣/ ٤٨٥، طبقات الشافعية للأسنوى ٢/ ٢٨٢، العقد الثمين للفاسى ٥/ ٤٢٢ حسن المحاضرة ١/ ٥٦٤، شذرات الذهب ٤/ ٣٢٤

(٣) خريدة القصر [قسم شعراء مصر] ٣/ ١٥٨

(٤) فصوص الفصول، ص ٤٨ ـ ٤٩.

(٥) القاضى الفاضل دراسة ونماذج، ص ١٠

الكتّاب فى أواخر الدولة الفاطمية إلى أثناء الدولة الأيوبية يلقبون «بالفاضل» و«الرشيد» و«العماد» وما أشبه ذلك، ثم دخلوا فى عموم التلقيب بالإضافة إلى الدين. . . »(١). وربما يكون لقب «القاضى» قد انتقل إليه عن طريق أبيه وجده فكلاهما يلقب بالقاضى، فأما والده فقد «تولى القضاء بمدينة بيسان فلهذا نسبوا إليها»(٢)، وأما جده فقد لُقب «بالقاضى السعيد» ولم تكن وظيفته القضاء وإن كان من شهوده.

ثالثًا: مولده ونشأته:

وُلد فى مدينة عسقلان(٣) - إحدى مدن فلسطين ـ فى يوم الاثنين الموافق الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة هجرية(٤)، وذكر صاحب البداية والنهاية أنه وُلد سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة من الهجرة(٥) ولم يقل بذلك مؤرخ سواه، مما يرجح خطأ هذه الرواية.

ونشأ فى أسرة علمية ميسورة الحال فأبوه «قاض ونائب حاكم»(٦)، وجده لقب بالقاضى الأشرف. قال صاحب شذرات الذهب: «قال عبد اللطيف البغدادى فى تاريخه كان ثلاثة أخوة أصلهم من بيسان وكان أحدهم بالإسكندرية وبها مات وخلف من الخواتم صناديق ومن الحصر والقدور والخزف بيوتاً مملوءة وكان متى رأى خاتماً أو سمع به اجتهد فى تحصيله واشتراه وأما الأخ الثانى فكان له هوس مفرط فى تحصيل الكتب وكان عنده مائتا ألف كتاب ومن كل كتاب نسخ كثيرة حتى من الصحاح ثمان عشرة نسخة وأما الثالث فالقاضى الفاضل وكان يحب الكتابة. . »(٧).

---

(١) صبح الأعشى ٥/ ٤١٧

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ١٦١

(٣) وفى شذرات الذهب [٤/ ٣٢٤] أنه ولد فى بيسان.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ١٦١، العقد الثمين ٥/ ٤٢٦ ومن المترجمين من حدد الشهر والسنة ولم يذكر اليوم: التكملة ١/ ٣٥١، طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ١٦٦ ومنهم من ذكر السنة فقط: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٣٩، حسن المحاضرة ١/ ٥٦٤.

(٥) البداية والنهاية ٨/ ٥٢٨

(٦) القاضى الفاضل وصلاح الدين والوحدة الإسلامية ص١٢٣

(٧) شذرات الذهب ٤/ ٣٢٤-٣٢٥

وتؤكد هذه الرواية أمرين:

أحدهما: أن القاضى الفاضل نشأ فى أسرة ميسورة الحال، لها مكانتها الاجتماعية المرموقة، وتقاليدها العربية المحمودة. ومعرفة هذه الجوانب تفيد فى دراسة أدب القاضى الفاضل وتبين معالم شخصيته «ودراسات السير تفيد فائدة جليلة فى الأدب حتى نعرف شيئا عن الرجل، ونراه فى الأوساط الاجتماعية التى يعيش فيها، وفى علاقاته اليومية مع رفاقه وأهم العوامل فى تاريخه الخارجى فى آماله وجهاده، والصلة التى بين كتبه وبيئته الخارجية والداخلية والطريقة التى بها كتب والظروف التى كتب فيها»[١].

والآخر: أنه نشأ فى أسرة قضاء وهى بيئة من خصائصها العلم والفقه، واتصال الدراسة والجدل فى علوم الشريعة والقانون وعلى هذا فقد تفتح ذهن الفاضل على رؤية المجلدات العلمية، وسماع المناقشات الفقهية، وبذلك نستطيع القول بأن هذه البيئة قد ساعدت على تكوين مزاجه العلمى. ورتب فيه الذوق الأدبى وأمدته بألوان الثقافة الضرورية وأعدته ليتدرج فى مناصب الدولة من أدنى درجاتها الكتابية الديوانية، من كاتب متدرب إلى المشير الأول واليد اليمنى لملك البلاد، وقد جمع بهذه الثقافة الأدبية العلمية - فيما بعد - بين الاهتمام بالناحية السياسية التى أوصلته إلى أعلى مراتب السياسيين، والناحية الأدبية إذ استطاع أن يبرز فى التاريخ الأدبى ليصبح رئيساً لمدرسة خاصة فى النثر والشعر.. عُرفت باسمه[٢].

لقد اتقن القاضى الفاضل فن الكتابة، وبرز فيه، وتربع على عرش مملكة البلاغة، ودار الكتاب فى فلكه يتفسَّحون فى بساتينه العامرة، ويرتوون من بحاره الزاخرة «إليه انتهت صناعة الإنشاء ووقفت، وبفضله أقرَّت أبناء البيان واعترفت، ومن بحر علمه رَوِيَتْ ذوو الفضائل واغترفت، وأمام فضله ألقت البلاغة عصاها، وبين يديه استقرت بها نواها، فهو كاتب الشرق والغرب فى زمانه وعصره، وناشر ألوية الفضل فى مصره وغيره مصره، ورافع علم البيان لا محالة والفاضل بغير إطالة»[٣].

(١) النقد الأدبى، لأحمد أمين، بيروت، دار الكتاب العربى، الطبعة الرابعة ١٩٦٧، ص١١٣

(٢) القاضى الفاضل وصلاح الدين والوحدة الإسلامية، ص: ١٢٣ [بتصرف].

(٣) نهاية الأرب. للنويرى ٨/ ١ - ٢

قدَّر الله لطريقة القاضى الفاضل فى الكتابة أن تنتشر «فنمت فى مصر نموا سريعاً حتى استحوذت على أقلام الكتاب، والشعراء، وصارت لهم شِرعة وطريقة، ثم فاضت على البلاد الإسلامية الأخرى فَشرّقت إلى الشام، وغرَّبت إلى بلاد الأندلس، وطغت على طريقة ابن العميد التى سار عليها الناس زمناً ليس باليسير. .»[1]، وهذا ما قصده العماد الأصفهانى فى قوله: «فهو كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع، ورسخت بها الصنائع. .»[2].

وفى بعض كتب التراجم الأدبية نقرأ «بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد»[3] ولا شك فى أن ابن العميد قد استفاد من جهود من سبقوه، مثل: عبد الحميد بن يحيى الكاتب، وعبد الله ابن المقفع، والجاحظ، ولكلٍّ منهم طريقته فى الكتابة[4]، وهذا يعنى أن الأدب لا ينفصل حاضره عن ماضية، فالأدب بناء جميل يضيف إليه كل جيل ما تجود به قرائح أبنائه ومعطيات بيئته وزمانه، وتلك سنَّة التطور.

وتتسم طريقة «ابن العميد» المشار إليها بالسجع القصير الفقرات «وتجتهد فى أن تضم إليه ما تستطيع من ألوان المحسنات البديعية، كالجناس، والطباق، والتورية، واقتباس آيات القرآن الكريم، والأحاديث وما أثر من كلام البلغاء، وحل أبيات الشعر المشهورة، وتضمين الكلام الحكم البالغة، والأمثال السائرة، ونوادر التاريخ، ومسائل العلوم، مضموماً إلى ذلك كله. ألوان المجاز، والتشبيه والاستعارة. .»[5].

وتتسم طريقة القاضى الفاضل فى الكتابة ـ كما يذكر الدكتور أحمد أحمد بدوى ـ[6] باتقان فن الكتابة على الطريقة الشائعة فى عصره، حتى برع فى هذا اللون من الكتابة، وصار أبرع أهل زمانه فيه، وهو يجرى على طريقة ابن العميد، التى تلتزم السجع، والطباق، وتتوسع فى المعانى الخيالية، ويزيد على ذلك أنه يكثر من استعمال فنون البديع

---

(١) الصبغ البديعى فى اللغة العربية، ص٣٥٥

(٢) خريدة القصر [قسم شعراء مصر] ١/ ٣٦

(٣) العبر ٢/ ١٠٧، وشذرات الذهب ٣/ ٣١

(٤) انظر الفن ومذاهبه فى النثر العربى، ص ١١٣ ـ ١٢، ١٣٨-١٤٤، ١٦٠-١٨٨

(٥) الاتجاهات الأدبية فى ظل الدولة الأيوبية، ص: ٥٨٩

(٦) الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، ص٣٥٩

الأخرى، المستعملة فى الشعر: من تورية، وجناس، وتلميح، واستخدام، وتوجيه، ومراعاة نظير، واقتباس آيات من القرآن، وكثيرا ما استعان بآيات الكتاب فى رسائله، وضمنها الأمثال، ومأثور الأقوال، ومصطلحات العلوم، وحل أبيات الحكمة، وبالغ فى صنع ألوان البيان، حتى ازدحمت رسائله بأفانين البلاغة.

وهذا التشابه بين طريقتى ابن العميد والقاضى الفاضل فى الكتابة يعطى دلالة واضحة على تأثر القاضى الفاضل بكبار الكتاب الذين سبقوه كابن العميد، وابن المقفع، والجاحظ، وأبو على حسن بن زيد بن إسماعيل الأنصارى[١]، والحسن بن محمد بن عبد الصمد بن أبى الشخباء [ت٤٨٢هـ][٢]، والموفق أبى الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال[٣]، وغيرهم.

و لم تكن قضية التأثر والتأثير ببعيدة عن ذهن القاضى الفاضل فقد أشار إليها فى قوله: «وحال الجاحظ مع من قبله فيما أخذ منهم، كحال الجاحظ مع من بعده فيما أخذوا منه فإنه تفسَّح فى أقوال قوم لعل منهم من لم يبلغنا اسمه فضلاً عمن بلغنا..»[٤]، وهذا يعنى أن الكاتب المبرِّز لابد له من معرفة ما كتبه أرباب الأقلام ممن سبقوه وعاصروه و«معرفة اللغة والنحو والتصريف والمعانى والبيان والبديع، وحفظ كتاب الله تعالى، والكثير من الأحاديث النبوية، وخطب البلغاء ورسائلهم ومكاتباتهم ومحاوراتهم ومراوضاتهم، وأشعار العرب والمولدين والمحدثين، وأمثال العرب ومن جرى مجراهم؛ والمعرفة بالتاريخ وأنساب العرب، ومفاخراتهم، ومنافراتهم، وحروبهم، وأوابدهم فى الجاهلية، وأحوال الأمم والأحكام السلطانية، وأصناف العلوم، ومن برع فى كل علم منها، والكتب الفائقة فى كل فن من فنونها وما يجرى مجرى ذلك، والمعرفة بصنعة الكلام وكيفية إنشائه ونظمه، وتأليفه وترصيفه، وما يحمد من ذلك وما يذم»[٥]

---

(١) له ترجمة فى خريدة القصر [قسم شعراء مصر] ٢/ ٦٧-٨٢

(٢) له ترجمة فى معجم الأدباء، لياقوت ٥/ ١٥٢

(٣) له ترجمة فى خريدة القصر [قسم شعراء مصر] ١/ ٢٣٥-٢٣٧، وانظر هامش ٣ ص: ١١٩ من هذه الدراسة.

(٤) فصوص الفصول، ص ٢١٥، ٢١٦

(٥) صبح الأعشى ١/ ٣٩

وقد ألمَّ القاضى الفاضل بكل هذا، وجمع فأوعى، وكان بحق موسوعة عصره الثقافية. وقد انعكست ثقافته على أدبه فكان معرضاً حافلاً بكل ألوانها، وصورة صادقة لما كانت عليه الكتابة فى القرن السادس الهجرى. وقد أُعجب الكتاب بطريقته، وداروا فى حلبته. فهل كان القاضى الفاضل مبتدعاً لطريقته أو متأثرا بمن سبقوه؟

وقف الدارسون ـ القدماء والمحدثون ـ موقفين عند تعرضهم لهذه القضية: فمنهم من رأى أن القاضى الفاضل صاحب طريقة فى الكتابة ابتدعها ونسبت إليه. فالعماد الأصفهانى يرى أنه «كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع ورسخت بها الصنائع، يخترع الأفكار، ويفترع الأبكار..»[1].

ويرى ابن خلكان أنه «برّز فى صناعة الإنشاء، وفاق المتقدمين، وله فيه الغرائب مع الإكثار..»[2]، واستشهد بقول العماد الأصفهانى الذى ذكر سابقا مما يدل على تأييده له.

ويقول أنيس المقدسى: «ومما لا ريب فيه أنه كان للقاضى الفاضل يد طُولَى فى هذه الحركة حتى عُد شيخ الصناعة الكتابية، وحتى صاروا يقولون: الطريقة الفاضلية..»[3]

ويقول محمد سيد كيلانى: «وقد نهج القاضى فى الكتابة نهجا خاصاً فأسرف فى العناية بالألفاظ إسرافاً وابتكر فى الإنشاء تلك الطريقة الفاضلية..»[4]. ويقول الدكتور عبد الحميد حسن: «للقاضى الفاضل طريقة تنسب إليه..»[5]. ويقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: «وانظر إلى هذا الرجل الذى تمثلت فيه ثقافة عصره كلها تمثلاً حسنا قد استطاع ـ فى مهارة وحذق ـ أن يفيد فائدة كبيرة من هذه الثقافة التى أخضعها لفنه، وأن يمزج هذه الثقافة نفسها بهذا الفن مزجاً خرجت به الطريقة الفاضلية فى زينتها، فبهرت أعين الناظرين إليها، وجعلتهم ينظرون إلى صاحبها على أنه عاهل الكتابة العربية فى عصره، وإلى طريقته فى الترسل على أنها كالشريعة المحمدية نسخت ما قبلها من الشرائع..»[6]

---

(١) خريدة القصر [قسم شعراء مصر] ١/ ٣٦

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ١٥٩

(٣) تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى، ص: ٢٩٢ والمقصود بالحركة: التأنق البيانى.

(٤) الحروب الصليبية وأثرها فى الأدب العربى فى مصر والشام، ص ١٦٠

(٥) صفحات من الأدب المصرى من العصر الفاطمى إلى النهضة الحديثة، ص ٤٦.

(٦) أدب الحروب الصليبية، ص: ٢-١ ٢

ومن الباحثين من رأى أن طريقة القاضي الفاضل ليست من ابتداعه، وليس القاضي أول من توصل إليها ووضع أسسها. يقول الدكتور محمد كامل حسين فى أدب مصر الفاطمية: «فإذا جاء القاضى الفاضل فى أواخر العصر الذى نؤرخه، والعصر الذى يليه، وأسرف فى استخدام هذه الألوان البديعية فهو لم يأت بشئ جديد، إنما أخذ عن أساتذته من كتاب مصر الفاطمية طرائقهم فى الكتابة، وسار على منهجهم وسننهم، ولكن اشتهر أمر القاضى الفاضل فى التاريخ الإسلامى، والتاريخ الأدبى أكثر من شهرة أساتذته كتاب مصر الفاطمية؛ لأن القاضى الفاضل قرن اسمه باسم صلاح الدين الأيوبى، فكان وزير صلاح الدين ومستشاره، والمؤرخون أشادوا بصلاح الدين، فمن الطبيعى أن يرفعوا شأن القاضى الفاضل، حتى بالغ بعض الكتاب فقال إن القاضى الفاضل ابتدع طريقة جديدة فى الكتابة عرفت بالطريقة الفاضلية، ويعلق الدكتور محمد كامل حسين بقوله: «إنهم قد تسرعوا فى أحكامهم ونسبوا إلى القاضى الفاضل مذهباً جديدا فى الكتابة، وفى الحقيقة ما القاضى الفاضل إلا تلميذ من تلاميذ كتاب مصر الفاطمية وخاصة ابن أبى الشخباء، لقد حفظ القاضى الفاضل رسائله، وتشبع بروحه الفنية، وسار على طريقته، غير أن القاضى الفاضل قد زاد واتسع فى أساليب ابن أبى الشخباء الفنية»[1].

ويقول الدكتور شوقى ضيف فى سياق حديثه عن هذه القضية: «ويبالغ بعض مؤرخى الأدب فى ذلك، فينسبون إليه ما يسمى طريقة القاضى الفاضل، وحقاً إن القاضى الفاضل كان أكبر شخصية ظهرت فى الكتابة بعد العصر الفاطمى، ولكن ينبغى أن لا نبالغ فى ذلك مبالغة تؤدينا إلى أن نرمى العصر الفاطمى بالتأخر فى الكتابة، فإن القاضى الفاضل نفسه تخرّج فى هذا العصر. بل لقد تمّ تكوّن القاضى الفاضل فى هذا العصر نفسه، وكان من كتاب دواوينه، بل لقد كان يقلد تقليدا شديداً آثار كتابه من أمثال ابن أبى الشخباء وغيره، وسنرى أنه لا يكاد يأتى بجديد فى استخدام العناصر الفنية إلى صناعة ابن أبى الشخباء، إنما كل ما هنالك أنه اتسع بها، ووسع طاقتها، واستطاع أن ينفذ بها إلى كل ما أراد من تجويد وتحبير»[2].

(١) انظر: رسائل ابن أبى الشخباء الإخوانية، ص: ١٤٦-١٤٧ وانظر عن الدكتور محمد كامل حسين ـ أدب مصر الفاطمية، ص ٣٦٤.

(٢) الفن ومذاهبه فى النثر العربى، ص ٣٦٤ [بتصرف]

ويرى الدكتور على إبراهيم أبو زيد أن القاضى لم يقلد ابن أبى الشخباء تقليداً، ولكنه تأثر بأسلوبه وتعلّم من رسائله، واستفاد من حفظه معظمها، وقد صوّر طريقة عصره الأيوبى فأضاف إلى معالم الطريقة الفاطمية الجديد أيضا، فقد كان للكتابة الإخوانية مصطلحات فى عهد الدولة الأيوبية ذكرها القلقشندى فى صبح الأعشى، فلم يكن للابتداء عندهم طريقة متفق عليها، فأحيانا يدعون للمجلس وأحيانا يدخلون إلى الموضوع بدون تقديم، وكان القاضى الفاضل يطلق على الرسالة لفظ «الخدمة». والقاضى الفاضل لم يلتزم فى سجعه بما التزم به ابن أبى الشخباء فى جعله بين جملتين فقط، وإنما كان يجعله بين ثلاث جمل أو أربعة، وكان يطيل أحياناً فى رسائله طولا غير معهود فى رسائل ابن أبى الشخباء، ويتلاعب بالجناس والتورية تلاعباً يحتاج معه القارئ إلى أن يجهد فكره. كما أن القاضى الفاضل استخدم ألفاظا معربة فى رسائل ومنها «القوقص». . والديوية والاستبارية (١).

ويطرح الدكتور شحادة خليل زغبر هذا السؤال(٢): لماذا نسبت هذه الطريقة إلى القاضى الفاضل رغم أنه مسبوق إليها؟. ويجيب عن سؤاله بقوله: لعل ذلك يعود إلى أسباب منها:

١- إجادة القاضى الفاضل لهذه الطريقة إجادة فاقت سابقيه، مع إيغال شديد فى الصنعة.

٢ـ مقام الفاضل الأدبى: من حيث تمكنه من اللغة وقدرته على تصريفها، وسعة إطلاعه، وكثرة حفظه، وغزارة علمه، بالإضافة إلى مقامه الاجتماعى والسياسى، كل ذلك، جعل الناس ينظرون إليه نظرة تقدير وإعجاب، فأخذوا يقلدونه، فهو الوزير، وهو الحكومة ورئيس الديوان.

٣ـ غزارة ما كتب الفاضل من رسائل ديوانية وإخوانية مستخدما هذه الطريقة: فقد قيل للتدليل على غزارة علمه إنه لم يكن يكرر عبارة سبق أن استعملها فى رسائله «فما كرر

---

(١) رسائل ابن أبى الشخباء الإخوانية، ص: ١٤٩ - ١٥٠ [بتصرف] وانظر فى مصطلحات الكتابة فى عهد الدولة الأيوبية، صبح الأعشى ٧/١٨-٣٠، ٩٤- ٨/١٧١

(٢) الاتجاهات الأدبية فى ظل الدولة الأيوبية : شحادة خليل ص٥٩٦ وما بعدها

دعاء ذكره فى مكاتبته، ولا ردد لفظاً فى مخاطبته، بل تأتى فصوله مبتكرة مبتدعة»[١]، وله إلى جانب رسائله مذكرات دعاها «المتجددات».

٤ـ عناية القاضى الزائدة بما يكتب، وكان يوجه إلى كتابته كل اهتمامه وقوته. حتى لتبدو هذه العناية ظاهرة على وجهه وجسمه. ذكر عبد اللطيف البغدادى واصفا الفاضل عندما دخل عليه: «رأيت شيخاً ضئيلاً كله رأس وقلب، وهو يكتب ويملى على اثنين، ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه فى إخراج الكلام، وكأنه كان يكتب بجملة أعضائه)[٢].

لهذه الأسباب مجتمعة نسبت إليه الطريقة

ويمكن أن أضيف ـ إلى ما سبق ـ وطنية القاضى الفاضل واعتزازه بتراثه القومى، وحبه للُّغة العربية عنوان الشخصية القومية جعله يوشحها بألوان البيان والبديع؛ لتقف شامخة فى مواجهة الغزو الصليبى الذى يهدف إلى تدمير العروبة وتراثها وعقيدتها، مما أشاع الخوف والقلق فى النفوس فكانت اللغة بمثابة الموسيقا العلاجية للنفوس، وحفز الهمم للجهاد، والسيف البتار لرقاب الأعداء وقد أدرك صلاح الدين هذه الحقيقة فقال: «لا تظنوا أنى ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل»[٣]، لذا كان القاضى الفاضل وحده جيشا ثانياً يحارب فى المحنة الصليبية[٤]. وكان جديراً بأن يقال فى حقه: «كان الرجل موسوعة علمية دبلوماسية سياسية إدارية حربية فى آن واحد»[٥]. وقد مدحه ابن سناء الملك قائلاً:

أغنى الملوكَ بكُتُبٍ عن كتائبِهم ... فما يرَى قلمًا إلا غـــزا بلـدا[٦]

وقال-:

فكلٌ كتابٍ منه سيفٌ مجوهـرٌ ... يروقُ إذا مـــا شِمتَه ويُهَـــاب

تَجزٌ معانيه الرقابَ فقد غـــدَا ... يُخَيَّل لى أن الكتابَ قِـــراب[٧]

(١) الروضتين ٢/ ٢٤٢

(٢) عيون الأنباء لابن أبى صبيعة ٢/ ٥ ٢

(٣) الفتح القسى، ص ٢٧، شذرات الذهب ٤/ ٣٢٧ مع اختلاف فى الرواية.

(٤) أدب الحروب الصليبية، ص ٢

(٥) القاضى الفاضل وصلاح الدين والوحدة الإسلامية، ص٢٣٦

(٦) ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٩٣

(٧) السابق ٢/ ٢١

رابعًا: صفاته وخلائقه

قال ابن سناء الملك مادحًا القاضى الفاضل:

«... الناطق الذى لا ينطق عن الهوى، والصادق الذى لا يغلط إذا ورَّى أو روَى، القاضى الأجل الفاضل أبى على عبد الرحيم بن على البيسانى - رضى الله عنه...»(١).

وقال أيضاً:

«... لا يُحابى ولا يُحاشم، ولا يُحاشى ولا يُداهن ولايُداهى، ولا يقول إلا الصحيح، ولا يعدل إلا العدل ولا يجرح إلا الجريح...»(٢).

وقال:

ووصفتُ جودَ أبى على وحـدَه   وأنفتُ أنْ أصفَ الغمامَ الممطرَا
ذاك الكريمُ وإنْ سمعتَ بغيـرِه   خذْ ما تراهُ ودعْ عمًّا لا تــرَى(٣)

وقال العماد فى الخريدة:

«... أين قسٌّ عند فصاحته وأين قيسٌ فى مقام حصافته، ومن حاتم وعمرو فى سماحته وحماسته. فضله بالإفضال حالٍ، ونجم قَبُوله فى أفق الإقبال عالٍ، لا مَنٌّ فى فعله، ولا مَيْنَ فى قوله، ولا خُلْفَ فى وَعده، ولا بُطْءَ فى رِفْده. الصادق الشيم، السابق بالكرم، ذو الوفاء والمروءة والصفاء والفتوَّة، والتقَى والصلاح والندَى والسماح. منشر رفات العلم وناشر راياته، وجالى غيابات الفضل وتالى آياته. وهو من أولياء الله الذين خُصُّوا بكرامته، وأخلصوا لولايته، قد وفقه الله للخير كله. وفضل هذا العصر على الأعصار السالفة بفضله ونبله، فهو مع ما يتولاه من أشغال المملكة الشاغلة، ومهامه المستغرقة فى العاجلة، لا يغفل عن الآجلة. ولا يفتر عن المواظبة على نوافل صلاته، وحفظ أورازه ووظائفه، وبث أصفاده وعوارفه، ويختم كل يوم ختمةً من القرآن المجيد، ويضيف إليه ما شاء من المزيد. ...»(٤).

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٤٨، ٤٩

(٢) السابق، ص٥٢.

(٣) السابق، ص ١٤٨

(٤) خريدة القصر وجريدة العصر [قسم شعراء مصر] ١/ ٣٦

وفى طبقات الشافعية الكبرى:

«وكان ذا دين وتقوى وتقشف مع الرياسة التامة والإغضاء والصفح والحلم والعفو . . .»(١).

وقال الذهبى فى العبر:

« . وكان له حدبة يخفيها بالطليسان . .»(٢).

سألت هذه النصوص فقالت: كذا أخلاقه كانت وقد عهدت فيه المحامد فإذا عد أهل الفضل فهو واحد. وسألتها أن تذكر بعضها، فقالت: كان ذا حدبة فى ظهره يخفيها بالطيلسان، وكان «ضعيف البنية، ضئيل الجسم، كله رأس وقلب، كما وصفه عبد اللطيف البغدادى»(٣)، وكان يشكو المرض كثيرا. وكانت هذه العلل من دوافع تفوقه على أقرانه، وإثبات ذاته حتى لا يُعيَّر بها فجزى الله الشدائد كل خير. وكان فى الذكاء آية، وفى سرعة البديهة وسحر البيان غاية.

ولم يكن القاضى الفاضل يشكو المرض فحسب وإنما كان يشكو الدهر كثيراً، فهم هذا من قوله: «ولكن قد علم الله أن الخاطر متوزع، وأن الدهر قد تفنن فى مكروهه وتنوعً، وأن القلم يكتب بدربته، ويرسل نفسه على سجيته ويسحب نفسه على أم رأسه، وتأخذ العجلة بمضايق أنفاسه. .»(٤).

ومن قوله:

« . وقد ولينا الهموم، وبسطت علينا مظالم الأوهام حتى يرد منه كتاب فإذا هو سمير الأسى، ننفى ظلامها بكاسه وننفى سمًّها بقرطاسه . .»(٥)

وكان يشكو ضيق الوقت، فليس لديه وقت يضيعه، فُهم هذا من قوله مقرظاً فائية ابن سناء الملك: «ولو ساعدنى الخاطر والوقت الضيقان لوصفتها مجتهداً . .»(٦) لقد كان

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ٧/ ١٦٧

(٢) العبر للذهبى: ٣/ ١١٥

(٣) القاضى الفاضل دراسة ونماذج، ص ٣٦.

(٤) فصوص الفصول، ص ٥٨.

(٥) السابق، ص ٩٤.

(٦) فصوص الفصول، ص ٥٧.

القاضى الفاضل يحسن استثمار وقته «فهو إما فى شغل بأعمال الدولة، أو فى قراءة واطلاع، أو فى عمل دينى؛ ولهذا استطاع أن ينتج هذا الإنتاج الضخم من الرسائل. .»(١).

وكان ـ رحمه الله ـ متواضعاً، يقدر شيوخه ويجلهم. قال ابن خلكان: «ولم يزل ابن الخلال بديوان الإنشاء إلى أن طعن في السن وعجز عن الحركة، فانقطع فى بيته، ويقال أن القاضى الفاضل كان يرعى له حق الصحبة والتعليم، فكان يجرى عليه ما يحتاج إليه إلى أن مات فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٦٦هـ. .»(٢).

ومن أخلاقه: الصدق والوفاء بالوعد، والحلم والعفو، والعفة والكرم والحكمة وحسن التدبير. قال ابن سناء فى مدحه:

عنِ المالكِ الأملاكِ رأيًا وحكمةً وفاضلهم علمًا وحلمًا ومنصبًا(٣)

وقال:

فتحرسُه من جندِه البيضُ والقنَا ويحرسُهَا منه التــلاوةُ والذكــرُ(٤)

وكان ـ رحمه الله ـ تقيا صالحاً، محافظا على الصلاة والصوم وقراءة القرآن الكريم، محبا للدنيا لأنها مزرعة الآخرة، ومع حبه لها كان زاهداً فى ملذاتها الزائلة رغم ثروته الضخمة التى قدرت بخمسين ألف دينار فى السنة كما قال الذهبى(٥)، «متقشفاً عن قدرة وعنده أن الزهد عن غنى أرفع من الزهد عن فقر؛ إذ يقول:

وما كان فضلُ الزهدِ فى العيشِ عن غنَى يقاسُ بفضلِ الزهدِ فى العيشِ عن فقــرِ(٦)

وكان ـ رحمه الله ـ يؤمن إيمانا راسخاً بأهمية العلاقات الاجتماعية ودورها فى بناء مجتمع قوى؛ فعمل على توطيد علاقته بالآخرين، وقد ذكر «له مؤرخوه حسن مجاملته

(١) القاضى الفاضل دراسة ونماذج، ص ٤٨.
(٢) وفيات الأعيان، ٧/ ٢٢٥
(٣) انظر: ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٥٣٩، وفصوص الفصول، ص ٧١
(٤) ديوان ابن سناء ٢/ ١٥١، وفصوص الفصول، ص ٨٥.
(٥) العبر للذهبى ٣/ ١١٦
(٦) القاضى الفاضل دراسة ونماذج، ص٣٩.

للناس: يشيع الجنائز، ويعود المرضى»[١]، ويسأل عنهم، قال: «وعرفت مرض حضرة القاضى السعيد، واستدفعت الله البلاء عن جسمها وقلبها، وسألته فى أن ينفع الكبد بل الأكباد بعافيته وجلبها»[٢]. وقال معزيا فى جد ابن سناء الملك: «ثم قد علم الله مساهمتى لها فى الوحشه من شيخنا الفقيد ـ رحمه الله ـ. والله يقدمه على رضوانه، ويجزيه بإحسانه عن إحسانه. .»[٣].

وكان ـ رحمه الله ـ يؤمن بأن الموهوبين من أبناء الأمة هم عمدها وسبب تقدمها ورقيها متى تهيأ لهم المناخ المناسب لنموهم، لهذا وظف القاضى الفاضل إمكاناته الوظيفية والمالية والعلمية لخدمة هذه القضية «فالعماد الكاتب يعرب بأمره كتاب كيمياء السعادة، تصنيف الإمام أبى حامد الغزالى، ويحثه القاضى الفاضل على إتمام تأليف كتابه: البرق الشامى، ويقول القاضى من رسالة إليه: «ونحن على انتظار البرق الشامى أن يمطر، وحاشا ذمة الوعد به أن تخفر»[٤].

كذلك شجع علىٍّ بن ظافر الأزدى على إتمام كتابه: «بدائع البدائه» «وساعد الأسعد بن مماتى على تسمية كتاب عرضه عليه، وكان يسميه باسم (كتاب الشىء بالشىء يذكر)، فأشار أن يجعل اسمه: سلاسل الذهب»[٥]. وتعهد القاضى الفاضل ابن سناء الملك بالعناية والتدريب والتوجيه فطلب منه عمل مختارات من شعر ابن الرومى وشعر ابن رشيق وشجعه على اختصار كتاب الحيوان للجاحظ وسماه ابن سناء بروح الحيوان، وحثه على أن يفعل ذلك مع كل كتب الجاحظ.

والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا السياق: ما سر اهتمام القاضى الفاضل بالموهوبين والعلماء والأدباء والمؤلفين؟

يمكن تعليل ذلك بعدة أسباب:

أولاً ـ حب القاضى الفاضل للعلم، وعشقه للأدب الجيد، وإيمانه بواجبه الوطنى

---

(١) القاضى الفاضل دراسة ونماذج، ص ٣٨

(٢) فصوص الفصول، ص: ١٤١

(٣) السابق، ص: ١٩٩ ـ ٢

(٤) الروضتين ٢/ ٢، ٢٢٤

(٥) معجم الأدباء ٦/ ١١٧

والقومى فى ظل ظروف عسيرة تتطلب عقولاً ناضجة تقرن الكلمة بالسيف فى معركة الشرف والكرامة ضد الصليبيين.

ثانياً ـ تأثير ثقافته الدينية عليه فالعلم الذى يُنتفع به ثالث ثلاثة تبقى لابن آدم بعد وفاته، وخير الناس من تعلم العلم وعلمه.

ثالثاً ـ شيَّد القاضى الفاضل بكفاحه وعزيمته صرحاً أشم من المجد فى حياته، ورغب فى بقائه بعد وفاته؛ فجمع النابغين حوله، وشملهم بعنايته، وغمرهم بفيض علمه وتوجيهه حتى استووا على سوقهم؛ فكانوا عُمداً للمدرسة الفاضلية من بعده.

رابعاً ـ كان لضعف بنيته، وحدبة ظهره، أثرهما فى تحديه الصعاب والتغلب عليها، واندماجه فى الحياة الاجتماعية، فليست السياسة بمعزل عن المجتمع، وقد هيأ له ذلك اكتشاف الموهوبين ورعايتهم، وإعدادهم ليكونوا قادة ناجحين فى مجتمعهم، ولا يتم ذلك إلا إذا وُجِدَ فى داخل كلٍّ منهم [جهاز مناعة] دينى علمى وطنى، وليس هذا ببعيد المنال.

خامساً ـ كان اهتمامه ـ رحمه الله ـ بالموهوبين، وفاء وردا لجميل مصر التى عشقها و«حقق فيها أحلامه وآماله، وأحب الإقامة بها واشتاق إليها حين كان يبعد عنها، قال، وقد مضى مع صلاح الدين إلى الفرات، متشوقاً إلى نيل مصر:

بالله، قلْ للنيـلِ عنِّى: إنَّنـى ... لم أشْفِ من ماءِ الفراتِ غليلاً
وسلْ الفؤادَ، فإنَّه لِى شاهـدٌ ... إنْ كان جفنِى بالدمـوعِ بخيلاً
يا قلبُ، كم خَلَّفتَ ثَمَّ بُثينـةَ ... وأُعيذُ صبرك أن يكونَ جميـلاً»(١)

والسؤال الآخر الذى يفرض نفسه فى هذا السياق أيضاً: من الموهوب؟ وما المحاور التى يرتكز عليها برنامج القاضى الفاضل فى رعاية الموهوبين؟

الموهوب هو من «يزيد استعداده العقلى وأداؤه على معايير عمره»(٢). «ووضع جابر طلبه (١٩٩٧) تعريفاً شاملاً للطفل الموهوب على أنه الطفل الذى لديه من الاستعدادات

---

(١) القاضى الفاضل دراسة ونماذج، ص ٥٠.

(٢) رعاية المتفوقين والموهوبين والمبدعين، ص ٣٦.

الفطرية العقلية أو الخاصة ما يمكنه ـ فى حاضره ومستقبله ـ من تحقيق وإظهار مستوى أداء مرتفع وزائد عن المألوف عن أقرانه الأطفال العاديين»(١).

ويفحص نصوص كتاب «فصوص الفصول وعقود العقول» تبين أن القاضى الفاضل قد سبق المحدثين فى تعريف الموهوب، وهذا ما تؤكده النصوص الآتية:

من رسالة للقاضى الفاضل فى تقريظ قصيدة ابن سناء الملك السينية: «وقرنتها بفصل إلى المقام الناصرى نبهت فيه على أنها من القول الفصل، وأقمت الشهادة فى بابه، وإن كان صغيراً فإنه كبير أهل الفضل الذى علمهم الفضل، وأن الدولة بمدحه قد نزل الله آياته عليها فى الغابرين، وأبقى لها ذكرا حسناً فى الذاكرين. .»(٢).

ومن رسالة له فى تقريظه ومدح بائيته: «وما أجدر هذه القصيدة أن تكون كأختها فى الهناء بالأمر غير الواقع، وبالوصول إلى مصر ودونه ما شاءت الأقدار من الموانع. وبالجملة إن أهل هذه الصناعة وقفوا خلفاً ووقف إمامًا، وأتت السماء بهم دخانًا وأتت به غماما، وتأخروا وإن تقدموا، وتقدم وإن تأخر، وقصروا وإن سبقوا وسبق وما قصر. وإنه لا يوقف له على بديعة إلا والتى بعدها أبدع، ولا على واقعة إلا والتى تليها أوقع. .»(٣).

كتب القاضى الفاضل جوابًا عن قصيدة ابن سناء العينية التى مطلعها:

فراقٌ قضَى للقلبِ والهمُّ بالجمعِ وهجرٌ تولَّى صلحَ عينِى مَعْ دمعِى

«وصلت القصيدة السعيدية التى لا عيب فيها إلا أن جميع فرائدها وسائط وأن معانيها بين العقول وسكرها وسائط، وقد علم الله ابتهاجى أن أنشأ الزمان مثله. إلى قوله: «وتهادَى كُتَّاب الشام وشعراء الوقت هذه القصيدة العينية، وامتدت إليها الأعين، وأثنت عليها الألسن، واستغربوا الحسن قبل أن ذكرت السن، فلما ذكرته فمنهم من عرف المولى فى لحن القول فاستبدع. .»(٤).

من جملة هذه النصوص ـ وغيرها ـ يتضح أن القاضى الفاضل كان على علم بمفهوم

(١) رعاية المتفوقين والموهبين والمبدعين، ص: ١٨٣-١٨٤

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٥٩ ـ ٦٠

(٣) السابق، ص: ٨٦ ـ ٨٧.

(٤) فصول الفصول، ص: ١٧٠ ـ ١٧١

الموهوب، فهو من يسبق عمره العقلى عمره الزمنى ولديه من الاستعدادات والإمكانات ما يجعله يفوق أقرانه. وكان يعلم أن اكتشاف الموهبة يتم عن طريق الملاحظة المدروسة، وأن الأسرة تتحمل الجانب الأكبر من اكتشاف الموهبة.

وكان للقاضى الفاضل برنامج دقيق فى رعاية الموهوبين، يرتكز على الأسس الآتية:

أولاً ـ الاستكشاف:

ويتم ذلك عن طريق الملاحظة الدقيقة المدروسة، أو عن طريق أسرته، أو عن طريق المؤسسة التعليمية التى تعلمه، وربما يتم ذلك عن طريق الصدفة أحياناً. ويمثل هذه المرحلة من نصوص كتاب: «فصوص الفصول. . .» قول القاضى الفاضل: «وأنا متطلع إلى أخبار القاضى أبى الحسن ولد القاضى السعيد ـ أنماه الله ـ فأريد أن يعرفنى ماذا يشتغل به، وما أسفر طبعه عنه، فلا عذر لابن السرى أن لا يسرى، ولمن ولد بين مصحف وكتاب أن لا يقرى أو يقرأ، فأريد أن أرى خطه لأعرف قدر اهتمام والده به»[1].

وأرسل القاضى الفاضل إلى والد ابن سناء جوابا عن رسالة أبى الحسن إليه، جاء فيه: «ووقفت على كتاب القاضى الأعز ـ أعزه الله وأحياه، وحفظه وحياه ـ ولقد سررت بخطه، ورشفت مواقع أحرفه. إلى قوله: واستزدت أباه فى العناية به إلى أن يكون فيها كجده؛ فهذا عين وقرتها، وريحانة لا عفت نضرتها، ومستقبل سعادة البيت لا حُولت عنها قبلتها، وما خطه مما يسبل دونه القناع، ولا تتخفر اليد من إبرازه، ولا يتغير ذهبه عن جوازه، وهو قابل للزيادة، طالب من الغاية، خصيص أوطانه والاستقلال من كتابته ظلم لكيانه. . »[2].

ثانياً ـ مرحلة التوجيه والتدريب والمتابعة:

كان القاضى الفاضل يؤمن بأن الموهبة طاقة تحتاج إلى رعاية وتوجيه وتدريب ومتابعة، لهذا طلب القاضى الفاضل من ابن سناء الملك أن يكتب مختارات من جيد شعر ابن الرومى. قال القاضى الفاضل: «وكان القاضى السعيد لما وصل إلى دمشق عائداً، جعلت قراءة شعر ابن الرومى واختياره وكدى، واخترت أنا وهو حرف الألف، وتوجه قبل تمام

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص: ٢٤١

(٢) السابق، ص: ٢٤٥ بتصرف.

الاختيار، ووعد بأن يكمله، فلمَ لا أنجز ميعاده؟ ولم لا أجعل مرادى مراده؟ فكان يبرز من الشعر محاسنه المغمورة، ويلفظ أبياته الخراب ويبقى أبياته المعمورة. . »[١].

وكلفه أيضاً أن ينقل «إليه غرائب الأخبار المستطرفة، والكوائن فى البلاد النازحة والأقطار الشاسعة؛ ليعلقها فى تعليقه الذى يعلق فيه كل ما يتجدد من الأحوال يوماً يوماً بل ساعة ساعة. . .»[٢].

واختصر ابن سناء الملك كتاب الحيوان للجاحظ، وسمّى المختصر بروح الحيوان، فأثنى عليه القاضى الفاضل، وحثه على قراءة أدب الجاحظ والاختيار منه. قال القاضى الفاضل: «فوددت لو اختار كتاب البيان فيجتمع فى بحر اختياره النونان، فهما حمتاه، وفى عسكر تصانيفه حامِيتاه، بل وددت لو اختار كل كلام الجاحظ؛ فمحاسنه كثيرة، ومنشآته والاختيار منها يتناول الكبيرة دون الصغيرة.»[٣]

ويلاحظ مما سبق أن القاضى الفاضل يركز على الناحية التطبيقية مع اهتمامه بالناحية النظرية، وهدفه من ذلك «تزويد المتفوق بتطبيقات عملية وتوسيع الأبعاد التعليمية النظرية لديه»[٤]. «فالتعلم مجهود شخصى وبحث وتنقيب ومحاولات وأخطاء. أما المهمة الحقيقية للمعلم فهى الحفز والتوجيه وتهيئة الظروف التى تسهل التعلم. . »[٥].

وكان القاضى الفاضل يؤمن بأهمية المتابعة الدقيقة الهادفة المستمرة لعمل الموهوب. وقد شهد له تلميذه ابن سناء الملك بهذه الفضيلة، فقال: «وكانت عادتى معه ـ رحمه الله ـ أن يطالبنى بالوقوف على مسوّدات شعرى ونثرى، ويرى ما ضربت عليه وما أثبته، فربما رأى ما ضربت عليه خيراً مما أثبته؛ فيناقشنى فى الحساب، ويطالبنى بالجواب، ويوضح لى وجه الخطأ والصواب. هذه عادتى معه من أوّل ما أدبنى وعلمنى وهذبنى. . »[٦].

ويحمد للقاضى الفاضل فضل السبق إلى هذه الحقيقة التى أكدتها الدراسات المعاصرة «وقد دلت تجارب كثيرة على أن ممارسة العمل دون علم بنتائجه لا يؤدى أحياناً إلى تعلم

(١) فصوص الفصول، ص: ١١٣ ـ ١١٤
(٢) السابق، ص: ١٢٦ ـ ١٢٧
(٣) فصوص الفصول وعقود العقول، ص: ٢٢٧
(٤) رعاية المتفوقين والموهوبين والمبدعين، ص ٨١.
(٥) أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص ٢٧٥
(٦) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٠٩

البتّة، وأن علم المتعلم بنتائج تعلمه يعينه على إجادة التعلم، وزيادة إنتاجه من حيث مقداره ونوعه وسرعته، ذلك لأن هذه المعرفة تعين المتعلم على تصحيح استجاباته الخاطئة وعلى تكرار الاستجابات الناجحة وحدها، كما أنها تجعل العمل أكثر تشويقاً. ومعرفته مدى تقدمه تحمله على منافسة نفسه وغيره... ثم إن هذه المعرفة تستعمل قانون «الطاقة المتزايدة» الذى ينص على أن الفرد متى اقترب من بلوغ هدفه زاد ما يبذله من جهد. .»[1].

* * *

(١) أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص ٢٦٧

الفصل الخامس

ثقافته ومؤلفاته ووفاته

أولاً: ثقافته:

لا أبالغ إذا قلت: إن القاضي الفاضل دائرة معارف غنية، فقد كان شاعراً وكاتباً وناقداً وفقيهاً ومؤرخاً ومعلماً وإدارياً وسياسياً ورجل اقتصاد، ووزيرا لصلاح الدين الأيوبى. قال عنه العماد الأصفهانى: «صاحب القران، العديم الأقران، وواحد الزمان، العظيم الشان، رب القلم والبيان، واللسن واللسان، والقريحة الوقادة، والبصيرة النقادة، والبديهة المعجزة؛ والبديعة المطرزة، والفضل الذى ما سمع فى الأوائل بمن لو عاش فى زمانه لتعلق بغباره، وجرى فى مضماره. فهو كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع، ورسخت بها الصنائع، يخترع الأفكار، ويفترع الأبكار، ويطلع الأنوار، ويبدع الأزهار. وهو ضابط الملك بآرائه، ورابط السلك بآلائه، إن شاء أنشأ فى يوم واحد بل فى ساعة واحدة مالو دون لكان لأهل الصناعة خير بضاعة. .»[١] وقال الذهبى: «سيد الفصحاء». . «انتهت إلى القاضى الفاضل براعة الترسل، وبلاغة الإنشاء، وله فى ذلك الفن اليد البيضاء. .»[٢] وقال الإسنوى: «شيخ البلاغة والبراعة، مالك صناعة الإنشاء، والمتصرف فيها كيف يريد ويشاء. .»[٣].

ولم تكن هذه البحار لتزخر لولا روافد فياضة تغذيها، وهى:

١ـ **موهبته الفطرية المبكرة**، وشدة ذكائه، وحبه لصناعة الكتابة. وقد نمّى والده فيه هذه الموهبة؛ فدفعه إلى حفظ القرآن الكريم، وما يستطيعه من أدب العرب، ثم أرسله والده إلى مصر ـ صاحبة الريادة العلمية ـ ليتعلم أصول الكتابة الفنية فى ديوان الإنشاء. روى صاحب الروضتين عن قدوم القاضى الفاضل إلى مصر: «فأرسلنى والدى، وكان إذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان، إلى الديار المصرية فى أيام الحافظ، وهو أحد خلفائها، وأمرنى بالمسير إلى ديوان المكاتبات، وكان الذى يرأس به فى تلك الأيام رجل يقال له ابن الخلاَّل. فلما حضرتُ الديوان ومثلت بين يديه وعرَّفته من أنا وما طلبى، رَحَّبَ بى وسهَّل، ثم قال: ما الذى

(١) خريدة القصر [قسم شعراء مصر] ١/ ٣٥-٣٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٣٩ [بتصرف].

(٣) طبقات الشافعية للأسنوى ٢/ ٢٨٢.

أعددت لفن الكتابة من الآلات؟ فقلت: ليس عندى شىء سوى أنى أحفظ القرآن العزيز وكتاب الحماسة. فقال: وفى هذا بلاغ. ثم أمرنى بملازمته، فلما ترددت إليه تدربت بين يديه، ثم أمرنى بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة، فحللته من أوله إلى آخره، ثم أمرنى أن أحله مرة ثانية، فحللته..»(١).

مما سبق يتضح أن الموهبة والذكاء مقومان رئيسان من مقومات الشخصية الأدبية ولكنهما وحدهما لا يكفيان لظهور النبوغ إذ يعتمد ظهور النبوغ عند أى شخص على التفاعل بين التفوق فى الاستعدادات الفطرية والظروف البيئية التى ينشأ فيها. فالاستعدادات. الفطرية لا تؤدى إلى النبوغ إلا إذا توفرت لها التربة الصالحة لتنميتها وصقلها. وتعتبر الأسرة من أهم عناصر البيئة تأثيراً فى إظهار النبوغ، فعليها رعاية وتربية الطفل النابغة، وتوجيهه.. وتشجيعه على ممارسة هواياته، وصقل مواهبه، وتنمية ذكائه وقدراته الإبداعية(٢).

٢ـ حفظه للقرآن الكريم، والحديث الشريف، وجيد أدب العرب ممن عاصروه أو كانوا قبل عصره. «ومن أهم ما درسه القاضى الفاضل من دواوين الشعراء ديوان المتنبى، وقد نالت دراسة المتنبى فى عصر الأسرة الأيوبية خُطىً كبيرةً من جهود الأدباء، وصار اسم المتنبى معادلاً للشاعر العظيم، وقد استرعت هذه الظاهرة أنظار ابن الأثير، قال: وكنت سافرت إلى مصر سنة ٥٩٦هـ ورأيت الناس مكبين على شعر أبى الطيب دون غيره، فسألت جماعة من أدبائها عن سبب ذلك، وقلت: إن كان لأن أبا الطيب دخل مصر فقد دخلها قبله من هو مقدَّم عليه، وهو أبو النواس الحسن بن هانىء، فلم يذكروا لى فى هذا شيئاً؛ ثم إنى فاوضت عبد الرحيم البيسانى فى هذا، فقال: إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس. ولقد صدق فيما قال»(٣).

---

(١) كتاب الروضتين، لأبى شامة ١/ ٤٨٨. وابن الخلال هو: الموفق أبو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال ناظر ديوان الإنشاء فى مصر. ت٥٦٦هـ [خريدة القصر قسم شعراء مصر ١/ ٢٣٥].

(٢) رعاية النابغين فى الإسلام وعلم النفس، ص ١٦٢ [بتصرف].

(٣) القاضى الفاضل دراسة ونماذج، ص٥١.

٣ـ شيوخه، «يتعلم الإنسان إن كانت لديه رغبة فى التعلم، وكانت لديه القدرة على التعلم، وأُتيحت له الفرصة للتعلم، وقُدِّم إليه الإرشاد فيما يتعلم. غير أن القدرة والفرصة والإرشاد لا تجدى جميعاً إن لم يكن لدى المتعلم ما يدفعه إلى التعلم. فلا تعلم بدون دافع...»(١).

وقد تهيأت للقاضى الفاضل هذه المهيئات فكان شاعراً مثقفاً، وكاتبا عالما، وأديباً بارعاً، وناقدا ماهراً، وسياسيا حكيما، وإدارياً خبيراً، ومؤرخاً بصيراً. وخلاصة القول أنه كان مرآة لثقافة عصره الشاملة.

وقد أخذ القاضى الفاضل قسطا من ثقافته عن شيوخ أجلاء، وكان والده شيخه الأول ودافعه إلى التخرج فى مدرسته. وقد ذكر صاحب التكملة لوفيات النقلة(٢)، ثبتا لبعض شيوخه، فقال: «سمع بالإسكندرية من الحافظ أبى طاهر أحمد بن محمد الأصبهانى(٣)، والشريف أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن العثمانى(٤)، والفقيه أبى الطاهر إسماعيل بن مكى بن عوف(٥).

وبدمشق من الحافظ أبى القاسم على بن الحسن الشافعى(٦)، وبالقاهرة من أبى عمرو

---

(١) أصول علم النفس، ص ٢٦٢

(٢) التكملة لوفيات النقلة ١/ ٣٥١-٣٥٢.

(٣) سبق التعريق به: ص ٦٢ من هذه الدراسة.

(٤) العثمانى: هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى الأموى الديباجى، محدث الإسكندرية بعد السلفى فى الرتبة، روى عن أبى القاسم بن الفحام والطرطوشى وخلف. ويعرف بابن أبى اليابس وكان ثقة صالحا متعففا يقرئ النحو واللغة والحديث.. توفى فى شوال سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة هجرية عن ثمان وثمانين سنة العبر ٣/ ٦٢ بتصرف ـ وانظر: شذرات الذهب ٤/ ٢٤١-٢٤٢

(٥) أبو الطاهر بن عوف إسماعيل بن مكى بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهرى الاسكندرانى المالكى، توفى فى شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وله ست وتسعون سنة. تفقه على أبى بكر الطرطوشى وسمع منه ومن أبى عبد الله الرازى، وبرع فى المذهب وتخرج به الأصحاب، وقصده السلطان صلاح الدين وسمع منه الموطأ. [العبر ٣/ ٨١ - شذرات الذهب ٤/ ٢٦٨].

(٦) أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله الدمشقى، محدث الشام، ثقة الدين. قال ابن شهبة: فخر الشافعية، وإمام أهل الحديث فى زمانه وحامل لوائهم، صاحب تاريخ دمشق وغيره من المؤلفات المفيدة المشهورة مولده فى مستهل سنة تسع وتسعين وأربعمائة، توفى فى رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة هجرية [شذرات الذهب ٤/ ٢٣٩ بتصرف] وانظر: العبر ٣/ ٦٠

عثمان بن سعيد بن فرج العَبْدَرى[١].

ومن شيوخه الذين اقتطف من ثمار علمهم ـ بعد أن تتلمذ على أيديهم ـ الموفق يوسف بن الخلال[٢]، والكاتب المصرى الكبير أبى الفتح ابن قادوس[٣].

وكان القاضى الفاضل نهمًا فى تحصيل العلم فاستطاع أن يبنى لنفسه صرحاً ثقافيا شامخاً من خلال قراءته الواسعة فى شتى أنواع المعارف المعاصرة له والسابقة، فألِف الأساليب وألِفته، وصنع لنفسه أسلوبا مزج فيه أصالة القديم. بروعة الجديد.

ولم يكتفِ القاضى الفاضل بما أخذه عن شيوخه من علم، فغاص فى بحور المعرفة، وسبر غورها، وجنَى ثمارها، ومزجها بعصارة فكره ومشاعره، ففاضت دُرًا وعُرِفت به وعُرِف بها. وعن هذه الثقافة التحصيلية قال صاحب شذرات الذهب: «وكان يقتنى الكتب من كل فن، ويجتلبها من كل جهة، وله نُسّاخ لا يفترون، ومجلدون لا يسأمون. قال لى بعض من يخدمه فى الكتب: إن عدد كتبه قد بلغ مائة ألف كتاب وأربعة عشر ألف كتاب. هذه قبل أن يموت بعشرين سنة..»[٤]، وكان صلاح الدين يعرف فيه هذا الولوع بالكتب، فأعطاه بعد أن استولى على القصر الفاطمى ـ ما أراده من كتب مكتبتهم الضخمة..

٤ـ عمله فى ديوان الإنشاء، كان لحفظ القاضى الفاضل للقرآن الكريم، وديوان الحماسة، ومتابعة والده له واهتمامه به أثر عظيم فى تفجر ينابيع موهبته فى سن مبكرة من عمره. وقد آنس والده فيه تفوقاً فى فن الكتابة؛ فوجهه إلى جامعة شامخة فى هذا الفن؛

---

(١) لم أعثر له على ترجمة فى مصادرى.

(٢) ابن الخلال: موفق الدين أبو الحجاج يوسف بن محمد المصرى، كاتب الخليفة الحافظ لدين الله، وصاحب ديوان الإنشاء فى عصره، أخذ عنه القاضى الفاضل فن الكتابة، توفى فى جمادى الآخرة سنة ست وستين وخمسمائة انظر: خريدة القصر [قسم شعراء مصر] ١/ ٢٣٥-٢٣٧- العبر ٣/ ٤٩، شذرات الذهب ٤/ ٢١٩، والأدب فى العصر الفاطمى ٤٩٤، ٤٩٥.

(٣) القاضى أبو الفتح محمود بن إسماعيل بن حميد الفهرى، وأصله من دمياط، كاتب الإنشاء بالحضرة المصرية فى عصر الحافظ، وكان القاضى الفاضل يسميه ذا البلاغتين: الشعر والنثر. قيل إنه توفى سنة ٥٥١هـ انظر: خريدة القصر [قسم شعراء مصر ١/ ٢٢٦-٢٣٤]، والأدب فى العصر الفاطمى، ص ٤٩٧.

(٤) شذرات الذهب ٤/ ٣٢٥.

تصقل موهبته وتنميها، وهي ديوان المكاتبات بمصر، وكان عمره إذ ذاك خمسة عشر عاماً تقريباً.

جاء القاضي الفاضل إلى القاهرة حوالى ٥٤٣هـ في عهد الخليفة الحافظ أبي الميمون عبد المجيد العُبيدى، وبهذا أخذ معظم المؤرخين[١]، إلا أن صاحب طبقات الشافعية قال: «قال القاضي الفاضل: فأرسلنى والدى وهو قاض بعسقلان إلى الديار المصرية فى خلافة الظافر ابن الحافظ..»[٢] والرأى الأول هو الأرجح لمناسبته لسن القاضى الفاضل حين جاء إلى القاهرة.

وفى وفيات الأعيان لابن خلكان رواية جمع فيها الرأيين السابقين قال: «وذكر ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير. في الفصل الأول من كتابه الذى سماه «الوشى المرقوم فى حل المنظوم» فقال: حدثنى القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى، رحمه الله تعالى، بمدينة دمشق فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وكان إذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية فقال: كان فن الكتابة بمصر فى زمن الدولة العلوية غضا طرياً، وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأس يرأس مكاناً وبياناً، ويقيم لسلطانه بقلمه سلطاناً، وكان من العادة أن كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشدا شيئا من علم الأدب أحضره إلى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع، قال: فأرسلنى والدى، وكان إذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان، إلى الديار المصرية فى أيام الحافظ، وهو أحد خلفائها، وأمرنى بالمسير إلى ديوان المكاتبات، وكان الذى يرأس به فى تلك الأيام رجلاً يقال له «ابن الخلال» فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبى، رحّب بى وسهّل، ثم قال لى: ما الذى أعددت لفن الكتابة من الآلات؟ فقلت: ليس عندى شئ سوى أنى أحفظ القرآن الكريم، وكتاب الحماسة، فقال: فى هذا بلاغ، ثم أمرنى بملازمته.

ويواصل ابن خلكان حديثه قائلا: «اجتمع بى من له عناية بالأدب خصوصاً هذا الفن، وهو من أعرف الناس بأحوال القاضى الفاضل، وقال لى: هذا الذى ذكره ابن الأثير يمكن

(١) انظر: وفيات الأعيان ٧/ ٢٢-٢٢١، الروضتين ١/ ٤٨٨، ثمرات الأوراق ١٣٧

(٢) طبقات الشافعية، للأسنوى ٢/ ٢٨٣

تصحيحه ولعله قد غلط فى النقل، فإن القاضى الفاضل لم يدخل إلى الديار المصرية إلا فى أيام الظافر بن الحافظ، وكان وصوله إليها مع أبيه فى أمر يختص بهم. ثم إنى وجدت فى بعض تعاليقى بخطى، وما أدرى من أين نقلته، أن القاضى الأشرف والد القاضى الفاضل كان من أهل عسقلان، وكان ينوب فى الحكم والنظر بمدينة بيسان فدخل إلى مصر فى زمان الظافر بن الحافظ لكلام جرى بينه وبين والى الناحية من أجل كُنْد كبير كان عندهم. .»[١]، وحُقِّق معه «فيما نُسب إليه من استغلال بعض الأراضى من ممتلكات، وكانت نتيجة التحقيق فى غير صالحه، فصودرت أمواله، وصدم الرجل، فمات فى نفس السنة [أى: سنة ٥٤٦هـ] ودفن فى سفح المقطم»[٢].

وتجرَّع القاضى الفاضل آلام الحزن، وظلم ذوى الحقد ـ وكان أشد مرارة عليه من وقع الحسام المهند ـ وتعييرهم له بما حدث لأبيه. ورأى أن وجوده فى ديوان الإنشاء بالقاهرة لم يكن ليرضى طموحه فقرر الذهاب إلى الإسكندرية حوالى سنة ٥٤٨هـ؛ فهى «مركز هام من مراكز العلم والثقافة فى مصر»[٣]. وتوجه القاضى الفاضل إلى ثغر الإسكندرية، وحضر عند ابن حديد قاضى البلد وناظره، فعرَّفه بوالده، فعرفه بالسمعة واستكتبه. [٤] «وقرر له مرتبا يتقاضاه»[٥]. وظل القاضى الفاضل يعمل فى ديوان ابن حديد بالإسكندرية زهاء ثمان سنوات، لمع فيها نجمه، وشدا الناس بعرائس درره التى نفث فيها سحر بلاغته فأسمعت كلماته من به صمم، وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم، وأُعجب به ابن حديد، وتوثقت الصلة بينهما «وكانت مكاتبات ابن حديد ترد إلى مصر بخطه وهى فى غاية البلاغة، فحسده كُتَّاب الإنشاء بها على فضله وخافوا من تقدمه عليهم. . .»[٦].

وتهيأت الظروف لعودة القاضى الفاضل إلى القاهرة عندما تولى الوزارة العادل بن

---

(١) انظر: وفيات الأعيان ٧/ ٢١٩-٢٢١ [بتصرف].

(٢) وفيات الأعيان ٦/ ٢٢

(٣) الأدب فى العصر الأيوبى ، ص: ١٦٦

(٤) وفيات الأعيان ٧/ ٢٢١.

(٥) نهاية الأرب ٢٢/ ٢

(٦) وفيات الأعيان ٧/ ٢٢١

الصالح طلائع بن رزيك[١] سنة ٥٥٦هـ فقد أعجب ببلاغة القاضى الفاضل فأرسل إلى والى الإسكندرية يطلبه فأرسله إليه فعينه رئيسا لديوان الجيش. جاء فى وفيات الأعيان لابن خلكان: «. وقال الفقيه عمارة اليمنى فى كتاب «النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية» فى ترجمة العادل بن الصالح بن رُزِّيك: ومن محاسن أيامه وما يؤرخ عنها، بل هى الحسنة التى لا توازى، بل هى اليد البيضاء التى لا تُجَازِى، خروج أمره إلى والى الإسكندرية بتسيير القاضى الفاضل إلى الباب، واستخدامه بحضرته وبين يديه فى ديوان الجيش، فإنه غرس منه للدولة بل للملة، شجرة مباركة متزايدة النماء، أصلها ثابت وفرعها فى السماء، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها»[٢].

وتوثقت الصلة بين القاضى الفاضل والعادل بن الصالح بن رزيك وفتح له المجد أبوابه فرئاسة ديوان الجيش منصب كبير وخطير، ولكن سرعان ماتجهمت له الحياة؛ فقد قتل شاور بن مجير[٣] العادل، وتولى الوزارة مكانه، واستطاع القاضى الفاضل بحنكته السياسية أن يتصل بشجاع بن شاور ويوثق علاقته به فاستعان به فى ديوان الإنشاء وكان رئيسه الموفق بن الخلال قد طعن فى السن، ووهن منه العظم، واشتعل الرأس شيبا فعين القاضى الفاضل نائبا عنه فى رئاسة الديوان ثم آلت إليه رئاسة الديوان بعد وفاة ابن الخلال وهو منصب سياسى خطير، ولما تولى صلاح الدين الوزارة جعله وزيرا له إلى جانب رئاسته لديوان الإنشاء ومنذ ذلك تلازم الرجلان فى رحلة جهاد مقدس بالسيف والقلم لطرد الصليبيين ولم يفترقا إلا لمهمة وبعد وفاة صلاح الدين خدم الفاضل أبناءه وظل وفيا لأسرته حتى اعتزل السياسة ووافته المنية.

ومن خلال هذا العرض الموجز لعمل القاضى الفاضل فى ديوان الإنشاء تجلى حقائق ما أحوجنا إليها، منها:

---

(١) طلائع بن رزيك الأرمنى ثم المصرى الملك الصالح وزير الديار المصرية فى عهد الخليفة الفائز بنصر الله والخليفة أبى عبد الله بن محمد الملقب بالعاضد لدين الله، كان شجاعا كريما وأديبا شاعرا فاضلاً، توفى سنة ٥٥٦هـ. انظر ترجمته فى: خريدة القصر [قسم شعراء مصر] ١/ ١٧٢-١٨٥ وبه ثبت لبعض مصادر ترجمته.

العادل بن طلائع بن رزيك تولى الوزارة بعد مقتل أبيه ومكث فيها سنة وأربعة أشهر إذ تولاها فى رمضان سنة ٥٥٦هـ وقتل فى المحرم سنة ٥٥٨هـ [القاضى الفاضل وصلاح الدين ص١٨١].

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ١٦٢ وانظر: النكت ص ٥٣-٥٤.

(٣) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٩-٤٤٨ ترجمة رقم ٢٨٥

١ـ حفظ المعلومات أمر مهم والأهم منه كيفية التعامل مع هذه المعلومات وتوظيفها والإفادة منها، ولهذا طلب «الموفق بن الخلال» من القاضى الفاضل حل كتاب الحماسة[١]، أو ديوانى الطائيين يعنى أبا تمام والبحترى[٢]، ففعل فأمره بملازمته. وما أحوجنا ـ فى مؤسساتنا التعليمية ـ إلى ربط الجانب النظرى بالعملى، والتدريب على توظيف المعلومات؛ لتصبح المؤسسة التعليمية مؤسسة منتجة.

٢ـ ألاَّ يُلحَق طالبٌ. بمهنة إلا إذا تمكن من آلاتها؛ لينطلق فيها دون تعثر وقد فُهم هذا من قول «الموفق بن الخلال» للقاضى الفاضل: ماذا أعددت لهذا الفن من الآلات..؟

٣ـ أن عمل القاضى الفاضل فى ديوان الإنشاء أتاح له الإفادة من كبار الأدباء والكتاب، وإثبات شخصيته الأدبية ومكانته العلمية، وتوطيد صلته بالخلفاء والوزراء، ورشحه ليكون وزيراً ومشيراً لصلاح الدين الأيوبى ونائباً عنه فى حكم مصر، ومصاحباً له فى بعض غزواته ضد الصليبيين وكان لسان حال الدولة والمعبر عن أفكارها وخططها وسياستها فى الداخل والخارج. وأصبح يصوغ حوادث الحروب مع الفرنج والصليبيين ويكتب بشائر النصر والفتوح ويصف الحصون والمعاقل، ويذيع الأنباء الخاصة بشؤون الدولة الداخلية والخارجية بالإضافة إلى تخطيط التنظيمات الإدارية والمالية والتعليمية ومن ثم أصبح لرسائله فائدة وقيمة علمية فائقة فإلى جانب توفر الناحية الأدبية الرفيعة فيها فإنها اصطبغت بصبغة علمية تاريخية مفيدة لأنها فى واقع الأمر سجل وثائقى لأحداث وتطورات تاريخية مؤثرة فى كيان الدولة[٣].

«ويؤكد مؤرخو القاضى الفاضل له هذه المكانة السامية فى الدولة، قال المقريزى: «كان لا يُصدر أمراً إلا عن مشورته، ولا ينفذ شيئاً إلا عن رأيه، ولا يحكم فى قضية إلا بتدبيره»[٤].

---

(١) وفيات الأعيان ٧/ ٢٢٠

(٢) شذرات الذهب ٤/ ٣٢٦.

(٣) القاضى الفاضل وصلاح الدين والوحدة الإسلامية، ص ١٢٨ [بتصرف].

(٤) الخطط المقريزية ٤/ ١٩٨ والضمير فى: «لايصدر» يعود على صلاح الدين الأيوبى.

وهذا يعنى أن القاضى الفاضل ما نال منصب الوزارة إلا عن جدارة واستحقاق، قال ابن سناء الملك[١]:

وأتتـــهُ خاطبـــةٌ إليـــه وزارةٌ ... ولَطالَما أعْيـــتْ علَى خُطَّابِها

ما لَقَّبوه بهـا لأنْ يَعْلـو بهـــا ... أسماؤه أغنَتْـــه عن أَلْقَابِهـــا

قال الزَّمانُ لغيره إذْ رَامَهــــا ... تَرِبَتْ يمينُك لستَ من أتْرَابِها

٤ـ وإلى جوار الروافد الإسلامية والعربية التى غذت ثقافة القاضى الفاضل وأذكت قريحته، وُجِدَ رَافِدٌ أجْنَبِىٌّ، فمن المرجح أنه كان على علم بالفارسية وآدابها؛ فقد كان كاتباً مبرزاً فى ديوان الإنشاء ثم رئيساً له ووزيراً لصلاح الدين الأيوبى، و«لا يخفى أن الكاتب يحتاج فى كماله إلى معرفة لغة الكتب التى ترد عليه لملكه أو أميره ليفهمها ويجيب عنها من غير إطلاع ترجمان عليها، فإنه أصون لسر ملكه، وأبلغ فى بلوغ مقاصده»[٢].

أرسل ابن سناء الملك إلى القاضى الفاضل موشحاً خرجته فارسية:

وخـودٍ كما شيتَ طفلــة ... كغـصـنٍ مايـس

أرادت أن تكـــون خـلة ... لظبـى كانـــس

فلما جئـــت منه قبلـــة ... شَـدَت بالفارسى

دانستى كى بوسه بمن دار ... دها انكستريـــن

أو أزكواى دست من باش ... ببوسته مم شبين

فأرسل القاضى الفاضل إلى ولده الأشرف مقرظاً هذا الموضح: «وتضمن الكتاب السعيدى موشحاً فارسية خرجته، عربية لهجته، واضحة فى تعجيز السابقين الأولين حجته. وقد صح بهذه الموشحة أنه شيخ الطريقة، والسنائى على الحقيقة....»[٣].

ومن رسالة للقاضى الفاضل إلى والد ابن سناء: «والقاضى السعيد ـ أبقاه الله وأسعده، وأبعد زماناً أناه وأبعده ـ مخصوص بتحية حسنة، وهدية طيبة. وكتابه ورد فى معنى

(١) ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٢٤

(٢) صبح الأعشى ١/ ٢٠٢

(٣) فصوص الفصول، ص٩٣ ـ٩٧، وانظر: دار الطراز ص ١٨١-١٨٣

الصليب والخبر معروف، وهو فى أكثر التواريخ والأخبار عن الفرس، ويشبه أن يكون من افتعالات ابن المقفع . . .»[(١)].

وهذان النصان يخبران. بمعرفة القاضى الفاضل اللغة الفارسية وأدبها. لقد زفَّ ابن سناء الملك إلى أستاذه موشحاً فارسية خرجته، فأثنى عليه، مستخدما حلية المناسبة المتمثلة فى هذه التورية الجميلة «والسنائى على الحقيقة» فالسنائى الغزنوى شاعر فارسى مفلق، والسنائى نسبة إلى سناء الملك جد ابن سناء، وهو ما قصده القاضى الفاضل.

كذلك استخدم القاضى الفاضل بعض الألفاظ الفارسية، مثل: «الدهليز» فى قوله: «وكتبه فى الدهليز مرتجلاً .»[(٢)]. والجلناره والجلنارى فى قوله: «ووقفت على موشح الجلنارة، وهو أحسن عندى من الموشح الجلنارى. .»[(٣)].

وبالرغم من معرفته للفارسية، واستخدامه بعض ألفاظها الشائعة إلا أن ثقافته العربية والإسلامية غطت أزاهيرها العطرة بساتين أدبه فكان لها النصيب الأوفى ولغيرها الأدنى. ويمكن تعليل ذلك بما يأتى:

أولاً ـ حفظه للقرآن الكريم أمده بزاد من اللغة والبيان لا ينضب معينه.

ثانياً ـ اعتزازه بتراث أمته الخالد، جعله يتجه إليه، وينهل من ينابيعه العذبة وفيض عطائه الذى لا ينقطع.

ثالثا ـ حث الناس على الاعتزاز بعروبتهم وقوميتهم والتمسك بعقيدتهم؛ لتقف الأمة صامدة فى مواجهة الغزو الصليبى الذى أراد تدمير المعتقدات والأفكار واللغة العربية ليحقق ما يريده.

مما سبق يمكن القول: إن القاضى الفاضل بنى بنفسه لنفسه ولغيره صرحاً ثقافيا عظيماً، قاعدته موهبته الفطرية المبدعة، وأسسه ثقافته الإسلامية والعربية وما جناه من الثقافات الأجنبية، وزينته بيان ساحر «يخترع الأفكار، ويفترع الأبكار، ويطلع الأنوار، ويبدع الأزهار. . .»[(٤)].

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٢٢٨

(٢) السابق، ص ١٧٥

(٣) السابق، ص ١٨٣

(٤) خريدة القصر [قسم شعراء مصر] ١/ ٣٦.

«لقد ظهر تأثير ثقافة القاضى الفاضل المتنوعة واضحا فى إنتاجه الأدبى نثرا وشعرا. فتلاحظ مثلا تأثير الفقه والبلاغة والحديث. إذ كثيراً ما استعان بآت الكتاب الكريم ومأثور الأقوال ومصطلحات العلوم فى رسائله . . .»(١).

فمن الاصطلاحات النحوية قوله: «وأنا مع هذا مريض الوصف يدارسنى المرض باب التوكيد وأدارس العافية باب العطف. .»(٢)، ومن اصطلاحات الصوفية قوله: «. ونرجع إلى جواب الكتاب ونَصْحوا من سُكْر ما سقتناه قصيدته من الشراب الذى يلعب بالألباب. . .»(٣)، ومن الاصطلاحات الفلسفية، قوله: «. . فقد أسلمته إلى بحره بشرا وأريد أن يرده إلىَّ جوهراً. . .»(٤). وقوله: «. وهو يحتاج إلى زيادة تأمل؛ ليظهر بالاستشفاف ظهور جوهره الشفاف»(٥)، ومن الاصطلاحات الفقهية، قوله: «فلا عدمت فرع الحضرة الرشيدية وأصلها. . .»(٦).

ومن الاصطلاحات الفلكية، قوله: «. . . والقصيدة الأولى السنية ما وافقها ـ كما ذكر القاضى السعيد ـ زحل فى طريقها. بل يقوم المشترى أحسن القيام فى قضاء حقوقها»(٧).

وبالرغم من هذا القيضان المعرفى، رأى صاحب شذرات الذهب أن القاضى الفاضل «كان خفيف البضاعة من النحو لا عريا منه لكن قوة الدرية توجب له عدم اللحن. . .»(٨).

وتصدى الأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوى لهذه الدعوى بالبحث ثم انتهى إلى قوله: «ولم أجد فى شعره أو نثره ما يبرهن على هذه الدعوى سوى فلتات يسيرة، كقوله:

وبِى مرضٌ ما الوصفُ فيه بمُنْهضِى ... ولا لِقُوى صبرى عليه نهوضُ
يقويهِ ضَعفٌ للحبيبِ مُضَاعَف ... ويعلنه صوتُ الأنين خفيضُ

(١) القاضى الفاضل وصلاح الدين والوحدة الإسلامية، ص ١٣٤
(٢) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٤٤
(٣) السابق ص ٥٩.
(٤) السابق ص ١١٧
(٥) السابق ص ١٣٤
(٦) السابق ص٨٨.
(٧) السابق ص ٥٨.
(٨) شذرات الذهب ٤/ ٣٢٥.

وقوله:

منزلنـا مـن بطنِهَـا واحـدٌ واختلفـت فى الظهـر بنيـانُ

وقوله:

فقلْ لِهَمٌ جديـدٍ جاء يسكنُـه إنى نصحتك فاطلب موضعاً خالى

وهى هنات يسيرة فى وسط هذا الخضم اللجى من الإنتاج»[1].

وبمناقشة ما سبق، يتضح:

أولاً ـ أن دعوى صاحب شذرات الذهب تحمل فى طيَّاتها معول هدمها؛ فقوة الدربة لابد أن تؤسَّس على فهم عميق لقواعد علم النحو الذى يرتبط جانباه النظرى والتطبيقى ارتباطا وثيقاً.

ثانياً ـ أن الخطأ المشار إليه فى النماذج السابقة صوابه: خفيضاً، بنيانا، خاليا؛ وقد لجأ الشاعر إليه لمناسبة حركة القافية، والضرورة الشعرية مباحة للشاعر إذا اضطر إليها.

وفى النثر تجد قوله: «وكتاب القاضي السعيد وصل وطيه المقاطيع...»[2]، والصواب: المقطَّعات. وقوله: «وكان وصلنى من القاضى السعيد..»[3]، والصواب: وصل إلىَّ، إذ معنى وصلنى: أعطانى صلة أى عطية.

(١) القاضى الفاضل دراسة ونماذج، ص ٥٢

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٧٦

(٣) السابق ص ٢٥٤

ثانيًا: مؤلفاته

كان القاضى الفاضل صاحب موهبة فطرية فائقة، وحافظة قوية نادرة؛ أعانته على حفظ كتاب الله، وديوان الحماسة فى سن مبكرة من عمره، وأمدته بما يروون من الأخبار، وما يستشهد به من جواهر الآثار نثرا ونظما. وكان شغوفاً بالمعرفة، يقتنى الكتب من كل فن، ويحضر مجالس أئمة الفكر والعلم والأدب بعقل ناضج وصبر دائب، ينهل من عذبها ما شاء ويحتضنه ثم يخرجه إخراجًا فاضليًا.

وهذه المهيئات متى توافرت لأديب عالم فلا شك أن يثمر ذلك ثروة عظيمة من المؤلفات. يقول ابن خلكان: «أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله فى المجلدات والتعليقات فى الأوراق إذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد فى أكثرها»(١)، وقال صاحب طبقات الشافعية الكبرى: إنه «كتب من الإنشاء الفائق الرائق الذى خضعت له الرقاب ما يربو على مائة مجلد..»(٢).

وقد ذاعت مؤلفاته في عصره وبعد عصره؛ لأنها أبكار أفكار، وجواهر حسان، وكنز بيان، وبحار معارف بلا شطآن، وهذه المؤلفات على كثرتها وعظمتها لم يصل إلينا منها إلا القليل، والكثير منها فى حكم المغمور أو المفقود. وهذا القليل منه ما حقق ونشر ومنه ما لم يحقق.

أولاً ـ تراثه المحقَّق:

١ـ ديوان شعر فى جزأين حققه الدكتور أحمد أحمد بدوى، ونشر فى القاهرة سنة ١٩٦١

٢ـ الدر النظيم من ترسل عبد الرحيم، اختيار محيى الدين ابن عبد الظاهر - تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوى، القاهرة، مكتبة نهضة مصر ١٩٥٩

٣ـ رسائل عن الحرب والسلام من ترسل القاضى الفاضل ـ اختيار موفق الدين ابن الديباجى ـ تحقيق الدكتور محمد نغش، القاهرة ١٩٧٨م.

---

(١) وفيات الأعيان ٣/١٥٨-١٥٩

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٧/١٦٧

ثانيا ـ تراثه المخطوط:

١ـ الرسائل الأدبية للقاضى الفاضل: جمعها أحد الأدباء، وهى تتضمن ردودا على رسائل ثلاث وصلت إليه. كما تتضمن رسائل فى التهانى والتقاريظ والمدائح، أولها: «وصلت ثلاثة كتب من حضرة سيدنا عماد الدين. .» نسخة فى مجلد بقلم معتاد فى ٥٩ ورقة، ومسطرتها ٢٣سم رقم ٤٣٩ أباظة ـ ٣٥ ٧ أدب[1].

٢ـ المختار من إنشاء القاضى الفاضل: اختيار العلامة الأديب جمال الدين بن نباته المصرى، أوله: «الحمد لله الذى جعل من البيان سحرا. .» نسخة فى مجلد بقلم نسخ فى ٦٥ ورقة ومسطرتها ٢٣ سطرا ـ ١٩سم. رقم ٤٦٩ أباظة ـ ٧٠٦٥ أدب[2]

٣ـ الفاضل من كلام الفاضل ـ اختيار جمال الدين بن نباته. مصور بدار الكتب المصرية، رقم ٣٨٨٢ أدب. ١١٠ق، ١٢ × ٢ سم.

٤ـ رسائله إلى الخليفة فى بغداد: يضمها المجلد الأول من مجموعة من ثمانية مجلدات: باريس ٦٠٢٤[3].

٥ـ قطع مفردة: برلين ٨٦٢١[4].

٦ـ رسائل: الموصل: ٩٣: ٣، مكتبة دحداح ٢٨٧[5].

٧ـ مختارات من مكاتباته مع عبد الله بن على بن محمد الجعفرى: المتحف البريطانى أول ١٥٤ مجموعة أخرى: المتحف البريطانى أول ١٥٤١[6]

٨ـ مكاتباته مع أسامة بن منقذ، بمناسبة «كتاب العصا» لأسامة، نقلها ديرنبورج عن «خريدة القصر» للعماد[7]. ونشر عبد السلام محمد هارون «كتاب العصا» لأسامة فى نوادر

---

(١) فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية إلى سنة ١٣٦٨هـ -١٩٤٩م ٥/ ١٢١

(٢) السابق ٥/ ٢٤٤.

(٣) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان: ٦/ ١٠

(٤) السابق ٦/ ١٠

(٥) السابق ٦/ ١٠

(٦) السابق ٦/ ١

(٧) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ٦/ ١٠

المخطوطات سنة ١٩٥١[١].

٩ـ الرسالة الحجازية: الفاتيكان ثالث ٩٤٦[٢]

١ـ **كتاب مكاتبة مختصر من متبلج الأنوار ومتأرج النوار فى المكاتبات إلى الملوك** والوزراء والعلماء مما جمعه ابن مماتى من قول القاضى الفاضل: الفاتيكان ثالث ١٠٩٩: ٧[٣].

١١ـ المتجددات [يومياته]: ذكرها ابن سناء الملك فى «فصوص الفصول» فى قوله: «قلت : كان ـ رحمه الله ـ قد أمرنى أن أنقل إليه غرائب الأخبار المستطرفة، والكوائن فى البلاد النازحة والأقطار الشاسعة؛ ليعلقها فى تعليقه الذى يعلق فيه كل ما يتجدد من الأحوال يوماً بيوم بل ساعة ساعة، وله فى كل سنة تعليق يستفتحه باستفتاحها ويختمه باختتامها. وأعلمنى ـ رحمه الله ـ أنه شرع فى ذلك من سنة ستين وخمسمائة وإلى حين وفاته. . .»[٤].

وذكرها المقريزى فى الخطط: ١/ ٢٦٩

١٢ـ وله رسائل فى: وفيات الأعيان، خريدة القصر (قسم شعراء مصر)، الروضتين، نهاية الأرب فى فنون الأدب، مطلع الفوائد، صبح الأعشى، النجوم الزاهرة، حسن المحاضرة، مسالك الأبصار، الغيث للصفدى، ثمرات الأوراق للحموى، فصوص الفصول وعقود العقول، لابن سناء الملك.

(١) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ٦/ ٢٤ هامش ٢.

(٢) السابق ٦/ ١١

(٣) السابق ٦/ ١١

(٤) فصوص الفصول وعقود العقول، لابن سناء الملك ص١٢٦ ـ ١٢٧

ثالثًا: وفاته

بعد رحلة حياة استمرت إلى ما يقرب من سبعة وستين عاما، صمد فيها القاضى الفاضل للحياة ـ على كثرة ما لقى من مشكلاتها ـ وشد إلى العلا كل شد، ونعم فيها بعلو قدره، وذيوع إنتاجه، وكثرة تلاميذه ومريديه، وانطلاق الألسن بمدحه والثناء عليه؛ بعد هذه الرحلة حان الوقت ليستريح من تعب الحياة.

وقبيل وفاته «تدهورت الأحوال بسرعة وتقدم العادل ليدخل القاهرة. ودعا الفاضل ربه ألا يمكِّنَ منه أعداءه، واستجاب الله دعاء الرجل «الفاضل» بحق، فقبضه إليه، وخرجت جنازته من أحد أبواب القاهرة إلى مثواها الأخير فى نفس الوقت الذى دخل فيه العادل مع وزيره ابن شكر من باب آخر»(١) «ودفن فى تربته. بسفح المقطم فى القرافة الصغرى»(٢).

قال ابن سناء الملك فى معرض حديثه عن «متجددات القاضى الفاضل»: «وله فى كل سنة تعليق يستفتحه باستفتاحها، ويختمه باختتامها، وأعلمنى ـ رحمه الله ـ أنه شرع فى ذلك من سنة ستين وخمس مائة وإلى حين وفاته فى ليلة السابع من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمس مائة. .»(٣). وقد أجمع مؤرخو القاضى الفاضل على أنه توفى فى ليلة السابع من شهر ربيع الآخر سنة ٥٩٦هـ (٤)

«وغاب الرجل. ، وظهرت طبيعة البشر بأجلى صورها، فلم يكلف واحد ممن كانوا يحبونه، ويلتفون حوله، وينعمون فى خيراته، نفسه عناء رثائه والبكاء عليه، وهم الذين مدحوه فى حياته بما يزيد عن مائتى ألف بيت من الشعر كما يقول العماد. حتى ابن سناء

(١) القاضى الفاضل وصلاح الدين والوحدة الإسلامية ص ٢٤٤

(٢) وفيات الأعيان: ٣/ ١٦٢

(٣) فصوص الفصول وعقود العقول، ص: ١٢٧

(٤) انظر: التكملة لوفيات النقلة ١/ ٣٥١، وفيات الأعيان ٣/ ١٦٢، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ٣/ ١٠٩، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٤٤، حسن المحاضرة ١/ ٥٦٤، العقد الثمين ٥/ ٤٢٧، طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ١٦٦، طبقات الشافعية للأسنوى ٢/ ٢٨٤

الملك الذى أنشد فيه - فى حياته - ست وثلاثين قصيدة يزيد بعضها عن مائة بيت لم ينشد فى رثائه بيتا واحدا. لله ما أشد جحود البشر!! ولكن ما أشد يقظة التاريخ»[١].

ووقف الدكتور محمد إبراهيم نصر أمام هذه الظاهرة عندما عرض فن الرثاء عند ابن سناء، قال: «ومما يؤسف له أشد أسف أنه نسى أو تناسى أستاذه وصاحب اليد الطولى عليه القاضى الفاضل فتنكر له ولم يرثه، كما يرث صلاح الدين، أما تنكره للقاضى الفاضل فلأنه كان يخشى نفوذ الوزير ابن شكر الذى كان شديد العداوة والحقد على القاضى الفاضل، وكان ابن سناء يتودده ويرجو أن يتخذه معبرا لتحقيق أهدافه فلم يشأ أن يغضبه أو أن يثير حفيظته ولكن المحير حقاً أنه لم يرث صلاح الدين الذى رثاه الشعراء جميعاً، وبكوه بقصائدهم وبدموعهم، ولذا أرجح أن تكون قصائده فى رثاء صلاح الدين وأستاذه القاضى الفاضل - إن كان رثاهما - قد فقدت وضاعت»[٢]

* * *

(١) القاضى الفاضل وصلاح الدين والوحدة الإسلامية، ص: ٢٤٤

(٢) ابن سناء الملك حياته وشعره ١/ ٩٣.

الباب الثانى

دراسة موضوعية لرسائل الكتاب

الفصل الأول

تعريف بالكتاب

«كتاب فصوص الفصول وعقود العقول»

هذا الكتاب من الكتب التراثية، الغنية بفنون الأدب والمعارف العلمية الشائعة فى عصره - أى فى القرن السادس الهجرى - قرن الازدهار الفكرى، وثورة الفكر السنى، وإحياء التراث العربى الإسلامى، ثم هو قرن الحوادث السياسية الكبرى كقيام الدولة الأيوبية، واشتداد الحروب الصليبية التى كانت تطمح إلى القضاء على الأمة العربية الإسلامية، ولكنها أمة تصقل النيران جوهرها، ولم يهن بيد التشتيت غاليها، فاجتمعت كلمتها، وتوحدت جبهتها، وأدى العلماء والأدباء دورهم فكانوا جيشاً ثانياً فى الميدان سلاحه الكلمة القوية المؤثرة. فى هذه الفترة الزمنية ولدت مادة هذا الكتاب وتأثرت بأحداثها.

أما عن البيئة المكانية التى ولدت وترعرت فيها مادة هذا الكتاب فهى البيئة المصرية بسماتها الأصيلة، ودورها القيادى فى التصدى للهجمات الصليبية والمحافظة على التراث الدينى والعلمى والأدبى للأمة العربية الإسلامية.

وقد قمت - بعون الله وتوفيقه - بتحقيق هذا الكتاب، ودراسة أهم قضاياه.

وقد اقتضت خطة البحث أن أقدم تعريفاً موجزاً عن الكتاب:

اسم الكتاب:

تنبيء صحيفة العنوان باسم الكتاب، وهو «فصوص الفصول وعقود العقول» ويؤكد هذا أن جامع الكتاب صرح باسم الكتاب فى مقدمته، فقال: «وهذا كتاب لا ناقة لى فيه ولا جمل، ولا إعمال ولا عمل، ولا شكر ولا حمد، وإن كان كله شكرى وحمدى وما فيه شئ من عندى، وإن كان سببه كله من عندى؛ لأنه فصوص فصول وعقود عقول، وفقر فكر، وغرر درّ مقصورة على ذكرى وشكرى. »[1].

وبسؤال لسان العرب عن معنى: فصوص وعقود، أجاب بما نَصُّه: فَصُّ الأمر: أصله وحقيقته. يقال: أنا آتيك بالأمر من فَصِّه، يعنى من مخرجه الذى خرج منه. والجمع فُصُوص.

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص: ٤٨.

وفَصَصتُ كذا من كذا، وافتصصتُه، أى فصلته وانتزعته.

وفَصُّ الخاتم: المركَّب فيه[١].

والعِقْدُ: الخيط ينظم فيه الخرز، وجمعه عقود، وقد اعتقد الدرَّ والخرز وغيره إذا اتخذ منه عِقدا[٢].

وانطلاقًا من التفسير اللغوى لهاتين الكلمتين يمكننا أن نستنبط لِم سمى جامع الكتاب كتابه بهذا الاسم؟

لم تُجب المصادر القديمة والمراجع الحديثة التى تناولت حياة ابن سناء أو شيئًا منها ـ واستشرتها ـ عن هذا السؤال تصريحاً أو تلميحاً؛ لأنها تناولته باعتباره شاعراً اشتهر وهو الجانب الذى استشهر به، وضنت عليه بالحديث كناثر إلا بالقليل النادر. ولم يذكر ابن سناه ذلك صراحة ليشحذ القارئ ذهنه، ويعمل فكره، ويلجأ لملكته اللغوية، وحصيلته الثقافية فى استنباط الإجابة وهذا أدعى للفهم وتثبيت العلم فى الذهن.

وأول ما يشد الانتباه أن الجامع صنع للكتاب عنواناً مسجوعاً «على طريقة عصره التى تعتمد على الإكثار من السجع والمحسنات البديعية. . »[٣] فالسجع بين فصول وعقول، والجناس الناقص بين فصوص وفصول، وعقود وعقول. وهى صنعة مقصودة تعكس ترف الحياة على الأدب، وتوظف الصبغ البديعى فى الإعلان عن الكتاب وبيان قيمته ليكون ردا حاسماً على من يتجاهلون قدر جامعه يفهم هذا من قول ابن سناء: «ورأيتها لو لم تكن من ذلك الكلام الحالى، ولا من ذلك الطراز العالى، لكان الفخر بها عظيماً، والعز بها مشيداً، والقيمة بها غالية، والدرجة بها عالية. . »[٤].

ومن قوله: «. . وأكاثر بها وأفاخر، وأناضل وأناظر، وأتيه على دهرى وأبناء دهرى، وأعرف بها قدرى من كان جاهلاً أو متجاهلاً بقدرى»[٥].

---

(١) لسان العرب، [فصص] ص: ٣٤٢١.

(٢) السابق، [عقد] ص: ٣٠٣١.

(٣) الأدب فى العصر الأيوبى، ص: ١٩٠.

(٤) فصوص الفصول، ص: ٤٧.

(٥) فصوص الفصول، ص: ٤٩.

أضف إلى ذلك أن اختيار العنوان الجيد يسحر الأبصار ويجذب الألباب فيخلد الكاتب والكتاب، وهذا هدف من جملة أهداف دفعت ابن سناء إلى جمع هذا الكتاب. يفهم هذا من قوله: «وأتلو بها ذكرى فإنها الذكر الذى يتلى، وأخلد بها فخرى فإنها الفخر الذى لا يبلى . .»(١)

الأمر الثانى أن اختيار هذا العنوان المحكم أجاب عن سؤال هو: ماذا نقرأ؟ فليس كل ما يُكتب يُقرأ، وعلى القارىء أن ينتقى ما يحمل فكراً مفيداً وقد عبر ابن سناء عن ذلك فى عنوان الكتاب، فقال: «وعقود عقول» وأتبع ذلك بما يفسره، فقال: «وفقر فكر، وغرر درّ . .»(٢).

الأمر الثالث أن عنوان الكتاب يشير إلى قيمتين لا غنى عنهما فى الدرس الأدبى. الأولى: القيمة الجمالية وقد عبر عنها فى صدر العنوان بكلمة «فصوص» تشبيها لها بفص الخاتم وهو أبرز وأجمل ما فيه. والثانية: القيمة المعنوية وقد عبر عنها فى عجز العنوان بقوله: «عقود عقول» أى عصارة فكر، قال عنها القاضى الفاضل إنها: «طوفان بلاغة»(٣) لذلك «لا يجد بليغ معارضتها فى الإمكان»(٤)

---

(١) فصوص الفصول، ص ٤٩.

(٢) السابق، ص ٤٨.

(٣) السابق، ص ١١٦

(٤) السابق، ص ٦٧

متى جُمع الكتاب؟

كان بعض المؤلفين والنُّسَّاخ القدماء يذكرون تاريخ التأليف أو النسخ في صحيفة العنوان أو في مقدمة الكتاب أو نهايته أو في ثنايا نص من نصوصه. وذكر هذا التاريخ أمر في غاية الأهمية للمحقق والباحث، فهو يحدد البيئة الزمانية للمؤلف، ولكن ذلك لا يعفى الباحث من التثبت من صحة هذا التاريخ.

وعلى النقيض من ذلك عثر على كتب تراثية لم يُحدَّد تاريخ تأليفها أو نسخها، وقد يرجع السبب في ذلك إلى فقد أوراق من مقدمتها وخاتمتها، أو طمس التاريخ وتعذر قراءته، أو لأن المؤلف أراد أن يعمل القارئ ذهنه، ويشحذ فكره؛ ليستجلى تاريخه من معطيات نصوصه وما ذكره من القرائن التي تعين على ذلك.

والمحقق اليقظ يستطيع أن يتثبت أو يحدد تاريخ التأليف أو النسخ «بدراسة الورق والمداد والخط ومضاهاتها بما عُرف من العصور المختلفة. وأن ينظر في اللغة التي كتب بها، فهناك ألوان من الخصائص اللغوية، وأنواع من العبارات والمجازات لا توجد إلا في عصر دون عصر آخر»[1]، وعليه أن يفحص نصوص المؤلف باحثا عن قرينة تهديه، ويستشير المصادر القديمة التي نقلت عن الكتاب أو ترجمت لمؤلفه أو ناسخه فقد تكون بها إشارة معينة.

وبالنسبة لكتاب «فصوص الفصول وعقود عقول» لابن سناء الملك فإنني لم أعثر على النسخة التي جمعها المؤلف بخط يده، ولا أستطيع الجزم بأنها مفقودة؛ فقد تكون في مكتبة خاصة ولم تفهرس بعد، أو في حوزة أحد محبي كتب التراث ولم يعلن عنها، أو في مكان مجهول لم تصله يد البحث بعد. هي إذاً مغمورة حتى يقام الدليل القاطع على فقدها. والذي بين يدى البحث نسخ نقلت عن نسخة أو نسخ نقلت من النسخة الأم، يدل على ذلك ما جاء في آخر قول الناسخ للنسخة «ك»: «وجدت في النسخة التي كتبت منها هذه النسخة: انتهى على يد كاتبه الفقير، وتم على ما في الأصل من تحريف وخرم..»[2].

(١) تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره لعبد المجيد دياب، ص ١٥٤

(٢) فصوص الفصول، ص ٢٩٣ هامش ٥.

ويقتضى البحث فى هذه القضية أن نفرق بين تاريخين: تاريخ كتابة هذه الرسائل، وتاريخ جمعها ونسخها.

أولاً: تاريخ كتابة هذه الرسائل:

من خلال دراسة نصوص الكتاب ومعرفة مناسباتها يمكن تحديد تاريخ كتابة كل رسالة منها، فمثلاً:

١ـ أرسل ابن سناء الملك رسالة(١) إلى القاضى الفاضل ـ وكان بدمشق ـ ومعها قصيدة فى مدح الملك الناصر ـ وكان بحران ـ وأول هذه القصيدة:

أمجلسَ لهوٍ ليسَ لِى منكَ مجلسٌ   لأوحشتُ لما غابَ لِى عنكَ مؤنسُ

فأخر القاضى الفاضل إنفاذها إليه؛ لأجل المرض الذى كان الملك الناصر فيه. وتدل هذه القرينة على أن الرسالة كتبت سنة ٥٨١هـ(٢).

٢ـ ولما عوفى السلطان من مرضه وكان ذلك فى أواخر ذى الحجة سنة ٥٨١هـ أرسل ابن سناء الملك رسالة إلى القاضى الفاضل ومعها قصيدة فائية لتهنئة السلطان ببرئه من مرضه، وأول هذه القصيدة(٣):

نظر الحبيبُ إلىَّ من طـرفٍ خفِـىٍّ   فأتَى الشفاءُ لمدنـــفٍ من مدنـــفِ

٣ـ فى سنة ٥٨٣هـ زار ابن سناء القدس ثم توجه إلى دمشق لزيارة القاضى الفاضل فوجده مريضاً فمكث عنده قليلاً واستأذنه فى العودة إلى مصر، ولما عوفى القاضى الفاضل أرسل إليه ابن سناء كتاباً وقصيدة(٤) يعتذر فيهما، وأول هذه القصيدة:

تذكرتُ أيامَ الصبابـــةِ والصِبـــا   وعيشًا مليحًا بالمليحـــةِ معجـــبَا

٤ـ «فى سنة ٥٨٤هـ رأى صلاح الدين أن يبعث بالقاضى الفاضل إلى مصر ليصلح

(١) انظر: فصوص الفصول، ص ٦٣ ـ ٦٦

(٢) جاء فى كتاب السلوك، للمقريزى، ص ٨٩: «كان مرض السلطان صلاح الدين فى سنة ٥٨١هـ فى رمضان، وكان وقتها بحران».

(٣) انظر: فصوص الفصول، ص ٦٠ ـ ٦٢.

(٤) السابق، ص ٧١ ـ ٧٥.

شؤونها المالية»[١]، وعلم ابن سناء بذلك فأعد قصيدة رائية، ولكن الظروف حالت دون قدوم القاضى الفاضل، فأرسل إليه ابن سناء رسالة وقصيدة رائية[٢]، أولها:

ألاَ فانتبهِ من أفقهَا طلعَ الفجـــرُ وحاشاك نَمْ من وجههَا ضحك الثغرُ

٥ـ عندما علم ابن سناء الملك بقدوم القاضى الفاضل إلى القدس متوجهاً إلى مصر، وكان ذلك فى سنة ٥٨٤هـ أعد قصيدة بائية للتهنئة ثم كتب كتاباً[٣] أرسله إلى القاضى الفاضل ويصحبته القصيدة البائية، وأولها:

رأَتْ منكَ رائيَتِى مـــا تحـــب وبشرَى لها أنَّهـــا لمْ تخِـــبْ

٦ـ «وكان القاضى السعيد لما وصل إلى دمشق عائداً، جعلت قراءة شعر ابن الرومى واختياره وكدى، واخترت أنا وهو حرف الألف، وتوجه قبل تمام الاختيار. .»[٤]، ومن المعلوم أن القاضى السعيد زار دمشق سنة ٥٨٣هـ كما ذكر فى رقم ٣

٧ـ «. ومن رسالة لابن سناء إلى القاضى الفاضل: «قلت: هذا الفصل جواب عن قصيدة هنأته فيها بفتح المسلمين لعسقلان، ووصلت وهو بطبرية مريض. وأما القصيدة السلطانية التى أشار إليها فهى قصيدة تهنئة للسلطان بكسرة الفرنج الكسرة المشهورة. . .»[٥]، والقصيدة الأولى مطلعها:

باتَتْ معانقتِى ولكن فى الكـرَى أترَى درَى ذاك الرقيبُ بما جرَى

أما القصيدة السلطانية فمطلعها:

لستُ أدرِى بـــأىِّ فتـــحٍ تُهنَّى يا مُنيلَ الإسلامِ مـــا قـــدْ تمنَّى

ويكشف النص عن قرينتين تحددان زمن تحرير الرسالة والقصيدتين هما: فتح المسلمين لعسقلان وكان ذلك فى عام ٥٨٣هـ. يقول ياقوت عن عسقلان: «ثم استولى عليها الإفرنج فى السابع والعشرين من جمادى الأخرة سنة ٥٤٨هـ، وبقيت فى أيديهم إلى أن استنقذها صلاح الدين منهم سنة ٥٨٣هـ»[٦]. واسترداد الشام من الإفرنج عقب انتصار حطين سنة ٥٨٣هـ.

(١) ديوان ابن سناء ٢/ ١٤٩ هامش ١.
(٢) فصوص الفصول، ص ٨٢ ـ ٨٥.
(٣) انظر: فصوص الفصول، ص ٨٩ ـ ٩٠
(٤) السـابق، ص ١١٣
(٥) السابق، ص ١٤٥
(٦) معجم البلدان، ٤/ ١٢٢

٨ـ أرسل ابن سناء الملك رسالة إلى القاضى الفاضل أعلمه فيها ـ بمرض والده القاضى الرشيد، فأرسل القاضى الفاضل إلى ابن سناء ردا جاء فيه: «ووالله لقد كنت فى هذه الليالى المظلمة والشتوة الباردة المضطرمة والمحاصرة التى كنا فيها فى حصر، والمنازلة التى كنا فيها فى آطام قبر، وقد قل التماسك، واشتد التهالك، وخارت العزائم، وتوالت العظائم. .»[1]، وفى رد القاضى الفاضل ما يوحى بأن هذا كان فى سنة ٥٨٧هـ عندما استرد الصليبيون قواهم وهاجموا المسلمين وأخذوا عكا وبعض المدن الساحلية مما كان له تأثيره الشديد على الجبهة الإسلامية[2].

٩ـ ومن رسالة لابن سناء الملك بعثها إلى القاضى الفاضل عندما استرد الصليبيون عكا من المسلمين: «وينهى أن الداهية التي أعمت وعمت، وأصْمَتْ وأصَمَّتْ. .»[3]. يقول ياقوت عن عكا: «ثم استعادها الإفرنج من المسلمين عنوة فى سابع جمادى الآخرة سنة ٥٨٧هـ»[4].

١ـ أرسل ابن سناء الملك إلى القاضى الفاضل بعد مسيره إلى دمشق فى سنة ٥٧هـ قصيدته العينية التى مطلعها:

فراقٌ قضَى للقلبِ والهمِّ بالجمـــعِ وهجرٌ تولَّى صلحَ عينِى مع دمعِى[5]

١١ـ فى سنة ٥٨٠هـ أرسل ابن سناء الملك إلى القاضى الفاضل قصيدة ميمية يعلمه فيها بمرضه وموت جده، وأول هذه القصيدة:

خانَتْ جفونِى لما لمْ تفض بـــدمٍ لكن وفى الجسم لما فاض بالسقَمِ[6]

١٢ـ أرسل ابن سناء الملك إلى القاضى الفاضل كتابا بعد فتح عكا وأسر الفرنج أهلها واشتراطهم أخذ صليب الصلبوت، وكان ذلك فى عام ٥٨٧هـ»[7].

(١) فصوص الفصول، ص ١٥٣
(٢) انظر فى هذا: مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٦٢ ـ ٦٣
(٣) فصوص الفصول، ص ١٦٠ وما بعدها.
(٤) معجم البلدان: ٤/١٤٣-١٤٤
(٥) انظر الرسالة فى فصوص الفصول، ص ١٧١ وما بعدها.
(٦) انظر الرسالة والقصيدة فى فصوص الفصول، ص ٢٠١
(٧) السابق، ص ٢٣٠ وما بعدها.

١٣ـ قال ابن سناء الملك: «كنت عند عوده ـ رحمه الله ـ إلى دمشق من الحجاز قد كتبت له قصيدة نونية هنأته فيها بتمام الحج والسلامة فى الطريق، أولها:

ما ثنايَاكَ لؤلـــؤٌ مكنـــونُ مثلهُا لمْ تقع عليهِ العيونُ(١)

وكان ذلك فى عام ٥٧٥هـ.

ثانياً ـ تاريخ جمع هذه الرسائل:

أما تاريخ جمع هذه الرسائل فى كتاب فإن الحديث فيه يقتضى الإجابة عن سؤالين: الأول ـ من أول جامع لهذه الرسائل؟ والثانى ـ متى بدأت عملية الجمع؟ ومتى انتهت؟.

الثابت بعد فحص نصوص هذا الكتاب، وسبر غورها أنها جزء من رسائل للقاضى الفاضل وابن سناء الملك تدور حول رأى القاضى الفاضل فى أدب ابن سناء (شعره ـ نثره ـ موشحاته)، وتبين رأيهما فى بعض القضايا الأدبية والنقدية كالطبع والصنعة واللفظ والمعنى والتأثير والتأثر، وصفات الناقد. وتشير إلى قضايا فى التربية وعلم النفس كدور الأسرة فى تنشئة الأبناء ورعايتهم، وسمات المعلم الناجح، والعمر العقلى والزمنى، والمتابعة وانتقال أثر التعلم، واكتشاف الموهوبين ورعايتهم.

ومما يدل على أنها جزء من رسائل بينهما ما ذكره ابن سناء فى مقدمة «فصوص الفصول، قال: «وكل ما وسمه ـ رحمه الله ـ باسمى، وأجزل من مفاخره قسمى ينقسم قسمين: قسم كتبه إلى وقسم كتبه فىَّ. فأما ما كتبه إلىَّ فهى كتب كاملة، ابتداءات وأجوبة قد جعلتها فى غير هذا الجزء منفردة. وأما ما كتبه فىَّ فهى فصول تضمنتها كتبه الكريمة إلى المجلس العالى الأشرفى البهائى ولده ـ أبقاه الله ـ وإلى أبى ـ رحمه الله ـ وهى التى انتزعتها من كتبه إلى هاتين الجهتين وأودعتها هذا الكتاب. .»(٢) لهذا قال ياقوت: «وله ديوان رسائل»(٣).

(١) انظر: فصوص الفصول، ص ٢٤٨ وما بعدها.
(٢) فصوص الفصول، ص ٥٣.
(٣) معجم الأدباء، ٥/ ٥٨١.

من الذى جمع هذه الرسائل؟

ليس ثمة شك فى أن ابن سناء الملك هو الذى جمع هذه الرسائل ودونها فى كتابه «فصوص الفصول وعقود العقول» يدل على ذلك:

١ـ قول ابن سناء الملك: «فلا غرو أن استخرجها من ذلك المعدن، وأسافر بها من ذلك الموطن، وأجلو عقيلتها على الأعين. . .»[١].

وقوله: «وما انتزعت تلك الفصول المسطرة فى هذا الكتاب إلا من كتبه التى بخط يده، أو بخط الحكام والقضاة العدول المعروفين بخدمته. . »[٢]، وقوله: «وأما ما كتبه فىّ فهى فصول تضمنتها كتبه الكريمة إلى المجلس العالى الأشرفى البهائى ولده ـ أبقاه الله ـ وإلى أبى ـ رحمه الله ـ وهى التى انتزعتها من كتبه إلى هاتين الجهتين وأودعتها هذا الكتاب. . »[٣]، وقوله: «وقد دونت الجميع، وخلدت فى الدنيا من تلك الفصول فصل الربيع. . »[٤].

وقوله: «هذا آخر ما أخرجته من الصحف المكرمة المرفوعة، وأبحتها للمجتنين، لأنها من ثمار الجنة فيجب أن تكون لا مقطوعة ولا ممنوعة»[٥].

٢ـ وقد ذكر ابن خلكان أنه «جمع شيئا من الرسائل الدائرة بينه وبين القاضى الفاضل وفيه كل معنى مليح»[٦]، وردد صاحب مرآة الجنان[٧]، وصاحب شذرات الذهب[٨] ما ذكره ابن خلكان فى وفياته.

---

(١) فصوص الفصول، ص ٥٠.
(٢) السابق، ص ٥٣.
(٣) السابق، ص ٥٣.
(٤) السابق، ص ٥٤.
(٥) السابق، ص ٢٩٢.
(٦) وفيات الأعيان: ٦/ ٦٢
(٧) مرآة الجنان: ٤/ ١٧
(٨) شذرات الذهب: ٥/ ٣٥.

متى جُمع هذا الكتاب؟

لم أستطع أن أحدد على وجه اليقين السنة التى بدأ فيها ابن سناء الملك جمع كتابه «فصوص الفصول. .»، ولا السنة التى انتهى فيها، ولا المدة التى استغرقتها عملية جمعه؛ لأن نسخ الكتاب التى عثر عليها لم تحدد ذلك.

ولم أعثر فى مصدر - أتيح لى الاطلاع عليه - من المصادر التى عاصرت المؤلف أو تلت عصره - وترجمت له، أو نقلت عن كتابه نصوصاً - على تاريخ يحدد ذلك؛ لأن شهرته شاعراً فاقت شهرته ناثراً.

ومن المؤكد أن ابن سناء لم يبدأ فى جمع كتابه إلا بعد وفاة القاضى الفاضل سنة ٥٩٦هـ ومن الثابت أن وفاة ابن سناء كانت فى سنة ٦٠٨هـ، وعلى هذا تكون بداية جمع الكتاب والانتهاء منه محصورة بين التاريخين المشار إليهما. ومن القرائن التى تؤيد هذا:

١- أن ابن سناء الملك كان يتبع اسم القاضى الفاضل بجملة: رحمه الله.

٢- ذكر ابن سناء فى نهاية مقدمة كتابه فى سياق الحديث عن القاضى الفاضل العبارة الآتية: «سقى الله ثراه، وأكرم مثواه، وأتاه تحية وسلاماً، وجعله فى الآخرة للفائزين إماما كما كان فى الدنيا للمتقين إماما»[١].

٣- وفى خاتمة الكتاب ذكرت العبارة الآتية: «هذا آخر ما أخرجته من الصحف المكرمة، المرفوعة، وأبحتها للمجتنين لأنها من ثمار الجنة فيجب أن تكون لا مقطوعة ولا ممنوعة، رحمة الله وبركاته على من أنشأها ووشاها وأفرغنى قللها ووطأ لى سبلها. .»[٢]

---

(١) فصوص الفصول، ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) السابق، ص ٢٩٢ - ٢٩٣

خطة التأليف ومنهجه:

يجمع «كتاب فصوص الفصول وعقود العقول» لابن سناء الملك بني عملين هما: التأليف والجمع. فالتأليف تمثله الرسائل التى أنشأها ابن سناء وأرسلها إلى أستاذه القاضى الفاضل، وأودعها هذا الكتاب. أما الجمع فتمثله رسائل القاضى الفاضل التى كتبها رداً على رسائل ابن سناء وقام الأخير بجمعها من مصادرها، ويؤكد هذا قوله: «وما انتزعت تلك الفصول المسطرة فى هذا الكتاب إلا من كتبه التى بخط يده، وبخط الحكام والقضاة العدول المعروفين بخدمته والموسومين بكتابته. .»[١].

بدأ المؤلف كتابه بالبسملة والاستعانة بالله، واستهله بمقدمة بديعة، بدأها. بحمد الله على نعمه و«كان الكتاب يحرصون على أن تكون تحميداتهم التى يستفتحون بها كتبهم مناسبة لمعانى تلك الكتب. . .»[٢]، ووشحها بآى من الذكر الحكيم وعطرها بالصلاة على النبى العظيم ثم ذكر اسم الكتاب صراحة وأشار إلى قيمته والدافع إلى تأليفه والخطة التى سار عليها فى تأليف هذا الكتاب وهى التى تعنينا فى هذا السياق.

ولنترك ابن سناء يشرح خطته التى اتبعها فى تأليف هذا الكتاب، يقول: «وأما ما كتبه فىَّ فهى فصول تضمنتها كتبه الكريمة إلى المجلس العالى الأشرفى البهائى ولده ـ أبقاه الله ـ وإلى أبى ـ رحمه الله ـ وهى التى انتزعتها من كتبه إلى هاتين الجهتين وأودعتها هذا الكتاب»

«وهذه الفصول المنتزعة تنقسم إلى قسمين: قسم أول مقصور على وصف رسائلى المرسلة إليه، ومدح قصائدى الممدوح بها والممدوحة منه. وقسم ثان مقصور على السلام علىَّ وعلى جدى ـ رحمه الله ـ وولدى ـ أنماه الله ـ كان يجعل مسك ذلك السلام ختام كتبه. .»[٣].

«وربما أتبعت هذه الفصول نكتا من رسائلى التى كان بعض هذه الفصول جوابا عنها، أو أبياتاً من قصائدى التى كان ذلك الفصل مدحاً لها. . .»[٤].

(١) فصوص الفصول، ص٥١.

(٢) تأثير الفكر الدينى فى البلاغة العربية، ص ٢٢٧

(٣) فصوص الفصول، ص ٥٢ ـ ٥٣.

(٤) فصوص الفصول، ص: ٥٣.

ويتضح من معايشة مادة الكتاب أن ابن سناء الملك كان يبدأ الفصل برد أستاذه القاضى الفاضل، وبعده يقول: قلت: هذا الفصل جواب عن كتاب كتبته إليه. ويذكره أو يذكر سببه أو يحيل إلى مكانه كما ذكر فى سياق حديثه عن كتاب الرمد، قال: «والكتاب طويل عريض لا يحسن إيراده. بجملته لئلا يضيع فيه الوقت، ولا يمكن اختياره واختصاره لأن بعضه متعلق ببعض، وهو موجود فى كتاب: «مصايد الشوارد» فمن أراده فليقف عليه من ذلك الكتاب»[١].

ولعل السبب فى بدئه برسائل أستاذه القاضى الفاضل راجع إلى تواضع ابن سناء وتقديره لأستاذه، وقد أعلن هذا في قوله: «. . وهو المخدوم وأنا الخادم، وهوالمتبوع وأنا التابع، وهو الغنى وأنا المحتاج إليه، وهو المعطى وأنا الآخذ منه، وهو الأستاذ وأنا التلميذ له والمتعلم منه»[٢].

وقد يعزى السبب أيضاً إلى عامل نفسى فقد غمره أستاذه بفيض من الثناء الجميل، فأثار هذا حقد الحاقدين عليه، فجعل هذه الرسائل حجة على من يتجاهلونه. قال ابن سناء: «وأعرف بها قدرى من كان جاهلاً أو متجاهلاً بقدرى، وأتلو بها ذكرى فإنها الذكر الذى يتلَى، وأخلد بها فخرى فإنها الفخر الذى لا يبلى»[٣].

وخلاصة القول أن ابن سناء جعل كتابه فى مقدمة وقسمين وخاتمة. وقد تناولت المقدمة ويقى أن أشير إلى قسمى الكتاب وخاتمته.

القسم الأول ويضم ستا وأربعين فصلاً، وعنه يقول ابن سناء: «قسم أول مقصور على وصف رسائلى المرسلة إليه، ومدح قصائدى الممدوح بها والممدوحة منه. . »[٤].

أما القسم الثاني فيقول عنه: «وقسم ثان مقصور على السلام علىّ وعلى جدى ـ رحمه الله ـ وولدى ـ أنماه الله ـ كان يجعل مسك ذلك السلام ختام كتبه. . »[٥]

---

(١) فصوص الفصول، ص ١٢٥

(٢) السابق، ص٥١.

(٣) السابق، ص ٤٩.

(٤) السابق، ص ٥٢.

(٥) فصوص الفصول، ص ٥٤.

وختم ابن سناء كتابه بخاتمة موجزة بين فيها أنه انتهى من جمع مادة الكتاب وتدوينه، قال: «تم الكتاب بعون الله تعالى»[1]، ودعا لأستاذه بالرحمة وحمد الله وصلى على النبى وآله وصحبه..

هذه هى خطة ابن سناء فى كتابه، فما منهجه؟

من المعلوم أن المنهج يوجه الخطة. فما مفهوم المنهج فى اصطلاح الباحثين؟

المنهج فى اصطلاح الباحثين من المناطقة: يدل على طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة فى العلم. .»[2]، أو هو: البحث المنظم الصحيح لاستكشاف الأفكار إذا كنا نجهلها أو للبرهنة عليها للآخرين إذا كنا نعلمها. إذاً. يوجد منهج كشفى ومنهج تأليفى برهانى.

وتكشف خطة ابن سناء ومادة كتابه عن منهجه الذى سار عليه فى تأليف الكتاب وجمعه، وهو المنهج التأليفى البرهانى.

(١) فصوص الفصول، ص ٢٩٣

(٢) تحقيق التراث العربى منهجه وتطوره، ص ٢٠٧

مكانة الكتاب بين مؤلفات ابن سناء:

كان ابن سناء الملك أديباً ذواقة، وكاتبا جمع فأوعى، وأعطى فأثرى، فاستحق بحق أن يكون «أحد أركان النهضة الأدبية فى عصره»[١]، وأن يعد «من أكبر شعراء مصر فى العصر الأيوبى، ومن أكثرهم إنتاجاً للمنظوم والمنثور»[٢].

ولابن سناء مؤلفات فى النظم والنثر. أما مؤلفاته فى النظم فيمثلها كتابان حققا وطبعا: الأول : «ديوان شعره». والثانى: «دار الطراز فى فن الموشحات». وأما مؤلفاته فى النثر فلم يصل إلينا منها سوى هذا الكتاب؛ ولذا يعد الكتاب مفتاحاً هاما لنثر ابن سناء لاسيما أنه جمعه وكتبه فى أخريات حياته وكانت بلاغته قد استوت على سوقها، وثقافته قد أينعت وآتت ثمارها، فكان الكتاب مكتبة جامعة لألوان من ثقافات عصره، وعصارة فكره، وتوهج عاطفته، وسجلا لبعض أحداث عصره، ومرآة للشخصية المصرية وسماتها ودورها القيادى الذى لا يغفل. كما كان واحة فيحاء بألوان البيان والبديع.

نُقُول عن الكتاب:

توجد نصوص من هذا الكتاب فى وفيات الأعيان[٣]، والغيث[٤]، وثمرات الأوراق[٥]، وصبح الأعشى[٦]

مآخذ على الكتاب:

كان أحياناً يحيل إلى بعض كتبه دون أن يذكر الكتاب الذى وردت فيه. يقول: «قلت: كانت قد توفيت لى كريمة. وكتبت إليه جوابه وهو موجود فيما دونته من كتبى إليه»[٧].

(١) الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية د. أحمد بدوى، ص ٢٠٣

(٢) دراسات فى الشعر فى عصر الأيوبيين، ص ١٢١

(٣) انظر وفيات الأعيان: ٦/٦٣، ٦٥

(٤) انظر: الغيث ١/٢٠٩، ٢/٣٣، ٢٧٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٤٢٠، ٤٢٢.

(٥) انظر: ثمرات الأوراق:ص ٢٩-٣٢

(٦) انظر: صبح الأعشى.

(٧) فصوص الفصول، ص ١٨٠ـ ١٨٢

- لم توضع عناوين لفصول الكتاب

- لم تجمع الرسائل التى تتصل بموضوع واحد فى مكان واحد فقد جاءت مفرقة فى الكتاب كالردود الخاصة بالقصيدة السينية. .

كثير من أبيات الشعر التى استشهد بها فى الكتاب لم تنسب لقائليها.

ذكر كُنَى بعض الأعلام دون التصريح بأسمائهم أو تقديم ترجمة مختصرة عن كلٍّ منهم مما شكل صعوبة فى البحث عنهم لتشابه الكُنَى أحياناً. ومن هؤلاء: ابن الحصين، ابن زكى الدين، ابن بدر. .الخ

* * *

الفصل الثانى

دراسة موضوعية لأغراض رسائل الكتاب

الدراسة الموضوعية

خصص ابن سناء الملك كتابه: [فصوص الفصول وعقود العقول] لرأى القاضى الفاضل فى فنه. ثم ضمنه رأيهما معاً فى بعض مسائل الأدب وأمور النقد. والقارئ للكتاب يجد كثيرا من الموضوعات المجملة - أحيانا - أشار إليها القاضيان فى ثنايا رسائلهما دون تفصيل؛ ربما لأن المرسل والمرسل إليه على علم بتفاصيل ما أجملاه، أو لأن بعض هذه الموضوعات ليست هدفا رئيسيًا فى موضوع الكتاب وإنما أتى بها لمناسبة فى سياقها وتفصيلها يؤدى إلى إطالة الموضوع وتشعبه فيصرف النظر عن الهدف الرئيسى من الكتاب وهو مالا يريده القاضيان، رغم ما فى هذا من دلالة على ثقافتهما الشاملة، وقدرتهما البيانية الفائقة.

ويمكن حصر هذه الموضوعات فى الآتى:

أولاً - الموضوعات الذاتية، مثل: المدح، والهجاء، والاعتذار، والغزل والرثاء، والوصف.

ثانيًا - موضوعات نقدية وبلاغية، مثل:ـ صفات الناقد، الطبع، والصنعة، اللفظ والمعنى، السرقات الأدبية، النقد، المجمل وفى ميدان البلاغة الكتاب معرض غنى بألوان البديع والبيان وإن خلا من مصطلحاتهما.

ثالثًا - موضوعات تربوية ونفسية مثل: دور الأسرة فى تنشئة الطفل، العمر العقلى، والعمر الزمنى، سمات الموهوبين ورعايتهم، أهمية المعلم ودوره، انتقال أثر التعلم.

رابعاً - القيم الأخلاقية والاجتماعية، مثل:

قيمة حب الوطن، قيمة الوفاء والاعتراف بالجميل والتواضع، قيمة العلم. . وقد ركز القاضى الفاضل على قضية القيم الأخلاقية - رغم نسبيتها - لأنه اعتبرها مدخلا إلى نجاح المجتمع فى وقت كان الصليبيون يعيثون فى أرضه فساداً.

وكل موضوع من هذه الموضوعات جدير بالبحث والدراسة، إلا أننى سأركز على الموضوعات الذاتية مع الإشارة إلى الموضوعات الأخرى بما يخدم الموضوع ولا يخرج عن دائرته.

الموضوعات الذاتية

أولا ـ المدح

المدح من الأغراض البارزة فى الأدب العربى منذ العصر الجاهلى وحتى العصر الحديث، وكانت له دوافعه وسماته وأمراؤه من الممدوحين والمادحين فى كل عصر من العصور.

وقد «كثر شعر المديح فى عصر الحروب الصليبية وغزر، فقد خلد شعراء الجهاد أبطال الحروب الصليبية فمدحوهم فى كل مناسبة كغزو ونزال وفتح وانتصار وما إلى ذلك»[١] ومعنى هذا أن سير الأبطال العظماء كانت مادة خصبة لأدب هذه الفترة، وقد أشار القاضى الفاضل إلى هذا فى ثنايا حديثه عن سينية ابن سناء الملك، فقال: «ولو أنصفناه لكان أدنى ما فيها من بيت يعمر ألف بيت، وكان يوسف عروسها قد قال لها وأغناها عن أن تقول له هيت»[٢].

والقارىء لكتاب «فصوص الفصول وعقود العقول» يلاحظ أن المدح فيه يدور حول صلاح الدين الأيوبى، والقاضى الفاضل وولده الأشرف، وكان القاضى الفاضل يرد على مدح ابن سناء الملك مادحاً إياها، وناقداً لبعضها نقداً موضوعياً، وموجهاً ومشجعاً له.

مدح ابن سناء الملك صلاح الدين الأيوبى بجملة صفات تقليدية فى ثوب جديد منها: مكانته السامية، كما فى قوله:

إذا قِيلَ بيتٌ قد توشَّحَ باسـمِه الـ ... ـعظيمِ فذاك بيتٌ مقدسُ[٣]

وقوله:

لك مدحٌ فوقَ السماواتِ ينشَا ... ومحلٌ فوقَ الأسنةِ يُبنَى[٤]

ومنها: مهابته، كما فى قول ابن سناء:

ومن خوفِه الشمسُ المنيرةُ فى الضحَى ... تموتُ وفى نقعِ الحوافرِ ترمسُ[٥]

(١) شعر الجهاد فى عصر الحروب الصليبية فى مصر (٤٩٠ ـ ٦٩٠ هـ)، ص ١٨١

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٥٩.

(٣) السابق، ص ١٠٣

(٤) السابق، ص ١٥٠

(٥) السابق، ١٠٥

وكان صلاح الدين صاحب نزعة إنسانية، يبين ذلك من قول ابن سناء الملك:

أمرتَهُم أن يُنذِروا قبلَ حربِهم ... ولم ترضَ أنَّ الجيشَ في السرِّ يكبِسُ[(1)]

وكان فارسًا شجاعاً وقائدا مطاعاً، مظفر النصر، منعوتا بهمته وفي هذا قال ابن سناء الملك:

له جحفَلٌ جرَّ القنَا فتعثـرتْ ... قَنا الخطِّ إلا أنَّها ليسَ تتعسُ

وكلُّ حصانٍ بالحديدِ ملثـمٌ ... عليهِ كميٌ بالحديدِ مقلنَسُ

تزاحمتْ الأبطالُ فيهِ فخرَقَتْ ... ثيابًا لهَا من عهدِ داودَ تُلبَسُ[(2)]

وقال يمدح الملك الناصر، ويهنئه بكسر الفرنج وملك بلاد الشام:

وتصيدتَهمُ بحلقَةِ صيدٍ ... تجمعُ الليثَ والغزالَ الأغنَا

وجرَتْ منهمُ الدماءُ بحاراً ... فجرتْ فوقهَا الجزائرُ سفنَا

صنعتَ منهمُ وليمةَ وحشٍ ... رقصَ المشرفيُّ فيهَا وغنَّى[(3)]

وقرظ القاضي الفاضل مدح ابن سناء الملك، فأثنى على سينيته قائلاً: «والقصيدة فائقة في حسنها، بديعة في فنها، وقد ذُلَّتْ السين فيها وانقادت .»[(4)]

وأثنى على القصيدة السلطانية قائلاً: «فأما القصيدة السلطانية فهي عندي إلى أن يكون عرضها - إن شاء الله - عند الفتح القدسي، ولو أنصفتها لكان عرضها في المحل القدسي. ولا أقف على لفظة إلا أقول هذه ما بعدها فتأتي الأخرى غضبى علي فيقول لي الرضا قف عندها...»[(5)]

أما القاضي الفاضل فقد حظي بنصيب عظيم من مدح ابن سناء الملك فخصه بسبع وثلاثين قصيدة من قصائده المدحية، «لأنه كان له أستاذا وموجهاً، وكان لوالده صديقاً ومحباً، وكان ابن سناء مدينا له بشهرته الأدبية، ومنزلته السنية ومناصبه الهامة، وتوجيهاته الفنية، التي خلقت منه أديبًا يحتل مكانة مرموقة بين أدباء عصره...»[(6)].

---

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٠٥

(٢) السابق، ص ١٠٤

(٣) السابق، ص ١٥٢

(٤) السابق، ص ٩٩

(٥) السابق، ص ١٤٤

(٦) ابن سناء الملك حياته وشعره، ص ٥٧ - ٥٨.

مدح ابن سناء الملك القاضى الفاضل بجملة أشياء منها: أنه ناقد موضوعى محايد، لا يتكلم عن هوى نفسى ورأى شخصى، ذكر هذا فى قوله: «. . .من الناطق الذى لا ينطق عن الهوى، والصادق الذى لا يغلط إذا ورى أو روى. .»[1] وهو عادل إذا حكم «لا يقول إلا الصحيح، ولا يعدل إلا العدل، ولا يجرح إلا الجريح. .»[2].

وهو صاحب منصب كبير، وكرم وفير، ورأى سديد، وحكمة صائبة وعلم وحلم، قال ابن سناء:

نأيتُ فيَا شوقَاهُ عن أبيضِ الجـدَا ... وسرتُ فيالهفَاهُ عن أخضرِ الربَّـا
عن المالكِ الأملاكِ رأيا وحكمـةً ... وفاضلهمُ علمًا وحِلمًـا ومنصبـا
تجوبُ ملوكُ الأرضِ أقصى بلادَهَا ... لبـابِ تراهَـا فيهِ حسرَى ولُغبا[3]

لأنه:

الواصلُ الصائلُ ... والفارسُ الملـكُ
لَمَّا جلس. وقد رأس. فكم غرس ... من الدول وكم رتّق
مما انفتق. وما لحق. لما خلق ... وهاب بلا حساب
قد جرتْ الأقدارُ ... بحسبِ إيثَـارِه
وسارتْ الأخبارُ ... بحســنِ آثَـارِه
كم ملـكٌ جبارٌ ... سعـى إلى دَارِه
وراحَ لما حــارَ ... فى عُظْمِ مقـدارِه[4]

وهو قائد قوى شجاع صبورٌ، مُحَصَّن بالتلاوة والذكر، والعَدَد والعُدَد. قال ابن سناء:

وجَازَ طريقاً يرهبُ النَّسرَ قطعُهَا ... على أنَّه نسرُ الكواكـبِ لا النَّسرُ

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص٤٨.
(٢) السابق، ص ٥٢.
(٣) السابق، ص ٧٣.
(٤) السابق، ص ١٢١

ويطلعُ فيهَا الصبــحُ والليــلُ بعــدَه ... وفى قلبِ ذَا خوفٌ وفى صدرِ ذا ذُعْرُ
تُهَــابُ الرياحُ الهوجُ مسَّ تُرابِهَــا ... فما نالَــهُ ذُلُّ السبــاءِ ولا الأســرُ
وجازَ وأنفُ الكُفرِ فى التــربِ راغمٌ ... وما زالَ فى إيمانِه يرغــمُ الكُفــرُ
يحــفُ بِهِ من خلــفِهِ وأمامِـــهِ ... مهنــدةٌ بــيضٌ وخطيــةٌ سُمــرُ
فتحرسُهُ مـــن جُنــدِه البيضُ والقنَا ... ويحرسُهَــا منهُ التــلاوةُ والذكـــرُ(١)

ومدحه. بأنه من أصل عريق، فقال:

تشــرَّفَ يعربُ لما انتسبـــتَ ... إليــهِ وعظمتَـــهُ بالنـــسبْ
وإنْ نسبــوكَ إلــى يعـــربٍ ... فما هــو إلا إليــكَ انتســبْ
رفعتَ العمادَ لأهــلِ العمــودِ ... وأطلعتَ من سعدِهم ما غرب
وأصلهـــم أنتَ يا فرعَهُــمْ ... فلا قطعَ اللهُ أصلَ العــربْ(٢)

وقد قرظ القاضى الفاضل مدح ابن سناء الملك فيه، فقال عن البائية الأولى: «. . فعلمت أن أقواله هى النفاثات فى العقد. .»(٣) وقال عن الموشح: «وصل الموشح الذى مدحنى به القاضى السعيد فألبسنى منه عقد الموشح. .»(٤). وقال عن الرائية: «ومارأيت أغرب من مطلع هذه القصيدة ولا أدل منه على شطارة طبع ولا من بيت الكأس المكسورة ولا أدل منه على صلابة نبع، ولا من بيت الورق الخضر ولا أدل منه على رقة طبع وشدة نزع. .»(٥)، وقال عنها أيضاً: «وقد تجاذبت الهمم روايتها؛ فإن فهمها رأس مال فى فصل الخطاب وتناولت الأقلام نسخها فإنها طيارة لا يقيدها إلا الكتاب. .»(٦)، وقال عن البائية الثانية [تشرف يعرب. .] «وإنه لا يوقف له على بديعة إلا والتى تليها أبدع. .»(٧).

(١) فصوص الفصول، ص ٨٤ ـ ٨٥.
(٢) ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٤٧. وفصوص الفصول، ص٨٩.
(٣) فصوص الفصول ص ٦٨
(٤) السابق ص ١١٩
(٥) السابق ص٧٨
(٦) السابق ص ٨١.
(٧) السابق ص٨٦.

ومن الذين مدحهم ابن سناء الملك في كتابه: «فصوص الفصول وعقود العقول» القاضي الأشرف ولد القاضي الفاضل فقد أسند القاضي الفاضل إليه تعليمه وتدريبه على المكاتبات. قال ابن سناء الملك: «قلت: كان ـ رحمه الله ـ قد شرفني بخدمة الأشرف ولده، ورسم لي أن ألازمه وأذاكره، وأوضح له الطريق التي يسلكها في المكاتبات، وأمثل له الأمثلة التي يقتفيها في المراسلات، فامتثلت أمره، ولازمت خدمته، فوجدته مهذباً من غير تهذيب، مؤدباً من غير تأديب، متوقد الخاطر الخطار الذي يكاد زيته يضيئ ولو لم تمسسه نار. فكتبت إليه أهنيه به، وبما وهبه الله تعالى منه، وبأنه الكامل الراجح، والخلف الصالح، والحكيم الذي أوتي الحكم والحكمة في سن الصبا، والولد الذي يستحق أن يدعى وهو طفل أبا. . »[1].

ومدحه أيضاً بسمو الخلق، وطهارة النسب، وقوة الذكاء، قال:

خُلُقٌ طاهرٌ وخَلْقٌ شريـــفٌ ... وذكاءٌ يكوِى الحسودَ بِلَــذْعِ

جمعَ النُّسْكَ والشبابَ ولولاَ ... هُ لما أذنَّـا لشمـــلٍ بجَمْــعِ

نالَ قبل العشرين ما لمْ ينلْهُ ... من تعدَّى التسعين عامًا بتسعِ[2]

وقد مدح ابن سناء الملك غير هؤلاء «العزيز، والأفضل، والعادل، والكامل، وغيرهم من الملوك والوزراء كالملك المظفر تقي الدين، والملك الظاهر غازي، وكذلك الوزير صفي الدين ابن شكر، كما مدح والده القاضي الرشيد. ، وشخصيات أخرى كالطبيب اليهودي الرئيس موسى.»[3]، بهذا نطق ديوانه، ولما خلا كتاب «فصوص الفصول وعقود العقول» من ذكرهم لم أقف عندهم.

ويلاحظ أن تقريظ القاضي الفاضل الرسائل ابن سناء الملك كان يصدر ـ غالباً ـ بعد وصول هذه الرسائل إليه، ودراسته العميقة لها، وتدوين ملحوظاته عليها بأسلوب أدبي رائع يحمل التوجيه والتصحيح.

ويلاحظ كذلك أن مدح ابن سناء الملك القاضي الفاضل كان اعترافاً بفضله، وتقديراً

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص: ١١٨ ـ ١١٩

(٢) ديوان ابن سناء الملك ٢/ ١٩٤

(٣) ابن سناء الملك حياته وشعره ١/ ٥٧.

لدوره العظيم مع صلاح الدين الأيوبى فى بناء وحدة عربية إسلامية تجمع مصر والشام لمواجهة الغزو الصليبى الشرس، وقد تطلب ذلك تعبئة عسكرية وبشرية وهما أمران لازمان للجبهتين: الداخلية والخارجية. وكان إعجاب ابن سناء الملك بالقاضى الفاضل وفنه دافعًا من دوافع مدحه له، كما كان إعجاب القاضى الفاضل بموهبة وبلاغة ابن سناء الملك دافعاً من دوافع مدحه لرسائله، ظهر ذلك فى قوله: «..ولا شك أنه أراد أن يرينى ما أعلمه وأتحققه من أنه على كل فن من البلاغة قادر..»(١).

ويلاحظ على المدح المتبادل بين القاضيين: ابن سناء والقاضى الفاضل أنه مصحوب بقدر كبير من المبالغة المقبولة، بل المطلوبة - غالباً - فى مثل هذه الأحوال التى يدنس فيها الصليبيون أرض الوطن ويعيثون فيه فسادا. وإعلاء شأن رموز الوطن من الحكام والقادة والأبطال وبث الحماس فى نفوس أبناء الشعب يصبح أمراً واجباً والكلمة القوية المؤثرة سلاح فاعل، ولهذا كان صلاح الدين يردد كثيراً أنه ما نصر بالسيوف بل بكلام القاضى الفاضل.

وربما تكون هذه المبالغة هى التى دفعت أحد الباحثين إلى القول بأن ابن سناء الملك «لم يكن يمدح ممدوحه عن إعجاب، وإنما كان العطاء بل الاستجداء هو الدافع الأساسى له على مدائحه»(٢).

وهذا الرأى، إن صدق أحيانا، فإنه غير مقبول هنا لعدة أسباب:

١- لأن المبالغة فى مدح الشخصيات الرئيسية كصلاح الدين والقاضى الفاضل كانت سمة عامة فى عصر الحروب الصليبية وكانت الأمة العربية الإسلامية - آنذاك - أحوج ما تكون إلى تعبئة بشرية ومعنوية ومادية، وتلك مهمة حكام الأمة، وقادة التحرير؛ لذا وجب على الأدباء أن يكونوا جيشاً ثانياً فى المعركة بكلماتهم القوية المؤثرة التى تفيض حماسة وإشادة ومدحاً وإثارة للعواطف فتكون سيفاً بتاراً على رقاب الصليبيين لا يبقى ولا يذر.

٢- المبالغة فى المدح سمة من سمات الشخصية المصرية التى تحب قادتها المخلصين، وتلتف حولهم فى نسيج وطنى واحد وخصوصاً فى أوقات الشدة.

---

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٥٩

(٢) شعر الجهاد فى الحروب الصليبية - محمد على الهرفى -ص ٣٧٢.

٣ـ قد تكون هذه المبالغة ناشئة عما يسمى برد الفعل الإيجابى فالكتابة هى التى تلد الكتابة كما يقال.

٤- القول بأن ابن سناء كان يمدح من أجل العطاء والاستجداء، مردود عليه بأنه نشأ فى أسرة غنية. ولو افترضنا ـ جدلاً ـ أنه كان يمدح من أجل العطاء فأى عطاء كان القاضى الفاضل يريده من ابن سناء حينما كان يمدح رسائله، ويذيعُ محاسنها؟ إن العطاء الذى يطلبه ابن سناء من أستاذه عطاء معنوى وأدبى؛ فهو طالب علم لا يشبع، فإن كوفئ بعطاء مادى فلا ضير عليه فى ذلك، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

ويمكن إيجاز سمات المدح عند ابن سناء فى الآتى:

١ـ تشيع فى معظمه عاطفة صادقة، محبة لوطنها، كارهة لأعدائه. وقد صبغت الكلمات والأفكار والصور الخيالية. بهذه العاطفة وجاءت معبرة عنها. كما سنبين فى الدراسة الفنية.

٢ـ النص الأدبى باعتباره عمدة الدراسات الأدبية هو تاريخ التاريخ ومن هذا المنطلق يعد مدح ابن سناء الملك لصلاح الدين الأيوبى والقاضى الفاضل وغيرهما من أبطال الجهاد وثائق تاريخية أدبية لعصر الحروب الصليبية.

ثانياً ـ الهجاء:

لم يكن ابن سناء الملك هَجَّاءً ـ وإن وردت له فى ديوانه مقطعات قليلة فى الهجاء، وبخاصة هجاء ابن عثمان ـ ويمكن تعليل ذلك بتأثير ثقافته الدينية عليه، وتشبعه بالروح المصرية التى تحب التسامح، كما كان صاحب مكانة اجتماعية سامية تنأى بصاحبها عن الأهاجي، يضاف إلى ذلك أن إعجابه وحبه للقاضى الفاضل وصلاح الدين جعله يوجه موهبته وطاقته الإبداعية إلى مدحهما، وتصوير بطولاتهما، والإشادة بانتصاراتهما، والتصدى للعدو الصليبى الغاشم وأتباعه بالكلمات الحماسية البتارة.

وباستشارة كتاب «فصوص الفصول وعقود العقول» أفاد بأن ابن سناء الملك هجا الصليبيين بعد انتصار صلاح الدين عليهم فى موقعة حطين بالجبن والذل؛ لأنهم لم يستطيعوا الصمود بعددهم وعددهم أمام قوة إيمان المسلمين ودفاعهم عن حقوقهم المقدسة، فخانهم سلاحهم، وفرت خيولهم، وعقدت ألسنة خطبائهم، وحصدت رؤوسهم، وتهاوى شجعانهم عقرَى وزمنَى وقتلَى وقد صور ابن سناء ذلك فى قوله:

حملُوا كالجبالِ عظمًا ولكـنْ … جَعَلَتْهُمْ حَمَلاَتُ خيلك عِهنَا
جمعُوا كيدَهُم وجاءُوكَ أركا … نًا فمن قدَّ فارسًا هدَّ رُكنَـا
لم تلاقِ الجيوش منهُمُ ولكنَّـ … ـكَ لاقيتهـم بلاداً ومُدنَـا
كلٌّ من يجعلْ الحديدَ لهُ ثـو … بًا وتاجًا وطيلسـانًا ورُدنَـا

وفى قوله:

وتولّت تلك الخيـول وكم يُثْـ … ـنَى عليهـا بأنها ليـس تُثنَـى
واستحالتْ شقاشقُ الكفرِ صمـتًا … حين عـادتْ تلك الشجاعةُ جبنَا
أشجعُ القومِ فيهم جاعـلُ الـدِّرْ … عِ هروبـًا أو الفـرارِ مجنَـا
لم يطيقُوا الهروبَ ضعفاً وعجزًا … هل يطيقُوا الهروبَ عقرَى وزمنَى[1]

---

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٥٢، ديوان ابن سناء ٢/٣٤١.

وفي قوله:

وحوَى الأسرُ كُلَّ ملكٍ يظنُّ الد هر يفنَى وملكُـــهُ ليس يفنَـــى(١)

«وإمعانا في التنكيل بهم، والسخرية منهم، وصف ابن سناء ما حدث للبرنس أرناط في هذه الموقعة فصب عليه جام غضبه، فهو شيطان رجيم. . غدَّارٌ لا عهد له ولا ذمة.

واللَّعينُ الإبرنس أصـــبح مذبو حًا تمنَّى لم يعـــدمْ اليومَ يُمنَـــا

أنـــت ذكيْتَـــه فوفيـــت نــذراً كنـــتَ قدمتَـــهُ فجُوزِيتَ حُسنًا(٢)

ولم يترك ابن سناء الملك المتقاعسين عن الجهاد، والمتخاذلين في الدفاع عن البلاد، من الملوك والأمراء المعاصرين لصلاح الدين الأيوبي، فصب عليهم غضبه، وسلَّ عليهم قلمه لأنهم «ملوك جبناء، يقولون مالا يفعلون، ويظلمون الرعية، ولا يحققون لها غير التخاذل والخزي والهزيمة، منكسي الرءوس. يتهكم ابن سناء الملك ويمدح السلطان صلاح الدين مبرزاً فضله ومنزلته ودوره في وحدة البلاد، وجهاد الأعداء، فيقول»(٣).

تشارِكُكَ الأملاكُ في الاسمِ وحدَهُ ولم يشركُوا لما زَكَا لَـكَ مغـــرس

وتُلقَى على رغمِ الأنـــوفِ أمورُهَا لمن هو أرعَى للأنـــامِ وأســـوس

يقولون ما لا يفعلون أما استحـُـوا ومن يلقَ ما يَلْقَوْنَهُ كيـف ينبـــسُ(٤)

مما سبق يمكن القول بأن الدافع إلى هذا الهجاء والتهكم والسخرية كان دافعاً وطنياً.

---

(١) ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٣٤٢.

(٢) شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية في مصر، ص ٢٥٩ [بتصرف].

(٣) السابق، ص: ٢٦٥.

(٤) ديوان ابن سناء الملك ٢/ ١٧٥

ثالثاً ـ الوصف:

وصف ابن سناء جيش صلاح الدين، وجيش الصليبيين، ومعركة حطين، ووصف إنسانًا فقيهًا، فقال واصفًا جيش صلاح الدين:

له جَحْفَلٌ جرَّ القنَا فتعثرتْ ... قنَا الخطُّ إلا أنَّها ليسَ تنعسُ
وكلُّ حصانٍ بالحديدِ ملثمٌ ... عليهِ كميٌّ بالحديدِ مقلنَسُ
تزاحمتْ الأبطالُ فيه فخرقَتْ ... ثيابًا لها من عهدِ داودَ تُلبَسُ
وأظلمَ فيها النقعُ واشتكتْ الظبيُ ... فأصبح فيها الموتُ لا يتنفسُ
ومن خوفِه الشمسُ المنيرةُ فى الضحَى ... تموتُ وفى نقعِ الحوافرِ ترمسُ
غَدَا شجرُ المرانِ ـ يحملُ بينهَمُ ... ولكنَّهُ بينَ الجوانحِ يُغرَسُ
ترَى بيضَهُم بعدَ اللقاءِ كأنَّمَا ... أحاطَ به من أسهمِ القسِّ قندسُ
خيولُهُمْ أمَّا على كلِّ قلعةٍ ... فتطفُو وأمَّا فى الدماءِ فتُغمَسُ
أمرتَهُمْ أن يُنذِرُوا قبل حربِهِم ... ولمْ ترضَ أنَّ الجيشَ فى السر يكبس
وأغناكَ عن كيدِ الأعادى احتقارُهَا ... فمالكَ فيهم مُخْبِرٌ يتجسَّسُ(١)

يا له من جيش عظيم، كثير العدد، وفير العُدد، خبير بفنون القتال وأسلحته من خيل وبيضات وسهام وسيوف ورماح ودروع. أبطاله صناديد، دعاة سلام قبل أن يكونوا دعاة حرب، فإن فرضت عليهم طاروا إلى الموت زرافات ووحدانا متسلحين بقوتين هائلتين إحداهما معنوية تتمثل فى قوة إيمانهم، والأخرى مادية تتمثل فى عددهم وعُددهم.

وفى الجانب المقابل وصف ابن سناء الملك جيش الصليبيين فعظم من شأنه ليدلل على أن النصر الذى حققه صلاح الدين وجيشه لم يكن انتصاراً سهلاً وأنه كان يحارب عدوا قوياً عنيداً مدرباً على فنون القتال، مثقلاً بالعدة والعتاد، كثير العدد، جنوده أشداء فهم كالجبال ضخامة، قد تسربلوا بالحديد وجمعوا كيدهم وغيظهم نحو صلاح الدين وجيشه، ولكنه لم يأبه بهم، والتقى بهم وبدد حملاتهم تبديداً، وصارت الجبال عهنا، وتساقطت

(١) فصوص الفصول، ص٤ ١ ـ ١٠٥، وديوان ابن سناء ٢/ ١٧٤-١٧٥

فرسانهم، وخارت عزائمهم؛ فقد خانهم السلاح، وعجزوا عن استخدامه، إلى جانب الرعب والخوف الذى لفهم فلا الرمح تثنى ولا المهند طنا. [(١)]

قال ابن سناء الملك واصفًا جيش الصليبيين:

حملُوا كالجبالِ عظمًا ولكـــن ... جعلتْهُم حملاتُ خيلِك عِهنَا

جمعُوا كيدَهم وجاءُوك أركا ... نًا فمن قدَّ فارسًا هـدَّ رُكْنَـا

لم تلاقِ الجيوش منهم ولكنْـ ... كَ لا قيتَهُــم بـلاداً ومدنَـا

كلُّ منْ يجعلْ الحديـدَ له ثـو ... بًا وتاجًا وطيلسانًــا وردنَـا

يدَّعُون الغنَى من الناسِ لكن ... أنتَ بالنصرِ كنتَ أغنَى وأقنَى

خانَهم ذلك السلاحُ فلا الرمـ ... حُ تثنَّى ولا المهنــدُ طنَـا[(٢)]

واشتعلت المعركة، والتحم الجيشان، واشتد النزال، ولكن سرعان ما خارت قوة الصليبيين وتبدلت شجاعتهم جبنا، وأمنهم خوفاً وفزعاً، وأسرع صلاح الدين وجيشه خلفهم يتصيدهم واحداً إثر واحد وكأنهم صيادون مهرة يتصيدونهم بشباكهم، والأعداء يتعثرون فلا يستطيعون فكاكاً وسالت الدماء فى ساحة المعركة أنهارًا طفت فوقها جثث القتلى كالشياه المذبوحة حتى لتحسبها جزائرا وسفنًا متحركة، كما استحالت أشلاؤهم وجثثهم الممزقة إلى وليمة للوحوش الضارية. [(٣)] قال ابن سناء واصفا نتيجة المعركة:

أشجعُ القومِ فيهــم جاعـلٌ الدر ... عَ هروبًــا أو الفــرارَ مجــنَا

لـم يطيقوا الهروبَ ضعفًا وعجزًا ... هل يطيقُوا الهروبَ عقرَى وزَمنَى

وتصيدتَهُـم بحلقــةِ صيــــد ... تجمعُ الليــث والغزالَ الأغنَــا

وجَــرَتْ منهم الدمــاءُ بحــارًا ... فجرتْ فوقَها الجزائــرُ سُفنًــا

صَنَعْتَ منهـــم وليمــةَ وحــشٍ ... رقــصَ المشرفىُ فيها وغنَّــى

---

(١) انظر: شعر الجهاد فى عصر الحروب الصليبية فى مصر، ص ١٧٠

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٥١، وديوان ابن سناء ٢/ ٣٤١.

(٣) انظر شعر الجهاد فى عصر الحروب الصليبية فى مصر، ص ١٧٠

وتهادَتْ عرائـــسُ المدنِ تُجلَى ... وثمارُ الآمالِ منهـــنَّ تُجنَّـــى(١)

ويرى أحد الباحثين: «أن وصف ابن سناء الملك للمعركة غير جيد، وقد خانه فيه التوفيق وجرى وراء صور متعكفة لا تليق بالمعركة، وربما كان مصدر ذلك أنه لم يرَ المعركة فعلا، ولم يشاهد روعتها وقسوتها، كما أنه لم ينفعل بها على البعد بالقدر الذى يدفعه إلى الجد ولعل أوضح مثل على سوء تصويره حديثه عن عجزهم عن الحرب لأنهم عقرى وزمنى وليس فى ذلك تمجيد للسلطان مادام أعداؤه بهذه المثابة، ولذا تصيدهم بحلقة صيد فى سهولة ويسر وجمع رجالهم الأقوياء ونساءهم اللائى يشبهن الغزلان، وهل كانت نساء الإفرنج مشتركات فى المعركة؟ أما دماؤهم فقد جعلها بحاراً وجعل السفن تجرى فيها وهى صورة متكلفة تناقض ما قاله قبل ذلك من أن الأعداء ضعفوا ولم يقاتلوا وكانوا كالعهن وهربت بهم خيلهم ووافق ذلك هوى فى نفوسهم. . .»(٢)

والحق أن فى هذا تجن على ابن سناء الملك فقد تابع انتصارات صلاح الدين على الصليبيين منفعلاً بها، مشيدا بالوحدة التى تحققت بين الشام ومصر وحققت النصر، معجبا بقائدها المظفر صلاح الدين الأيوبى بطل حطين الذى أخذ يسترد البلاد بلدا بلدا، يعبر عن كل ذلك فى فرحة غامرة فيقول:

لستُ أدرِى بأىِّ فتح تُهنَّـــى ... يا منيـــلَ الإسلامِ ما قدْ تمنَّى

كلُّ فتـــحٍ يقولُ إنِّى أولَـــى ... وهـــو أولَى لأنَّه كـــان أهنـَـا

أنهنِيـكَ إذ تملكـــتَ شامـًــا ... أم نهنِيكَ إذ تملكـــت عدنـَــا

قد ملكتَ الجنانَ قصراً فقصراً ... إذ فتحتَ الشامَ حِصنًا فحصنًا(٣)

ولم تكن هذه الانتصارات التى حققها صلاح الدين سهلة لأنه كان يواجه عدواً شرسًا كما ذكرت سابقاً عند وصفه لجيش الصليبيين والمعركة.

---

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص١٥١ ـ ١٥٢، وديوان ابن سناء ٢/ ٣٤٢.

(٢) شعر الحماسة ودوره فى الحروب الصليبية، محمد عرفه حامد، ص ١٦٦، ١٦٧

(٣) فصوص الفصول ص ١٥٠، ديوان ابن سناء ٢/ ٣٤٠

ووصف ابن سناء الملك فقيهًا كبيرًا ـ لم يذكر اسمه ـ فقال:

«وأما فلان فما يدرى المملوك أعلمه أرجح أم عقله أم دينه أم يقينه أم نسكه أو سكونه، أم زهده أم صبره أم شكره. ولو لم يقصد هذا الرجل لشرف أصله ولا لأجل علمه لقصد لحسن خلقه وبهاء خلقه، وطيب حديثه، ومعسول نشره، وطهارة مجلسه، وحلاوة لسانه ومعشوق شمائله، ورقة حاشيته، وقربه من كل قلب، وعلاقته بكل نفس، وجلالته فى كل عين، ودخوله فى كل صدر، ومسراه فى كل سر. .»(١).

وهذه الصفات ـ كما ترى ـ يغلفها الطابع الدينى وقد سردها فى عبارة سهلة الألفاظ، غزيرة المعانى، موسيقية الإيقاع.

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٣٩ ـ ١٤٠

رابعًا ـ الرثاء:

يحتل الرثاء المساحة الثالثة فى أدب ابن سناء بعد المدح والغزل، وقد خصصه لجماعة من أهله وأصدقائه. ومما يشد الانتباه هنا أن ابن سناء الملك لم يرثِ صلاح الدين الأيوبى ولم يرث القاضى الفاضل؛ لخوفه من ابن شكر الذى كره القاضى الفاضل وحقد عليه وتتبع أتباعه. وربما لأن هول الصدمة صدمه فتوقف عن الكتابة بعض الوقت، أو أنه كتب وفقد ما كتبه مع ما فُقد.

ومن يتابع فن الرثاء عند ابن سناء يمكنه التعرف على من رثاهم فقد رثى أباه وجده وأمه وجماعة من أهله وبعض أصدقائه كالشريف أبى القاسم الحلبى وعفيف التلمسانى ورثى جارية أحبها، كذلك رثى زوجته ورثى «عكا» عندما وقعت فى أيدى الصليبيين.

ويضم كتاب «فصوص الفصول وعقود العقول» هذه المراثى: رثاءه لجده وزوجته وامرأة لم يذكر اسمها كما رثا عكا وأشار إلى رثاء كريمة له دون ذكرها.

فعن رثائه لجده، قال ابن سناء الملك:

«كان جدى ـ رحمه الله ـ قد توفى وأنا مريض فى شهر رمضان سنة ثمانين وخمسمائة وعمره ست وتسعون سنة فشيعت جنازته متحاملاً وعدت منها محمولاً واشتد المرض فعملت مرثية فى الجد ـ رحمه الله ـ وذكرت فيها موته ومرضى، أولها:ـ

خانَتْ جفُونِى لما لم تفِض بدمِى   لكنْ وفَّى الجسمُ لما فاض بالسقَمِ
وما بكَى الطرفُ منِّى وحدَهُ ألمًا   لكنْ بكاكَ جميعُ الجسمِ بالألَمِ
خرجتُ خلفَكَ محمولاً كما خرجُوا   بجسمِك الطهْرُ محمولا على القمَمِ
يا حسرَتِى إذ رآنِى راكِبًا لَهُمُ   وما مشيتُ على راسى ولا قدَمِى[1]

ورغم أن ابن سناء بدأ مرثيته بدءا تقليديًا كعادة الشعراء القدماء الذين طلبوا من عيونهم البكاء فى مواقف الرثاء إلا أنه كان مجدداً «فى التعبير حين عد ذلك الإباء من العين

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص١ ٢، وانظر القصيدة كاملة فى ديوانه ٢/٥١٧-٥١٩

خيانة، وأحسن التعليل لألم جسمه ومرضه، إذ جعله وفاء لداعى الحزن والأسى، وقد أوضح المعنى فى البيت الثانى وفرده فجعل العين تبكى، ويبكى معها كل ثغرة من ثغرات جسمه ولكن بالألم واللوعة. .»[١].

ورثاء ابن سناء الملك لجده وليد تجربة حقيقية صادقة نسج الألم والحزن والأسى لحمة أفكارها ومعانيها، وصبغ ألفاظها وصورها بأشجان نفسه وأمانيها. وفى هذا الجو المفعم بالحزن والأسى تطل أنوار من جنة الفردوس التى يخلد جده فيها، جزاء إخلاصه وطهره وعبادته وصلاته. قال ابن سناء:

يا ساكنًا بين جنـــاتٍ مزخرفَـــةٍ ... بالنورِ إنِّى من الأحزانِ فى الظُّلَمِ

ومنها:

لِقيــتَ ربكَ مشغـــولاً برؤيتِـــهِ ... فما التفـــتَّ إلى حـورٍ ولا خدمِ
خمسًا وتسعين تسعَى فى عبادتِـــهِ ... لم تشكُ من مللٍ فيها ولا ســأَمٍ
وقد انحنَى الظهرُ وانهدَّتْ قوائمُـهِ ... من الركـــوعِ إليه لا من الهِـــرَمِ[٢]

ونراه فى رثائه لزوجته يتدفق حزنا، ويتقطع ألما، ويفيض حبا، ويصورها بريشة فنان مبدع مؤمنة صالحة مخلصة، محبة لزوجها، محافظة على أسرار بيتها، وهو فى ذلك متأثر بثقافته الإسلامية، قال ابن سناء فى هذا: «وفى هذا الشهر ماتت أم ولد المملوك، فيا لله! ماذا فجعت؟ وماذا أوجعت؟ وماذا أبكت؟ وماذا أنكت؟ كانت والله قرينة صالحة، صحبها المملوك: «وصدغاه فى خدى غلام مراهق»، وإلى أن شابت منه المفارق، فما رأى منها إلا الصحبة الصالحة، وإلا المحبة الناصحة، وإلا الديانة الراجحة، وإلا حفظ الغيب. .»[٣].

ورثا ابن سناء الملك امرأة لم يذكر اسمها ولا قصتها بقصيدة تائية، ذكر منها:

بكيتُكِ بالعيـــنِ التى أنتِ أختُـــهَا ... وشمسُ الضحَى تبكيكِ إذ أنتِ بنتُهَا

(١) ابن سناء الملك حياته وشعره ١/ ٩٨

(٢) ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٥١٧، ٥١٨.

(٣) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩

وتضحك غزلان الفلاة لأنّني بعينيكِ لما أن نظرتُ فضحتُهَا

أفَاديتي يا ليت أنّي فديتُهَــا وسابقتي يا ليت أنّي سبقتُهَــا(١)

وبالرغم من أن القاضى الفاضل كان يستحسن مطالع قصائد ابن سناء، ومنها هذه المرثية، كما جاء فى قوله: «. ورأيت مطالع القصائد فرأيتها مطالع سعيدية سعيدة، ومبادىء كعواقب حميدة، وفواتح حسن كل بيت منها قصيدة. .»(٢)، ثم قال عن هذه المرثية: «. . فأما التائية المرفوعة فلا يقربها ولا يقر بها فما أعجبتنى لا لأنها غير معجبة بل لأنى أعلم أن الله لو حشر الأولين والآخرين ما قدروا أن يكملوا القصيدة من ذلك الجنس، ولا أحاشى من ذلك الكرام الكاتبين فضلاً عن الإنس، وإذا كانت لا تدرك فلتترك لئلا تكون غايتنا فيها إذا برزنا السلامة، وإذا قصرنا حصول الندامة. .»(٣).

وعلق الدكتور مصطفى الصاوى الجوينى على هذه العبارة، قائلاً: «وما نظن أن اعتراض القاضى الفاضل على هذه المقطوعة إلا لأنها نافرة عن الطبع، جارية مع التكلف، فابن سناء الملك يلتزم ثلاثة حروف فى قافيتها ولذلك رده القاضى الفاضل عنها. .»(٤)، وربما دفعه إلى هذا الظن قول القاضي الفاضل: [فلا يقربها. فما أعجبتنى. .].

والحق أن القاضى الفاضل لم يكن يقصد هذا بل كان يقصد أن هذه المرثية تحمل طاقة فنية فائقة، ومحصولاً لغويا غزيراً يثرى قافيتها وهذا مطلب قد يعز على الكثير مناله، ويؤيد هذا أنه مدحها ببراعة الاستهلال والختام واعتبر كل بيت منها قصيدة.

ولما أخذ الفرنج عكا من المسلمين عنوة فى سابع جمادى الآخرة سنة ٥٨٧هـ (٥) كتب ابن سناء الملك إلى القاضى الفاضل يعزيه فى عكا وكأنها فقيدة غالية يرثيها، ومما كتبه فى ذلك: «إن الداهية التى أعمت وعمت، وأصْمَتْ وأصَمَّتْ، ودهت الإسلام ودهمته، وثغرت ثغرة وهتمته، وأبدت به الأيام اللئيمة من استرجاع العطية ما كانت كسته، فإن رحمة الله قريب، وإن صنع الله عجيب، وإن نصر الله ينتظر، وإن فتح الله يرتقب.

(١) فصوص الفصول، ص١١١، وانظر القصيدة فى ديوان ابن سناء ٢/٥٠٢-٥٠٣.

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١١٢

(٣) السابق، ص ١٠٨ ـ ١٠٩

(٤) ملامح الشخصية المصرية فى الدراسات البيانية فى القرن السابع الهجرى، ص ٣٧٦

(٥) انظر فى ذلك: معجم البلدان ٤/١٤٣-١٤٤، والبداية والنهاية ٨/٤٩٣-٤٩٦.

فلذلك علمنا ما قد قضاه في عكا لا يخلو من حكمة قد بدا لنا فيها أنا ما عرفنا مقدار النعمة بها وقت ملكها، وأننا ما وفينا النعمة حق شكرها، ولا أعطينا تلك العقيلة حق مهرها، فندمنا واستغفرنا، واعتبرنا واستبصرنا، واستيقظنا لشكر الله تعالى على ما بقى من الشام معنا، وعرفنا بها الحزم الذى فاتنا فيها فاستدركناه فيما هو أشرف منها، وتجرعنا عليها كأس حسرة هانت علينا عندها كأس المنية..».

ورسالة التعزية هذه أقرب ما تكون إلى ما يسمى برثاء المدن فالعاطفة فيهاملتهبة، والتجربة واقعية صادقة، والجو مفعم بالحزن والأسى لا يخفف من حدته إلا نزعة دينية قوية آيتها كثرة الاقتباس من آى الذكر الحكيم.

ومن خلال نماذج الرثاء التى قدمت يمكن القول بأن رثاء ابن سناء الملك تتجلى فيه العاطفة الصادقة الحزينة، والكلمات المعبرة، وتعانق الأفكار والمعانى، وجمال التصوير والتشخيص، والثقافة المتنوعة وبخاصة الدينية.

خامساً ـ الغزل:

لم يخلُ كتاب «فصوص الفصول وعقود العقول» من الغزل الذى يمزج فيه بين النثر والشعر كشأنه فى كل الموضوعات تقريبًا.

وله فيه قصائد استهلها بمقدمات غزلية - قد تطول أحيانًا - وهى مقدمات موسيقية توحى بموضوع القصيدة وتهيىء القارىء لمعايشته والإبحار فيه، ويطلق على هذه المقدمات «الغزل التقليدى» لأن الشاعر قلد فيه القدماء فتحدث عن الحبيبة وجمالها، والوصال والهجر، والوشاة. .إلخ «ولكن فى روح مصرية يتجلى فيها الخفة وروعة الافتنان، وحسن السبك»[1]، يظهر ذلك جليا فى مقدمة الفائية التى هنأ بها الملك الناصر بالعافية من مرضه:

نظرَ الحبيبُ إلىَّ من طـــرفٍ خــفِّى ... فأتَى الشفـاءُ لمدنف مـــن مدنِـــفِ
ودنَا فسكَّـنْ نــارَ قلبِـى خــــدُّهُ ... أسمعتُـــمْ ناراً بنـــارٍ تنطفِـــى. [2]

وفى مقدمة قصيدته السينية فى مدح الملك الناصر:

أمجلِسَ لَهْوِى ليس لِى منك مجلسُ ... لأوحشتَ لما غابَ لِى عنكَ مؤنــسُ
وما كان ليلِى فيكَ بالبــدرِ مقمــراً ... ولكنَّهُ من مخجلِ الشمس مشمــسُ
وبى ملك الحسن الذى الجسمُ قصرهُ ... وقلبى لَهُ فى ذلك القصرِ مجلسُ. [3]

وفى مقدمة قصيدته التى اعتذر فيها للقاضى الفاضل:

تذكرتُ أيـــامَ الصبابَـــةَ والصبَـــا ... وعيشا مليحــا بالمليـــحة معجـــبا
وثـــوبُ نعيـــمٍ لا يحـــلُّ لِبَاسُـــهُ ... لـــذى ورع لأنه كـــان مذهبا. [4]

وفى مقدمة قصيدته الرائية:

ألاَ فانتَبه من أفقِهَا طلـعُ الفجـــــرِ ... وحاشَاك نَمْ من وجهِهَا ضحكُ الثغرُ
هو الثغرُ إلاَّ أنَّهُ الصبـــحُ طالعـــًا ... على أنَّهُ الكافـــورُ لكنَّه الـــدرُّ. . .[5]

(١) ابن سناء الملك حياته وشعره ١/ ٨٢.
(٢) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٦٠
(٣) السابق، ص ٦٣
(٤) السابق، ص٧١.
(٥) السابق، ص ٨٢.

وفى مقدمة قصيدته الدالية فى مدح القاضى الفاضل:

لو واصلَتْنِى يومًا لـمْ أمُتْ أبدًا | أو لم تصلْنِى فياموتِى بهَا كَمدَا
لمن أوصِى بميراثِ الغرامِ بهَا | هيهاتَ هيهاتَ لا أرضَى لَهُ أحَدا. [١]

وفى مقدمة قصيدته الرائية:

باتتْ معانقَتِى ولكنْ فى الكَرَى | أتُرَى دَرَى ذاك الرقيبُ بما جرَى
ونعمَ دُرهِى لما رأَى فى بردَتِى | ردْعًا وشَمَّ من الثيابِ العنبرَا. [٢]

ومع هذه المقدمات الغزلية التقليدية عاشت ثلاث مقطعات من الغزل الرقيق الجميل الذى يكاد يذوب فيه رقة وعذوبة. خصصها للغزل فى كفيفة بدافع من مشاعر الإنسانية النبيلة، والحب الصادق، والرحمة والعطف والحنان، كما أن ابن سناء الملك يؤمن بأهمية معايشة الأديب لقضايا مجتمعه..، وقضية ذوى الاحتياجات الخاصة من القضايا التى تحتاج إلى مشاعر إنسانية نبيلة تكون زادًا لهم فى حياة طيبة كحياة الأسوياء وقد تكون هذه الكفيفة التى تغزل فيها ابن سناء بمقطعاته رمزا لهذه القضية وبهذا تكون مصر صاحبة سبق فى هذا الميدان، وليس هذا بغريب على تراثها الدينى والحضارى والأدبى.

وقد أعجب القاضى الفاضل بهذه المقطعات، وأرسل إلى القاضى الرشيد: «وكتاب القاضى السعيد وصل وطيه المقاطيع التى ما سميت بهذا الاسم إلا لانقطاع الخواطر عن مجاراتها والأبيات التى هى أحسن مما استقرت عليه أبيات سلمى وجاراتها، وقرئت إلى أن حفظت، وأوثرت إلى أن أثرت، وعوذت ذلك الخاطر الخطار، المستولى على أمد الخطار فى ذلك المضمار»[٣].

وهذه المقطعات التى نعنى بها فى هذه الكفيفة، هى:

شمسٌ بغيرِ الليلِ لمْ تحجبِ | وفى سوى العينين لمْ تكسفِ
مُغْمَدةُ المُرْهَفِ لكنّهَا | تقتُلُ بالغمدِ بلا مُرْهَفِ
رأيتُ منها الخُلدَ فى جُؤذرٍ | وناظِرِى يعقوبَ فى يوسفِ[٤]

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص١٣٢ ديوان ابن سناء ٢/ ٩١

(٢) السابق، ص١٤٥- ديوان ابن سناء ٢/ ١٥٧

(٣) فصوص الفصول وعقود العقول، ص١٧٦

(٤) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٧٧. ديوان ابن سناء ٢/ ٤١٧.

«وهو يريد أن يصور حسنها، فهى شمس تحجبها غلالة من الليل، شمس أصابها فى عينيها شئ من الكسوف، غير أن نورها من ورائهما يغمر كل ما حولها. ويقول إن جفونهما تطبق عليهما إطباق الغمد على سيفه، ومع ذلك تفتك عيناها بمن يبصرهما ويصبيانه فى قلبه بغمدهما الذى يقتل كما يقتل السيف الباتر، وقد ألمح فى البيت الأخير إلى ذهاب بصر يعقوب فى فراق يوسف وشبه صاحبته الضريرة بيوسف وشبه عينيها بناظرى يعقوب ـ عليهما السلام. . »[1].

وعلق الصفدى على البيت الثالث فى هذه المقطعة قائلاً: «وهذا البيت الثالث ماله فى الحسن وارث، ولقد تلطف فيما تخيل، واختلس رقة المعنى وتحيل»[2].

والمقطعة الثانية هى:

فَتَنَتْنِى مكفوفةُ ناظرَاهَا	كتبَا لِى من الجراحِ أمانَا
فهى لمْ تسْلُلِ الفتورَ حُسَامَا	لا ولمْ تحملْ الفتورَ سنانَا
وهى بكرُ العينين محصنةُ الأجـ	ـفَانِ ما افتضَّ ميلُهَا الأجفانَا
قصرتْ عشقَهَا علىَّ فلمْ تعـ	ـشقْ فلانًا إذ لمْ تعاينْ فُلانَا
لا ولم تبصرْ الرجالَ فتختا	رَ على ملتحيهِم المردَانَا
عميَتْ من هواى وارتحلَ الإنـ	ـسانُ من عينيهَا وأخْلَى المكانَ
علمتْ غيرتِى عليهَا فخافَتْ	أن يسمَّى غيرِى لهَا إنسانَا[3]

وفى هذه الأبيات، يرى ابن سناء الملك أن «فقد صاحبته لبصرها حسنة من حسناتها، إذ لا تصيبه بسهام من لحاظها ولا من فتور نظرها، ويقول إن عينيها طاهرتان كلؤلؤ مكنون، لم يمسهما ميل كحل ولا نظرا إلى شاب، فهى له عاشقة وبه وامقة من دون الشيب والشبان. ويتلطف ابن سناء فيجعل إنسان عينها وسوادها يزايلها حتى تعفيه من الغيرة عليها وحتى لا يكون هناك إنسان سواه يشغلها. . »[4].

(١) فصول فى الشعر ونقده، ص ١٨٨

(٢) الغيث، للصفدى ٢/ ٣٢١.

(٣) فصوص الفصول وعقود العقول، ص١٧٨ ، ديوان ابن سناء ٢/ ٤٥٦

(٤) فصول فى الشعر ونقده، ص ١٨٧

والمقطعة الثالثة، هى:

إنَّ الكمالَ أصابَ فى محبوبتِــى لما أصــابَ بعينِــه عينيْهَــا
زادتْ حلاوتُهَا فصرتَ تخالهَــا وسْنَى وقد لبسَ الكَرَى جفنيْهــا
ولإنْ عَدِمْــتُ السكر من ألحاظِهَا فلقد وجدتُ السكرَ فى شفتيْهَا[1]

يرى ابن سناء أن فقد بصر الكفيفة لم يزدها إلا كمالاً وجمالاً وحسناً «إذ تراها دائماً، وكأنما أخذتها سنة من النوم، ونبع من الخمر بين شفتيها. .»[2]

ومن خلال النماذج السابقة يمكن القول بأن ابن سناء الملك جمع بين القديم والجديد. فالقديم يظهر فى: «استمداده من القدماء، حتى يحتفظ للعروبة بشخصيتها الشعرية، وحتى يرضى النفس المصرية التى لا تقطع صلتها بالأسلاف والتى تشغف بالاعتدال فى كل شىء. .»[3]. ولذا استخدم كثيراً من الألفاظ التى استخدمها القدماء فى الغزل، مثل: الحبيب، الطرف، البدر، القمر، الشمس، الصبابة والصبا، الثغر والخد والدر والرقيب، القامة والطيف، الوصل والبعد والهجر، البين والشجن، والغزال. إلخ وشحنها بمشاعره فكانت ألفاظا سعيدية استطاع بمهارته الفنية الفائقة أن يوظفها لخدمة موضوع القصيدة مما هيأ له حسن الانتقال من المقدمة الغزلية إلى موضوع القصيدة دون عناء يذكر.

لقد كسا هذا التيار القديم فى غزله بثوب موشى بالرقة والعذوبة فى الألفاظ والمعانى التى فاضت بها مشاعره «والرقة ـ من غير شك ـ أساسية فى الروح المصرية وخاصة الروح القاهرية التى تعرف باللين والدماثة والنعومة. .»[4].

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٧٩، ديوان ابن سناء ٢/٤٦٨.
(٢) فصول فى الشعر ونقده، ص ١٨٨
(٣) السابق، ص ١٨٦
(٤) السابق، ص ١٨٦

سادسا ـ الاعتذار:

يعد الاعتذار من أقل الأغراض فى أدب ابن سناء الملك، فجملة محصوله فى هذا الفن مقطعات قليلة، وقصيدة طويلة يمدح فيها القاضى الفاضل ويعتذر له، وقال فى سبب نظمها: «كنت فى سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة قد مضيت إلى زيارة القدس، ثم سرت منه إلى زيارته ـ رحمه الله ـ بدمشق فوجدته مريضاً مدنفاً فى خطة صعبة، وفى حالة مخطرة، فخشيت أن أقيم فيجرى من المحتوم عليه ما لا طاقة لى بمشاهدته فأقمت عنده أياماً قلائل، واعتذرت إليه بأننى وردنى عن أبى ـ رحمه الله ـ خبر مزعج، وحديث مقلق، فأعطانى دستوراً بالعود عن نفس غير طيبة، وكراهة غير خافية. فلما عدت ومنَّ الله بعافيته، كتبت إليه كتاباً ونظمت فيه قصيدة أعتذر فى كل منهما. .»(١).

ويمكن تعليل قلة الاعتذار فى أدب ابن سناء بجملة أسباب، منها: أنه يصدر فى أدبه عن شخصيته المصرية وهى وإن كانت تحب المدح والمبالغة أحيانا إلا أنها تأنف من الاعتذار والاستعطاف لما فى ذلك من تذلل يتنافى مع عزتها وكبريائها، قال ابن سناء:

وياْبَى إبائـِّـى أنْ يرانـِـى قاعـداً ... وإلاَّ أرَى كـلَّ البريـَّـةِ مقـعـداَ
وأظمأُ إن أُبْـدىَ لِى المـاءُ منـةً ... ولو كـان لِى نهرُ المجرةِ مـورداَ
ولو كان إدراكُ الهُـدىَ بتذلـلٍ ... رأيتُ الهُدَى الاَّ أميلَ إلى الهُدَى(٢)

ومنها: مكانته العلمية والسياسية والوظيفية المرموقة، فقد كان وكيلاً للقاضى الفاضل فى مصر، وكاتبا مبرزا فى ديوان الإنشاء وهذا يتطلب نمطًا من السلوك الملتزم والخلق الحميد وفى ظل هذا يقل الاعتذار والاستعطاف.

ومنها: التربية الأسرية الصالحة، والتنشئة الدينية السليمة اللتان تفتحت عيناه عليهما، وغرستا فيه اعتزازه بنفسه، وسمو خلقه، وبعده عما يدفع إلى الاعتذار والاستعطاف.

والقارىء لقصيدة ابن سناء الملك التى اعتذر فيها للقاضى الفاضل يجد أنها تضم ثلاثة أغراض، هى: الغزل والمدح والاعتذار. وقد نجح الشاعر فى توظيف كل غرض منها لخدمة أخيه، وربطه بسابقه ولاحقه مما حقق للقصيدة وحدتها الفنية رغم تعدد أغراضها.

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٧١ ـ ٧٢.
(٢) ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٥٥٩

وجريا على سنة القدماء فى مقدمات قصائدهم استهل قصيدته بمقدمة غزلية، نفث فيها بروحه المصرية وذوقه وملكاته، ورصد فيها تقلبات الحياة بين النعيم والبؤس، والعطاء والمنع، والسعادة والحزن.

قال ابن سناء الملك(١):

تذكــرتُ أيـامَ الصَّبابةِ والصِّـبَا ... وعيشًا مليحـًا بالمليحـةِ مُعجبَـا
وثـوبَ نعيـم لا يحـلُّ لِبَاسُـهُ ... لـذى ورَعٍ لأنـه كـان مُذْهَبَـا
ومذهبة الخديـن يحمـرُّ خَدُّهـا ... ليُجنَى ويجـرى الماءُ مـنه ليُشْرَبا
تقبِّلُنـى عــن قُبلـةِ ألــفَ قبـلةٍ ... وحلَّل فى شرعِ الهوَى ذلك الرِّبـا
أساءتْ بِى الأفلاكُ غارتْ نجومُهَـا ... ولا نزعتْ عن مَلْبسِ الحزنِ غيهبا
ويا ليتَ شعرِى مَنْ لمن اشتكِى لها ... أخاطِبُ ثـورًا أم أُعاتـبُ عَقْرَبَـا
رجعت بها عن حضرةِ العزِّ والعُلاَ ... وحيدًا وقـد كنتُ النَّجِىَّ المقَرَّبـا
نأيتُ فيا شوقـاهُ عن أبيض الجدَا ... وسرتُ فيالهفاهُ عن أخضرِ الرُّبـا

وفى نهاية هذه المقدمة الغزلية مهد ابن سناء الملك المسرح للانتقال من الغزل إلى المدح، وقد ظهر هذا واضحًا فى البيتين الأخيرين، وتم الأمر دون تكلف أو عناء فجاء طبيعياً.

وكما جعل ابن سناء الملك المقدمة الغزلية تمهيدًا للمدح كذلك جعل المدح تمهيداً للاعتذار. فقد مدح القاضى الفاضل بالكرم وقوة الرأى والحكمة والعلم والحلم وشرف المنصب، وكم كان سعيداً بالإقامة فى ظله الوارف، وبما أغدق عليه من نعيم، وبما حظى من ترحيب، وتلبية لمطالبه، فالسعادة لمن يحظى بهذه المكانة والشقاء لمن يحرم منها.

قال ابن سناء الملك(٢):

نأيتُ فيا شوقَاهُ عن أبيضِ الجدَا ... وسرتُ فيالهفاه عن أخضـرِ الربـَا
عن المالكِ الأملاكِ رأيًا وحكمـةً ... وفاضِلِهُمْ علمًا وحلمًا ومنصبـًا

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص: ٧١، ٧٢ [بتصرف]، وديوان ابن سناء ٢/ ٥٣٩.
(٢) السابق، ص: ٧٣ ـ ٧٤ وديوان ابن سناء ٢/ ٥٣٩-٥٤٠.

تجوبُ ملـوكُ الأرضِ أقصى بلادِها … لبابٍ تَراهـا فيهِ حسـرَى ولُغَّبـا
رأيتُهُـم يأتـونَ مـنهُ مُعَظمًـا … وأبصرتُهـم يستأذنُـون المحجَّبـا
يَطْوُونَ بساطًـا فيه للشمسِ منصِبُ … وإنْ كـان فيـهِ للسَّحَائـبِ مسحَبًا
أقمتُ به بيـن البشاشةِ والقِـرَى … وإنْ شئتَ قـل بين المحبةِ والحِبَـا

إلى قوله:

فيا جَذَلِى إذ كنتُ فى الخلدِ حاضراً … ويا أسفِى إذ كنـتُ عـنه مُغَيَّبـا

وخلص من المدح إلى الاعتذار، فقال(١):

بسوءِ اختيارِى كان لِى عنكَ مَذهَبُ … على أنَّ قلبى لم يجدْ عنك مَذْهَبَا
ولولا أبِى ما كان لِى عنكَ مَرْغَب … وكيف أرى عن جنة الخلدِ مَرْغَبَـا

وقال:

رجعتُ أعضُّ الراحتيْن وراحتِـى … إذا ضاق صدرِى أن أبكّى وأندُبَـا
وأطلب بعد البين شمـلاً منظمًـا … فأطلب بعد الصبحِ نجمـا مُغرِبًـا
أمولى الموالـى إننى بقصيدتـى … شكوت لترثى ما شـدوت لتطربا
أقلنِى أقلنِى تبـتُ توبـةَ نـادمٍ … لترضى ولمْ أُذنب بجهلِى لتغضبَا
ولِى طمعٌ فى حسنِ رأيكَ صادقٌ … وما طمعى فى حسنِ رأيك أشْعَبا

وهكذا مزج ابن سناء الملك الاعتذار بالمدح في أسلوب رقيق، يشف عن عاطفة صادقة.

* * *

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٧٥، وديوان ابن سناء ٢/ ٥٤٠-٥٤١.

الفصل الثالث

مساجلات نقدية بين القاضيين

مساجلات نقدية بين القاضى الفاضل وابن سناء الملك

كان للقاضى الفاضل صلة قوية بجد ابن سناء الملك ووالده، ولما آنس فى نجلهما نوراً تعهده وأثراه فكان أبًا روحيًا له، يعلمه ويوجهه ويشجعه وينقد كتابته، إذا رأى فيها ما يدعو إلى ذلك. وهذه حقيقة تتضح حين نعلم أنه كان فى رسائله يلح دائمًا على أن يكتب إليه ابن سناء الملك ـ حين كان القاضى الفاضل فى الشام ـ بآخر ما نظمه. بل يطلب أن يرسل إليه مسودات شعره ليرى ما يجرى فيها من تنقيح وتغيير. يقول ابن سناء الملك: «وكانت عادتى معه ـ رحمه الله ـ أن يطالبنى بالوقوف على مسودات شعرى ونثرى، ويرى ما ضربت عليه وما أثبته، فربما رأى ما ضربت عليه خيرا مما أثبته؛ فيناقشنى فى الحساب، ويطالبنى بالجواب، ويوضح لى وجه الخطأ والصواب. هذه عادتى معه من أول ما أدبنى وعلمنى وهذبنى»[(١)]. ومعنى ذلك أن القاضى الفاضل كان يقوم بدور الناقد.

فقد أرسل ابن سناء الملك إلى القاضى الفاضل رسالة وقصيدة فائية فى تهنئة الملك الناصر بالعافية من مرضه، وأول هذه القصيدة:

نظر الحبيبُ إلىَّ من طرفٍ خفىِّ ... فأتَى الشفاءُ لمدنفٍ من مدنفِ.

فأرسل القاضى الفاضل إلى ولده الأشرف: «تعرف القاضى السعيد وصول كتابه المعطوف على الفائية الوفائية، وقبلها وصلت السينية السنية، وما يرينا من آية إلا هى أكبر من أختها، وما يجلو علينا عروسا إلا وقد جمع بين حسنها وبختها. .»[(٢)].

وكتب ابن سناء قصيدة رائية لتهنئة القاضى الفاضل بالقدوم إلى مصر فلما تأخر أرسلها إليه، ومطلع هذه القصيدة:

الا فانتبهْ من أفقِهَا طلعَ الفجرُ ... وحاشاكَ نَمْ من وجهِهَا ضحكَ الثغرُ

وقرظ القاضى الفاضل هذه القصيدة قائلاً: «وما رأيت أغرب من مطلع هذه القصيدة ولا أدل منه على شطارة طبع، ولا من بيت الكأس المكسورة ولا أدل منه على صلابة نبع

(١) انظر: تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٥٨١، وفصوص الفصول ص ١١

(٢) انظر: فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٥٥ ـ ٦١

ولا من بيت الورق الخضر ولا أدل منه على رقة طبع وشدة نزع. وما غلت هذه الدرة بسفرة ومع معاودة تأملها فإننى أعاود وصفها، وأقتبس من نار نضارها، وأجلى عطفها، وأنفق منها عليها، وأعيد بضاعتها إليها. .»[١].

وكتب ابن سناء الملك قصيدة بائية يهنىء القاضى الفاضل بوصوله إلى القدس متوجهاً إلى مصر، وأول هذه القصيدة:

رأتْ منـــك رائيتـــى ما تحـب وبشـــرَى لها أنهـــا لم تخـِـبْ

أتيتَ فجليــتَ عـــنَّا الهمــومَ وجئتَ ففرجتَ عنَّا الكربْ.

وأثنى القاضى الفاضل على هذه القصيدة ومبدعها قائلاً:

«وما أجدر هذه القصيدة أن تكون كأختها فى الهناء بالأمر غير الواقع وبالوصول إلى مصر ودونه ما شاءت الأقدار من الموانع، وبالجملة إن أهل هذه الصناعة وقفوا خلفا ووقف أمامًا، وأتت السماء بهم دخانا وأتت به غمامًا، وتأخروا وإن تقدموا، وتقدم وإن تأخر، وقصروا وإن سبقوا، وسبق وما قصر. .»[٢].

وأنشأ ابن سناء قصيدة فى مدح القاضى الفاضل مطلعها:

لو واصلتَنِى يومًا لمْ أمتْ أبـــدًا أو لمْ تصلنِى فيا موتِى بهَا كمدَا

فقرظها القاضى الفاضل بقوله: «. هى قصيدة فريدة صارت بعدها القصائد قصداً، وطريقته فيها صارت طرائق البلغاء بعدها طرائق قدداً، وإن قلت إنها نادرة فالنادر رأيت وما بمثلها سمعت على كثرة ما رويت. .»[٣].

ولم يكتف القاضى الفاضل بمدح رسائل تلميذه والثناء عليه ولكنه «كان ينبهه إلى بعض المآخذ، فقد انتقده مرة لأنه استعمل قافية التاء المضمومة: «فأما التائية المرفوعة فلا يقربها ولا يقر بها، فما أعجبتنى لا لأنها غير معجبة بل لأنى أعلم أن الله لو حشر الأولين والآخرين ما قدروا أن يكملوا هذه القصيدة من ذلك الجنس، ولا أحاشى من ذلك الكرام

(١) انظر «فصوص الفصول وعقود العقول» ص: ٧٨ ـ ٨١.

(٢) السابق، ص ٨٦.

(٣) السابق، ص: ١٣٠ ـ ١٣٥

الكاتبين، فضلا عن الإنس، وإذا كانت لا تدرك فلتترك..»[١] وانتقده مرة أخرى لأنه أورد في قصيدة سينية كلمة«الكنس» في قوله:

صليني وهذا الحسن باقٍ فربما ... يعزلُ بيتُ الوجهِ منهُ ويُكنَسُ

وقال له: «وبيت يعزل ويكنس أردت أن أكنسه من القصيدة لأن لفظة الكنس غير لائقة بمكانها أصلاً»[٢].

ورد عليه ابن سناء الملك قال: «وعلم المملوك ما نبهه عليه مولانا من البيت الذى أراد أن يكنسه من القصيدة، وهو: صليني وقد كان المملوك مشغوفاً بهذا البيت، مستحليًا له، متعجبا منه معجبا به، معتقداً أنه قد ملح فيه، وأن قافيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه. ثم يكشف ابن سناء الملك عن أن هواه الفنى مع ابن المعتز، يقلده ويحتذيه: وما أوقعه فى الكنس إلا ابن المعتز فى قوله فإنه قال فى قصيدته المشهورة:

وقوامي مثل القناةِ من الخـط ... ـطِّ وخدِّى من لحيتى مكنوسُ

والمولى يعلم أن المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويتعثر ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر وما آمن المملوك به سدى ولا آنس ناره إلا لما وجد عندها هدًى ولا مال المملوك إلا إلى طريق من ميله إليه طبعه ولا سار قلبه إلا إلى من دله عليه سمعه «وإن أبا عبادة البحترى لا يدرك شاوه «ورأى المملوك أبا عبادة قد قال:

ويا عاذلِى فى عبرةٍ قد سفحتُهَا ... لبينٍ وأخرَى قبلَها للتجنُّـــبِ

تحاول منِّى شيمةً غير شيمَتِــى ... وتطلبُ منِّى مذهبًا غير مذهبِى

وقد قال:

وما زارَنِى إلا ولِهـــتُ صبابةً ... إليهِ، وإلا قلتُ: أهلاً ومرحبَا

فعلم المملوك أن هذه طريق لا تسلك وعقيلة لا تملك، وغاية لا تدرك، ووجد أبا تمام قد قال:

خشِنَتْ عليهِ أختُ بنى خُشَين

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص: ٩٩.

(٢) السابق: ص: ٩٩

وقد قال:

سلِّم على الربَّع من سلمَى بذِى سلَمِ

فاشمأز من هذا النمط طبعه واقشعر منه فهمه، وكان سمعه يتجرعه ولا يكاد يسيغه» ويخلص ابن سناء من حديثه الذوقى إلى أن سبيله الفنى هو سبيل ابن المعتز: «ووجد هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز قد قال:

وقفتُ بالروضِ أبكِى فقْدَ مشبهِهُ ... حتى بكَتْ بدموعِى أعينُ الزهـرِ

لو لمْ أعرهَا دموعَ العينِ تسفحُهَا ... لرحمتِى لاستعارتهـا من المطـرِ

وقد قال:

قدُّكِ غصنٌ لا شـك فيه كمـا ... وجهُكِ شمسٌ نهارُهَـا جـسدُكِ

فوجد المملوك طبعه إلى هذا النمط مائلا، وخاطره فى بعض الأحيان عليه سائلا فنسج على ذلك الأسلوب وغلب خاطره عليه مع علمه أنه المغلوب، وحبك الشىء يعمى ويصم..»[١].

يتضح مما سبق موقف ابن سناء الملك من فن ابن المعتز والبحترى وأبى تمام. فذوقه يرتضى فن ابن المعتز زعيم التشبيه فى العصر العباسى فهما يتشابهان فى نضج الموهبة، وسعة الثقافة، ورهافة المشاعر، وخصوبة الذهن، ورجاحة العقل، وترف الحياة، وحب الجمال، وروعة التشبيه الحسى، ورغم هذا التشابه فلكل منهما بصماته الأسلوبية التى تميزه عن الآخر. ويعترف ابن سناء بأن أبا عبادة البحترى لا يدرك شأوه لتفوقه الكبير فهو صاحب الشعر الذى سمى «سلاسل الذهب» لعذوبته وجماله. وبأن ذوقه نبا عن تكلف أبى تمام فى التجنيس القبيح كما فى قوله: خشنت عليه. وسلم على الربع...»

أما رأى القاضى الفاضل فى فن هؤلاء الثلاثة فهو مخالف لرأى ابن سناء، ويتضح رأى القاضى الفاضل من قوله: «ولا حجة للقاضى السعيد فيما احتج به عن الكنس فى بيت ابن المعتز، فإنه غير معصوم من الغلط، ولا يقلد المرء إلا فى الصواب فقط، وقد علم ما

---

(١) ملامح الشخصية المصرية فى الدراسات البيانية فى القرن السابع الهجرى، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ وانظر: فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٩٩ ـ ١٠٣

ذكره ابن رشيق فى العمدة من تهافت طبعه وتباين وضعه، فذكر من محاسنه ما لا يغلق معه كتاب، ومن بارده وغثه مالا يلبس عليه الثياب»[١]، ويرى القاضى الفاضل أن ابن المعتز كان متكئا على ذى الرمة يأخذ تشبيهاته «فما ترك له تشبيهًا إلا نقله وصقله واستعمله واستنزله، وروجه ورندجه وخرجه وضرجه ولو تؤمل شعر ذى الرمة لخرج منه ما قاله برمته وعرف أنه غال غيلان فغار على بنات فكرته فكأن ابن المعتز يخلع من ملك البلاغة خلعه من ملك الخلافة. . .»[٢].

ويدفع القاضى الفاضل عن ابن سناء الملك ما قد يتوهمه البعض من تبعيته لابن المعتز، فيقول إنه «ما استأنس إلا بنفسه. ولا أخرج إلا من كيس فكره النقود التى تباع بها القلوب وتشترى. .»[٣]، ورغم ذلك انتقد القاضى الفاضل موقف ابن سناء من الطائيين: أبى تمام والبحترى يفهم هذا من قوله: «وقد تعصب القاضى السعيد على أبى تمام فنقصه وحطه وللبحترى فأعطاه أكثر من حقه، وما أنصفهما. .»[٤].

ورأى عاشق التراث، أى: القاضى الفاضل، تلميذه ابن سناء الملك قد أطاعته أنواع البلاغة فاهتدى، وجهه إلى عمل مختار من شعر ابن الرومى وبدأ بحرف الألف وتوقف وأرسل إليه القاضى الفاضل يذكره بما بدأه، فأرسل إليه ابن سناء معتذرًا عن إتمامه معللاً ذلك بالتفاوت فى شعره قال ابن سناء: «فأما ما أمر به المولَى فى شعر ابن الرومى فما المملوك من أهل اختياره، ولا من الغواصين الذين يستخرجون الدر من بحاره؛ لأن بحاره زخارة، وأسوده زآره، ومعدن تبره مردوم بالحجارة، وعلى كل عقيلة منه ألف نقاب بل ألف ستارة، يطمع ويؤيس، ويوحش ويؤنس، وينير ويظلم، ويصبح ويعتم، ويواصل ويصرم بين شذرة وبعرة، ودرة وآجرة، وقبلة بجانبها لسبة، وحرة بجوارها قحبة. . . .»[٥].

وقد خلا الكتاب من رد فعل القاضى الفاضل تجاه نقد ابن سناء الملك لشعر ابن

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص: ١٠٦

(٢) السابق، ص: ٧٩ ـ ٨٠.

(٣) السابق، ص: ٨٠.

(٤) السابق، ص: ١٠٦

(٥) السابق، ص: ١١٤

الرومى، ربما لأن ابن سناء لم يكمل الاختيار من شعر ابن الرومى، أو أن القاضى الفاضل قد رد ولم يدون رده لفقده أثناء تدوين الكتاب، أو دون وسقط من الناسخ. والله أعلم.

وفى الكتاب مساجلة نقدية أخرى بين المعلم وتلميذه حول شعر ابن رشيق فقد وجه القاضى الفاضل ابن سناء الملك إلى عمل مختار من شعر ابن رشيق فأنجز ما كُلِّف به، وأرسله إليه معلنا عن رأيه فى شعر ابن رشيق، فهو يرى أنه منهوب من شعر ابن المعتز والمتنبى نهبًا قبيحًا باستثناء معانٍ قليلة جيدة لعلها من مبتكرات ابن رشيق، ودون شواهد من منهوباته ومبتكراته. وإذا كان ابن سناء يهاجم ابن رشيق فإن القاضى الفاضل يثنى عليه ويفضله.

قال ابن سناء الملك: «ما رأى المملوك أعجب من شعر ابن رشيق، ولا أطرف من شعره، ولا أخلط منه بدرة لبعرة، ولو لم يخلق الله تعالى ابن المعتز والمتنبى لما كان ابن رشيق يعرف الشعر فضلاً عن أن ينظمه، ولا أن يعلمه. وهو ينهب أشعار هذين الرجلين نهبا قبيحًا ولا سيما ابن المعتز فمن أنموذج نهبه من ابن المعتز، قال ابن المعتز:

«يمضِى بموجٍ ويجِى ببـــدرِ»

فقال ابن رشيق:

«يذهبُ موجًا ويجىءُ بدرًا»

وقال المتنبى:

يهزُّ الجيـشُ حولـــك جانبيـهِ كما نفضَتْ جناحيْهَا العقُـــابُ

فقال ابن رشيق:

والجيشُ ينفضُ حوليْـــهِ أسنَّتَـهُ نفضَ العُقابِ جناحيْهَا من البلَلِ

وقال المتنبى:

سترتكَ الحجالُ عنـــهَا ولكـــنْ بـــكَ منهَا من اللّمَـــى تقبيـــلُ

فقال ابن رشيق:

وكأنه مـــن حـــوَّةٍ واللّمَـــــى قـد قبَّلتْهُ الشـــمسُ فى فـــمِهِ(١)

(١) انظر: فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٢٣٩

ويُعجبُ ابن سناء بأبيات لابن رشيق لما فيها من صورة جديدة أو فكرة مبتكرة ولكنه إعجاب ممزوج بالشك فى نسبتها إليه، قال ابن سناء(١)، «وجميع المنهاج من شعره فى هذا النمط سوى موضعين أو ثلاثة، قد حيرت المملوك استحسانا لها، وتعجبا منها، وأتعبته تفتيشا وتنقيبا عليها، ولم يعرف من أين اختطفها، ولا من أى روضة اقتطفها، وهنيئا له إن كان خاطره افترعها، والبشرى له إن كان ذهنه اخترعها، فمنها قوله:

* كأنّما الصــبحُ الــذى تفــراً *

* ضمَّ إلى الشرقِ النجومَ الزهـراَ.*

* فاختلطَتْ فيه فصــار فجـــراَ *

وسر إعجابه بهذا الرجز ما فيه من فكرة جديدة كوصف الصباح بأنه تَجَمُّعُ النجومِ وقوله:

ومــا ثقلَــتْ كِبــراً وَطْأتــى ... ولكنْ جــررتُ ورائى السنينَــا

وسر إعجابه بهذا البيت فكرته المبتكرة فهو يفسر سير العجوز بجر سنين العمر وراءه.

وقوله فى الثريا:

كأنَّــهَا كــأسٌ بلــورةٌ منبتــةٌ ... أو نرجسُ فى يدِ النُّدمَان قد ذُبُلا

ومصدر إعجابه بهذا البيت ما فيه من صورة جديدة هى تنبيت الكأس تشبيها للثريا بها.

وقوله:

سألتُ الأرضَ لِمَ كانتْ مصـلًى ... ولمَ صارتْ لنَا طُهــراً وطيبــا

فقالــتْ غيرُ ناطقـــةٍ لأنّــى ... حويــتُ لكـلِّ إنســانٍ حبيبَــا

ومصدر إعجابه بالبيتين أنهما يحملان فكرة جديدة فالأرض طاهرة لأنها تشتمل على حبيب لكل إنسان.

أما القاضى الفاضل فيرى أن ابن رشيق: «أكتب من كل من يقرأ كتابه، وأشعر من كل

---

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

من يختار شعره. . »[١]، ولم أعثر في الكتاب على تعليل أو سبب بَدَّر به القاضى الفاضل رؤيته لشعر ابن رشيق اللهم إلا الذوق الفنى. «ومنذ شب ابن سناء الملك كانت مثله الفنية في الكتابة أعلامًا ثلاثة هم: أبو حيان التوحيدى وابن العميد، والوزير أبو القاسم المغربى، إلى أن وقع على كتاب الحيوان للجاحظ، فكان له رأى آخر فيهم فجميعهم يصدر عن فن الجاحظ، وإذًا فالجاحظ عليهم مقدم وعلى فنهم مصدر. . . »[٢]، قال ابن سناء: «وقد اختار المملوك كتاب الحيوان، وترجم المختار منه بروح الحيوان، وكل كتاب بعده جماد، وهو كنز البلاغة الذى ماله من نفاد والبحر الذى لا ينزف ولا ينزح.

ومن بركة هذا الكتاب على المملوك أنه أراحه من ثلاثة كانوا عنده آباء فى البراعة واللسن، وكان يسبحهم بكرة وعشيا فى السر والعلن، أولهم أبو الفضل بن العميد، وثانيهم أبو حيان التوحيدى وثالثهم الوزير أبو القاسم المغربى. ولم يزل من الدعاة إليهم، ومن الغلاة فيهم إلى أن هتك الله أستارهم بهذا الكتاب، وعلم أنهم كانوا ذعاراً يشنون عليه الغارة ولصوصاً قد ألحوا على تلك الحارة، وشلوحا على كتف كل واحد منهم كارة. . »[٣]

«ولكن الأمر أمر ذوق فنى، لذا نجد للقاضى الفاضل رأيًا آخر فى الجاحظ، فكما أن أبا حيان وابن العميد والوزير المغربى قد استمدوا بلاغتهم من بلاغة الجاحظ، فإن الجاحظ ـ فى رأى الفاضل ـ قد يكون صدر عن بلاغات أقوام نعرفهم بأسمائهم وإن فقد نتاجهم. يقول: «وحال الجاحظ مع من قبله فيما أخذ منهم، كحال الجاحظ مع من بعده فيما أخذوا منه، فإنه تفسح فى أقوال أقوام لعل منهم من لم يبلغنا اسمه ـ فضلا عمن بلغنا ـ ولم تدون لنا كتبه. وخطباء العرب جاهليها وإسلاميها ومخضرمو دولتها ممن قد دل عليه كتاب البيان وقرونًا بين ذلك كثيراً وإذا رأيت أدبهم رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا وإذا تأملت ما عملوا رأيت عقدًا منظومًا، وإذا تأملت ما عمل الجاحظ رأيت هباء منثورًا. فكان حاله معهم كحالة الثلاثة الذين كانت الحضرة السعيدية تشهد لهم فصارت تشهد عليهم، فقد صاروا عندها فى حبس البلغاء. . »[٤].

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٢٥١

(٢) ملامح الشخصية المصرية فى الدراسات البيانية فى القرن السابع الهجرى، ص ٣٧٣.

(٣) انظر: فصوص الفصول وعقود العقول، ص: ٢٢٢ ـ ٢٥٣ [بتصرف].

(٤) ملامح الشخصية المصرية فى الدراسات البيانية، ص: ٢٧٣-٢٧٤ وانظر: فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٢١٥ـ ٢٢١

الباب الثالث

السمات الفنية العامة فى رسائل الكتاب

الفصل الأول

البناء الفني والخصائص الأسلوبية

افتتاحيات رسائل الكتاب وخواتيمها

احتل القاضى الفاضل وابن سناء الملك منزلة سامية فى الكتابة الفنية، فالأول إليه انتهت صناعة الكتابة، والثانى مارُئىَ أحسن من نظمه إلا نثره. وقد عد ابن الأثير الافتتاح الجيد ركنا من أركان الكتابة، واشترط «أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة؛ فإن الكاتب من أجاد المطلع والمقطع، أو يكون مبنيا على مقصد الكتاب. .»(١)، وعلل ابن الأثير ذلك بقوله: «وإنما خصصت الابتداءات بالاختيار لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام، فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعى على استماعه. . .»(٢).

ويرجع القلقشندى حسن الافتتاح فى المكاتبات إلى معنيين:

المعنى الأول ـ أن يكون الحسن فيه راجعا إلى المبتدأ به. إما بالافتتاح بالحمد لله. . ، أو بالسلام الذى جعله الشارع مفتتح الخطاب. وإما بالافتتاح بما فيه تعظيم المكتوب إليه.

المعنى الثانى ـ أن يكون الحسن فيه راجعًا إلى ما يوجب التحسين: من سهولة اللفظ، وصحة السبك، ووضوح المعنى، وتجنب الحشو. .»(٣).

وعن حسن الافتتاح قال القاضى الفاضل فى سياق تقريظه لرسالة لابن سناء الملك: «ورأيت مطالع القصائد فرأيتها مطالع سعيدية سعيدة، ومبادئ كعواقب حميدة، وفواتح حسن كل بيت منها قصيدة.»(٤)

وأما الانتهاء فهو قاعدة الكلام وآخر ما يبقى منه فى الأسماع وسبيله أن يكون محكمًا لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتى بعده أحسن منه. وإذا كان أول الكلام مفتاحًا له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه(٥)

ونقل الدكتور على إبراهيم أبو زيد عن حازم القرطاجنى فى منهاج البلغاء [ص ٣٥٩]

(١) المثل السائر ١/ ٨٧.

(٢) السابق ٢/ ٢٢٤

(٣) صبح الأعشى ٦/ ٢٦٣، ٢٦٤.

(٤) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٠٧

(٥) العمدة لابن رشيق: ١/ ٢١١

قوله: «وينبغى أن يكون الختام بمعان سارة فيما قصد به التهانى والمديح، وبمعان مؤاسية فيما قصد به التعازى والرثاء»[1].

وبتطبيق ما سبق على رسائل كتاب فصوص الفصول وعقود العقول اتضح ما يأتى :-

أولاً ـ الافتتاحيات :

أحيانًا تفتتح الرسالة بالإعلام، كرسالة القاضى الفاضل فى تقريظ قصيدتى ابن سناء: الفائية والسينية: «تعرف القاضى السعيد وصول كتابه المعطوف على الفائية. .»[2]، ورسالته: «وعرفت مرض حضرة القاضى السعيد واستدفعت الله البلاء عن جسمها وقلبها. .»[3]، ورسالته: «تعرف شيخك القاضى السعيد وصول كتابه. .»[4]

وأحياناً كانت تفتتح بذكر الكتاب، مثل: «ووقفتُ على الكتاب السعيدى. .»[5]، و«ورد من القاضى السعيد، ورد كتاب القاضى، وردنى كتاب من. .»[6].

وأحيانًا تفتتح بقوله: «وصل الدرج، وصل الموشح، وصل كتاب القاضى، وصلت القصيدة، وصل ما تفضلت به. وكان وصلنى. . .»[7].

وأحياناً تبدأ بلقب المرسل إليه، مثل «وكان القاضى السعيد، القاضيان: الوالد والولد، والقاضى السعيد. .»(٨)

وأحياناً تبدأ بأمّا، مثل: «وأما اعتذارك، وأما كتاب. .، وأما دخولها، وأما اختيار القاضى، وأما شعر ابن رشيق. .»[9].

مما سبق يتضح أن الافتتاحيات متباينة حسب طبيعة موضوع الرسالة.

---

(١) رسائل ابن أبى الشخباء الإخوانية، ص ٩٤

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٥٥.

(٣) السابق، ص ١٣٩

(٤) السابق، ص ١٨٠

(٥) السابق: ٧٦، ٧ ١، ١٣٧، ١٥٠، ٢٤٠

(٦) السابق: ١١٥، ١٢٨، ١٥٣، ٢٥٢

(٧) السابق: ٨٦، ١١٨، ١٤١، ١٥٦، ١٦٣، ١٦٨، ٢١١، ٢٥٤، ٢٦٣

(٨) السابق: ١١٢، ١٤٠، ١٧٨، ١٨٦، ١٩١، ٢٣٥

(٩) السابق: ٦٧، ٩٧، ١٢٢، ١٣٥، ١٨٢، ٢١٩، ٢٤١

ثانيًا ـ خواتيم الرسائل:

«وخواتيم الرسائل يدل على مقدرة الكاتب على انتقاء ألفاظه المعبرة عن الختام، واختيار العبارات التى تشعر بالنهاية وبقرب تمام الكلام، وتشعر بأن الفكرة أضحت ليست فى حاجة إلى توضيح آخر. .)[1].

١ـ كانت بعض رسائل الكتاب تختتم بألفاظ تشعر بالنهاية، مثل: «ونقف حيث انتهينا من الوصف الذى ينفد للمحاسن التى لا تنفد. .»[2]، ومثل: «وهذا فصل لا ينتهى أو ينتهى عنه. .»[3].

٢ـ ختمت بعض الرسائل بالدعاء، مثل: «والله يحسن به الإمتاع، ويسر به الأبصار كما سر ببيانه الأسماع.»[4]، ومثل: «والله تعالى يقر به العيون، ويرزقه الزمان المأمون»[5].

٣ـ ختمت بعض الرسائل بالقرآن الكريم، مثل: «فَاللَّهُ خَيْرٌ حافظاً وهو أرحمُ الراحمين»[6].

٤ـ ختمت بعض الرسائل بالنظم، مثل:

والله في كلِّ يومٍ محدثُ شأنًا[7]

وختمت رسالة ببيت لأبى تمام [ديوانه ٣/ ٢٧٣]:

والحادثاتُ وإنْ أصابكَ بؤسُهَا فهو الذى أدراكَ كيفَ نعيمُهَا[8]

وختمت ثالثة ببيت للمتنبى: [ديوانه ٢/ ١٤]

فسار بها من لا يسير مُشمراً وغنَّى بها مَنْ لا يغنِّى مغرداً[9]

وختمت رابعة بعجز بيت لأرطاة بن سهية:

«وفى غيرِ مَنْ قدْ وارت الأرضُ فاطمعِ»[10]

(١) رسائل ابن أبى الشخباء الإخوانية، ص ٩٤.
(٢) فصوص الفصول وعقود العقول، ص: ٥٩.
(٣) السابق، ص : ٨١.
(٤) السابق، ص : ٩٣.
(٥) السابق، ص : ١٦٨
(٦) السابق، ص : ١٤
(٧) السابق، ص : ١٣٠
(٨) السابق، ص : ١٥١
(٩) السابق، ص : ١٥٥
(١٠) السابق، ص : ٢١٢

القرآن الكريم فى رسائل الكتاب

حفظ القاضيان: ابن سناء الملك والقاضى الفاضل القرآن الكريم فى سن مبكرة من حياتهما، وكان لهذا أبلغ الأثر على أسلوبهما الذى ازدان بآى القرآن الكريم وكلماته ومعانيه شأنهما فى ذلك شأن غيرهما من الكتاب المبرزين الذين تتلمذوا على مائدة القرآن الكريم، ونهلوا من كنز بلاغته. ولهذا جعل العلماء حفظ القرآن الكريم من أهم أدوات صناعة الكتابة، لاحتياج الكاتب إليه فى كتابته. جاء فى صبح الأعشى: «قال فى حسن التوسل»: ولابد للكاتب من حفظ كتاب الله تعالى، وإدامة قراءته، وملازمة درسه، وتدبر معانيه، حتى لا يزال مصورا فى فكره، دائرًا على لسانه، ممثلاً فى قلبه ليكون ذاكرًا له فى كلامه وكل ما يرد عليه من الوقائع التى يحتاج إلى الاستشهاد به فيها، ويفتقر إلى قيام قواطع الأدلة عليها. .»[١]

«وقد اختلف فى جواز الاستشهاد وبالقرآن الكريم فى المكاتبات ونحوها: فذهب أكثر العلماء إلى جواز ذلك ما لم يُحَلْ عن لفظه ولم يتغير معناه. وقد ثبت أن الرسول ﷺ استشهد بالقرآن الكريم فى بعض كتبه وكذلك استشهد به الصحابة والتابعون. ولم يزل العلماء وفضلاء الكتاب يستشهدون بالقرآن الكريم فى مكاتباتهم فى القديم والحديث من غير نكير؛ وذلك كله دليل الجواز ونقل عن الحسن البصرى ما يدل على كراهة ذلك.
وذهب بعضهم إلى أن كل ما أراد الله به نفسه لا يجوز الاستشهاد به إلا فيما يضاف إلى الله سبحانه وتعالى. .»[٢]

لقد دأب كتاب المسلمين على تحلية كتاباتهم بتضمينها بعض آى القرآن الكريم. وهذا التضمين ينقسم عند أهل البلاغة إلى قسمين:

«أحدهما ـ الاستشهاد بالقرآن الكريم، وهو أقلهما وقوعاً فى الكلام ودورانًا فى الاستعمال؛ وهو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن الكريم، وينبه عليه. .»[٣] بمثل: قال الله

(١) صبح الأعشى ١/ ٢٢٨

(٢) السابق ١/ ٢٢٩، ٢٣٠ [بتصرف].

(٣) السابق ١/ ٢٣٤

تعالى، قال الله عز وجل، قال عز اسمه، قلت وأنت أصدق القائلين، قال جل ثناؤه، وهم يسمعون. ، فحسن أن يتلى. إلخ.

الثاني ـ الاقتباس، وهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن، ولا ينبه عليه. .(١).

وبتطبيق ما سبق على رسائل كتاب «فصوص الفصول وعقود العقول» تبين أن النوع الأول لم يرد إلا في رسالة لابن سناء الملك في قوله: فيتلى: [ثم انصرفوا](٢)، وإن النوع الثاني ـ الاقتباس ـ شائع بكثرة في رسائل الكتاب في الأماكن التي تتفق ومعانيه ـ وهي كثيرة ـ ومنها : ما أودعه ابن سناء في مقدمة الكتاب، مثل: وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون، قل بفضل الله وبرحمته، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون، النبى الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته(٣)، وقال صوابًا(٤)، يتجرعه ولا يكاد يسيغه(٥)، يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار(٦)، حزب الله هم الغالبون، وما كان الله ليضيع إيمانكم، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا، وعد الله ولا يخلف الله وعده، لا يغرنك تقلب الذين كفروا. (٧)، إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون(٨).

ويلاحظ على اقتباسات ابن سناء الملك من القرآن الكريم أنه كان يقتبس الآية أو جزءاً منها أو بعض كلماتها أو معناها طبقاً لما يتطلبه سياق الكلام. وأحيانًا كان يقتبس آية من سورة ويعقبها بآية أو جزء آية من سورة أخرى ويجعلهما في عقد معنوى واحد وهذا يدل على براعته وقدرته البيانية. لكن هذه البراعة لم تعصمه من الخطأ أحياناً ـ فهو من سمات البشر ـ وقد ظهر هذا الخطأ عندما اقتبس قوله تعالى: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ في سياق وصفه للأشرف أحمد بن القاضي الفاضل، فهذه الآية تتحدث عن صفة من

---

(١) صبح الأعشى ١/ ٢٣٧

(٢) ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ سورة التوبة ٩/ ١٢٧، فصوص الفصول، ص ١٦٢

(٣) انظر مقدمة ابن سناء لكتاب فصوص الفصول وعقود العقول، ص: ٤٢ وما بعدها.

(٤) فصوص الفصول وعقود العقول، ص: ٨٧.

(٥) السابق، ص : ١٠

(٦) السابق، ص : ١١٧

(٧) السابق، ص : ١٥٨ وما بعدها.

(٨) السابق، ص : ٢٣٨

صفات الذات الإلهية هى صفة النور المطلق وهى من الآيات التى لا يجوز الاستشهاد بها إلا للذات الإلهية.

أما القاضى الفاضل فكان أكثر ـ من ابن سناء الملك ـ اقتباسًا من آى القرآن الكريم؛ لأن رسائله الجوابية كانت نثرية أما رسائل ابن سناء الملك إليه فكانت فى معظمها شعرية، وكان القاضى الفاضل إمام مدرسة فى فن الكتابة لها طلابها وعشاقها فلابد أن يقدم نماذج بليغة شامخة تحتذى وأفضلها ما كان موشحًا بآى القرآن الكريم.

وفيما يلى نماذج من اقتباسات القاضى الفاضل من آى الذكر الحكيم ومن يرد المزيد فليرجع إلى رسائله فى كتاب «فصوص الفصول وعقود العقول» ومن هذه النماذج: وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها، أكثر نفيرًا. ، لبعض ظهيرًا، أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون، يا سماء أقلعى ويا أرض ابلعى والتقى الماء على أمر قد قدر، ولسان صدق فى الآخرين، طرائق قِدداً، والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين. إلخ.

الأحاديث الشريفة فى رسائل الكتاب

جاء فى صبح الأعشى أنه: «لابد للكاتب من حفظ الكثير من الأحاديث النبوية، والآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم؛ وخصوصًا فى السير،والمغازى، والأحكام؛ وتَأمُّلِ فصاحتها، والنظر فى معرفة معانيها وغريبها، وفقه ما لابد من معرفته من أحكامها، لينفق منها على سعة، ويستشهد بكل شئ فى موضعه، ويحتج بمكان الحجة، ويستدل بموضع الدليل، ويتصرف عن علم بموضوع اللفظ ومعناه، ويبنى كلامه على أصل لا يزلزل، ويسوق مقاصده إلى سبيل لا يضل عنه، فإن الدليل على المقصد إذا استند إلى النص قويت فيه الحجة، وسلم له الخصم، وأذعن له المعاند؛ والفصاحة والبلاغة إذا طلبت غايتها فإنها بعد كتاب الله فى كلام من أوتى جوامع الكلم وقال: «أنا أفصح من نطق بالضاد»[1].

يستخدم الكُتَّاب الحديث فى كتاباتهم على وجهين، الأول: الاستشهاد وهو أن يضمن الكلام شيئاً من الحديث وينبه عليه. الثانى: الاقتباس وهو أن يضمن الكلام شيئا من الحديث ولا ينبه عليه.

(١) صبح الأعشى ١/ ٢٤٣

والنظر في نصوص كتاب «فصوص الفصول وعقود العقول» تبين أن القاضيين كانا يقتبسان من الحديث الشريف ما يناسب المعنى المراد، وتبين أن ابن سناء الملك كان أكثر اقتباسا من أستاذه القاضي الفاضل. وقد أثبتُّ نصوص الأحاديث الشريفة التى اقتبسا منها فى هوامش النص المحقق، وجمعتها مرتبة فى فهرس الأحاديث.

توظيف الأمثال فى رسائل الكتاب

من طبيعة المثل أن يأتى فى كلمات قليلة. غير أنه يحمل كثيرًا من المعانى، ويستثير كثيرًا من الإيحاءات، ويشى بكثير من الظلال، ويجسد كثيرًا من التجارب والخبرات الإنسانية العامة. ولقد شغف العرب بهذا اللون من القول فشاع فى كلامهم وكثر فى تراثهم. [١]، منثورًا ومنظومًا. ولهذا اعتبرت «الأمثال مرآة تنعكس عليها عادات الشعوب وسلوكها وأخلاقها وتقاليدها، وهى معين لا ينضب، لمن يريد دراسة المجتمع، أو اللغة، أو العادات الشعبية عند أمة من الأمم. وها هو ابن عبد ربه يصفها فى كتابه: العقد الفريد [٣/ ٦٣] بأنها «وشى الكلام، وجوهر اللفظ، وحلى المعانى، والتى تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها فى كل زمان، وعلى كل لسان، فهى أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسرِ شىء مسيرها ولاعم عمومها، حتى قيل: أسير من مثل. وقد ضرب الله عز وجل الأمثال فى كتابه، وضربها رسول الله ﷺ فى كلامه. »[٢]، «وفضلها على الشعر، فى صدق دلالتها على لغة الشعب، لكونها تنبع من مختلف طبقاته، أما الشعر فينبع من طبقة الشعراء، ولهذا سماها بعضهم: [صوت الشعب][٣].

وإذا كان الكاتب مطالبًا بحفظ القرآن الكريم، والحديث الشريف، وجيد الشعر فإنه مطالب بحفظ الأمثال «فإذا أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الأمثال السائغ استعمالها، انقادت إليه معانيها، وسيقت إليه ألفاظها، فى وقت الاحتياج إلى نظائرها من الوقائع والأحوال، فأودعها فى مكانها، واستشهد بها فى موضعها، والطريق فى استعمالها فى

---

(١) انظر: نثر أبى العلاء المعرى دراسة فنية، دكتور صلاح رزق- ص٠ ٢

(٢) انظر: مقدمة الدكتور رمضان عبد التواب لكتاب الأمثال لأبى فيد مؤرج بن عمرو السدوسى ص ٥.

(٣) انظر: الأمثال فى الحديث النبوى الشريف، ص ٣٨.

النثر، كما فى حل الأشعار واستعمالها؛ إلا أن الأمثال لا يجوز تبديل ألفاظها، ولا تغيير أوضاعها: لأنها بذلك قد عرفت واشتهرت»[١].

ومن خلال معايشتى لكتاب «فصوص الفصول وعقود العقول» تبين لى ما يأتى:

أولاً - قلة الأمثال فى نصوص الكتاب؛ ربما لأن طبيعة موضوعات الكتاب كانت أكثر احتياجًا إلى الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف وجيد أشعار العرب.

ثانيًا - هذه الأمثال القليلة التى وظفت فى رسائل الكتاب كانت واضحة ومناسبة لما سيقت له.

ثالثًا - من هذه الأمثال ما هو منثور مثل: حبك الشئ ويعمى ويصم، لا ناقة لى فيه ولاجمل، قد تمنى المليحة بالطلاق، رب ساعٍ لقاعد ومنها ما جاء منظوماً، مثل: «جرى الوادى فطم على القرى».

و أوردها سعد وسعد مشتمل

يا سعد لا تروى بذياك الإبل

أو كان نثراً وجاء فى سياق النظم كقول ابن سناء الملك:

خذْ حديثى فإنَّ أعظم ما بى شجنٌ منكَ والحديثُ شجون

فقد ضمن بيته المثل العربى «الحديث ذو شجون»[٢].

رابعًا - أحيانًا كان المثل يستخدم مع شىء من التغيير، فالمثل العربى «عند الصباح يحمد القوم السرى»

استخدمه ابن سناء الملك مع شىء من التغيير كما فى قوله:

آنستُ نـارَ الخــدِّ لا نــار القِــرَى وحمدتُ صبحَ الثغرِ لا صبحَ السرَى[٣]

(١) صبح الأعشى ١/٣٥٣، ٣٥٤

(٢) انظر: فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٢٥٦

(٣) السابق، ص ١٤٥

توظيف الشعر فى رسائل الكتاب

كان ابن سناء الملك والقاضى الفاضل شاعرين كبيرين، وكاتبين مبرزين من كتاب الإنشاء فى مصر فى العصر الأيوبى، والشئ من معدنه لا يستغرب. وكان حفظ جيد شعر العرب يمثل المادة الثالثة الثرية للكتابة بعد القرآن الكريم والحديث الشريف. والكاتب مطالب بسبر أغوار هذه الأشعار، وفهم معانيها، ومعايشة شروحها؛ فالشعر ديوان العرب، من استعطاه أعطاه: لغة رائعة، ومعان سامية، وحكمًا صائبة، وأمثالاً نادرة، وتجارب صادقة، وأيامًا خالدة، وأحداثًا على الدهر باقية فيصقل عقله، وتصفو مشاعره، ويثرى مخزونه، فيكثر نقله، ويصح استشهاده واختراعه للمعانى، وتوظيفه لكل هذه المعطيات فيما يقتضيه الحال.

وفى صبح الأعشى للقلقشندى بيان لطبيعة الشعر الذى يطالب الكُتّاب بحفظه «خصوصًا أشعار العرب وما توفرت دواعى العلماء بها على اختياره: كالحماسة، والمفضليات، والأصمعيات، وديوان هذيل، وما أشبه ذلك، وفهم معانيها واستكشاف غوامضها، والتوفر على مطالعة شروحها؛ ويلتحق بذلك شعر المولدين من العرب، وهم الذين كانوا فى أول الإسلام كجرير والفرزدق، والأخطل، وغيرهم. وكذلك حفظ جانب جيد من شعر المفلقين من المحدثين: كأبى تمام ومسلم بن الوليد والبحترى وابن الرومى والمتنبى ونحوهم»[١]

وللكتاب في توظيف أشعار العرب التى يزينون بها رسائلهم مؤازرة لأفكارها ومعانيها ثلاث حالات: الاستشهاد والتضمين والحل.

أولاً ـ الاستشهاد: هو أن يورد الكاتب «البيت من الشعر، أو البيتين أو أكثر فى خلال الكلام المنثور مطابقاً لمعنى ما تقدم من النثر؛ ولا يشترط فيه أن ينبه عليه [بقال] ونحوه كما يشترط فى الاستشهاد بآيات القرآن والأحاديث النبوية، فإن الشعر يتميز بوزنه وصيغته عن غيره من أنواع الكلام، فلا يحتاج إلى التنبيه عليه. وأكثر ما يكون ذلك فى المكاتبات الإخوانيات. .»[٢].

(١) صبح الأعشى للقلقشندى ١/ ٣١٩.

(٢) السابق ٩/ ٣٢١-٣٢٢

وليس للشعر المستشهد به فى الرسالة عدد محدد، ولا مكان معين، «فربما كان كل المكاتبة أو جلها شعراً، وقد يكون صدر المكاتبة شعراً وذيلها نثراً، وبالعكس. وقد يكون طرفاها نثرا وأوسطها شعراً، وعكس ذلك بحسب ما يقتضيه الترتيب، ويسوق إليه التركيب؛ وربما اكتفى بالبيت الواحد من الشعر فى الدلالة على المقصد وبلوغ الغرض فى المكاتبة. .»[1]، وربما تخلو الرسالة من الشعر إذا لم يستدع الموضوع ذلك.

ويلاحظ أن كل قصائد الشعر المثبتة فى كتاب «فصوص الفصول وعقود العقول» من تأليف ابن سناء الملك، أما الشعر الذى استشهد به القاضيان ـ فى رسائل الكتاب ـ فهو يتراوح بين نصف البيت وثلاثة الأبيات فى كل حالة من حالات الاستشهاد. وأن ابن سناء الملك كان أكثر استشهاداً بالشعر فى رسائله من القاضى الفاضل وربما يعزى السبب فى ذلك إلى طبيعة موضوعات الرسائل الدائرة بينهما. ومن الشعراء الذين استشهد ابن سناء الملك ببعض شعرهم فى رسائله: امرؤ القيس وجرير وقيس بن الملوح، ومحمد بن يسير الرياشى وأرطاة بن سهية والبديع الأسطرلابى وأبو صخر الهذلى، وابن رشيق وابن المعتز وابن الرومى وأبو نواس وأبو العتاهية ومهيار الديلمى وأبو تمام والبحترى والمتنبى. ومن أكثر الشعراء الذين استشهد ابن سناء الملك بشعرهم البحترى والمتنبى؛ أما البحترى فلعذوبة شعره وجماله وتآلف معناه ولفظه. وأما المتنبى فلقوة صياغته، وتدفق روح الحماسة والعروبة والإباء فى شعره.

أما الشعراء الذين استشهد القاضى الفاضل بشعرهم فى رسائل الكتاب فهم: أبو فراس الحمدانى وأبو العلاء المعرى والمجنون وأبو العباس محمد بن إبراهيم الباخرزى والعباس بن الأحنف وعلى بن محمد الكوفى وأبو تمام والمتنبى وأبو الأسود الدؤلى وابن نباته السعدى وأبو مقاتل نصر بن نصير الحلوانى.

ومن نماذج الشعر الذى استشهد به ابن سناء الملك فى الكتاب:

فى ختام مقدمته لكتاب «فصوص الفصول وعقود العقول» استشهد ببيت لابن الرومى فى سياق الدعاء بالرحمة لأستاذه القاضى الفاضل:

---

(١) صبح الأعشى للقلقشندى ١/ ٣٢٣.

(٢) فصول الفصول وعقود العقول، ص ٥٤.

سلامٌ وريحانٌ وروحٌ ورحـــمةٌ   عليهِ وممدودٌ من الظلِّ سجْسَجُ(١)

وذكر مقدمة بائية البحترى لإشارة القاضى الفاضل إليها فى سياق حديثه عن بائية ابن سناء الملك، وبيت البحترى هو:

أجدُكَ ما ينفكُ يسرِى لِـ«زينبا»   خيالٌ إذا آبَ الظلامُ تأوبَـــا(٢)

وأرسل ابن سناء الملك قصيدة سينية إلى القاضى الفاضل فأخذ عليه استخدامه كلمة «الكنس» فى أحد أبياتها، قائلا: «وبيت يعزل ويكنس أردت أن أكنسه من القصيدة؛ فإن لفظة «الكنس» غير لائقة بمكانها أصلاً»(٣)، فدافع ابن سناء عن نفسه مستشهدا بورود هذه اللفظة فى بيت لابن المعتز، وهو من هو فى فن التشبيه، قال ابن المعتز:

وقوامِى مثلُ القناةِ من الخـــطـ   ـط وخدِّى من لحيتى مكنـــوس

وفى سياق هذه الرسالة استشهد بثلاثة أبيات لابن المعتز، هى قوله:

وقفتُ بالروضِ أبكى فَقْدَ مُشْبِههِ   حتى بكتْ بدموعى أعينُ الزهـرِ

لو لَمْ أعرهَا دموعَ العينِ تسفحُهَا   لرحمتى لاستعارتْهَا من المطــرِ

وقوله:

قدُّكَ غصـــنٌ لاشكَ فيهِ كمــا   وجهُكَ شمسٌ نهارُهَا جســدُكْ

وفى ذات الرسالة استشهد بثلاثة أبيات للبحترى، هى قوله:

ويا عاذِلِى فى عبرةٍ قدْ سفحتُهَا   لبيـنٍ وأخرَى قبلُهَا للتجنُـــبِ

تحاولُ منِّى شيمةً غَيرَ شيمتِـــى   وتطلبُ منى مذهبًا غير مذهبِى

وقوله:

وما زارنى إلاَّ ولهتُ صبابَــــةً   إليه وإلاَّ قلتُ: أهلاً ومرحبًـــا(٤)

وفى سياق حديثه عن موشحه: [دانتْ لى الدنيا. .] الذى أرسله إلى أستاذه القاضى الفاضل، استشهد ببيت للمتنبى، هو:

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٧١.

(٢) فصول الفصول وعقود العقول، ص ٩٨.

(٣) السابق، من: ٩٩ إلى: ١٠٣

(٤) السابق، ص ١٢

وسارَ بِهِ مَنْ لا يســـيرُ مُشَمِّرًا   وغنَّى بِهِ مَنْ لا يغنِّــى مُغَرِّدًا[١]

وفى نهاية رسالته وحديثه عن الموشح استشهد ببيت لأبى تمام، هو:

وإذا الفتَى الممدوحُ أنجح سَعْيَهُ   فى نفسِهِ ونداهُ أنجحَ شاعِـرَهُ[٢]

واستشهد ابن سناء الملك بأنصاف أبياتٍ، فأتى بعجز بيت لامرىء القيس:

«تعالوا إلىَّ نأتــى الصـيدَ نحطــبُ»

وبصدرى بيتين لأبى تمام، هما:ـ قوله:

«خشنَتِ عليهِ أخــتُ بنى خُشَيــنِ»

وقوله:

«سلِّمْ على الرَّبعِ من سلمَى بذِى سلَمِ»[٣]

وبصدر بيت لجرير، هو:

«لــولا الحياءُ لهَـاجَنِــى استعبــارُ»[٤]

وبعجز بيت للمتنبى، هو:

«وصدغَاهُ فى خَدَّىْ غلامٌ مُرَاهـــقِ»[٥]

وبعجز بيت لأرطاة بن سهية، هو:

«وفى غيرِ مَنْ قد وارتْ الأرضُ فاطمعِ»[٦]

هذه أمثلة من استشهادات ابن سناء، وغيرها فى نصوص الكتاب كثير[٧].

---

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص: ١٢١

(٢) السابق، ص: ٩١، ١٢٣

(٣) فصول الفصول وعقود العقول، ص ١٠١

(٤) السابق، ص ٢١٠.

(٥) السابق، ص ٢١١.

(٦) السابق، ص ٢١٣

(٧) فى صفحات: ١٢٨، ١٣٨، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٤٤ [من النص المحقق].

ومن نماذج الشعر الذى استشهد به القاضى الفاضل وأودعه رسائله الجوابية فى هذا الكتاب، قول المجنون:

ولو كانَ هذا موضعَ العُتْبِ لاشتفَتْ قلوبٌ ولكــنْ للعتــابِ مواضِــعُ(١)

وقول على بن محمد الكوفى:

ولولا اتقائى عتبَه قلــتُ: سـيدِى ولكن يراهَا من أجــلِ ذنوبِـى(٢)

وقول أبى تمام:

والحادثاتُ وإنْ أصابَـكَ بؤسُــهَا فهوَ الذى أدراكَ كيفَ نعيمَــها(٣)

وقول أبى الأسود الدؤلى:

كسحقِ اليمانى قد تقـادمَ عَهْــدُهُ ورقعتَهُ ما شئتَ فى العيـنِ اليــدِ(٤)

وقول ابن نباته السعدى:

حسنُ التأنى مفاتيحُ الغِنَى وعلَـى قدرِ المطالبِ تلقَى شدةُ الطلــبِ(٥)

واستشهد برجز لمالك بن زيد مناة:

أوردَها سعــدٌ وسعــد مُشْتَمِلْ
يا سعــدُ لا تُروَى بِذَيَّاك الإبـلْ(٦)

واستشهد بعجز بيت لأبى فراس الحمدانى:

«ومن أين للوجهِ الجميلِ ذنوبُ»(٧)

---

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٠٧
(٢) السابق، ص ١٥١
(٣) السابق، ص ١٥٢
(٤) السابق، ص ١٧٤
(٥) فصول الفصول وعقود العقول، ص ٢٥٣.
(٦) السابق، ص ٢٥٢.
(٧) السابق، ص ٦٩

وبصدر بيت مختلف فى نسبته: -

«وما الدهرُ والأيامُ إلاَّ كما تَرَى»[١]

هذه أمثلة من استشهادات القاضى الفاضل وفى الكتاب نماذج أخرى[٢].

ثانيًا ـ التضمين:

«وهو أن يضمن البيت الكامل من الشعر أو نصف البيت لبعض القرينة»[٣].

ومن نماذج التضمين الواردة فى الكتاب:

ضمن ابن سناء الملك قوله:

عجبتُ لسعى الدهرِ بينى وبينَهـا فلمَّا انقضَى ما كانَ لَمْ يسكن الدهر

صدر بيت لأبى صخر الهذلى، هو:

عجبتُ لسعى الدهرِ بينى وبينَها فلمَّا انقضَى ما بيَّننَا سكنَ الدهرُ[٤]

وضمن ابن سناء الملك كتابه عن وفاة زوجته أنصاف أبيات من الشعر كما فى قوله: « . كانت والله قرينة صالحة، صحبها المملوك. وصدغاه فى خدى غلام مراهق. إلى أن شابت منه المفارق فما رأى منها إلا الصحبة الصالحة، وإلا المحبة الناصحة. ولولا أن الموت أكرم نزال على الحرم. ، ومن العجز. أن تبيت الرجال تبكى النساء..»[٥]

ومن نماذج التضمين فى الكتاب، ما جاء فى قول القاضى الفاضل « . وهذا عذر استحى أن يقوله فقلته عنه. ما عليه والله عتب، ولا له ذنب. ومن أين للوجه الجميل ذنوب»[٦].

وما جاء فى قوله: «وأما عافية المولى والدها وولدها. فلا تقل بشرَى ولكن بشريان»[٧].

---

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٢٠

(٢) فى صفحات: ١١٥، ١٥٥، ١٥٦، ١٧٠، ٢٦٤ [من النص المحقق].

(٣) صبح الأعشى للقلقشندى: ١/ ٣٢٤.

(٤) فصول الفصول وعقود العقول، ص ٨٤.

(٥) فصول الفصول وعقود العقول، ص: ٢١، ٢١١، ٢١٢

(٦) السابق، ص: ٦٨، ٦٩

(٧) السابق، ص ٢٦٨

ثالثًا ـ الحل:

«وهو أن يعمد الكاتب إلى الأبيات من الشعر ذوات المعانى فيحلها من عقل الشعر، ويسكبها فى كلامه المنثور. فإذا أكثر من حفظ الشعر وفهم معانيه، غزرت لديه المواد، وترادفت عليه المعانى، وتواردت على فكره، فيسهل عليه حينئذ حلها، ووضعها فى مكانها اللائق بها بحسب مقتضيات الكتابة...»(١).

ويقسم ابن الأثير المحلول من الشعر إلى ثلاثة أقسام:

الأول ـ منها، وهو ادناها مرتبة، أن يأخذ الناثر بيتًا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة؛ وهذا عيب فاحش. ومن هذا القسم ضرب محمود لا عيب فيه، وهو أن يكون البيت من الشعر قد تضمن شيئا لا يمكن تغيير لفظه، فحينئذ يعذر ناثره إذا أتى بذلك اللفظ. ومن ذلك الأمثال السائرة؛ فإنه لابد من ذكرها على ما جاءت فى الشعر.

وأما القسم الثانى: وهو وسط بين الأول والثالث فى المرتبة، وهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه، ويعزم عن البعض بألفاظ آخر، وهناك تظهر الصنعة فى المماثلة والمشابهة، ومؤاخاة الألفاظ الباقية بالألفاظ المرتجلة...».

وأما القسم الثالث: وهو أعلى من القسمين الأولين، فهو أن يؤخذ المعنى فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه، ومن ثَمَّ يتبين حذق الصائغ فى صياغته، ويعلم مقدار تصرفه فى صناعته؛ فإن استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرجة العالية، وإلا أحسن التصرف، وأتقن التأليف؛ ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول»(٢). وقد دلل ابن الأثير بنماذج لما ذكره.

ومن نماذج هذا النوع فى رسائل كتاب فصوص الفصول وعقود العقول: أن ابن سناء الملك أخذ معنى بيت للمتنبى، ونثره فى رسالة له وبيت المتنبى هو:

وقيدتُ نفسى فى ذُرَاك محبةً ومَنْ وجدَ الإحسانَ قَيدًا تقيَّدا

جاء فى رسالة ابن سناء التى بعث بها إلى القاضى الفاضل: «. وجعل القافية على باء وأراد تسييرها. فوجدها مقيدة والمقيد أسير لا يطيق المسير، وتأسى بها المملوك. فكان هو أيضا مقيدا من الإحسان بقيود. .»(٣).

(١) صبح الأعشى ١/٣٢٩ [بتصرف].

(٢) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر: ١/٩٣، ٩٤، ٩٥ [بتصرف].

(٣) فصول الفصول وعقود العقول: ص ٩٠.

وكذلك فعل ببيت المتنبى:

فشرَّق حتى ليسَ للشرقِ مشـرقُ وغرَّب حتى ليسَ للغربِ مغرِبُ

فقال ابن سناء: «. وبعد أن غرَّب حتى لم يجد مغربا .»[١]

وحلَّ القاضى الفاضل بيت أبى العلاء المعرى:

إنَّا بعثَناكَ تبغِى القولَ من كثَـبٍ فجئتَ بالنجمِ مصـــفودًا من الأفقِ

فقال القاضى الفاضل: «. وحسر قلمه عن ساعد البيان فجاء بالنجم مصفودا من الأفق وجاء الناس بالقول من كثب»[٢].

ومن الملاحظ أن الاستشهاد بالشعر كان أكثر من التضمين والحل فى رسائل الكتاب «لأن الاستشهاد بالبيت فى مكانه من أحسن الأشياء فى الكتابة . .»[٣]

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٢٧
(٢) السابق، ص ٧٧
(٣) معالم الكتابة ومغانم الإصابة، ص ١٠٥

أسلوب الكاتب مرآة ثقافته

لا أكون مبالغاً إذا قلت إن موسوعية الثقافة كانت سمة من سمات أسلوب كُتّاب ديوان الإنشاء رغم اختلاف بصماتها من كاتب لآخر، طبقا لموهبته وإمكاناته، ومحصوله الثقافى، ومدى تفاعله مع بيئته، وتوظيفه لمعطيات ثقافته. وإن أسلوب الكاتب هو المرآة التى تعكس ألوان ثقافته.

وبتطبيق هذه الحقيقة على كتاب «فصوص الفصول وعقود العقول» نجد أسلوبه يشع بإشارات ثقافية تدل على ألوان معرفية، وهى إشارات واضحة. ومنها الإشارة إلى مصطلحات بلاغية مثل: الفصاحة والبلاغة والبيان، ذكرها القاضى الفاضل فى قوله: «ولو استعطفت الفصاحة على الألسنة العربية... ولو أن البلاغة حلة لكان لابسها. [1] وتحققوا أن البيان قد عصاهم وأطاعه[2]

ومنها الإشارة إلى بعض المصطلحات النحوية والأمثلة المشهورة. فالمصطلح النحوى كما فى قول ابن سناء «.. وهو المتبوع وأنا التابع..»[3]، والمثال النحوى المشهور كما فى قول القاضى الفاضل: «. .وسلمتها لعمرو وأمكن الله منه زيداً...»[4]، ومن المصطلحات الفقهية: الأصل والفرع والاستدلال والحكم، كما فى قول القاضى الفاضل: «...وأما الحديث مع ولده فلو بقى الأصل والفرع لما كان فى دار العدم، ولا وحشة على من استدل ولا على من احتكم.. .»[5].

ومن الإشارات الأدبية الإشارة إلى المعلقات، كما فى قول القاضى الفاضل: «. .وقد علقت العرب أدون منها فلا غرو أن هذه بالقلوب تعلق. .»[6]، ومن الإشارات التاريخية، الإشارة إلى بلاغة سليمان ـ عليه السلام ـ كما فى قول القاضى الفاضل: «.
وسهل بن هارون ومن أراد أن يعرف مقداره فلينظر إلى ما تكلم به فى سيرة المأمون فيراه

(١) فصول الفصول وعقود العقول، ص ٥٧.

(٢) السابق، ص ٢١١.

(٣) السابق، ص ٥٢.

(٤) السابق، ص ٢٥٠.

(٥) السابق، ص: ٢١٨

(٦) السابق، ص ٥٦.

منها جالسًا على كرسى مملكة البلاغة السليمانية . .»[١]، ومن الإشارات التاريخية أيضًا الإشارة إلى حادثة حصر عثمان بن عفان فى داره، كما فى قول القاضى الفاضل: «وأما اختيار القاضى السعيد من كتاب الحيوان للجاحظ فقد نفخ من روحه فى روح حيوان أبى عثمان، وأطلق كتابه من محاضرة الاطراح وكان فى مثل دار عثمان. . »[٢].

ومنها: الإشارة إلى صليب الصلبوت، كما فى قول القاضى الفاضل: « . . والخبر معروف، وهو فى أكثر التواريخ والأخبار عن الفرس، ويشبه أن يكون من افتعالات ابن المقفع. . »[٣]

ومنها: الإشارة إلى الملكين: هاروت وماروت، كما فى قول القاضى الفاضل: « . . واضفت إليهما جزءاً بخط أبى عبد الله بن مقله من ملكه الذى لا ينبغى لأحد من بعده، ومن سحره الذى ما أنزل على الملكين: هاروت وماروت مثله. . »[٤]، ومنها: الإشارة إلى بعض أخبار الفرس، كما فى قول ابن سناء الملك: « . . وفى أثناء هذه الأيام السود طالع الملوك نسخة من سير الفرس استعارها من فلان، فوجد فيها حزم أبرويز فى أمره وكونهَ لم يجب ملك الروم إلى دفعه مع أيادى قيصر عنده. . »[٥]، ومنها أيضاً ما ذكره ابن سناء الملك عن استرداد الصليبيين لعكا وتخريب مدينة عسقلان[٦]

وفى الكتاب ذكر لأسماء بعض الكواكب مثل زحل والمشترى وعطارد، وذكر لشخصيات تاريخية، مثل: يوسف وداود وسليمان ـ عليهم السلام ـ وامرئ القيس، وأشعب بن جبير، والمهلب بن أبى صفرة، وأبى عمران اليهودى، والشريف أبى القاسم الحلبى، وابن العميد وأبى حيان التوحيدى والوزير أبى القاسم المغربى، والجاحظ، وأبى تمام والبحترى وعبد الله بن المعتز، والسنائى الغزنوى، والوأواء الدمشقى وأبى نواس ومهيار الديلمى وابن رشيق وابن الرومى. . . إلخ.

* * *

(١) فصول الفصول وعقود العقول، ص: ٢٢٥ ـ ٢٢٦
(٢) فصول الفصول وعقود العقول، ص ٢١٨
(٣) السابق، ص ٢٤٨
(٤) السابق، ص ٢٣٧
(٥) السابق، ص٢٣٨
(٦) السابق، ص ١٥٧، ١٦١

الفصل الثانى

من صور البيان والبديع والظواهر اللغوية فى أسلوب الكتاب

من صور البيان فى رسائل الكتاب

عرف البيانيون علم البيان بقولهم: علم يعرف به إيراد المعنى الواحد فى صور مختلفة، متفاوتة فى وضوح الدلالة، مع مطابقة كل منها لمقتضى الحال[١]. وليس من طبيعة هذا البحث تتبع رحلة علم البيان عبر التاريخ حتى وصل إلى السكاكى [ت ٦٢٦هـ] فألقى عصاه واستقر به النوى فذلك شأن الدراسات البلاغية. ولكن المهم كيفية توظيف القاضى الفاضل وابن سناء الملك لفنون هذا العلم من تشبيه واستعارة وكناية فى تصوير المعانى، وإبراز الأفكار، وتلوين الأساليب، وإمتاع النفوس، وكيف استطاعا المزج بين الموروث، والمعاصر، وهضمهما، وإخراجهما فى ثوب جديد موشى، ينم عن قدرتهما الفنية الفائقة فى هذا الميدان، يؤيد هذا ما ورد فى رسائلهما من ألوان البيان.

فمن نماذج توظيف الاستعارة:

قول القاضى الفاضل: «وما يرينا من آية إلا هى أكبر من أختها، وما يجلو علينا عروساً إلا وقد جمع بين حسنها وبختها. .»[٢]

فكلمتا: [آية] و[عروسا] كلتاهما استعارة تصريحية، حيث شبه قصيدة ابن سناء بالآية والعروس، ولا يخفى ما فى الأولى من عظمة وقدرة فائقة، وما فى الثانية من جمال وفتنة ساحرة، وقلما يجتمع الاثنان ولكنهما اجتمعا فى قصيدة ابن سناء وتألفا وفى ذلك إيحاء بقوة المضمون وروعة الشكل.

وقوله: «. .وتبحرتها فغرقت فى بحرها، وتحليت من درها، وناجتنى ببشر وجهه لما جلت وجه بشرها. وسألتها أن تقرضنى لها منها. . .»[٣].

فهذه عبارة موجزة تتابعت فيها الاستعارات: فكلمة «درها» استعارة تصريحية، و[ناجتنى ـ جلت ـ سألتها ـ تقرضنى] استعارات مكنية، ولا يخفى ما فى هذه الاستعارات من تجسيم

---

(١) البيان فى ضوء أساليب القرآن، ص ٢

(٢) لصوص الفصول وعقود العقول، ص ٥٥.

(٣) السابق، ص ٨٧.

المعانى، وتشخيص الجماد، الذى يبرهن على تأنق الكاتب، وتأثره بذوق عصره، وهى صور تناسب المعنى الذى زفت له. والمتتبع لرسائل القاضى الفاضل فى هذا الكتاب يجد الكثير من هذه الصور.

ومن نماذج هذا التصوير الاستعارى فى رسائل ابن سناء، قوله: «. . كان المملوك قد سارع إلى نظم قصيدة للهناء بالقدوم، وأن الباء فتحت له بابها، وسبقت إليه أصحابها، وجعلها عنده لئلا يهجم عليه من سرور القدوم ما يبدهه. فنظمها والخاطر مطمئن، والقلب يقهقه بعد أن كان يئن. وتجدد بعد ذلك أنها قلقت وتشوقت لمولانا، وأبت القعود، وسارت فى القيود، وسيرها المملوك غريبة وحيدة، ليرحم مولانا غربتها. . »(١).

فى هذه العبارة الموجزة حشد من الاستعارات التى خلع عليها الكاتب مشاعره، وشخصها، وبث فيها الحياة فجعلها تتحرك، وتسابق وتفرح، وتقلق وتتشوق، وكلها استعارات مكنية، وهى: [الباء فتحت ـ وسبقت ـ يهجم عليه سرور ـ القلب يقهقه ـ قلقت ـ تشوقت ـ أبت ـ سارت. .] وهذه الاستعارات سهلة واضحة معبرة عن المعنى الذى سيقت من أجله، وهى تعكس من جوانب الشخصية المصرية سمات الحب، والوفاء، والبساطة، والسهولة.

ومن نماذج التشبيه فى رسائل الكتاب:

من رسالة للقاضى الفاضل: «. وبالجملة إن كانت البلاغة دينًا فقد ألحد مَنْ لا يُوَحِّدُه، وإن كانت سيفا فقد تعرض للجذر من لا يقلده، وإن كانت فراشا. . ، وإن كانت كنزا. . »(٢).

فهذه عدة تشبيهات بليغة متتالية: فالبلاغة دين، وسيف، وفراش، وكنز. وكلها تصف بلاغة الممدوح [ابن سناء]، وعليها مسحه من المبالغة.

ومنه قول الفاضل: «تعرف شيخك القاضى السعيد وصول كتابه الذى سطره عاجلاً. وما أعد اللفظة منه إلا فجرا. ولا الكتاب إلا جنة. وما كلماته إلا معجزات بها يُتحدَّى. . . »(٣).

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص: ٩٠، ٩١، ٩٢ [بتصرف].

(٢) السابق، ص ٩٤ [بتصرف].

(٣) السابق، ص ١٧٢ [بتصرف].

ومنه قول ابن سناء الملك: «. . . كنت قد اخترت كتاب الحيوان للجاحظ. وكل كتاب بعده جماد، وهو كنز البلاغة الذى ماله من نفاد، والبحر الذى لا ينزف ولا ينزح، والأعجوبة التى لا توصف. . .»(١).

ومن نماذج الكنايات فى رسائل الكتاب:

قول القاضى الفاضل كناية عن مكانة ابن سناء ومنزلته السامية:

«. ما هو إلا مالك عنان الفضل فى عصره، وواحد كل دهر. .»(٢)، وقوله كناية عن مكانة قصيدة ابن سناء الرائية: «. ومع معاودة تأملها فإننى أعاود وصفها. وأنفق منها عليها، وأعيد بضاعتها إليها. .»(٣)، وقوله كناية عن غزارة علم ابن سناء الملك: «والقاضى السعيد أنا منتظر منه الكراريس الكثيرة العدد، الدقيقة الخط، الخفيفة الورق، الراجحة الوزن. .»(٤)، وقول ابن سناء كناية عن شدة مرض والده: «. . وقد كان المملوك والده مريضاً مدنفاً، وعليلاً على شفا. .»(٥).

وقوله كناية عن شدة مرضه: «. . وأما قلبه فلا يعلم له خبرا، ولا يرى له أثرا. وأما جسمه فقد اتفقت عليه من الأمراض المختلفة ما جعلته خلقاً بالياً. .»(٦)

وقوله كناية عن كبر سنه عند وفاة زوجته: «كانت ـ والله ـ قرينة صالحة صحبها المملوك «وصدغاه فى خدى غلام مراهق» وإلى أن شابت منه المفارق. .»(٧).

وهذه الكنايات المشار إليها نابعة من طبيعة الموضوع وتمتاز بالصدق والوضوح.

---

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٢٢٧ [بتصرف].

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول، ص٧٨.

(٣) السابق، ص ٨١.

(٤) السابق، ص ١٨٦، ١٨٧

(٥) السابق، ص ١٥٣

(٦) السابق، ص ١٦٤

(٧) السابق، ص ٢١١

من فنون البديع فى رسائل الكتاب

للبديع جذور عميقة فى الأدب العربى تعود إلى العصر الجاهلى، فقد جاء عفويًا فى كلامهم وإن لم يعرف بهذا المصطلح عندهم - وليس من طبيعة هذا البحث تتبع نشأة البديع وتطوره إلى أن أطلق عليه «علم البديع» بدر الدين بن مالك [ت ٦٨٦هـ]؛ فذلك شأن الدراسات البلاغية. وإنما المراد هنا التقاط نماذج من ألوان البديع الموظفة فى رسائل الكتاب مثل السجع والجناس والتورية والطباق. والمدح بما يشبه الذم. إلخ.

* **فمثال السجع:**

قول القاضى الفاضل: «وتضمن الكتاب السعيدى موشحًا، فارسية خرجته، عربية لهجته، واضحة فى تعجيز السابقين الأولين حجته، وقد صح بهذه الموشحة أنه شيخ الطريقة والسنائى على الحقيقة. .»[١]، «. . والقصيدة فائقة فى حسنها، بديعة فى فنها، وقد ذلت السين فيها وانقادت، فلو أنها الراء لما زادت. .»[٢]، «. وأما التائية المفتوحة الخمرية فقد ثملت منها سُكرا، وصحوت بها شكراً، ودخلت بخاطرى على عروس كل بيت فوجدته بكرًا، ونسخت عندى خمريته الأولى، وإن كانت طائلة فلها اليد الطولى. .»[٣]، «فأما القصيدة السلطانية فهى عندى إلى أن يكون عرضها إن شاء الله عند الفتح القدسى، ولو أنصفتها لكان عرضها فى المحل القدسى. وما أعرف لهذه المحاسن نظيراً، ولا تسأل بها غيرى خبيراً. وأنا مع هذا مريض الوصف يدارسنى المرض باب التوكيد وأدارس العافية باب العطف. .»[٤].

وقول ابن سناء الملك: «. .فأما ما أمر به المولى فى شعر ابن الرومى فما المملوك من أهل اختياره، ولا من الغواصين الذين يستخرجون الدر من بحاره، لأن بحاره زخارة وأسوده زآرة، ومعدن تبره مردوم بالحجارة، وعلى كل عقيلة منه ألف نقاب بل ألف ستارة. .»[٥].

---

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٩١

(٢) السابق، ص ٩٨

(٣) السابق، ص ١٠٨

(٤) السابق، ص ١٤٢

(٥) السابق، ص ١١٣

ومن قول ابن سناء أيضاً: «. والمولى يعلم أن المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويتعثر، ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر، وما آمن المملوك به سدًى، ولا آنس ناره إلا لما وجد عندها هدى، ولا مال المملوك إلا إلى طريق من ميله إليه طبعه، ولا سار قلبه إلا إلى مَنْ دله عليه سمعه. . .»[1].

ويلاحظ على هذه النماذج ما يأتى:

أولاً ـ يستخدم القاضيان السجع فى كتاباتهما وإن كان القاضى الفاضل أكثر استخدامًا له من ابن سناء الملك.

ثانيًا ـ يستخدم القاضيان السجع القصير، والطويل، والمطرف، والمرصع والمتوازى. والمطرف هو ما اختلفت فاصلتاه فى الوزن واتفقتا فى التقفية[2] مثل: [فائقة ـ بديعة] والمرصع هو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها فى الوزن والتقفية[3] مثل: [الطريقة ـ الحقيقة، خرجته ـ لهجته، سُكرًا ـ شكرًا، زخارة ، زآرة. .] والمتوازى هو ما اتفقت فيه الفقرتان فى الوزن والتقفية[4] مثل: [ثملت منها سُكرا، صحوب بها شكرا].

ثالثًا ـ لزوم ما لا يلزم: وهو أن يلزم الناثر نفسه بما ليس بلازم، وذلك بأن يلتزم قبل حرف الروى بحرف وحركة أو حرفين وحركتين[5] مثل: [سكرا، وشكرا ـ زخارة وزآرة ـ انقادت وزادت. . .].

رابعًا ـ استخدم القاضى الفاضل بعض المصطلحات النحوية فى سياق السجع، مثل: العطف والوصف.

خامسًا ـ بالرغم من عذوبة الألفاظ وتآزرها مع المعانى لمهارة القاضيين فى استخدام البديع إلا أن القارىء يشعر بشئ من المبالغة أحياناً وخصوصاً حين يكون السجع فى سياق المدح.

---

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٩٩.

(٢) رسائل ابن أبى الشخباء الإخوانية، ص ١٢٠

(٣) السابق، ص ١٢١

(٤) السابق، ص ١٢١

(٥) البديع فى ضوء أساليب القرآن، ص ١٥٣

الجناس:

الجناس من الحلى اللفظية والألوان البديعية التى لها تأثير بليغ، تجذب السامع، وتحدث فى نفسه ميلا إلى الإصغاء، والتلذذ بنغمته العذبة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة، فتجد من النفس القبول وتتأثر به أى تأثير، وتقع من القلب أحسن موقع»[١]. شرط ألا يكون متكلفًا فيعاب.

ومن الجناس قول القاضى الفاضل: «وقرنتها بفصل إلى المقام الناصرى، نبهت فيه على أنها من القول الفصل..»(٢) فكلمة فصل الأولى تعنى فصلاً من الكتابة، وكلمة فصل الثانية تعنى: محكماً بليغًا. وقوله: «وأن من وجد منها ما وجد ما فقد منه ما فقد»[٣] فوجد الأولى يعنى رأى وأخذ ووجد الثانية من الوجد، وقوله: «وقد عادت على كتبك بركة شيخك القاضى السعيد، فما اشتملت من يوم أملاك ما تكتبه، ومثل لك ما تمثله إلا على بشارة تأتى من لفظه بشارة حسنة..»[٤]، وقوله: «ولله در تلك الأنفاس التى تستخف عقول الرجال بل عقود الجبال»[٥]: [عقول، عقود] جناس ناقص. وقوله: «ولا دخل فى مَنْ يمنع الماعون يخرج من الذين هم لأمانات الفضيلة راعون»[٦]، وقوله: «وصلت القصيدة السعيدية التى لا عيب لها إلا أن جميع فرائدها وسائط، وأن معانيها بين العقول وسكرها وسائط»[٧].

واستخدم ابن سناء الملك الجناس الناقص [الحالى ـ العالى، غالية ـ عالية] فى قوله: «ورأيتها لو لم تكن من ذلك الكلام الحالى ولا من ذلك الطراز العالى، لكان الفخر بها عظيمًا والعز بها مشيدًا، والقيمة بها غالية، والدرجة بها عالية..»[٨]، ومن هذا النوع ـ

(١) البديع فى ضوء أساليب القرآن الكريم، ص ١٥٥

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٥٦.

(٣) السابق، ص ٦٨، ٦٩

(٤) السابق، ص ١٢٥

(٥) السابق، ص ١٥٢

(٦) السابق، ص ١٥٧

(٧) السابق، ص ١٧٠

(٨) السابق، ص ٤٧.

أيضًا ـ قوله: «وأما قلبه فلا يعلم له خبرًا، ولا يرى له أثرًا بل خرج من صدره وفر ومر. . »(١).

ومن الجناس التام فى قول ابن سناء: «ولا نخاف أن يخفى ديننا وقد ضمن الله أنه الظاهر، ولا نخشى أن يخذل وكيف وربنا الناصر لسلطاننا الناصر»(٢) فالناصر الأولى من النصر، والناصر الثانية: صلاح الدين الأيوبى.

ويلاحظ من خلال النماذج السابقة أن القاضى الفاضل كان أكثر استخدامًا للجناس من ابن سناء الملك، فقد امتلك القاضى الفاضل قدرة فائقة على توظيف البديع والسيطرة «على السجع وحسن تصريفه للألفاظ، فتطاوعه أو يطوعها للألوان البديعية المختلفة التى فتن بها الناس. وأظهر ما برع فيه الجناس الذى يديره فى عباراته غير متكلف، وإن كان قد بذل فى استخراجه من الجهد ما بذل، ولكنه يمرق أمامك دون تعثر أو توقف. والجناس والسجع هما الظاهرتان الأسلوبيتان اللتان يعتمد عليهما الفاضل فى تلوين أسلوبه بالجرس الموسيقى المتابع. . . »(٣).

وليس معنى هذا أن ابن سناء لا يمتلك هذه القدرة وإنما المسألة مسألة طبع فطبع ابن سناء لا يهوى الجناس إلا ما جاء عفوا ولهذا نفر من تجنيس أبى تمام فى قوله: [خسنت عليه وسلم على الربع. . .] قال ابن سناء: «فاشمأز من هذا النمط طبعه واقشعر منه فهمه وكاد سمعه يتجرعه ولا كاد يسيغه. . »(٤).

تأكيد المدح بما يشبه الذم:

وهو «أن يستثنى من صفة ذم منفية صفة مدح بتقدير دخول صفة المدح المستثناة فى صفة الذم المنفية» وهذا الأسلوب من «أبهى وأفخم أنواع المدح، ولعل السر النفسى لذلك فيما يظهر هو ما فى هذا الأسلوب من معنى المباغتة والمفاجأة التى تكسبه طرافة وتثير حوله تنبها»(١).

---

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٦٧

(٢) السابق، ص ١٦١

(٣) الأدب في العصر الأيوبى، ص ٢٢

(٤) فصوص الفصول. . .، ص ١٠

(٥) البديع فى ضوء أساليب القرآن الكريم، ص ٨٣، ٨٤ [بتصرف].

ومن هذا اللون قول القاضى الفاضل: «. ولا عيب فى هذه المحاسن إلا قصور الأفهام، وتقصير الأنام. .»[١].

وقوله: «وصلت القصيدة السعيدية التى لا عيب لها إلا أن جميع فرائدها وسائط. .»[٢].

التورية:

«أن يذكر المتكلم لفظا مفردًا له معنيان أحدهما: قريب ـ لكنه غير مقصود، والثانى بعيد يحتاج إلى إعمال الذهن ـ ولكنه هو المقصود»[٣].

ومن هذا اللون البديعى، قول القاضى الفاضل: «والقصيدة الأولى السينية ما وافقها. . زحل فى طريقها. ولو أنصفناه لكان أدنى ما فيها من بيت يعمر ألف بيت، وكان يوسف عروسها قد قال لها وأغناها عن أن تقول له هيت»[٤] فكلمة [بيت] الثانية بعد [يعمر] معناها القرب محل السكن والبعيد المقصود بيت الشعر. وكذلك كلمة [يوسف] وبعدها تقول له هيت يجعل المتبادر إلى الذهن أنه يوسف الصديق ولكن المقصود: يوسف بن أيوب.

وقوله: « وقد صح بهذه الموشحة أنه شيخ الطريقة، والسنائى على الحقيقة. .»[٥]، فليس المقصود هنا السنائى الغزنوى الشاعر الفارسى الكبير، وإنما المقصود سناء الملك.

وقوله: «. ودخلت بخاطرى على عروس كل بيت فوجدته بكرا. »[٦]، فالمقصود هنا بيت القصيدة لا بيت السكن.

وقوله: «وفى هذا اليوم وصل كتاب القاضى السعيد إلى دمشق فوصل إلى العين منه إنسانها .»[٧]، فليس المقصود بالإنسان هنا الشخص وإنما مركز الإبصار الموجود فى منتصف سواد العين.

(١) فصوص الفصول. .، ص ٩٨
(٢) فصوص الفصول. .، ص ١٧
(٣) البديع فى ضوء أساليب القرآن، ص ١٠٨
(٤) فصوص الفصول، ص٥٨ [بتصرف].
(٥) السابق، ص ٩، ٩١
(٦) السابق، ص ١٠٨
(٧) السابق، ص ١٧٢

الطباق: وهو الجمع بين الضدين

ومثاله من قول القاضى الفاضل: «. .وإن كان صغيراً فإنه كبير أهل الفضل. ونقف حيث انتهينا من الوصف الذى ينفد للمحاسن التى لا تنفد. .»[١]، وقوله: «ولا أخرج إلا من كيس فكره النقود التى تباع بها القلوب وتشترى»[٢]، وقوله: «. .ووقفوا خلفًا ووقف أمامًا. وتأخروا وإن تقدموا. وقصروا وإن سبقوا. وطويتها ونشرتها. فإذا الصفو يفضح الكدر. .»[٣]

وقوله: «حر الكلام. ورق الأقلام. .»[٤]، «. .وما رأيت أحسن من نظمه إلا نثره ولا من آخره إلا أوله. .»[٥].

ومن قول ابن سناء الملك: «. ولا بد لربنا أن يجعل لنا الكرة الرابحة، ولعدونا الكرة الخاسرة. ويجعل كلمتهم السفلى وكلمة الله هى العليا. .»[٦].

الإيداع:

يوصف الكلام بالإيداع عندما تجتمع فيه عدة أنواع من البديع، وقد ورد ذلك فى قول القاضى الفاضل: «ورد من القاضى السعيد كتاب فوجدته طوفان بلاغة، وما قرأت سطراً منه إلا قرأت: يا سماء أقلعى ويا أرض ابلعى، والتقى الماء على أمر قد قدر. .»[٧]

ففى هذا الجزء من الرسالة، تشبيه بليغ فى [فوجدته طوفان بلاغة]، والمناسبة التامة بين [أقلعى، ابلعى]، والمطابقة بين [السماء، الأرض] والمجاز فى قوله: [يا سماء] والاستعارة فى [اقلعى، ابلعى]، وائتلاف اللفظ مع المعنى، والإيجاز، والإنسجام، وحسن البيان.

---

(١) فصوص الفصول. ص ٥٩.
(٢) السابق، ص ٨٢.
(٣) السابق، ص ٨٥، ٨٦.
(٤) السابق، ص ٩٢
(٥) السابق، ص ٩٧
(٦) السابق، ص ١٥٩ ـ ١٦٢
(٧) السابق، ص ١١٥، وانظر: البديع فى ضوء أساليب القرآن، ص ٥٣، ٥٤ [بتصرف].

تجاهل العارف:

عرفه البلاغيون بأنه سوق المعلوم مساق غيره، لنكتة(١).

ومن نماذج هذا اللون البديعي، قول ابن سناء الملك:

قالتْ: سلوتُ، وما أدرِي أأعلمُهَا بذاكَ دمعِي أو أنفَاسِي الصُّعُدَا(٢)

وقوله:

لَسْتُ أدرِي بأىٍّ فتحٍ تُهَنَّى يا مُنِيلَ الإسلامَ ما قدْ تمنَّى

أنهنيكَ إذ تملكتَ شامًا أم نهنيكَ إذ تملكتَ عدَنَا(٣)؟

وقوله:

«قلت: هذا الفصل جواب عن كتاب كتبته إليه قصرته على وصف إنسان فقيه كبير فمن فصوله: وأما فلان فما يدرى المملوك أعلمه أرجح أم عقله، أم يقينه أم نسكه، أم سكونه أم زهده، أم صبره أم شكره. ولو لم يقصد هذا الرجل لشرف أصله ولا لأجل علمه لقصد لحسن خلقه وبهاء خلقه، وطيب حديثه. .»(٤).

(١) البديع فى ضوء أساليب القرآن، ص ٧٩

(٢) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ١٣١

(٣) السابق، ص ١٤٨

(٤) السابق، ص ١٣٧

توظيف اللغة فى رسائل الكتاب

«لا مِريَةَ فى أن اللغة هى رأس مال الكاتب، وأس كلامه، وكنز إنفاقه من حيث إن الألفاظ قوالب للمعانى التى يقع التصرف فيها بالكتابة، وحينئذ يحتاج إلى طول الباع فيها، وسعة الخطو، ومعرفة بسائطها: من الأسماء والأفعال والحروف. .»[١] و«إذا أكثر من حفظ الألفاظ اللغوية، وعرف الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، والمتقاربة المعانى، تمكن من التعبير عن المعانى التى يضطر إلى الكتابة فيها بالعبارات المختلفة، والألفاظ المتباينة، وسهل عليه التعبير عن مقصوده، وهان عليه إنشاء الكلام وترتيبه. . .»[٢].

ومعنى هذا أن اللغة هى اللبنة الأولى الرئيسة التى تبنى منها الجمل والعبارات والأسلوب، والكاتب الماهر يستطيع أن يشكل من هذه اللغة صروحا أسلوبية قوية الصياغة، دقيقة الدلالة، موشاة بالبلاغة، متآلفة مع مشاعره وموضوعه.

لقد أحاط القاضيان بلغتهما، وأعانهما على ذلك موهبتهما، وحفظهما للقرآن الكريم وجيد كلام العرب، وعملهما فى ديوان الإنشاء وتمرسهما على فنون الكتابة، وبيئتهما وعصرهما فكانت لغتهما بستاناً مثمراً عامراً بالظواهر الأسلوبية الكثيرة.

من هذه الظواهر: سهولة الألفاظ وجزالتها وتآلفها مع أخواتها ومع المعانى التى تعبر عنها، وبعدها عن الغريب والتعقيد ومنها: استخدام الجمل القصيرة ـ غالبًا ـ ذات الجرس الموسيقى المؤثر، مثل: «وصاحبنا هذا صحبته الديم، وصبحته النعم، وسبح بحمده القلم، وكبر له، وهلل فيما رقم، أو فيما نثر بمدحه ونظم. .»[٣]، ومنها: التقديم والتأخير كما فى المثال السابق، وكما فى قول الفاضل: «وما يؤمن بالحسنة إلا مؤمن، ولا يكفرها إلا كافر. .»[٤] ومنها: استخدام الجمل الاعتراضية فيما يقتضيه الحال، فتأتى غالبًا فى مقدمة الرسالة وفى وسطها، وقبيل آخرها قليلاً. وهى فى الغالب جمل دعائية قصيرة، وقد تطول أحيانًا، ومن أمثلتها فى الرسائل: «رحمه الله ـ أبقاه الله ـ أبقاهما الله ـ أنماه الله ـ

(١) صبح الأعشى ١/ ١٨٥

(٢) السابق ١/ ١٩٩

(٣) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٨١.

(٤) السابق، ص ٨٨.

حفظه الله ـ أسعده الله وزاده اقتداراً ـ قدس الله روحه ـ أقر الله عينها ـ ومحاسن القاضي حفظه الله كما تحفظ وأبقاه كما تبقى على الأيام ـ أحسن الله عقباهما وأسبغ نعماهما وبلغ أصغرهما سن أكبرهما ـ أعزه الله وأحياه وحفظه وحياه ـ يسر الله مساره وبلغه أوتاره».

ومنها: استخدام النفي والاستثناء وهو ملحوظ في الرسائل، مثل: «وما رأيت أحسن من نظمه إلا نثره ومن نثره إلا نظمه ولا من آخره إلا أوله ولا من أوله إلا آخره، ولا نظرت ولا سمعت فيه إلا بِعَيْنِ الهوى . . .»[1]، ومنها: استخدام الجمل الشرطية لإثارة الذهن، ولم تقتصر هذه الجمل على أداة شرط بعينها، وكان جواب الشرط يأتي مقرونًا بالفاء في الأماكن التي تستوجب ذلك. ومن هذه الجمل: «إن كانت البلاغة دينا فقد ألحد. وإن كانت سيفا فقد تعرض. وإن كانت فراشًا فقد نفي. وإن كانت كنزًا. فقد وجد. .»[2]، «ولو وفَّى سار. لوفَّت، ولو كفَّى مؤنس. لكفَّت، ولو استعطفت الفصاحة. لعطفت، ولو أن البلاغة حلة. لكان لابسها، ولو أن الشعراء. لكان فارسها. .»[3]

ومنها: كثرة استخدام حروف العطف، والإطناب في بعض الرسائل واستخدام وسائل التوكيد.

* * * * *

(١) فصوص الفصول وعقود العقول، ص ٩٧.

(٢) السابق، ص ٩٢.

(٣) السابق، ص ٥٦، ٥٧

ثبت
المصادر والمراجع

أولاً - القرآن الكريم.

ثانيًا - المصادر والمراجع:

- أ -

١- ابن رشيق القيرواني - عبد الرءوف مخلوف - القاهرة، دار المعارف ١٩٦٤

٢- ابن رشيق وآراؤه البيانية والنقدية - محمد سلامة ويوسف رحمة - القاهرة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٧٢

٣- ابن الرومي حياته من شعره، عباس محمود العقاد - لبنان، دار الكتاب العربى، الطبعة السابعة ١٩٦٨

٤- ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار فى الشعر - عبد العزيز الأهوانى - القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢

٥- ابن سناء الملك حياته وشعره - محمد إبراهيم نصر - القاهرة، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٨

٦- ابن عبد ربه وعقده - د. جبرائيل جبور - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩

٧- ابن الفارض سلطان العاشقين، محمد مصطفى حلمي - القاهرة ١٩٦٣

٨- ابن المعتز العباسى، أحمد كمال زكى، القاهرة ١٩٦٤

٩- ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان ومعه كتاب البديع، محمد عبد المنعم خفاجى - القاهرة، مكتبة النجاح ١٩٥٨

١- أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر، عبده بدوى - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥

١١- أبو حيان التوحيدى، أحمد محمد الحوفى - القاهرة، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الثانية ١٩٦٤

١٢- أبو حيان التوحيدى أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، زكريا إبراهيم - القاهرة ١٩٦٤

١٣- أبو حيان التوحيدى: سيرته وآثاره، عبد الرزاق محيى الدين - القاهرة، مكتبة الخانجى ١٩٤٩

١٤- أبو الطيب المتنبى: دراسة نحويه ولغوية - محمد عزت عبد الموجود - القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠

١٥- أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق: شكرى فيصل - مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٥

١٦- أبو العباس القلقشندى وكتابه صبح الأعشى، نخبة من الأساتذة - تقديم أحمد عزت عبد الكريم - القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣

١٧- أبو الفرج الأصفهانى وكتابه الأغانى، محمد عبد الجواد الأصمعى - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ٥١

١٨- الإبانة عن سرقات المتنبى، لأبى سعد محمد بن أحمد الحميدى - تحقيق إبراهيم الدسوقى البساطى - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٦٩

١٩- الاتجاهات الأدبية فى ظل الدولة الأيوبية - شحادة خليل زعبر - رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية جامعة الأزهر رقم ٦٤٢ لسنة ١٩٨٠

٢- الإثراء النفسى دراسة فى الطفولة ونمو الإنسان - سيد أحمد عثمان - القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٦

٢١- أثر الفرس السياسى فى العصر العباسى الأول، على عبد الرحمن العمرو - القاهرة، دار الجيل للطباعة، الطبعة الثانية ١٩٧٩

٢٢- أخبار أبى تمام - لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى - تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الإسلام الهندى - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠

٢٣- أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق، لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى - عنى بنشره ج هيورث. دن - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩

٢٤- الإخوانيات فى العصر الأيوبى على ضوء العلاقات الاجتماعية، عُبادة إبراهيم أحمد سعيد - رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ١٩٩

٢٥- آداب الملوك، لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى - تحقيق جليل العطية - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩

٢٦- الأدب الأندلسى، جودت الركابى - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة ١٩٧٥

٢٧- أدب الحروب الصليبية - عبد اللطيف حمزة - الكويت، دار الفكر العربى، الطبعة الثانية ١٩٨٤

٢٨- أدب الحروب الصليبية فى الشام - خالد محمد عبد الله - رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ١٩٧٨ رقم ٨٢.

٢٩- أدب الخوَاص فى المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها، للحسين بن على بن الحسين الوزير المغربى - أعده للنشر حمد الجاسر، منشورات النادى الأدبى بالرياض ١٩٨٠

٣- الأدب الصوفى فى مصر فى القرن السابع الهجرى، د. على صافى حسين - القاهرة، دار المعارف ١٩٦٤

٣١- الأدب العربى فى الأندلس، عبد العزيز عتيق - بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٦

٣٢- الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى الفاطميين، عبد الرزاق إبراهيم حميدة - القاهرة ١٩٥٧

٣٣- الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى نهاية العصر الأيوبى، محمود مصطفى - القاهرة ١٩٦٧

٣٤- الأدب فى بلاد الشام (عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك)، عمرو موسى باشا - لبنان، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨٩

٣٥- الأدب فى العصر الأيوبى، محمد زغلول سلام - الإسكندرية، منشأة المعارف، الطبعة الثانية ١٩٩٠

٣٦- الأدب فى العصر الفاطمى «الكتابة والكتّاب»، محمد زغلول سلام - الإسكندرية منشأة المعارف ١٩٩٣

٣٧- الأدب فى عصر النبوة والراشدين، صلاح الدين الهادى - القاهرة، دار الثقافة العربية ١٩٨٩

٣٨- الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية، مصطفى الشكعة - بيروت، دار الكتاب اللبنانى، الطبعة الثانية ١٩٧٤

٣٩- أدب الكاتب، لابن قتيبة الدينورى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - لبنان بدون تاريخ.

٤٠- أدب الكُتَّاب، لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى - شرح وتعليق أحمد حسن بسج - بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٤

٤١- أدب الكتاب، لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى - بعناية محمد بهجت الأثرى لبنان ١٣٤١

٤٢- الأدب المصرى من قيام الدولة الأيوبية إلى مجىء الحملة الفرنسية، عبد اللطيف حمزة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

٤٣- أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس البستانى - بيروت، دار الجيل ١٩٨٩

٤٤- أدباء العرب فى الأعصر العباسية، بطرس البستانى، بيروت، دار الجيل، الطبعة السادسة ١٩٦٨

٤٥-الأزمنة والأمكنة، لأبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى - ضبطه وخرج آياته خليل المنصور - لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٦

٤٦- الأساليب الأدبية فى النثر العربى القديم من عصر على بن أبى طالب إلى عصر ابن خلدون - كمال اليازجى - لبنان دار الجيل، الطبعة الأولى ١٩٨٦

٤٧- أسرار البلاغة، لعبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانى - تعليق محمود محمد شاكر - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩١

٤٨- الأسس الفنية للنقد الأدبى، عبد الحميد يونس - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الأولى ١٩٥٨

٤٩- الأسلوب: دراسة تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب - القاهرة، مكتبة نهضة مصر، الطبعة السادسة ١٩٦٦

٥- الاشتقاق، لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى - تحقيق عبد السلام محمد هارون - بغداد، مكتبة المثنى، الطبعة الثانية ١٩٧٩

٥١- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق، لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى - عنى بنشره ج. هيورث. دن - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩

٥٢- الأصول الفنية للأدب، عبد الحميد حسين - القاهرة، الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٤

٥٣- إصلاح المنطق، لابن السكيت - تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ٩٧.

٥٤- أصول النقد الأدبى، أحمد الشايب، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية ١٩٧٣

٥٥- أصول نقد النصوص ونشر الكتب، لبرجشتراسر - إعداد وتقديم محمد حمدى البكرى - القاهرة ١٩٦٩

٥٦- الأضداد، لمحمد بن القاسم الأنبارى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - لبنان ١٩٨٧

٥٧- أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى - د. جمال الدين الشيال - القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥

٥٨- أعلام الأدب العباسي، محمد رضوان الداية - بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٩٨٠

٥٩- الأعلام، لخير الدين الزركلى - بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٦٩

٦٠- الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية، محيى الدين عبد الحليم - القاهرة، مكتبة الخانجى ١٩٨٠

٦١- إعجاز القرآن، لأبى بكر محمد الطيب الباقلانى - تحقيق السيد أحمد صقر - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٥٣

٦٢- إعتاب الكُتَّاب، لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى المعروف بابن الأبار - تحقيق صالح الأشتر - دمشق، الطبعة الأولى ١٩٦١

٦٣- الإعلام والدعاية نظريات وتجارب، محمد عبد القادر حاتم القاهرة، مكتبة الأنجلو ١٩٧٨

٦٤- الأغانى، لأبى الفرج الأصفهانى - إعداد لجنة نشر كتاب الأغانى - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧

٦٥- الاقتضاب فى شرح أدب الكُتَّاب، لابن السيد البطليوسى - تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد - القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٨٣.

٦٦- الألفاظ الأيوبية فى كتاب تقويم النديم، محمد رضا الشبيبى - مجلة الرسالة، العدد ٩١٦ فى ٢٢/١/١٩٥٢

٦٧- الألفاظ الكتابية، عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذانى - تقديم إميل يعقوب - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١

٦٨- الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، حسن الباشا - القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧

٦٩- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، لأبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى - تحقيق السيد أحمد صقر - القاهرة، دار التراث، الطبعة الأولى ١٩٧

٧- الأمالى، لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى - بيروت، دار الكتب العلمية.

٧١- أمالى المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، للشريف المرتضى على بن الحسين الموسوى العلوى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة، مكتبة الحلبى، الطبعة الأولى ١٩٥٤

٧٢- الأمثال، لأبى عكرمة الضبِّى - تحقيق رمضان عبد التواب - دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٩٧٤

٧٣- الأمثال، لأبى فيد مؤرج بن عمرو السدوسى - تحقيق رمضان عبد التواب - بيروت ١٩٨٣

٧٤- الأمثال فى الحديث النبوى الشريف جمع وتخريج ودراسة محمد جابر فياض العُلْوانى - الرياض، مكتبة المؤيد، الطبعة الأولى ١٩٩٣

٧٥- أمثال العرب، محمد عبد الغنى حسن وعبد السلام العشرى - القاهرة، عالم الكتب ١٩٨٠

٧٦- الأمثال العربية ومصادرها فى التراث، محمد أبو صوفه - عمّان، مكتبة الأقصى، الطبعة الأولى ١٩٨٢

٧٧- الأمثال فى النثر العربى القديم، عبد المجيد عابدين - القاهرة، مكتبة مصر ١٩٥٦

٧٨- أمراء البيان، محمد كرد على - القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة - والنشر ١٩٣٧

٧٩- أمراء الشعر العربى فى العصر العباسى، أنيس المقدسى - بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة عشر ١٩٨٩

٨٠- الإنتاج الأدبى فى مدينة الإسكندرية فى العصرين الفاطمى والأيوبى، أحمد النجار، القاهرة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ١٩٦٤

٨١- الأوائل، لأبى هلال العسكرى - تحقيق وليد قصاب ومحمد المصرى - الرياض ١٩٨١

- ب -

٨٢- البحث الأدبى طبيعته مناهجه أصوله مصادره - شوقى ضيف -ا لقاهرة، دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٧٦

٨٣- البحوث الأدبية مناهجها ومصادرها - محمد عبد المنعم خفاجى - بيروت، دار الكتاب اللبنانى بدون تاريخ.

٨٤- البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية - سعاد ماهر - القاهرة دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٧

٨٥- البخلاء للجاحظ وتصويره للمجتمع العباسى، أحمد أحمد منصور نفادى - القاهرة، مطبعة الجبلاوى، الطبعة الأولى ١٩٨٤

٨٦- البخلاء، للجاحظ - تحقيق طه الحاجرى.

٨٧- بدائع البدائع، لعلى بن ظافر الأزدى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٠

٨٨- بدائع الخط العربى، ناجى خير الدين - بغداد، ١٩٧١

٨٩- البداية والنهاية، لأبى الفداء الحافظ بن كثير الدمشقى - تحقيق صدقى جميل العطار - لبنان، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٩٦

٩٠- البدر الزاهر فى نصرة الملك الناصر «محمد بن قايتباى» المنسوب لابن الشحنة - تحقيق عمر عبد السلام تدمرى - بيروت، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى ١٩٨٣

٩١- البديع فى ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين - القاهرة، مكتبة الأنجلو، الطبعة الثالثة ١٩٨٦

٩٢- البديع فى نقد الشعر، أسامة بن منقذ - تحقيق أحمد أحمد بدوى وحامد عبد المجيد، القاهرة ١٩٦٠

٩٣- بديع القرآن، لابن أبى الأصبع المصرى (٥٨٥-٦٥٤هـ) - تقديم وتحقيق حفنى محمد شرف - القاهرة - مكتبة نهضة مصر، الطبعة الأولى ١٩٥٧

٩٤- البديع، لابن المعتز - شرحه وعلق عليه محمد عبد المنعم خفاجى - القاهرة، مطبعة الحلبى، ١٩٤٥

٩٥- براعة الاستهلال فى فواتح القصائد والسور - دكتور - محمد بدرى عبد الجليل - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، الطبعة الأولى ١٩٨٠

٩٦- البُرْد الموشّى فى صناعة الإنشا- لموسى بن حسن الموصلى الكاتب - تحقيق عفاف سيد صبره - بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٠

٩٧- البلاغة تطور وتاريخ، شوقى ضيف - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٧٦

٩٨- بلاغة الكُتّاب فى العصر العباسى: دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب، محمد نبيه حجاب، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٥

٩٩- بلاد الشام قبيل الغزو المغولى (٥٨٩هـ - ٦٥٧هـ)، على محمد على عوده الغامدى - مكة، مكتبة الطالب الجامعى، الطبعة الأولى ١٩٨٨

١٠٠- البيان والتبيين، للجاحظ - تحقيق عبد السلام محمد هارون - القاهرة، مكتبة الخانجى، الطبعة الثانية ١٩٧٥

- ت -

١٠١- تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى - تحقيق حسين نصار وآخرون - لبنان، دار إحياء التراث، ١٩٦٥

١٠٢- تاريخ آداب اللغة العربية، جورجى زيدان - القاهرة، دار الهلال.

١٠٣- التاج فى أخلاق الملوك، للجاحظ - تحقيق أحمد زكى باشا - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩١٤

١٠٤- تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول، إبراهيم على أبو خشب - القاهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى ١٩٦٦

١٠٥- تاريخ الأدب العربى «الأعصر العباسية» إلى آخر القرن الرابع الهجرى - عمر فروخ - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٨

١٠٦- تاريخ الأدب العربى من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، عمر فروخ - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٩

١٠٧- تاريخ الأدب العربى من مطلع القرن الخامس الهجرى إلى الفتح العثمانى، عمر فروخ - بيروت ١٩٧٢

١٠٨- تاريخ الأدب العربى، لكارل بروكلمان - ترجمة عبد الحليم النجار ورمضان عبد التواب والسيد يعقوب بكر - القاهرة، دار المعارف.

١٠٩- تاريخ الأدب الفارسى، تأليف دكتور رضا زاده شفق - ترجمة محمد موسى هنداوى - القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٤٧

١١٠- التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، أحمد شلبى - القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية ١٩٧٢

١١١- تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن - القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥

١١٢- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى - بيروت، دار الكتاب العربى.

١١٣- تاريخ التربية الإسلامية، أحمد شلبى - القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة ١٩٧٣

١١٤- تاريخ الحضارة المصرية، أمين الخولى وآخرون - القاهرة، مكتبة مصر بدون تاريخ.

١١٥- تاريخ الدولة الفاطمية، حسن إبراهيم حسن - القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٢

١١٦- التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى فى المشرق الإسلامى من القرن الخامس الهجرى حتى سقوط بغداد، عبد المجيد أبو الفتوح بدوى - المنصورة دار الوفاء للطباعة، الطبعة الثانية ١٩٨٨

١١٧- تاريخ الطبرى، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٧٧

١١٨- التاريخ العربى والمؤرخون، شاكر مصطفى - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٩

١١٩- تاريخ العلوم عند العرب، عمر فروخ - بيروت، دار العلم للملايين ١٩٧٧

١٢٠- تاريخ الفارقى، لمحمد بن يوسف بن على بن الأزرق الفارقى - تحقيق بدوى عبد اللطيف عوض - بيروت، دار الكتاب اللبنانى، الطبعة الثانية ١٩٧٤

١٢١- تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب، محمد لطفى جمعة - القاهرة ١٩٢٧

١٢٢- تاريخ الكتاب الإسلامى المخطوط، محمود عباس حمودة - الرياض، الطبعة الثانية ١٩٩١

١٢٣- تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية (مجموعة مقالات لعدد من العلماء) - أعدها للنشر عبد العظيم رمضان - القاهرة، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣

١٢٤- تاريخ النقد الأدبى عند العرب، إحسان عباس - بيروت، دار الثقافة، الطبعة الخامسة ١٩٨٦

١٢٥- تاريخ النقد العربى من القرن الخامس إلى العاشر الهجرى، محمد زغلول سلام - القاهرة، دار المعارف ١٩٦٤

١٢٦- تأليف العبارة (أو مباحث فى كتاب نقد النثر)، محمد السيد فرهود - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٩

١٢٧- تتمة يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، لأبى منصور عبد الملك الثعالبى - تحقيق مفيد قميحة - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٣

١٢٨- تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبى الإصبع المصرى - تحقيق حفنى محمد شرف - القاهرة ١٣٨٣هـ.

١٢٩- تحقيق التراث العربى: منهجه وتطوره، عبد المجيد دياب، القاهرة، دار المعارف، ط ٢-٩٣.

١٣٠- تحقيق التراث - د. عبد الهادى الفضيلى - السعودية - جدة - مكتبة العلم، الطبعة الأولى ١٩٨٢

١٣١- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام محمد هارون - القاهرة - مكتبة الخانجى - الطبعة الرابعة ٧٧

١٣٢- تراث القاهرة العلمى والفنى فى العصر الإسلامى - د. عبد الرحمن زكى - القاهرة ـ مكتبة الأنجلو ١٩٦٩

١٣٣- الترجمة الشخصية، شوقى ضيف - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة ١٩٨٧

١٣٤- تربية الموهوب والمتخلف، ف. ج كروكشانك - ترجمة يوسف ميخائيل أسعد - القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧١

١٣٥- التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى، محمد عبد المنعم خفاجى - القاهرة الطبعة الأولى ١٩٤٨

١٣٦- تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى، أنيس المقدسى - بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٧٤

١٣٧- التطور والتجديد فى الشعر الأموى، شوقى ضيف - القاهرة، دار المعارف الطبعة التاسعة ١٩٩١

١٣٨- تطور النثر الفنى فى مصر فى القرن التاسع عشر، محروس منشاوى الجالى - القاهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى ١٩٨٦

١٣٩- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، محمد قنديل البقلى - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤

١٤٠- التعلم نفسيًا وتربويًا، محمد خير عرقسوسي وآخرون - الرياض، الطبعة الأولى ١٩٧٩

١٤١- التعلم ونظرياته، فاخر عاقل - بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٣

١٤٢- التكملة لوفيات النقلة، زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى - تحقيق بشار عواد معروف - بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٩٨٤

١٤٣- تمام المتون فى شرح رسالة ابن زيدون، خليل بن أيبك الصفدى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٦٩

١٤٤- تنمية الإبداع منهجه وتطبيقه، زين العابدين درويش - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الأولى ١٩٨٣

١٤٥- التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة بن حسن الأصفهانى - تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - بغداد، مكتبة النهضة، الطبعة الأولى ١٩٦٧

١٤٦- تهذيب الأسماء واللغات، لأبى بكر زكريا محيى الدين بن شرف النووى - بيروت، دار الكتب العلمية.

١٤٧- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلانى - لبنان، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٩٥

١٤٨- تيارات ثقافية بين العرب والفرس، أحمد محمد الحوفى - القاهرة مكتبة نهضة مصر ١٩٦٨

- ث -

١٤٩- ثمرات الأوراق، لتقى الدين أبى بكر على بن محمد بن حجة الحموى - صححه وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة، مكتبة الخانجى، الطبعة الأولى ١٩٧١

١٥٠- الثقافة والشخصية، عاطف وصفى - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٨١

١٥١- ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب، للثعالبى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥

- ج -

١٥٢- الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، حامد غنيم أبو سعيد - القاهرة ١٩٧١

١٥٣- جمهرة أشعار العرب، لأبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشي - شرح على فاعور - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦

١٥٤- جمهرة الأمثال، لأبى هلال العسكرى - أحمد عبد السلام وأبو هاجر محمد - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨

١٥٥- جمهرة الأمثال، لأبى هلال العسكرى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش - القاهرة ١٩٦٤

١٥٦- جمهرة خطب العرب فى عصور العربية الزاهرة - أحمد زكى صفوت - بيروت بلدون تاريخ.

١٥٧- جمهرة رسائل العرب، أحمد زكى صفوت - بيروت، المكتبة العلمية، بدون تاريخ.

١٥٨- جنان الجناس فى علم البديع، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى - تحقيق سمير حسين حلبى - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧

١٥٩- جواهر الألفاظ، لأبى الفرج قدامة بن جعفر - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - لبنان ١٩٣٢

١٦٠- جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة فى أدوات ذى البراعة، لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبى - تحقيق محمد زغلول سلام - الإسكندرية منشأة المعارف بدون تاريخ.

١٦١- الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين: تركيبه. تنظيمه. أسلحته. بحريته وأبرز المعارك التى خاضها - دكتور محسن محمد حسين - بيروت، مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٩٨٦

(ح)

١٦٢- الحافظ أبو طاهر السِّلفى، حسن عبد الحميد صالح - دمشق، الطبعة الأولى ١٩٧٧

١٦٣- الحركة الصليبية (الجزء الأول) - سعيد عبد الفتاح عاشور - القاهرة - مكتبة الأنجلو، الطبعة الثالثة ١٩٧٥

١٦٤- الحركة الصليبية (الجزء الثانى) - سعيد عبد الفتاح عاشور - القاهرة، مكتبة الأنجلو، الطبعة الثانية، ١٩٧١

١٦٥- الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول - عبد اللطيف حمزة - القاهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى ١٩٤٧

١٦٦- الحروب الصليبية وأثرها فى الأدب العربى فى مصر والشام - محمد سعيد كيلانى - القاهرة، ١٩٤٩

١٦٧- الحروب الصليبية فى كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها - حسين أحمد أمين - القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٣

١٦٨- الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى - السيد طه السيد أبو سديرة - القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١

١٦٩- حسان بن ثابت - محمد طاهر درويش - القاهرة، دار المعارف بدون تاريخ.

١٧٠- حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة، مكتبة الحلبى، الطبعة الأولى ١٩٦٧

١٧١- الحماسة، لأبى تمام بشرح أبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى - نشره أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون - القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، الطبعة الثانية ١٩٦٧

١٧٢- الحماسة «لأبى تمام بشرح الإمام أبى زكريا يحيى بن على التبريزى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٣٨

١٧٣- الحماسة الصغرى (الوحشيات)، لأبى تمام - تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكونى - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٧٠

١٧٤- الحماسة البصرية، لصدر الدين على بن أبى الفرج بن الحسن البصرى - تحقيق مختار الدين أحمد - بيروت، عالم الكتب ١٩٦٤

١٧٥- الحماسة، لابن الشجرى (هبة الله على بن حمزة) - حيدر أباد ١٣٤٥هـ.

١٧٦- الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام - أحمد أحمد بدوى - القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الطبعة الثانية.

١٧٧- الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العرب حتى آخر الدولة الفاطمية - محمد كامل حسين - القاهرة، مكتبة نهضة مصر ١٩٥٩

١٧٨- الحياة الفكرية فى مصر فى العصر الفاطمى - خضر أحمد عطا الله - القاهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى ١٩٨٩

١٧٩- الحيوان، للجاحظ - تحقيق عبد السلام محمد هارون - بيروت، دار الجيل ١٩٨٨

- خ -

١٨٠- خاص الخاص، لأبى منصور الثعالبى - قدّم له حسن الأمين - منشورات بيروت ١٩٦٦

١٨١- خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء مصر، للعماد الأصفهانى الكاتب - نشره أحمد أمين وشوقى ضيف وإحسان عباس - القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١

١٨٢- خزانة الأدب، لتقى الدين أبى بكر على بن حجة الحموى.

١٨٣- خزانة الأدب ولب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادى - تحقيق عبد السلام محمد هارون - القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٧٩

- د -

١٨٤- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدى - بيروت، دار المعرفة.

١٨٥- دار الطراز فى عمل الموشحات، لابن سناء الملك - تحقيق جودت الركابى - دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٩٨٠

١٨٦- الدارس فى تاريخ المدارس، لعبد القادر محمد النعيمى - إعداد إبراهيم شمس الدين - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٠

١٨٧- دراسات فى التاريخ الإسلامى، جمال الدين الشيال - بيروت، دار الثقافة ١٩٦٤

١٨٨- دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام إبان العصر العثمانى، ليلى عبد اللطيف أحمد - القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٨٠

١٨٩- دراسات فى الحديث النبوى، عباس بيومى عجلان - القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة.

١٩٠- دراسات فى الشعر فى العصر الأيوبى، محمد كامل حسين - القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٥٧

١٩١- دراسات فى نقد الأدب العربى من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث - بدوى طبانه - القاهرة، مكتبة الأنجلو، الطبعة السابعة ١٩٧٥

١٩٢- دراسة في مصادر الادب، الطاهر أحمد مكي - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٧٦

١٩٣- دراسة نظرية تطبيقية فى علمى العروض والقافية، محمد بدوى المختون - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٢

١٩٤- الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة، لحمزة بن الحسن الأصبهانى - تحقيق عبد المجيد قطامش - القاهرة - دار المعارف ١٩٦٦

١٩٥- الدولة الأيوبية فى تاريخ مصر الإسلامية (التاريخ السياسى ٥٦٧هـ - ٦٤٨هـ) د. عبد المنعم ماجد - القاهرة - دار الفكر العربى.

١٩٦- الدولة الفاطمية فى مصر، محمد جمال الدين سرور - القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٧٤

١٩٧- الدر النظيم من ترسل عبد الرحيم، اختيار محيى الدين بن عبد الظاهر - تحقيق أحمد أحمد بدوى - القاهرة، مكتبة نهضة مصر ١٩٥٩

١٩٨- دلائل الإعجاز فى علم المعانى، لعبد القاهرة الجرجانى - تحقيق محمد رشيد رضا - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨

١٩٩- دليل الإملاء، عبد العليم إبراهيم - القاهرة، مطبعة الفجالة ١٩٧٠

٢- دمية القصر وعصرة أهل العصر، لأبى الحسن على بن الحسن بن على البَاخَرْزى - تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو - القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٦٨

١ ٢- ديوان ابن رشيق، جمعه ورتبه عبد الرحمن ياغى - بيروت، دار الثقافة.

٢٠٢- ديوان ابن الرومى، تحقيق حسين نصار - القاهرة، مركز تحقيق التراث ١٩٧٤

٢٠٣- ديوان ابن سناء الملك - تحقيق محمد إبراهيم نصر - القاهرة، دار الكتاب العربى ١٩٦٩

٢٠٤- ديوان ابن شهيد الأندلسى (أحمد بن أبى مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك ابن عمر بن محمد بن شهيد) - تحقيق يعقوب زكى - القاهرة.

٢٠٥- ديوان ابن هانئ.

٢٠٦- ديوان أبى الأسود الدؤلى - تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - بغداد، مكتبة النهضة، الطبعة الثانية ١٩٦٤

٢٠٧- ديوان أبى تمام، بشرح الخطيب التبريزى - تحقيق محمد عبده عزام - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٧

٢٠٨- ديوان أبى فراس الحمدانى برواية أبى عبد الله الحسين بن خالويه - بيروت، دار صادر، بدون تاريخ.

٢٠٩- ديوان أبى نواس - شرحه وضبطه وقدم له: على فاعور - بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٨٧

٢١٠- ديوان الأبيوردى (أبى المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق) - تحقيق عمر الأسعد - دمشق - مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٩٧٤

٢١١- ديوان أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد أحمد بدوى وحامد عبد المجيد - القاهرة، المطبعة الأزهرية ١٩٥٣

٢١٢- ديوان أشعار الأمير أبى العباس عبد الله بن محمد المعتز - تحقيق محمد بديع شريف - القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧

٢١٣- ديوان الإمام الشافعى (أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى) جمعه محمد عفيفى الزغبى - بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٤

٢١٤- ديوان امرىء القيس - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الخامسة ١٩٩٠

٢١٥- ديوان البحترى - تحقيق حسن كامل الصيرفى - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٧٧

٢١٦- ديوان بشار بن برد - تحقيق السيد بدر الدين العلوى - بيروت ١٩٦٣

٢١٧-.ديوان بشار بن برد بتعليق محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقى أمين - القاهرة ١٩٥٠.

٢١٨- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب - تحقيق نعمان محمد أمين - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٧٦

٢١٩- ديوان جميل بثينة - جمعة وحققه وشرحه أميل بديع يعقوب - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢

٢٢٠- ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وشرحه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبيارى - القاهرة ١٩٣٧

٢٢١-ديوان حسان بن ثابت - تحقيق سيد حنفى حسنين - القاهرة دار المعارف، الطبعة الأولى ١٩٧٣

٢٢٢- ديوان دعبل بن على الخزاعي - عبد الكريم الأشتر - دمشق ١٩٦٤

٢٢٣- ديوان ذى الرمة برواية الإمام أبى العباس ثعلب - تحقيق عبد القدوس أبو صالح - دمشق، ١٩٧٢

٢٢٤- ديوان زهير بن أبى سلمى - كرم البستانى - بيروت - دار صادر.

٢٢٥- ديوان الشماخ بن ضرار الذبيانى - تحقيق وشرح صلاح الدين الهادى - القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨

٢٢٦- ديوان عبد الله بن رواحة - تحقيق وليد قصاب - الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨١

٢٢٧- ديوان العباس بن الأحنف - كرم البستانى - بيروت، دار صادر، ١٩٧٨

٢٢٨- ديوان الفرزدق - كرم البستانى - بيروت، دار صادر ١٩٦٦

٢٢٩- ديوان القاضى الفاضل - تحقيق أحمد أحمد بدوى - القاهرة ١٩٦١

٢٣- ديوان المتنبى، بشرح أبى البقاء العُكْبرى (المسمى بالتبيان فى شرح الديوان) - تحقيق مصطفى السَّقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى - بيروت، دار المعرفة.

٢٣١- ديوان المتنبى - وضعه عبد الرحمن البرقوقى - بيروت - دار الكتاب العربى ١٩٨٠.

٢٣٢- ديوان مجنون ليلى - جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج - القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٧٩

٢٣٣- ديوان مهيار الديلمى.

- ذ -

٢٣٤- ذو الرمة شاعر الطبيعة والحب - كيلانى حسن سند - القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣

٢٣٥- ذو الرمة شاعر الحب والصحراء - يوسف خليف - القاهرة، دار المعارف الطبعة الثانية، ١٩٧٧

٢٣٦- الذيل على كتاب الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع)، لشهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبى شامة المقدسى الدمشقى - بيروت، دار الجيل، الطبعة الثانية ١٩٧٤

- ر -

٢٣٧- رسائل ابن أبى الشهباء الإخوانية دراسة فنية - على إبراهيم أبو زيد - دبى، دار العلم ١٩٨٩

٢٣٨- رسائل ابن المعتز فى النقد والأدب والاجتماع - جمع وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجى - القاهرة، مكتبة الحلبى، الطبعة الأولى ١٩٤٦

٢٣٩- الرسائل الأدبية للقاضى الفاضل - مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم ٤٦٩ - أباظة ٧٠٦٥ أدب.

٢٤- رسائل البلغاء، لمحمد كرد على - القاهرة، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية ١٩٤٦

٢٤١- رسائل الجاحظ - تحقيق عبد السلام محمد هارون - القاهرة، مكتبة الخانجى الطبعة الأولى ١٩٧٩

٢٤٢- رسائل الصاحب بن عباد - صححها وقدم لها: عبد الوهاب عزّام، وشوقى ضيف - القاهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى ١٣٦٦ هـ.

٢٤٣- رسائل عن الحرب والسلام من ترسل القاضى الفاضل، اختيار مُوفَّق الدين بن الدِّيباجى - تحقيق محمد نغش - القاهرة، ١٩٧٨

٢٤٤- رسالة الغفران - لأبى العلاء المعرى، تحقيق بنت الشاطئ - القاهرة دار المعارف، ١٩٤٩

٢٤٥- الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسحاق المقدسى المعروف بأبى شامة - تحقيق الدكتور محمد حلمى محمد أحمد والدكتور محمد مصطفى زيادة - القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٢

٢٤٦- الروض النضر فى ترجمة أدباء العصر، لعصام الدين بن عصام بن على ابن مراد العمرى - تحقيق سليم النعيمى - العراق، ١٩٧٤

٢٤٧- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الحنبلى الدمشقى، المعروف بابن قيم الجوزية - حلب، دار الوعى ١٣٩٧هـ.

٢٤٨- رعاية النابغين فى الإسلام وعلم النفس - كمال إبراهيم موسى - الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩٢

٢٤٩- رعاية المتفوقين والموهوبين والمبدعين - دكتورة: زينب محمود شقير - القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٨/١٩٩٩

٢٥٠- زَهْر الآداب وثمر الألباب، لأبى إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى - تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد - عمّان، مكتبة المحتسب، الطبعة الرابعة ١٩٧٢

- س -

٢٥١- سنن ابن ماجة (الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى) - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى - بيروت، دار الكتب العلمية.

٢٥٢- السرقات الأدبية - بدوى طبانة - القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٩

٢٥٣- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى - تحقيق شعيب الأرنؤط وحسين الأسد - بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٨١

٢٥٤- سير أعلام النبلاء، للذهبى - تحقيق بشار عواد معروف ومحيى هلال السرحان - بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة ١٩٩٠

٢٥٥- سينية البحترى البعد النفسى والمعارضة - عبد الله التطاوى - القاهرة، دار غريب للطباعة، ١٩٩٢

٢٥٦- سنا البرق الشامى، اختصار الفتح بن على البندارى من كتاب البرق الشامى للعماد الكاتب الأصفهانى - تحقيق: فتحية النبراوى - القاهرة، مكتبة الخانجى ١٩٧٩

٢٥٧- سحر البلاغة وسر البلاغة، لأبى منصور عبد الملك الثعالبى - صححه وضبطه: عبد السلام الحوفى - بيروت، دار الكتب العلمية.

٢٥٨- سنن الترمذى (الجامع الصحيح) - تحقيق أحمد محمد شاكر - القاهرة ١٩٦٨

٢٥٩- سيكولوجية التعلم - رمزية الغريب - القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٥٩

٢٦٠- سنن الدارمى (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمى) -ب عناية محمد أحمد دهمان - دار إحياء السنة النبوية.

٢٦١- سياسة صلاح الدين الأيوبى فى بلاد مصر والشام والجزيرة - دريد عبد القادر نورى - نشر جامعة بغداد.

٢٦٢- الشاعر والتراث، دكتور مدحت الجيار - القاهرة، دار النديم، الطبعة الأولى ١٩٩٥

- ش -

٢٦٣- شخصية مصر - نعمات أحمد فؤاد - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢

٢٦٤- الشخصية المصرية فى الأدبين الفاطمى والأيوبى - أحمد سيد محمد - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٩٢

٢٦٥- شخصية مصر دراسة فى عبقرية المكان - جمال حمدان - القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨١

٢٦٦- شرح ديوان أبى الطيب المتنبى - لأبى العلاء المعرى - تحقيق ودراسة د. عبد المجيد دياب - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٩٢

٢٦٧- شرح ابن عقيل - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - القاهرة، المكتبة التجارية، الطبعة الرابعة عشرة ١٩٦٤

٢٦٨- الشرق الإسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين - دكتورة زبيدة محمد عطا - القاهرة، دار الأمين للطبع والنشر ١٩٩٤

٢٦٩- شروح سقط الزند، لأبى زكريا يحيى بن على بن محمد بن الحسن التبريزى وأبى محمد عبد الله بن محمد السيد البطليموسى وأبى الفضيل قاسم بن حسين بن محمد الخوارزمى - تحقيق مصطفى السقا وآخرون - القاهرة، الدار القومية للطباعة، ١٩٦٤

٢٧٠- شرح شواهد المغنى، للسيوطى - بعناية أحمد ظافر كوجان - بيروت، مكتبة الحياة.

٢٧١- شعر الأحوص الأنصارى، جمعة وحققه: عادل سليمان جمال - القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧

٢٧٢- الشعراء وإنشاد الشعر - على الجندى - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٧٧

٢٧٣- شعر الجهاد فى الحروب الصليبية في بلاد الشام - محمد على الهرفى - القاهرة ١٩٧٩

٢٧٤- شعر الجهاد فى عصر الحروب الصليبية فى مصر (٥٩٠-٦٩٠هـ) دراسة موضوعية فنية - بكر عبد الله بن قرمد - رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر ١٩٩٤ تحت رقم ٤٧٣٧

٢٧٥- شعر الحماسة ودوره فى الحروب الصليبية - محمد عرفه حامد المغربى رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر رقم ٨٤ لسنة ١٩٨٠

٢٧٦- الشعر والشعراء فى العصر العباسى - مصطفى الشكعة - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٥

٢٧٧- الشعر الشامى فى مواجهة الصليبيين - محمد عبد الله أحمد أبو الخير رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية جامعة الأزهر (مجلدان) تحت رقم ٤٦٥ لسنة ١٩٧٩

٢٧٨- الشعر العربى بين الجمود والتطور - محمد عبد العزيز الكفراوى - القاهرة، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الثانية، ١٩٥٨

٢٧٩- شعر عمرو بن معد يكرب الزُّبيدى - جمعه وحققه: مطاع الطرابيشى - دمشق، ١٩٧٤

٢٨٠- الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور - شوقى ضيف - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٧٧

٢٨١- الشعر المصرى من الفتح الإسلامى إلى مطلع العصر الحديث - محمد أحمد سلامه - القاهرة، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى، ١٩٨٠

٢٨٢- شفرات النص - دكتور صلاح فضل - القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٥

(ص)

٢٨٣- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، أحمد بن على القلقشندى - شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين - لبنان، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨٧

٢٨٤- الصبغ البديعى فى اللغة العربية - أحمد إبراهيم موسى - القاهرة، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٩

٢٨٥- صحيح ابن حبَّان بترتيب ابن بلبان - تحقيق: شعيب الأرنؤط - بيروت مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٩٩٣

٢٨٦- صحيح ابن خُزَيمة (أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة) - تحقيق: محمد مصطفى الأعظمى - الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨١

٢٨٧- صحيح البخارى - شرح مصطفى أمين البغا - دمشق، دار ابن كثير، الطبعة الخامسة ١٩٩٣

٢٨٨- صحيح الجامع الصغير، للألبانى - منشورات المكتب الإسلامى، الطبعة الأولى ١٩٦٩

٢٨٩- صحيح مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى) - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى - القاهرة، دار الحديث، الطبعة الأولى ١٩٩١

٢٩٠- صدى الغزو الصليبى فى شعر ابن القيرانى - محمود إبراهيم - دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٧١

٢٩١- صفحات من الأدب المصرى من العصر الفاطمى إلى النهضة الحديثة - عبد الحميد حسن - القاهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى، ١٩٥٠

٢٩٢- صلاح الدين الأيوبى - قدرى قلعجى - دار الكتاب العربى، الطبعة الخامسة ١٩٧٩

٢٩٣- صلاح الدين الأيوبى - جمال الدين الرمادى - القاهرة، مطابع دار الشعب - ١٩٥٨

٢٩٤- صفوة التفاسير - لمحمد على الصابونى - بيروت، دار القرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٩٨١

٢٩٥- الصورة الفنية فى الشعر الجاهلى فى ضوء النقد الحديث - نصرت عبد الرحمن - عمّان، مكتبة الأقصى، ١٩٧٦

- ض -

٢٩٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى - بيروت، بدون تاريخ.

- ط -

٢٩٧- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، لكمال الدين جعفر بن ثعلب

الإدفوى الشافعى - تحقيق سعد محمد حسن - القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦

٢٩٨- طبقات الشافعية، لابن السبكى - تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي - القاهرة، ١٩٦٣

٢٩٩- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى - تحقيق محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح محمد الحلو - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٤

٣٠- طبقات الشعراء، لابن المعتز - تحقيق: عبد الستار أحمد فراج - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٧٦

١ ٣- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحى - تحقيق: محمود محمد شاكر - القاهرة، مطبعة المدنى، الطبعة الثانية، ١٩٧٤

٣٠٢- طوق الحمامة فى الألفة والألاف، لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم - تحقيق: حسن كامل الصيرفى - القاهرة، المكتبة التجارية بالفجالة، ١٩٦٤

٣٠٣- طيف الخيال، للشريف المرتضى (على بن الحسين الموسوى العلوى) - تحقيق: حسن كامل الصيرفى - القاهرة، وزارة الثقافة، الطبعة الأولى ١٩٦٢

- ظ -

٤ ٣- الظَّرف والظرفاء، لأبى الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء - تحقيق: فهمى سعد - بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٩٨٦

٣٠٥- العبر فى خَبر من غَبر، للذهبى - حققه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول - بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥

٦ ٣- العصر الإسلامى - شوقى ضيف - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثامنة ١٩٧٨

٣٠٧- العصر الجاهلى - شوقى ضيف - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثامنة ١٩٧٧

٣٠٨- عصر الدولة والإمارات (الشام) - شوقى ضيف - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٩٠

٣٠٩- عصر الدولة والإمارات (مصر) - شوقى ضيف - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٩٠

٣١- العصر العباسى الأول - شوقى ضيف - القاهرة، دار المعارف، الطبعة السابعة ١٩٧٨

٣١١- العصر العباسى الثاني - شوقى ضيف - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٧٧

٣١٢- العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، لتقى الدين محمد بن أحمد الحسنى الفاسى المكى - تحقيق: فؤاد سيد - القاهرة، ١٩٦٦

٣١٣- العقد الفريد، لأحمد بن عبد ربه الأندلسى - تحقيق: محمد سعيد العريان - لبنان، دار الفكر، ١٩٤

٣١٤- العقد الفريد، لابن عبد ربه - تحقيق: مفيد محمد قميحة وعبد المجيد الترحينى - بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٧

٣١٥- علم الإسلوب مبادئه وإجراءاته - صلاح فضل - القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٨٥

٣١٦- علم البديع نشأته وتطوره من ابن المعتز حتى أسامة بن منقذ - عبد الرزاق أبو زيد زايد - القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٧

٣١٧- علم العروض والقافية - عبد العزيز عتيق - بيروت.

٣١٨- علم النفس التربوى - أحمد زكى صالح - القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة، ١٩٨٨

٣١٩- علم النفس التربوى - د. آمال عثمان، د. فؤاد أبو حطب - مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة ١٩٩٤

٣٢- العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية فى العصر السلجوقى (٤٤٧-٥٦٩هـ) محمد سالم بن شديد العوفى السعودية، الطبعة الثانية ١٩٨٣

٣٢١- العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين د. صبحى عبد المنعم محمد - القاهرة، دار العربى للنشر والتوزيع ١٩٩٣

٣٢٢- العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية، لأبى الفرج عبد الرحمن بن على الجوزى - إرشاد الحق الأثرى - باكستان ١٤٠٣هـ.

٣٢٣- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - بيروت، دار الجيل، الطبعة الرابعة ١٩٧٢

٣٢٤- عناصر الإبداع الفنى فى رائية أبى فراس - محمد عارف محمود حسين - القاهرة، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى ١٩٨٨

٣٢٥- عيون الأخبار، لابن قتيبة (أبى محمد عبد الله بن مسلم) - تحقيق يوسف على طويل ومفيد محمد قميحة - لبنان ١٩٨٥

٣٢٦- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، لابن أبى أصيبعة (احمد بن قاسم بن خليفة).

٣٢٧- عيار الشعر، لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوى - تحقيق: طه الحاجرى ومحمد زغلول سلام - القاهرة، المكتبة التجارية ١٩٥٦

- غ -

٣٢٨- غاية المرام فى علم الكلام، لسيف الدين الآمدى - تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف - القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧١

٣٢٩- غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، لعلى بن ظافر الأزدى - تحقيق: محمد زغلول سلام ومصطفى الصاوى الجوينى - القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧

٣٣٠- الغزو الصليبى والعالم الإسلامى - على عبد الحليم محمود - السعودية، دار عكاظ ١٣٩٩هـ.

٣٣١- الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة، لابن سعيد الأندلسى (أبى الحسن على بن موسى الأندلسى) - تحقيق: إبراهيم الإبيارى - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧

٣٣٢- الغيث المنسجم فى شرح لامية العجم، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٥

- ف -

٣٣٣- الفاخر، لأبى طالب المفضل بن سلمة بن عاصم - تحقيق: عبد العليم الطحاوى ومحمد على النجار - القاهرة، وزارة الثقافة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠

٣٣٤- فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر فى الفترة من ٥٦٣- ٦٥٢ - تحقيق ودراسة محسن سعد ناصر، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر، ١٩٨٣ (قسم التاريخ).

٣٣٥- فجر الإسلام - أحمد أمين - القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٧٥

٣٣٦- الفتح القُسِىّ فى الفتح القدسى، للعماد الكاتب - تحقيق: محمد محمود صبيح - القاهرة، ١٩٦٥

٣٣٧- فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال، لأبى عبيد البكرى - تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين - لبنان، ١٩٥٨

٣٣٨- فصول فى الشعر ونقده - شوقى ضيف - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٨٨

٣٣٩- فصول فى النقد الأدبى وتاريخه دراسة وتطبيق - ضياء الصديقى وعباس محجوب - المنصورة، دار الوفاء للطباعة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩

٣٤- فضائل مصر، لعمر بن محمد بن يوسف الكندى - تحقيق إبراهيم أحمد العدوى وعلى محمد عمر - القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٩٧١

٣٤١- فقه اللغة للثعالبى، تحقيق جمال طلة - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤

٣٤٢- فنون بلاغية (البيان والبديع) أحمد مطلوب - الكويت، الطبعة الأولى ١٩٧٥

٣٤٣- فن تحقيق التراث - دكتور محمود الطناحى، عبد الستار الحلوجى، حسن الشافعى، حامد الطاهر - القاهرة، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية بكلية دار العلوم، ١٩٨٨

٣٤٤- فن التشبيه - على الجندى - القاهرة، مكتبة الأنجلو، الطبعة الثانية، ١٩٦٦

٣٤٥- فن الجناس - على الجندى - القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٥٤

٣٤٦- فن الكتابة والتعبير - محمد على أبو حمدة - عمّان، مكتبة الأقصى، الطبعة الثالثة ١٩٩٤

٣٤٧- الفن ومذاهبه فى الشعر العربى - شوقى ضيف - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٨٧

٣٤٨- الفن ومذاهبه فى النثر العربى - شوقى ضيف - القاهرة، دار المعارف، الطبعة السادسة ١٩٧١

٣٤٩- فن الموشحات فى مصر فى عصر الأيوبيين - شعبان مرسى - رسالة ماجستير بكلية دار العلوم تحت رقم ٣٨٤ عام ١٩٨٤

٣٥٠- الفهرست، لابن النديم - لبنان، دار المعرفة، ١٩٧٨

٣٥١- فهرس انكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية إلى سنة ١٩٤٩

٣٥٢- فوات الوفيات والذيل عليها، لمحمد بن شاكر الكتبى - تحقيق إحسان عباس - بيروت، دار صادر، ١٩٧٤

٣٥٣- فى أدب مصر الفاطمية - محمد كامل حسين - القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٧

٣٥٤- فى الشعر الأموى - عبد القادر القط - بيروت، دار النهضة العربية ١٩٧٩

- ق -

٣٥٥- القاضى الفاضل حياته وشعره - رشدى الأشهب - رسالة ماجستير بكلية دار العلوم تحت رقم ٨٩ لسنة ١٩٦٦

٣٥٦- القاضى الفاضل دراسة ونماذج - أحمد أحمد بدوى - القاهرة، مكتبة نهضة مصر ١٩٥٩

٣٥٧- القاضى الفاضل وصلاح الدين والوحدة الإسلامية - دكتورة سوسن محمد نصر - القاهرة، دار الزهراء للنشر ١٩٩٠

٣٥٨- القافية فى العروض والأدب - حسين نصار - القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠

٣٥٩- قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية - أحمد أمين - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٣

٣٦٠- القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ - عبد الرحمن زكى - القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦

٣٦١- قراضة الذهب فى نقد أشعار العرب، لابن رشيق القيروانى - تحقيق الشاذلى أبو يحيى - تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٢

٣٦٢- قصة الأدب فى مصر - محمد عبد المنعم خفاجى - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٦

٣٦٣- القصة فى الأدب الفارسى أمين عبد المجيد بدوى - القاهرة، دار المعارف ١٩٦٤

٣٦٤- القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى - عرض وتحليل عبد اللطيف حمزة - القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٦٢

٣٦٥- قواعد الإملاء عبد السلام محمد هارون - القاهرة، مكتبة الأنجلو ١٩٩٠

٣٦٦- قواعد تحقيق النصوص - صلاح الدين المنجد - مجلة معهد المخطوطات القاهرة نوفمبر ١٩٩٥

٣٦٧- القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب، محمد بن أبى السرور الصديق الشافعى - تحقيق السيد إبراهيم سالم - القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٢

٣٦٨- قيام الدولة الأيوبية فى مصر - على بيومى - القاهرة، دار الفكر الحديث للطبع والنشر، الطبعة الأولى ١٩٥٢

٣٦٩- قيس ولبنى: شعر ودراسة - جمع وتحقيق حسين نصار - القاهرة، مكتبة مصر ١٩٧٩

- ك -

٣٧٠- الكامل فى التاريخ، لابن الأثير - بيروت، دار صادر، الطبعة الثانية، ١٩٦٧

٣٧١- الكامل فى اللغة والأدب، للمبرد - تحقيق محمد أحمد الدالى - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣

٣٧٢- الكامل فى اللغة والأدب، للمبرد - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته - القاهرة، ١٩٥٦

٣٧٣- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، لتقى الدين أحمد بن على المقريزى - صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة - القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٤

٣٧٤- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى - تحقيق مفيد قميحة - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٩

٣٧٥- الكتابة الفنية فى مشرق الدولة الإسلامية فى القرن الثالث الهجرى - حسنى ناعسه - بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٧٨

٣٧٦- كتاب قوانين الدواوين، للأسعد بن مماتى ٦٠٦هـ - جمعه وحققه عزيز سوريال عطية، القاهرة مكتبة مدبولى، الطبعة الأولى ١٩٩١

٣٧٧- الكتاب العربى المخطوط إلى القرن العاشر الهجرى (الجزء الأول) - صلاح الدين المنجد - مطبوعات معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

٣٧٨- كتاب الوفيات، لابن قنفذ القسطينى - تحقيق عادل نويهض - بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٨

٣٧٩- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، لحاجى خليفة - بيروت، دار إحياء التراث العربى (بدون تاريخ).

(ل)

٣٨٠- لسان العرب، لابن منظور - تحقيق عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلى - القاهرة، دار المعارف.

٣٨١- لسان الميزان، لشهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧١

٣٨٢- لزوم ما لا يلزم، لأبى العلاء المعرى - تحقيق إبراهيم الإبيارى - القاهرة، دار الكتاب المصرى، الطبعة الثانية ١٩٨٢

- م -

٣٨٣- ما اتفق لفظه واختلف معناه، لابن الشجرى - تحقيق أحمد حسن بسج - لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٦

٣٨٤- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩

٣٨٥- مجمع الأمثال، للميدانى - تقديم حسين زرزور - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨

٣٨٦- مجالس ثعلب، لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب - تحقيق عبد السلام محمد هارون - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة ١٩٧٦

٣٨٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى - تحرير الحافظين الجليلين: العراقى وابن حجر - بيروت، ١٩٨٨

٣٨٨- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبى القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهانى.

٣٨٩- المختار من إنشاء القاضى الفاضل - اختيار جمال الدين بن نباته المصرى - مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم ٤٦٩ أدب.

٣٩٠- مختصر صحيح البخارى المسمى التجريد الصريح لأحكام الجامع الصحيح، لزين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدى - تحقيق محمد سالم هاشم - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤

٣٩١- المخطوطات العربية فى مكتبة باريس الوطنية - تنسيق وترتيب هادى حسن حمودى -.بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦

٣٩٢- المخطوطات العربية فهارسها وفهرستها ومواطنها فى جمهورية مصر العربية عزت ياسين أبو هيف - القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩

٢٩٣ـ مداخل المؤلفين والأعلام العرب حتى عام ١٢١٥ هـ ـ فكرى زكى الجزار ـ الرياض ١٩٩٤

٣٩٤- المدرسة النحوية فى مصر والشام فى القرنين السابع والثامن من الهجرة - عبد العال سالم مكرم - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٠

٣٩٥- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لليافعى - حيدر أباد الدكن، الطبعة الأولى ١٣٣٨هـ.

٣٩٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٦٥

٣٩٧- المستطرف فى كل فن مستظرف، للأبشيهى - بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٩٢

٣٩٨- المستقصى فى أمثال العرب، للزمخشرى - بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٧

٣٩٩- مصابيح السنة، للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفرّاء البغوى - تحقيق يوسف عبد الرحمن الرعشلى ومحمد سليم إبراهيم وجمال حمدى الذهبى - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧

٤- مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك - سعيد عبد الفتاح عاشور - بيروت دار النهضة العربية (بدون تاريخ).

٤٠١- مصر فى عصر الأيوبيين - دكتور: السيد الباز العرينى - القاهرة ١٩٦٠

٤٠٢- مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى - على إبراهيم حسن - القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٦٤

٤٠٣- مصر والفتح الإسلامى - عبد المنعم حماده - القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٠

٤٠٤- المصون فى الأدب، لأبى أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى - تحقيق عبد السلام محمد هارون - القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٢

٤٠٥- مطلع الفوائد ومجمع الفرائد، لجمال الدين بن نباتة - تحقيق عمرو موسى باشا - دمشق ١٩٧٢

٤٠٦- مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية - عبد الحليم حفنى - القاهرة ١٩٨٧

٤٠٧- معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص، لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - بيروت ١٩٤٧

٤٠٨- معالم الشعر وأعلامه فى العصر العباسى الأول - محمد نبيه حجاب - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧

٤٠٩- معالم الكتابة ومغانم الإصابة، لعبد الرحيم بن على بن شيث القرشى - تحقيق محمد حسين شمس الدين - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨

٤١- المعانى فى ضوء أساليب القرآن الكريم - عبد الفتاح لاشين - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٧٦

٤١١- معجم الأدباء، لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموى - د. س مرجليوس - القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٢٣

٤١٢- معجم الأدباء، لياقوت الحموى - علق عليه محمد حسين شمس الدين - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١

٤١٣- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم - القاهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨

٤١٤- معجم الأوائل وتاريخ العرب والمسلمين - فؤاد صالح السيد - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢

٤١٥- معجم البلدان، لياقوت الحموى - بيروت، ١٩٨٠

٤١٦- المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع - جمع وإعداد محمد عيسى صالحية - القاهرة معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٢

٤١٧- معجم الشعراء، للمرزبانى - تهذيب المستشرق سالم الكرنكوى - بيروت، دار الكتب العلمية.

٤١٨- معجم الشواهد العربية، عبد السلام محمد هارون - القاهرة، مكتبة الخانجى، الطبعة الأولى، ١٩٧٢

٤١٩- معجم العلماء العرب، باقر أمين الورد - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦

٤٢- معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - بيروت (بدون تاريخ).

٤٢١- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبى عبيد البكرى - تحقيق مصطفى السقا - بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣

٤٢٢- معجم المخطوطات العربية بين سنتى ١٩٥٤-١٩٦٠، صلاح الدين المنجد - بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٢

٤٢٣- معجم المطبوعات العربية والمعربة - جمعه ورتبه يوسف إلياس سركيس - القاهرة مطبعة سركيس ١٩٢٨

٤٢٤- المعجم المفصل فى شواهد النحو الشعرية - إميل بديع يعقوب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢

٤٢٥- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف - صنع المستشرق فنسك - ليدن، ١٩٦٩

٤٢٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقى - القاهرة، دار الحديث الطبعة الثانية ١٩٨٨

٤٢٧- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - بيروت، ١٩٩١

٤٢٨- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام - تحقيق مازن المبارك ومحمد على حمد الله - بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٧٩

٤٢٩- مفهوم الإبداع الفنى فى النقد العربى القديم، مجدى أحمد توفيق - القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣

٤٣٠- مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، لابن واصل - تحقيق جمال الدين الشيال - القاهرة، ١٩٦٠

٤٣١- مقامات بديع الزمان الهمذانى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - لبنان ١٩٤٤

٤٣٢- مقاييس اللغة، لأبى الحسين أحمد بن فارس - تحقيق عبد السلام محمد هارون - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٢

٤٣٣- مقاومة الغزو الصليبى فى شعر ابن سناء الملك - إبراهيم نمر موسى - رسالة ماجستير آداب عين شمس ١٩٨٩ مكيروفيلم رقم ٥/ ٦٦٤/ ١

٤٣٤- مقدمة للوثائق العربية - دكتور محمد إبراهيم السيد على - القاهرة ١٩٨٧

٤٣٥- ملامح الشخصية المصرية فى الدراسات البيانية فى القرن السابع الهجرى - مصطفى الصاوى الجوينى - القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠

٤٣٦- الملكة اللسانية فى نظر ابن خلدون - محمد عيد - القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٩

٤٣٧- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين - رمضان عبد التواب - القاهرة مكتبة الخانجى، الطبعة الأولى ١٩٨٦

٤٣٨- منتقيات أدباء العرب فى الأعصر العباسية، بطرس البستانى - بيروت، ١٩٩٠

٤٣٩- المنخّل مختصر إصلاح المنطق، لأبى القاسم الحسين بن على المغربى - تحقيق جمال طلبة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤

٤٤٠- من حديث الشعر والنثر، طه حسين - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الحادية عشرة.

٤٤١- الموازنة بين أبى تمام والبحترى، للآمدى - تحقيق أحمد صقر - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة.

٤٤٢- الموازنة بين أبى تمام والبحترى، للآمدى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - بيروت، المكتبة العلمية، ١٩٤٤

٤٤٣- الموازنة بين الطائيين وما تضمنه من أصول نقدية، أحمد أحمد منصور نفادى - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٩

٤٤٤- الموازنة بين الشعراء، لزكى مبارك - القاهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الثانية ١٩٦٨

٤٤٥- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، لتقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى - القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الثانية ١٩٨٧

٤٤٦- المؤتلف والمختلف، للآمدى - تحقيق عبد الستار أحمد فراج - القاهرة، ١٩٦١

٤٤٧- الموجز فى الأدب العربى وتاريخه - حنا الفاخورى - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥

٤٤٨- موسوعة تاريخ مصر (الجزء الثانى)، أحمد حسين - القاهرة، مطبعة دار الشعب.

٤٤٩- الموسوعة العربية العالمية، المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى، ١٩٩٦

٤٥٠- الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء، للمرزُبّانى - بعناية محب الدين الخطيب - القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ.

٤٥١- الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء، للمرزبانى - تحقيق محمد حسين شمس الدين - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥

٤٥٢- الموشحات والأزجال الأندلسية فى عصر الموحدين، فوزى سعد عيسى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩

٤٥٣- الموشحات الأندلسية - تحقيق سيد غازى - الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٩

٤٥٤- الموشحات فى العصر الأيوبى، ماجدة جمال الدين أحمد كامل - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢

٤٥٥- الموشحة، مصطفى عوض الكريم - القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥

- ن -

٤٥٦- نثر أبى العلاء المعرى دراسة فنية، صلاح رزق - القاهرة، دار الثقافة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٨٥

٤٥٧- نثر الببغاء (أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومى) دكتور على إبراهيم أبو زيد مصر، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٩٤

٤٥٨- النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه، عبد الحكيم بلبع - القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٥

٤٥٩- النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى، زكى مبارك - القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٥٧

٤٦٠- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغرى بردى الأتابكى - القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٥

٤٦١- النحو الوافى، عباس حسن - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الخامسة، ١٩٧٥

٤٦٢- نُخَب الذخائر فى أحوال الجواهر، لمحمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى السنجارى المعروف بابن الأكفانى - عنى بنشره الأب إسناس مارى الكرملى - لبنان (بلا تاريخ).

٤٦٣- نزهة الألباء فى طبقات الأدباء، لأبى البركات عبد الرحمن بن الأنبارى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة، ١٩٦٧

٤٦٤- نشأة الكتابة الفنية فى الأدب العربى، حسين نصار - القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٦

٤٦٥- النقد الأدبى فى القرن السادس الهجرى - محمود جمعة أمين خليفة - رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية جامعة الأزهر رقم ٨١ لسنة ١٩٨٧

٤٦٦- النقد التطبيقى والموازنات، محمد الصادق عفيفى - القاهرة، مكتبة الخانجى ١٩٧٨

٤٦٧- النقد المنهجى عند العرب - دكتور محمد مندور - القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر بدون تاريخ.

٤٦٨- نهاية الأرب فى فنون الأدب، لأحمد بن عبد الوهاب النويرى - القاهرة، المؤسسة المصرية للترجمة والتأليف والنشر.

٤٦٩- النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير - تحقيق محمود محمد الطناحى وطاهر أحمد الزاوى، القاهرة، ١٩٦٣

٤٧٠- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين الأيوبى، لبهاء الدين بن شداد - تحقيق جمال الدين الشيال - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤

- هـ -

٤٧١- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادى - استانبول، ١٩٥١

٤٧٢- هِرُدوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، تقديم أحمد بدوى - القاهرة، مطابع دار القلم، ١٩٦٦

٤٧٣- الوافى بالوفيات، للصفدى - بعناية س دن رينغ - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤

٤٧٤- الوثائق التاريخية لمصر الإسلامية (مجموعة الوثائق الفاطمية)، جمع وتحقيق وتحليل جمال الدين الشيال - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٦٥

٤٧٥- وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولى للعالم الإسلامى دراسة ونصوص - محمد ماهر حمادة - بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٧٩

٤٧٦- الوجيز فى تصريف الأفعال، أحمد بسيونى سعيده - القاهرة، مكتبة الزهراء ١٩٨٩

٤٧٧- الورقة، لابن الجراح - تحقيق عبد الوهاب عزام وعبد الستار فراج - القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية (بلا تاريخ).

٤٧٨- الوزراء والكتاب، لمحمد بن عبدوس الجهشيارى - تحقيق مصطفى السقا وآخرين - القاهرة، مطبعة الحلبى، ١٣٥٧هـ.

٤٧٩- الوزراء (أو تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء)، لأبى الحسن الهلال بن المحسن الصابى - تحقيق عبد الستار أحمد فراج - القاهرة ١٩٥٨

٤٨٠- الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى - محمد حمدى المناوى - القاهرة، دار المعارف ١٩٧٠

٤٨١- الوسائل إلى معرفة الأوائل، لجلال الدين السيوطى - تحقيق إبراهيم العدوى وعلى محمد عمر - القاهرة، مكتبة الخانجى ١٩٨٠

٤٨٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان - تحقيق إحسان عباس - لبنان، ١٩٦٨

٤٨٣- الوقوف على الأطلال تطوره فى الشعر العربى - أحمد أحمد منصور نفادى - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧

- ى -

٤٨٤- يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، للثعالبى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٩٧٣

٤٨٥- يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، للثعالبى - تحقيق وشرح مفيد محمد قميحة - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣

٤٨٦- يونس بن حبيب، حسين نصار، القاهرة، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٨

الفهرست

الموضوع	الصفحة
القسم الأول : التحقيق	
- مقدمة التحقيق	٣
- نماذج من مصورات مخطوطات الكتاب	١٨
- تحقيق نص الكتاب	١٩
- فصول السلام	٢٥٦
- فصول وردت فى ، س فقط	٢٩٤
القسم الثانى : الدراسة	
- مقدمة الدراسة	٢٩٩
- تمهيد (المؤثرات فى رسائل الكتاب)	٣٩٦
١- المؤثرات السياسية	٣٠٨
٢- الحالة الاقتصادية	٣١٢
٣- الحياة العلمية والأدبية	٣١
الباب الأول : ابن سناء الملك والقاضى الفاضل	٣١٧
الفصل الأول: ابن سناء الملك	٣١٨
الفصل الثانى: ثقافته ومؤلفاته	٣٥٣
الفصل الثالث: مذهبه الفنى ووفاته	٣٨٢
الفصل الرابع: القاضى الفاضل	٣٩٢
الفصل الخامس: ثقافته ومؤلفاته ووفاته	٤١٤

الموضوع	الصفحة
الباب الثانى : دراسة موضوعية لرسائل الكتاب	٤٣٣
الفصل الأول: تعريف بالكتاب	٤٣٦
الفصل الثانى: دراسة موضوعية لأغراض رسائل الكتاب	٤٥٢
الفصل الثالث: مساجلات نقدية بين القاضيين	٤٨٢
الباب الثالث : السمات الفنية العامة فى رسائل الكتاب	٤٩١
الفصل الأول: البناء الفنى والخصائص الأسلوبية	٤٩٤
الفصل الثانى: من صور البيان والبديع والظواهر اللغوية فى أسلوب الكتاب	٥١٤
ثبت المصادر والمراجع	٥٢٨
الفهرست	٥٧١

